موسوعة الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم

الشيخ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

المجلد الثالث

ح - خ
حب - خز

3

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

ISBN : 9953-85-369-X

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر المطار شارع البرجاوي * هاتف: 834301 - 834332
فاكس: 835614 * ص.ب: 7876 ــ بيروت ــ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332
Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com * www.marefah.com

موسوعة

الكلمة وأخواتها

في القرآن الكريم

3

حرف الحاء

حب

(الحب - الشهوة - الهوى - الشغف - الغرام - الهيام - الود)

شرح المعاني:

الحب: هو تعلق القلب بما هو كريم ومطلوب، وتعلق القلب بكل شيء كريم وفيه فخر وليس مذموماً فقد يكون فخراً أو مجداً أو من مكارم الأخلاق أو من اللذائذ المشروعة. ولقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز صفات الذين يحبهم والذين لا يحبهم. والحب على عكس الهوى لأن الحب هو تعلق القلب بما ليس مذموماً والهوى تعلق القلب بما ليس محموداً.

الشهوة: هي ميل النفس إلى ما يتلذذ به حسياً أو نفسياً، وهو كل شيء ترتاح له النفس سواء كان حسياً مثل النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، أو نفسياً مثل السلطان والجاه والبغي والظلم والقهر وغيرها. والشهوة يجب أن تكون في محلها أي: في كل شيء حلال. وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتضمن كلمة الشهوة ومشتقاتها ومنها قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: 71] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ

بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ [سبأ: 54] ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: 22] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 21] ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: 42].

الهوى: إذا كانت الشهوة في غير محلها تسمى الهوى، كأن تشتهي امرأة لا تحل لك أو تشتهي ما لا ليس لك. ولم ترد كلمة الهوى ومشتقاتها في القرآن الكريم إلا من باب الذم. وهناك فرق بين ما تشتهيه الأنفس (فقد يكون حلالاً أو حراماً) وبين ما تهواه الأنفس (لا بد أن يكون حراماً) وهذه الآيات تبين كلمة الهوى ومشتقاتها في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البَقَرَة: 87].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: 23] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135] ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26] ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النَّازعَات: 40].

الشغف: قد يكون الحب مؤقتاً لفترة زمنية محددة إلى أن تحصل على ما تحب وعندما ينفذ الحب إلى القلب ويستقر به ويملك على الإنسان حواسه وتفكيره يسمى شغفاً. وكل شغف حب وليس كل حب شغفاً. وقد جاء في قصة

سيدنا يوسف مع امرأة العزيز التي أحبته طوال فترة شبابه في القصر حتى تملك حبه قلبها وملك عليها حواسها لذا جاءت الآية الكريمة بلفظ (شغفها) للتعبير عن الحالة التي كانت بها ولم يكن حباً عابراً ولا نزوة وليدة اللحظة. ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30].

الغرام: هذا الحب الذي وصل إلى مرحلة الشغف، إذا كان قاهراً حتى استولى المحبوب على من يحب وتحول الحب إلى فناء في المحبوب يسمى غراماً. فإذا فني المحب في محبوبه وأصبح المحب مسيطراً على المحبوب سيطرة كاملة وأصبح المحبوب رهن إشارة المحب فهذا هو الغرام. إذن الغرام هو حب انقلب إلى أسر. ولهذا كان ذكر عذاب جهنم في القرآن بـ(غراماً) دليل على أن عذاب جهنم قاهر مذل، لا يفنى ولا يزول ولا ينفك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقِعَة: 66].

الهيام: هذا الغرام إذا تطور والمحبوب تدلل على الحبيب ولم يستجب له واضطرمت النار في أحشاء المحب فهذا يؤدي إلى الهيام. والهيام لغة مأخوذة من الهيم أي: الإبل الشاردة في الصحراء والهائمة على وجهها فإذا عطشت عطشاً عظيماً وشربت، انفجرت. وفي قصة قيس بن الملوح أنه كان يهيم في الصحراء على وجهه مع الوحوش يناجي محبوبته ليلى. وفي آيات القرآن الكريم ورد ذكر كلمة الهيام ومشتقاتها في الآيات التالية:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 225] ﴿فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقِعَة: 55].

الودّ: تعلق القلب بذات الشيء لا بصفاته: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البَقَرَة: 96].

وتبقى كلمتان لم تردا في القرآن الكريم ولكنهما من ضمن منظومة الحب:

الشوق: ويكون لحبيب مسافر أو لغائب.

العشق: وهو الحب الذي شاع وذاع صيته وانتشر بين الناس.

والحب ومفرداته من أخطر الفتن على المسلم، ومن أخطرالفتن النساء لذا جاء في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ﴾ [آل عمران: 14] فقد قدم النساء على باقي الشهوات لأن النساء من أخطر الفتن كما قال رسولنا الكريم: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» ولذا كان جزاء العفيف الذي يعف نفسه عظيماً ويدخل مع السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر من بينهم (رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين) فمن ذا الذي يصمد في موقف كهذا إلا عفيف يصون نفسه ويخاف ربه الذي يراه أينما كان؟!. وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «**من أحب فعفّ فمات، مات شهيداً**» ولذلك أيضاً كانت مسؤولية الزنا تقع على المرأة و﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ [النور: 2] فتقدم ذكر الزانية على الزاني لأن المرأة هي المسؤولة في هذا الموقف، ومن هنا حرم الله تعالى الخلوة واللمسة وكل مقدمات الزنا. أما في السرقة فقد قدم الله تعالى الرجل على المرأة لأن من مسؤولية الرجل إعالة أهله وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38] والله سبحانه وتعالى لم يضيق على عباده تعسفاً، حاشاه وتقدّست أسماؤه وصفاته، ولكنه في مقابل هذا التضييق الذي فرض جاءت رحمته وعدله في التعدد وفتح باب التوبة للمذنب وباب المغفرة لمن وقع في محرم لكي ينجو الناس بفضل الله وكرمه ومنه إنه هو العزيز الحكيم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ومن أعظم أنواع الحب أن تحب الله تعالى وأن تحب رسوله ﷺ وأن تحب في الله أيضاً. والحب في الله أعجوبة لما فيه من الأجر والثواب للمتحابين في الله تعالى وكثيرة هي الأحاديث التي رويت عن النبي محمد ﷺ في المتحابين في الله منها: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم**

أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» رواه مسلم. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**» وقال رسول الله: **قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**» رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**» متفق عليه. والحب نوعان: حب عاطفي الذي نشعر به تجاه أهلينا وأصدقائنا وأرحامنا، وحب عقلي وهو محبة النبي لأننا نعي بعقولنا أن حبه أنفع لنا في الآخرة وهذا هو الحب الذي أشار إليه الرسول في حديثه: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**) وحتى نشعر بهذا الحب علينا أن نثابر على قراءة سيرة المصطفى وشمائله وعاداته وصفاته وكرمه وعلمه حتى يتملك حبه القلوب والعقول ونحظى بشفاعته يوم القيامة يوم لا تنفع الشفاعة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38].

وقد ننال من الحب ما لم ننله في الزهد. فهناك كثير من الأعمال والعبادات ما هو سهل الأداء وعظيم الأجر ومنها ما هو صعب الأداء شاق وأجره قليل. والذكر من أعظم العبادات فالتسبيح والتهليل والتكبير والصلاة على الرسول الكريم من أعظم الذكر وأعظم العبادات ذات الأجر العظيم، والأحاديث في فضل الذكر وأجره كثيرة منها: عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها: أن النبي خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها!!. ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة. فقال: «**مازلت على الحال التي فارقتك عليها**».؟؟ قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات** (ثلاث مرات) **لو وُزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والباء أصول ثلاثة: أحدها: اللّزوم والثّبات، والآخر: الحَبّةُ من الشّيء ذي الحَبّ، والثّالث: وصف القِصَر. فالأوّل: الحَبّ. معروف من الحِنطَة والشّعير. فأمّا الحِبّ بالكسر: فبزور الرّياحين، الواحد: حِبّة قال رسول الله ﷺ في قوم: «**يخرجون من النّار فُينبتون كما تُنبَتُ الحِبّة في حَميل السّيل**».

قال الخليل[2]: أَحْبَبْتُهُ: نقيض أبغضته. والحِبُّ والحِبَّةُ بمنزلة الحبيب والحبيبة

والحُبّ: الجَرة الضخمة ويجمع على حِبَبَة وحِبَابٍ. وقالوا: الحِبّةُ إذا كانت حُبوب مختلفة من كل شيء، وفي الحديث: (**كما تَنبُتُ الحِبّة في حميل السَّيل**) ويقال لحَبُّ الرّياحين: حِبّة،وللواحدة: حَبَّةٌ. وحَبَّةُ القلب: ثمرته. ويقال: حَبَّ إلينا فلان يَحُبُّ حبًّا. وحَبابُك أن يكون ذاك، معناه غاية محَبّتِك. والحِبّ: القُرْط من حَبّة واحدة. وحَبابُ الماء: فقاقيعُه الطّافية كالقوارير، ويقال: بل معظم الماء.

قال الجَوهَريّ[3]: الحَبّة واحدة حَبّ الحنطة ونحوها من الحُبُوب. وحَبّة القلب: سوُيداؤه، ويقال: ثمرته، وهو ذاك. والحَبَّةُ السّوداء والحَبَّةُ الخضراء. والحَبَّةُ من الشّيء: القطعة منه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

والحب من الكلمات المشتركة في القرآن الكريم :

فقد جاءت للدلالة على المعاني التالية :

1 – الإيثار : ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [صٓ: 32]. . أي : آثرت

2 – المغفرة : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]. . أي : لا يغفر لهم.

3 – الحرص الشديد : ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾ [البَقَرَة: 177].

4 – الأمنية : ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ [الصَّف: 13]. . أي : تتمنونها.

5 – التعوّد على الشيء : ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ﴾ [التّوبَة: 108]. . أي : تعودوا.

6 – التفضيل : ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [التّوبَة: 23].

قال تعالى : ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يُوسُف: 8] قلنا : الحب في اللغة اللزوم والثبات، فالحب والمحبة اشتقاقهما من (أحبه) إذا لزمه

في القرآن الكريم:

● قال تعالى : ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

قال القرطبي[1]: «أَحَبّ» خبر كان. ويجوز في غير القرآن رفع «أحب» على الابتداء والخبر، واسم كان مضمر فيها.

وفي الآية دليل على وجوب حبّ الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأُمة، وأن ذلك مقدّم على كل محبوب.

قال الألوسي[2]: بالحب الاختياري المستتبع لأثره الذي هو الملازمة وتقديم الطاعة لا ميل الطبع، فإنه أمر جبلي لا يمكن تركه ولا يؤاخذ عليه ولا يكلف الإنسان بالامتناع عنه.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: 165].

قال البغوي[3]: أي: أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون إذا اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني، قال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالىٰ كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم فقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: 65] والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والشدة والرخاء. قال سعيد بن جبير: إن الله عَزَّوَجَلَّ يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار: «إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم» فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ وقيل إنما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأن الله تعالىٰ أحبهم

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) روح المعاني.
(3) معالم التنزيل.

أولاً ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: 54].

قال البيضاوي(1): (يُحِبُّونَهُمْ) يعظمونهم ويطيعونهم (كَحُبِّ اللَّهِ) كتعظيمه والميل إلى طاعته، أي: يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة، والمحبة: ميل القلب من الحب، استعير لحبة القلب، ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها، ومحبة العبد لله تعالى إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه، ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة، وصونه عن المعاصي. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ لأنه لا تنقطع محبتهم لله تعالى، بخلاف محبة الأنداد فإنها لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب، ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله تعالى عند الشدائد، ويعبدون الصنم زماناً ثم يرفضونه إلى غيره.

● **قال تعالى**: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عِمرَان: 14].

قال الفخر الرازي(2): قال الحكماء: الإنسان قد يحب شيئاً ولكنه يحب أن لا يحبه، مثل المسلم فإنه قد يميل طبعه إلى بعض المحرمات لكنه يحب أن لا يحب، وأما من أحب شيئاً وأحب أن يحبه فذاك هو كمال المحبة، فإن كان ذلك في جانب الخير فهو كمال السعادة، كما في قوله تعالى حكاية عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ [صٓ: 32] ومعناه: أحب الخير وأحب أن أكون محباً للخير، وإن كان ذلك في جانب الشر، فهو كما قال في هذه الآية فإن قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ يدل على أمور ثلاثة مرتبة أولها: أنه يشتهي أنواع المشتهيات وثانيها: أنه يحب شهوته لها وثالثها: أنه يعتقد أن تلك المحبة حسنة وفضيلة، ولما اجتمعت في هذه القضية الدرجات الثلاثة بلغت الغاية القصوى في الشدة والقوة، ولا يكاد ينحل إلا بتوفيق عظيم من الله تعالى، ثم إنه تعالى أضاف ذلك

(1) أنوار التنزيل. (2) التفسير الكبير.

إلى الناس، وهو لفظ عام دخله حرف التعريف فيفيد الاستغراق، فظاهر اللفظ يقتضي أن هذا المعنى حاصل لجميع الناس، والعقل أيضاً يدل عليه، وهو أن كل ما كان لذيذاً ونافعاً فهو محبوب ومطلوب لذاته واللذيذ النافع قسمان: جسماني وروحاني، والقسم الجسماني حاصل لكل أحد في أول الأمر، وأما القسم الروحاني فلا يكون إلا في الإنسان الواحد على سبيل الندرة، ثم ذلك الإنسان إنما يحصل له تلك اللذة الروحانية بعد استئناس النفس باللذات الجسمانية، فيكون انجذاب النفس إلى اللذات الجسمانية كالملكة المستقرة المتأكدة، وانجذابها إلى اللذات الروحانية كالحالة الطارئة التي تزول بأدنى سبب فلا جرم كان الغالب على الخلق إنما هو الميل الشديد إلى اللذات الجسمانية وأما الميل إلى طلب اللذات الروحانية فذاك لا يحصل إلا للشخص النادر، ثم حصوله لذلك النادر لا يتفق إلا في أوقات نادرة، فلهذا السبب عم الله هذا الحكم فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: 31-32].

قال الفخر الرازي(1): وفي تفسير هذه اللفظة وجوه الأول: أن يضمن أحببت معنى فعل يتعدى بعن، كأنه قيل: أنبت حب الخير عن ذكر ربي، والثاني: أن أحببت بمعنى ألزمت، والمعنى أني ألزمت حب الخيل عن ذكر ربي، أي عن كتاب ربي وهو التوراة، لأن ارتباط الخيل كما أنه في القرآن ممدوح فكذلك في التوراة ممدوح، والثالث: أن الإنسان قد يحب شيئاً لكنه يحب أن لا يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه، والأب الذي يحب ولده الرديء، وأما من أحب شيئاً، وأحب أن يحبه كان ذلك غاية المحبة فقوله: أحببت حب الخير بمعنى: أحببت حبي لهذه الخيل.

(1) التفسير الكبير.

ثم قال: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ﴾ بمعنى أن هذه المحبة الشديدة إنما حصلت عن ذكر الله وأمره لا عن الشهوة والهوى، وهذا الوجه أظهر الوجوه.

● **قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾** [البَقَرَة: 177].

قال البغوي(1): اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير: إنها راجعة إلى المال، أي: أعطى المال في حال صحته ومحبته المال. قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر. أخبرنا أبو هريرة قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان**». وقيل: هي عائدة على الله عز وجل أي: على حب الله تعالىٰ.

قال البيضاوي(2): أي: على حب المال، قال عليه الصلاة والسلام لما سئل أي الصدقة أفضل: «**أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش، وتخشى الفقر**» وقيل: الضمير لله، أو للمصدر. والجار والمجرور في موضع الحال.

● **قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾** [البَقَرَة: 205].

قال ابن عطية(3): (لا يحب) معناه: لا يحبه من أهل الصلاح، أي: لا يحبه ديناً، وإلا فلا يقع إلا ما يحب الله تعالى وقوعه، والفساد واقع، وهذا على ما ذهب إليه المتكلمون من أن الحب بمعنى الإرادة.

والحب له على الإرادة مزية إيثار، فلو قال أحد: إن الفساد المراد تنقصه مزية الإيثار لصح ذلك، إذ الحب من الله تعالى إنما هو لما حسن من جميع جهاته.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) أنوار التنزيل.
(3) المحرر الوجيز.

قال الفخر الرازي[1]: قالوا: والمحبة عبارة عن الإرادة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ [النور: 19] والمراد بذلك أنهم يريدون، وأيضاً نقل عن الرسول ﷺ أنه قال: «**إن الله أحب لكم ثلاثاً وكره لكم ثلاثاً، أحب لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تناصحوا من ولاة أمركم وكره لكم القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**» فجعل الكراهة ضد المحبة، ولولا أن المحبة عبارة عن الإرادة وإلا لكانت الكراهة ضداً للإرادة، وأيضاً لو كانت المحبة غير الإرادة لصح أن يحب الفعل وإن كرهه، لأن الكراهة على هذا القول إنما تضاد الإرادة دون المحبة، قالوا: وإذا ثبت أن المحبة نفس الإرادة فقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البَقَرَة: 205] جارٍ مجرى قوله والله لا يريد الفساد كقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31] بل دلالة هذه الآية أقوى لأنه تعالى ذكر ما وقع من الفساد من هذا المنافق ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ إشارة إليه فدل على أن ذلك الواقع وقع لا بإرادة الله تعالى وإذا ثبت أنه تعالى لا يريد الفساد وجب أن لا يكون خالقاً له لأن الخلق لا يمكن إلا مع الإرادة فصارت هذه الآية دالة على مسألة الإرادة ومسألة خلق الأفعال والأصحاب أجابوا عنه بوجهين الأول: أن المحبة غير الإرادة بل المحبة عبارة عن مدح الشيء وذكر تعظيمه والثاني: إن سلمنا أن المحبة نفس الإرادة، ولكن قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ لا يفيد العموم لأن الألف واللام الداخلين في اللفظ لا يفيدان العموم ثم الذي يهدم قوة هذا الكلام وجهان الأول: أن قدرة العبد وداعيته صالحة للصلاح والفساد فترجح الفساد على الصلاح، إن وقع لا لعلة لزم نفي الصانع، وإن وقع لمرجح فذلكَ المرجح لا بد وأن يكون منَ الله وإلا لزم التسلسل، فثبت أن الله سبحانه هو المرجح لجانب الفساد على جانب الصلاح فكيف يعقل أن يقال: إنه لا يريده والثانيَ: أنه عالم بوقوع الفساد فإن أراد أن لا يقع الفساد لزم أن يقال: إنه أراد أن يقلب علم نفسه جهلاً وذلك محال.

---

(1) التفسير الكبير.

● **قال تعالى**: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المَائدة: **54**].

قال الزمخشري[1]: محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم: وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً، وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق، والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دكّ الطور، فتعالى الله عنه علواً كبيراً، ومن كلماتهم: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته، فإنّ الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات. ومنها: الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة، فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة.

قال الألوسي[2]: محبة تليق بشأنه تعالى على المعنى الذي أراده ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ أي: يميلون إليه جل شأنه ميلاً صادقاً فيطيعونه في امتثال أوامره واجتناب مناهيه، وهو معطوف على ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وجوز أن يكون حالاً من الضمير المنصوب فيه أي: وهم يحبونه.

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: **31**].

قال الطبري[3]: ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد أن يطيعه وتكون أعماله بحسب إقبال النفس، وقد تمثل بعض العلماء حين رأى الكعبة.

---

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.

ومحبة الله للعبد أمارتها للمتأمل أن يرى العبد مهدياً مسدداً ذا قبول في الأرض، فلطف الله بالعبد ورحمته إياه هي ثمرة محبته، وبهذا النظر يتفسر لفظ المحبة حيث وقعت من كتاب الله عز وجل، وذهب الطبري إلى أن قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عِمرَان: 32] خطاب لنصارى نجران وفي قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 32] وعيد، ويحتمل أن يكون بعد الصدع بالقتال.

قال البيضاويّ(1): المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته. ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 31] جواب للأمر أي: يرضَ عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة.

● **قال تعالى**: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 119].

قال الطبري(2): ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم، يقول: تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، فتودّونهم وتواصلونهم، وهم لا يحبونكم.

قال الزمخشري(3): أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب. وقوله: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء. وقيل ﴿أُولَاءِ﴾ موصول ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ صلته. والواو في

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ للحال، وانتصابها من لا يحبونكم أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله، وهم مع ذلك يبغضونكم. فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم. وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم.

حبر

(حبر - بشر - بهجة - سرور - فرح - سعادة)

- **الحَبُورُ:** الفرح بالنعمة ورغد العيش البادي أثره ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: 15].
- **الفَرَحُ:** انشراح الصدر بلذة عاجلة ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الرّعد: 26].
- **البِشْرُ:** الفرح بالخير يبدو على الوجه ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: 71].
- **البَهْجَةُ:** الفرح بما تقع عليه العين ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النّمل: 60].
- **السُّرُورُ:** الفرح الخفي بالقلب ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: 9].
- **السَّعَادَةُ:** الفرح المطلق بمعاونة الله للإنسان المعين ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هُود: 105].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والباء والراء أصلٌ واحد منقاسٌ مطّرد، وهو الأَثرُ في حُسْنٍ وبَهاء. فالحَبَار: الأثَر.

قال الخليل[2]: الحَبَر والحَبار: أثر الشّيء. والحِبْر والسِبْرُ: الجمال والبهاء، بالفتح والكسر. والحِبرُ: المِداد.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والحِبْر والحَبْر: العالِم من علماء أهل الدّين، وجمعه: أَحْبَارٌ، ذمياً كان أو مسلماً، بعد أن يكون من أهل الكتاب.

والحَبْر: صُفرة تقع على الأسنان. والحِبرَةُ: ضرب من بُرود اليمن. وبُرْدٌ حِبرَةٌ: إنّما هو وشَي، وليس (حِبرَة) موضعاً ولا شيئاً معلومًا، إنما هو كقولك: ثوبٌ قرِمز، والقِرمز: صِبغة. والتّحبير: حُسْن الخطّ، وحَبّرْتُ الكلام والشّعر تحبيراً، أي: حَسّنتهُ، والتّخفيف جائز. والحَبْرَة: النّعمة، وحُبِر الرّجل حَبْرَةً وحَبراً فهو مَحْبُورٌ، وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: 15]، أي: يُنعّمُون.

والحَبِيرُ من السّحاب: ما ترى فيه التنّمير من كثرة الماء.

والمِحْبَارُ: الأرض الواسعة.

قال الجوهري[1]: الحِبْرُ: الذي يكتب به، وموضعه المِحْبَرَةُ بالكسر.

والحِبْرُ أيضاً: الأثَر، والجمع حُبُورٌ، عن يعقوب. يقال: به حُبورٌ، أي: آثارٌ.

وقد أَحْبَرَ به أي: ترك به أثراً.

قال أبو هِلال[2]: الفرق بين السُرور والحُبور: أنّ الحُبور هي النعمة الحسنة، من قولك: حَبَرت الثّوب: إذا حسّنته.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: 15].

(1) الصحاح في اللغة. (2) فروق اللغة.

قال الطبري[1]: يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ. وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظراً، ولا أطيب نشراً من الرياض.

فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأراييح، والعيش الهنيّ فيما يحبون، ويسرّون به، ويغبطون عليه. والحبرة عند العرب: السرور والغبطة.

قال الماوردي[2]: **فيه أربعة تأويلات:**

أحدها: يمكرون.

الثاني: ينعمون.

الثالث: يتلذذون بالسماع والغناء.

الرابع: يفرحون، والحبرة عند العرب السرور والفرح.

● **قال تعالى:** ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾ [الزّخرُف: 70].

قال الطبري[3]: ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم. وعن قتادة، قوله: ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ قال: تنعمون. عن السديّ، في قوله: ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ قال: تكرمون.

قال الفخر الرازي[4]: والحبرة المبالغة في الإكرام فيما وصف بالجميل، يعني يكرمون إكراماً على سبيل المبالغة.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المَائدة: 44].

قال الطبري(1): والأحبار: هم العلماء. فإنهم جمع حبر، وهو العالم المحكم للشيء، ومنه قيل لكعب: كعب الأحبار. وكان الفرّاء **يقول**: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأحبار: حِبر بكسر الحاء.

والصواب من القول في ذلك عندي، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن التوراة يحكم بها مسلمو الأنبياء لليهود والربانيون من خلقه والأحبار. وقد يجوز أن يكون عُني بذلك ابنا صوريا وغيرهما، غير أنه قد دخل في ظاهر التنزيل مسلمو الأنبياء وكلّ رباني وحبر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه معنيّ به خاص من الربانيين والأحبار، ولا قامت بذلك حجة يجب التسليم لها، فكلّ رباني وحبر داخل في الآية بظاهر التنزيل.

قال الزمخشري(2): ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ والزهاد والعلماء من ولد هارون، الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود.

---

(1) جامع البيان.

(2) الكشاف.

حَبَسَ

(حَبَسَ - سَجَنَ - أوقَفَ - أَثْبَتَ - حَرَسَ - حَرَزَ)

■ **الحَبْسُ:** المنع من الانبعاث لمدة طويلة معلومة ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المَائدة: 106].

■ **السِّجْنُ:** المكان الذي ينفذ فيه الحبس ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ [يُوسُف: 36].

■ **التَّوْقِيفُ:** حبس قصير للتحقيق ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصَّافات: 24]، ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعَام: 27].

■ **الإثْبَاتُ:** المنع من الانبعاث لإصابته بجراح تمنعه من الفرار ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ [الأنفَال: 30].

■ **الحَرَسُ:** من حارس الشيء.

■ **الحَرْزُ:** الحفظ من داخل الشيء.

* * *

شرح المعاني:

والحَبْسُ ليس نوعاً واحداً، ولا له مرحلة واحدة بل لكل مرحلة اسم. ونستعرض فيما يلي هذه الكلمات ومعنى كل منها على النحو التالي:

الإمساك: وهو المنع عن التخلية والإرسال، وهو أول مرحلة من مراحل الحبس لأن أول ما يفعله رجال الشرطة في حق متهم هو أن يمسكوا به،

والإمساك يكون بلا جراح أي لا يحصل مواجهة بين المتهم والشرطة. ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2]، ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ [البقرة: 229]، ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: 15].

الإثبات: إذا تمّت عملية الإمساك لكن مع جراح ومواجهة أو إذا حاول الممسوك الهروب فأُطلق عليه النار فأُرهق عن الفرار يسمى إثباتاً ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

التوقيف: سواء كانت العملية إمساكاً أو إثباتاً بعد الإصابة بجرح يعيقه من الفرار يوضع الممسوك في التوقيف ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: 24]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27].

الحبس: بعد التوقيف تأمر الشرطة بحبس الممسوك على ذمة التحقيق وفي هذه المرحلة يكون الحبس مؤقتاً لأن الممسوك يروح ويجيء إلى التحقيق وجلسات الاستماع وغير ذلك وهذه المرحلة تكون قبل صدور الحكم على الممسوك. وهذه الفترة تكون مؤقتة وقصيرة وليس فيها عنت. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾ [المائدة: 106]، ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ﴾ [هود: 8].

السجن: بعد أن يُحكم على الممسوك بالعقوبة المناسبة ويُحكم بسجنه لمدة محددة قد تطول أو تقصر حسب القضية. وتسمى هذه المرحلة السَّجْنُ بفتح السين والمكان الذي يُنفّذ فيه الحكم السِّجن بكسر السين. ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25]، وردت في الآية كلمة السجن أي: بمعنى المكان الذي يسجن

فيه وهو بكل غلظته أهون عليه من الوقوع في الفاحشة. ولم يقل السَّجن بمعنى العقوبة. والسجن يؤلّف بين المساجين فكان يوسف ينصح أصحاب السجن ويؤول لهم أحلامهم ويتحدث معهم. هذه القصة وقعت قبل 2000 عام قبل الميلاد ونحن الآن 2000 عام بعده، وفي خلال هذه السنوات العديدة 4000 سنة كان الناس وما يزالون يزجّون في السجن بدون حبس سابق أو محاكمة حتى يموت أو يُطلق سراحه بعد سنين عديدة ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: 32-33]، ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42].

وأهون على الإنسان أن يُحبس 50 عاماً من أن يُسجن بلا محاكمة ولمدة غير محددة. ولهذا في الشرع يجب أن يعرف السجين الحكم عليه ومدة الحكم.

وكلمة السجّين من مشتقات كلمات السجن ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: 7]، والفرق بينها وبين السجن أن السجن ليس فيه تعذيب أما السجّين فكله تعذيب. ويُلقى السجين في غياهب السجن مثل الأشغال الشاقة في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة.

الحَجْر: يختلف عن الحبس بالمعنى، فالحبس يعني منع المتّهم من رؤية الناس، أما في حالة الحِجر فهو منع الناس من رؤية المتهم تماماً كما يحصل في حالة الحجر الصحي للمصاب بداء معدي ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 138]، ويقال للعقل حِجْر لكون الإنسان في منع منه مما تدعوه إليه نفسه ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [الفجر: 5].

الرباط: وهو محبس الخيل. عندما تُوقف في سبيل الله توضع في مكان

يسمى الرباط ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]. وقد استعير هذا اللفظ لمحبس الجيش ففي العصور السابقة لم يكن هناك جيش نظامي فلما صار هناك جيش نظامي أصبح هناك ثكنات يُحبس فيها الجيش فإذا كانت هذه الثكنات على حدود العدو تسمى رباطاً ومنها ما أطلقه الرسول على أرض فلسطين (هم في رباط إلى يوم الدين).

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والباء والسّين، يقال: حَبَسْتهُ حَبْساً. والحَبْسُ: ما وُقف، يقال: أَحبَسْت فرساً في سبيل الله. والحِبْس: مَصْنعة للماء؛ والجمع: أَحْبَاسٌ.

قال الخَليل[2]: الحَبْسُ والمَحْبِسُ: موضعان للمَحْبُوس، فالمَحْبِس يكون سِجناً ويكون فعلاً كالحَبْس. والحَبِيسُ: الفرس يُجعَل في سبيل الله. والحِبَاسُ: شيء يُحبَسُ به، نحو الحِبَاسُ في المَزْرَفة يُحبَس به فُضُول الماء. والحُبَاسة في كلام العجم: المَكلأ، وهي التي تسمّى المَزْرَفة، وهي الحِبْاسات في الأرض قد أحاطت بالدَبْرة. يُحبَس فيها الماء حتى يمتلىء، ثم يُساق إلى غيرها.

واحتَبَسْتُ الشّيء: أي خصَصْتُه لنفسي خاصّةً. واحتَبَستُ الفِراش بالمِحْبَس، أي: بالقِرْمة.

قال الجَوهَريّ[3]: الحَبْسُ: ضدّ التّخلية، وحبَسْتهُ واحتَبَسْتُه بمعنًى. واحتَبَس أَيضاً بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى. وتَحَبَّسَ على كذا، أي: حَبَسَ نفسه على ذلك.

والحُبْسَة بالضّمّ: الاسم من الاحتباس، يقال: «الصَّمْت حُبْسَة». وأحَبسْتُ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

فرسًا في سبيل الله، أي: وقفتُ، فهو مُحْبَس وحَبِيسٌ. والحُبْس بالضّمّ: ما وقُف.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [هُود: 8].

قال الطبري(1): أيّ شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به؟ تكذيباً منهم به، وظنًّا منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد. كما: عن ابن جريج، قال: قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ قال: للتكذيب به، أو أنه ليس بشيء.

قال الزمخشري(2): ما يمنعه من النزول استعجالاً له على وجه التكذيب والاستهزاء.

قال أبو السعود(3): أي: أيُّ شيءٍ يمنعه من المجيء فكأنه يريده فيمنعه مانعٌ وإنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجالِ استهزاءً لقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 5] ومرادُهم إنكارُ المجيءِ والحبْسِ رأساً لا الاعترافُ به والاستفسارُ عن حابسه.

● قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المَائدة: 106].

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.

قال الزمخشري[1]: تقفونهما وتصبرونهما للحلف ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ من بعد صلاة العصر، لأن وقت اجتماع الناس. وعن الحسن: بعد صلاة العصر أو الظهر، لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما. وفي حديث بديل: أنها لما نزلت صلى رسول الله الرسول ﷺ صلاة العصر ودعا بعديّ وتميم فاستحلفهما عند المنبر، فحلفا، ثم وجد الإناء بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي. وقيل: هي صلاة أهل الذمّة، وهم يعظمون صلاة العصر.

قال المراغي[2]: تمسكونها وتمنعونها من الانطلاق والهرب.

وقال الطنطاوي[3]: كلام مستأنف لبيان ما يجب على الحاكم أن يفعله عند الشك في أمانة الرجلين اللذين دفع إليهما الميت ما له ليوصلاه إلى أهله. ومعنى (تَحْبِسُونَهُمَا) توقفونهما وتمكسونهما لأداء اليمين اللازمة عليهما والمراد بالصلاة: صلاة العصر. وقد روى ذلك عن ابن عباس وجماعة من التابعين.

---

(1) الكشاف.
(2) تفسير المراغي.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.

حبط

(حبط - بطل - فسد)

■ **الحَبْطُ:** خيبة الأمل الكبير في الشيء المهم لفساده ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عِمران: 22].

■ **البُطْلَانُ:** الذي يظهر الفحص عدم صلاحيته ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: 62].

■ **الفَسَادُ:** الذي خرج عن الاعتدال نسبياً ويمكن إصلاحه ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ [النَّمل: 34].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والباء والطّاء أصل واحد يدلّ على بطلان أو ألَم، يقال: أَحْبَطَ الله عمل الكافر، أي: أبطله. وأما الألم فالحبَط: أن تأكل الدَابّة حتّى تُنفَخ لذلك بطنُها... ومما يقرب من هذا الباب: حَبِط الجلد: إذا كانت به جراح فبرَأت، وبقيت بها آثار.

قال الخَليل(2): الحَبْط: وجع يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستوبله، يقال: حَبِطَتْ الإبل تَحْبَطُ حَبَطاً. وحَبِط عمله: فسد، وأَحْبَطَهُ صاحبه، والله مُحْبِطٌ عَمَل من أشرك. والحَبِطاتُ: حيّ من تميم.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأزهَري[1]: يقال: حَبِط دم القتيل يَحبَط حَبْطاً: إذا هُدِر. وحَبِط ماء البئر حَبْطاً: إذا ذهب. ويقال: فرس حَبِطُ القُصَيْرى: إذا كان مُنتَفخ الخاصرتين. ولا يقولون: «حَبِط» للفرس حتّى يضيفوه إلى القُصَيرى أو إلى الخاصرة أو إلى الموقف، لأنّ حبَطه: انتفاخ خواصره.

قال أبو هِلال[2]: الفرق بين الإحباط والتّكفير: أنّ الإحباط هو إبطال عمل البِر منّ الحسنات بالسّيئات وقد حَبِط هو، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 16]، وهو من قولك: حَبِط بطنُه: إذا فسد بالمأكل الرّديء.

والإحباط نوعان إحباط كُلّي وإحباط جزئي.

أما الإحباط الكلي فهو الشرك والرِدّة ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]. والأعمال الصالحة في الدنيا لها عدة وظائف: النجاة من النار، سرعة دخول الجنة، وتبوؤ الدرجات العلا في الجنة. وإحباط العمل قد يمنع من دخول الجنة أو يُبطىء في دخولها (الأغنياء الصالحون يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمئة عام) أو يمنع نيل الدرجات العلا في الجنة (والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً). والإحباط أنواع هي:

الإحباط الأكبر: وهو الشرك وهذا الذي يُدخل النار لا محالة وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 217]، ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 147]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا

(1) تهذيب اللغة. (2) الفروق في اللغة.

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 105] وهو الإحباط المقتصر على الشرك ومفرداته من نفاق ورياء.

الإحباط الوسطي: هو الذي يُؤخر في دخول الجنة. يكون الإنسان قد نجا من النار لكن تأخر لدخول الجنة كما في قصة الأعراف ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46]، ومن محبطات الأعمال الغيبة كما في الحديث الشريف فهي تأكل الحسنات من صحيفة الأعمال يوم القيامة (أكلتها الغيبة) والغيبة هي من محبطات العمل الجزئي، والإحباط الجزئي هو الذي يبطل من حيث جزئيات العمل.

الإحباط الثالث: وهو الإحباط الذي يقلل من الدرجة في الجنة وهو سوء الأداء. ومعظم عباداتنا في زمننا الحالي تدخل في هذا النوع، قد توجد حسنات كثيرة لكنها ليست جيدة كالصلاة تؤدّى لكن ليس فيها خشوع ولا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، والصوم الذي ليس فيه إلا امتناع عن الطعام والشرب والشهوة. والمعلوم أن لكل عبادة وظيفتين: أولها إسقاط الفرض والنجاة من النار وثانيها اكتساب الدرجات في الجنة. ولكل عبادة آداب خاصة بها وسوء الأدب يدخل في سوء الأداء. للأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 32]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2].

ومن المحبطات الغيبة وهي مصيبة المصائب، والغيبة سرطان الأعمال وهي تُذهب عمل المسلم، وقد ورد في الحديث الشريف عن سهل بن سعد قال: قال الرسول ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة**».

ومن المحبطات أيضاً ترك صلاة العصر كما في الحديث: «**من ترك صلاة العصر متعمداً حتى تفوته فقد حبِط عمله**». وفي حديث آخر: «**فكأنما وتر في أهله**». وعليه فعلى كل مسلم واجب أن يحذر محبطات الأعمال وأن يقول كل

ليلة قبل النوم: اللهم إني أتصدق بعرضي على جميع المسلمين لأني لا أريد أن أفجع محمداً بواحد من أمّته. وبدون هذا يدخل الكثير من الناس النار وما من شيء يفجع النبي كواحد من أمّته يدخل النار فعلينا أن لا نفجع نبيّنا بأحد من أمّته. ويقول: اللهم اغفر لمن اغتابنا واعفُ عمن ظلمنا.

كان ابن القيّم يتحدّث عن الكبائر ومحبطات الأعمال فقال له أحدهم أن هناك أعمالاً تكون حجاباً بين الإنسان والنار فقال ابن القيّم: فتأتي هذه الكبيرة المحبِطة فتخرق هذا الحجاب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: 5].

قال الفخر الرازي(1): أي عقاب كفره يزيل ما كان حاصلاً له من ثواب إيمانه، والذين ينكرون القول بالإحباط قالوا: معناه أن عمله الذي أتى به بعد ذلك الإيمان فقد هلك وضاع؛ فإنه إنما يأتي بتلك الأعمال بعد الإيمان لاعتقاده أنها خير من الإيمان، فإذا لم يكن الأمر كذلك بل كان ضائعاً باطلاً كانت تلك الأعمال باطلة في أنفسها، فهذا هو المراد من قوله: ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

قال الطبري(2): فقد بطل ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا، يرجو أن يدرك به منزلة عند الله.

● قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هُود: 16].

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.

قال الطبري[1]: وذهب ما عملوا في الدنيا، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لأنهم كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله وأحبط عامله أجره.

قال الزمخشري[2]: وحبط في الآخرة ما صنعوه، أو صنيعهم، يعني: لم يكن له ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة، إنما أرادوا به الدنيا، وقد وفي إليهم ما أرادوا ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: كان عملهم في نفسه باطلاً، لأنه لم يعمل لوجه صحيح، والعمل الباطل لا ثواب له.

قال البيضاويّ[3]: لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة، أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البَقَرَة: 217].

قال الماوردي[4]: أي: بطلت، وأصل الحبوط الفساد، فقيل في الأعمال إذا بطلت: حبطت لفسادها.

قال الزمخشري[5]: لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام، وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة. وبها احتج الشافعي على أن الردّة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها. وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلمًا.

● **قال تعالى**: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 22].

قال الواحدي[6]: بطلت أعمالهم التي يدّعونها من التّمسُّك بالتّوراة، وإقامة

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) النكت والعيون.
(5) الكشاف.
(6) الوجيز.

شرع موسى عليه السلام: (في الدنيا) لأنَّها لم تحقن دماءَهم وأموالهم (و) في (الآخرة) لأنَّهم لم يستحقوا بها ثواباً.

قال البغوي[1]: وبطلان العمل في الدّنيا أن لا يقبل، وفي الآخرة أن لا يجازي عليه.

● **قال تعالى**: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: 53].

قال الطبري[2]: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلاً لا ثواب لها ولا أجر، لأنهم عملوها على غير يقين منهم بأنها عليهم لله فرض واجب ولا على صحة إيمان بالله ورسوله، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فأحبط الله أجرها إذ لم تكن له.

قال الزمخشري[3]: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ من جملة قول المؤمنين، أي: بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس. وفيه معنى التعجيب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجباً من سوء حالهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 147].

قال المراغي[4]: تحبط أعمالهم وتذهب سدى، لأنهم عملوا لغير الله وأتبعوا أنفسهم في غير ما يرضي الله، فتصير أعمالهم وبالاً عليهم ولايجزون إلا جزاء ما استمروا على عمله من الكفر والمعاصي.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) تفسير المراغي.

● **قال تعالى:** ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: 65].

قال الألوسي(1): وفي عدم تقييد الإحباط بالاستمرار على الإشراك إلى الموت دليل للحنفية الذاهبين إلى أن الردة تحبط الأعمال التي قبلها مطلقاً. نعم قالوا: لا يقضي منها بعد الرجوع إلى الإسلام إلا الحج، ومذهب الشافعي أن الردة لا تحبط العمل السابق عليها ما لم يستمر المرتد على الكفر إلى الموت، وترك التقييد هنا اعتماداً على التصريح به في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 217] ويكون ذلك من حمل المطلق على المقيد. وأجاب بعض الحنفية بأن في الآية المذكورة توزيعاً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ناظر إلى الارتداد عن الدين ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ الخ ناظر إلى الموت على الكفر فلا مقيد ليحمل المطلق عليه. ومن هذا الخلاف نشأ الخلاف في الصحابي إذا ارتد ثم عاد إلى الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ أو قبلها ولم يره هل يقال له: صحابي أم لا؟ فمن ذهب إلى الإطلاق قال: لا ومن ذهب إلى التقييد قال: نعم.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحُجرَات: 2].

قال الزمخشري(2): دلت الآية على أمرين هائلين، أحدهما: أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله. والثاني: أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط، ولعله عند الله كذلك؛ فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ.

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: وقوله تعالى: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ فيه وجهان مشهوران: أحدهما: لئلا تحبط والثاني: كراهة أن تحبط، وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواۗ﴾ [النساء: 176] وأمثاله، ويحتمل هٰهنا وجهاً آخر وهو أن يقال معناه: واتقوا الله واجتنبوا أن تحبط أعمالكم، والدليل على هذا أن الإضمار لما لم يكن منه بد فما دل عليه الكلام الذي هو فيه أولى أن يضمر والأمر بالتقوى قد سبق في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ [الحجرات: 1] وأما المعنى فنقول قوله: ﴿أَن تَحۡبَطَ﴾ إشارة إلى أنكم إن رفعتم أصواتكم وتقدمتكم تتمكن منكم هذه الرذائل وتؤدي إلى الاستحقار، وإنه يفضي إلى الانفراد والارتداد المحبط.

● **قال تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [الأحزاب: 19].

قال الفخر الرازي[2]: يعني لم يؤمنوا حقيقة وإن أظهروا الإيمان لفظاً فأحبط الله أعمالهم التي كانوا يأتون بها مع المسلمين وقوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ إشارة إلى ما يكون في نظر الناظر كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الرُّوم: 27] وذلك لأن الإحباط إعدام وإهدار، وإعدام الأجسام إذا نظر الناظر يقول الجسم بتفريق أجزائه، فإن من أحرق شيئاً يبقى منه رماد، وذلك لأن الرماد إن فرقته الريح يبقى منه ذرات، وهذا مذهب بعض الناس والحق هو أن الله يعدم الأجسام ويعيد ما يشاء منها، وأما العمل فهو في العين معدوم وإن كان يبقى يبقى بحكمه وآثاره، فإذا لم يكن له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكماً فالعمل إذا لم يعتبر فهو معدوم في الحقيقة بخلاف الجسم.

قال البيضاويّ[3]: فأظهر بطلانها إذ لم تثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط.

(1) التفسير الكبير.
(2) التفسير الكبير.
(3) أنوار التنزيل.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمَّد: 32].

قال الطبري(1): وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة، ويبطلها إلا مما يضرّهم.

قال الزمخشري(2): ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب؛ لأنها مع كفرهم برسول الله ﷺ باطلة، وهم قريظة والنضير. أو سيحبط أعمالهم التي عملوها، والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول، أي: سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم، بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم. وقيل: هم رؤساء قريش، والمطعمون يوم بدر.

---

(1) جامع البيان.

(2) الكشاف.

حبك

(حُبُك - إمام - جادة - سبيل - طريق)

■ **الحَبِيكَةُ:** الطريق المدرك بالبصيرة بوضوح ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذّاريَات: 7].

ذات الحبك: أي الطرائق المحسوسة.

■ **الإمَامُ:** الطريق العام الذي تتفرع منه طرق كثيرة وتتبعه ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحِجر: 79].

■ **الجَادَّةُ:** الطريق في الجبل يخالف لونها جاراتها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ [فَاطِر: 27].

■ **السَّبِيلُ:** الطريق المسلوك وبكثافة يقال: سبيل سابل ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العَنكبوت: 29].

■ **الطَّرِيقُ:** السبيل الذي يطرق بالأرجل أي: يضرب ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: 77].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والباء والكاف أصل منقاسٌ مطّرِد؛ وهو إحكام الشَّيء في امتدادٍ واطِّراد. يقال: بعيرٌ مَحْبُوكُ القَرَى، أي: قويُّه. ومن الاحْتِبَاكِ

(1) معجم مقاييس اللغة.

الاحتباء: وهو شد الإزار؛ وهو قياس الباب. وحُبُك السماء في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: 7]، فقال قومٌ: ذاتِ الخَلْق الحَسن المُحْكَم. وقال آخرون: الحُبُك: الطرائق، الواحدة حَبِيكة. ويراد بالطّرائِق طرائِق النُّجوم. ويقال كساءٌ مُحَبَّكٌ، أي: مخطَّط.

قال الخَليل(1): حَبكتُه بالسّيف حَبْكاً: وهو ضرب في اللّحم دون العَظْم. ويقال: هو مَحْبُوكُ العَجُز والمَتْن. إذا كان فيه استواء مع ارتفاع. والحِبْاكُ: رِباطُ الحظيرة بقصبات تُعرّض ثم تُنشَدّ، كما تُحبَك عُروش الكَرْم بالحبال. واحتَبكْتُ إزاري: شَددْتُه. والحَبِيكةُ: كلُ طريقة في الشّعْر، وكلّ طريقة في الرّمْل تَحبْكه الرّياح إذا جَرَتْ عليه، ويُرَى نحو ذلك في البيض من الحديد. والحُبُك: جماعة الحبيك، ويقال: كذلك خِلْقهُ وجِهْ السّماء.

قال الجوهري(2): الحِباكُ والحَبيكَةُ: الطريقة في الرمل ونحوِه، وجمع الحِباكِ: حُبُكٌ، وجمع الحَبيكَةِ: حَبائِكُ.

وحَبَكَ الثوب يَحْبِكُهُ بالكسر حَبْكاً، أي: أجادَ نسجه. قال ابن الأعرابي: كلُّ شيء أحكمْتَه وأحسنْتَ عملَه فقد احْتَبَكْتَهُ. وفي الحديث: إن عائشة رضي الله عنها كانت تَحْتَبِكُ تحتَ الدرع في الصلاة» أي: تشدّ الإزارَ وتُحْكِمُهُ.

والاحْتِباكُ أيضاً: الاحْتِباءُ. والمَحْبوكُ: الشديدُ الخَلْقِ من الفَرَس وغيره.

والحَبْكَةُ، وهي الحبَّةُ من السويق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذّاريَات: 7].

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

قال الطبري[1]: ذكره: والسماء ذات الخَلْق الحسن. وعنى بقوله: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: ذات الطرائق، وتكسير كل شيء: حُبُكُه، وهو جمع حِباك وحَبيكة يقال لتكسير الشعرة الجعدة: حُبك، وللرملة إذا مرّت بها الريح الساكنة، والماء القائم، والدرع من الحديد لها: حُبُك.

قال الزمخشري[2]: وعن الحسن: حبكها نجومها. والمعنى: أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي. وقيل: حبكها صفاتها وإحكامها، من قولهم: فرس محبوك المعاقم؛ أي: محكمها.

قال الفخر الرازي[3]: قيل: الطرائق، وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها كما يقال في المحابك، ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الأشكال بسبب النجوم، فإن في سمت كواكبها طريق التنين والعقرب والنسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطقة الجوزاء وغير ذلك كالطرائق، وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البُرُوج: 1] وقيل: حبكها صفاقها يقال في الثوب الصفيق: حسن الحبك وعلى هذا فهو كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطّارق: 11] لشدتها وقوتها.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

حبل

(حبل - وثاق - غل - رباط - طوق - سلسلة)

■ **الحَبْلُ:** معروف مما يربط الشيء الثقيل ويتوصل به إلى الشيء الصعب ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 66].

■ **الوِثَاقُ:** بالفتح والكسر: كل ما يوثق به الشيء المطلوب خوف الانقلاب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: 4].

■ **الغَلُّ:** حديد يوضع في عنق السجين لتجمع يديه إلى عنقه ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71].

■ **الرِّبَاطُ:** ربط الشيء المتحرك بشيء ثابت لكي لا ينفلت ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10].

■ **الطَّوقُ:** ما يجعل في العنق حلقة كطوق الحمام وصنعة كطوق الذهب ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: 180].

■ **السِّلْسِلَةُ:** حبل من المعدن اللين ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحَاقَّة: 32].

﴿سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسَان: 4].

فالسلاسل من معدن لين لليدين، والأغلال لليدين من حديد للعنق وتجمع إليه اليديان.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والباء واللّام أصل واحد، يدل على امتداد الشّيء. ثمّ يُحمَل عليه، ومَرجِع الفروع مرجع واحد. فالحَبْل: الرّسَن، معروف؛ والجمع: حِبَالٌ، والحَبْل: حَبْل العاتق، والحَبْلُ: القطعة من الرّمل يستطيل. والمحمول عليه الحَبْل، وهو العهد. والحِبَالَةُ: حِبَالَة الصائد، ويقال: احْتَبَلَ الصّيد: إذا صاده بالحِبَالة. ويقال للواقف مكانه لايفرّ: حَبيلُ بَراح، كأنّه مَحْبُولٌ، أي: شُدّ بالحِبَالِ. وزعم ناسٌ أن الأسد يقال له: حَبيلُ بَراح. ومن المشتقّ من هذا الأصل: الحِبْل بكسر الحاء، وهي الدّاهية.

قال الخَليل[2]: الحَبْلُ: الرّسَن، والحَبْلُ: العهد والأمان، والحَبْلُ: التّواصل، والحَبْلُ: الرَّمل الطّويل الضّخم. والحَبْلُ: موضع بالبصرة على شاطِىء النّهر. والحَبْلُ: مصدر حبَلْتُ الصّيد واحتَبلتهُ، أي: أخذته. والجميع من هذه الأسماء كلّها: الحِبَالُ. والحِبَالَةُ: المِصْيدة. وحَبَائِلُ الموت: أسبابه، واحتَبلهُ الموت. وحَبْلُ العاتق: وَصْلَه ما بين العاتق والمَنْكِب. وحَبْل الوريد: عِرْق يَدِرّ في الحَلْق.

قال الجَوهَري[3]: الحَبْلُ: الرّسَن، ويُجمع على حِبَالٍ وأَحْبُل. والحَبْلُ: العهد، والحَبْلُ: الأمان، وهو مثل الجِوار. والحَبْلُ: الوصال. ويقال للرّمل يستطيل: حَبْل. وحَبْلٌ العاتق: عَصَب، وحَبْلُ الوريد: عرِقٌ في العنق. وحَبْلُ الذّراع: في اليد، وفي المثل: «هو على حَبْل ذراعك» أي: في القُرب منك. والحُبْلة، بالضّمّ: ثمر العِضاء، وفي حديث سعد رضي الله عنه: «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا الحُبْلة وورق السَّمُر».

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

ويقال: ضَبٌّ حَابِلٌ: يرعَى الحُبْلة. والحُبْلة أيضاً: حَلْيٌ يُجعَل في القلائد. والحِبْلُ بالكسر: الدّاهية؛ والجمع: الحُبول.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [آل عِمرَان: 103].

قال الماوردي[1]: فيه خمسة تأويلات: أحدها: الحبل: كتاب الله تعالى، وهو قول ابن مسعود، وقتادة، والسدي، روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ المَمْدُودُ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأرْضِ**».

والثاني: أنه دين الله وهو الإسلام.

والثالث: أنه عهد الله.

والرابع: هو الإخلاص لله والتوحيد.

والخامس: هو الجماعة.

قال الفخر الرازي[2]: واعلم أن كل من يمشي على طريق دقيق يخاف أن تزلق رجله، فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن من الخوف، ولا شك أن طريق الحق طريق دقيق، وقد انزلق رجل الكثير من الخَلْق عنه، فمن اعتصم بدليل الله وبيناته فإنه يأمن من ذلك الخوف، فكان المراد من الحبل هٰهنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين، وهو أنواع كثيرة، فذكر كل واحد من المفسرين واحداً من تلك الأشياء، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالحبل هٰهنا العهد المذكور في قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ

(1) النكت والعيون. (2) التفسير الكبير.

﴿بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّىٰ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40] وقال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 112] أي بعهد، وإنما سمي العهد حبلاً لأنه يزيل عنه الخوف من الذهاب إلى أي موضع شاء، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف، وقيل: إنه القرآن، روي عن علي رضي الله عنه عن النبي الرسول ﷺ أنه قال: «**أما إنها ستكون فتنة**» قيل: فما المخرج منها؟ قال: «**كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين**» وروي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**هذا القرآن حبل الله**» وروي عن أبي سعيد الخُدْريّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي**» وقيل: إنه دين الله، وقيل: هو طاعة الله، وقيل: هو إخلاص التوبة، وقيل: الجماعة، لأنه تعالى ذكر عقيب ذلك قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وهذه الأقوال كلها متقاربة، والتحقيق ما ذكرنا أنه لما كان النازل في البئر يعتصم بحبل تحرزاً من السقوط فيها، وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين حرزاً لصاحبه من السقوط في قعر جهنم جعل ذلك حبلاً لله، وأمروا بالاعتصام به.

● **قال تعالى**: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 112].

قال البغوي(1): يعني: أينما وُجدوا استُضعفُوا وقُتلوا وسُبُوا فلا يأمنُون إلا بحبلٍ من الله: عهدٍ منَ الله تعالى بأن يسلموا، ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ من المؤمنين ببذلِ جزيةٍ أو أمانٍ، يعني: إلا أن يُعصمُوا بحبل الله فيأمنوا.

قال الزمخشري(2): ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في محل النصب على الحال، بتقدير: إلا معتصمين أو متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال. والمعنى: ضربت عليهم الذلة في عامّة الأحوال إلا في حال اعتصامهم

(1) معالم التنزيل. (2) الكشاف.

بحبل الله وحبل الناس، يعني ذمّة الله وذمّة المسلمين، أي: لا عز لهم قط إلا بهذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمّة لما قبلوه من الجزية.

● **قال تعالى**: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [قٓ: 16].

قال الزمخشري(1): وحبل الوريد: مثل في فرط القرب، كقولهم: هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار.

والحبل: العرق، شبه بواحد الحبال.

والوريدان: عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه. وقيل: سمي وريداً لأنّ الروح ترده. فإن قلت: ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد، والشيء لا يضاف إلى نفسه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن تكون الإضافة للبيان، كقولهم: بعير سانية. والثاني: أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد، كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل: حبل العلياء مثلاً.

● **قال تعالى**: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المَسَد: 5].

قال الخازن(2): هو حبل من ليف، وذلك الحبل هو الذي كانت تحتطب به، فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة أعيت، فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك، فجذبها من خلفها، فأهلكها.

قال أبو السعود(3): والمَعْنى في عنقِها حبلٌ ممَّا مسدَ من الحبالِ وأنها تحملُ تلكَ الحزمةَ من الشوكِ وتربطُها في جيدِها كما يفعلُ الحطابونَ تخسيساً بحالِها وتصويراً لهَا بصورةِ بعضِ الحطاباتِ من المواهنِ لتمتعضَ من ذلكَ ويتمعضَ بعلُها وهُما في بيتِ العزِّ والشرفِ. قالَ مُرةُ الهَمْدانيُّ: كانتْ أمُّ جميلٍ تأتِي كُلَّ يومٍ

(1) الكشاف.
(2) لباب التأويل.
(3) إرشاد العقل السليم.

بإبالةٍ من حَسَكٍ فتطرحُها على طريقِ المسلمينَ فبينَا هي ذاتَ ليلةٍ حاملةٌ حزمةً أعيتْ فقعدتْ على حجرٍ لتستريحَ فجذبَها الملكُ من خلفِها فاختنقتْ بحبلِها.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 66].

قال الفخر الرازي[1]: ففيه مسائل: المسألة الأولى: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ ميلاً من هذا الجانب وميلاً من هذا الجانب فخيل إلى موسى عليه السلام أن الأرض كلها حيات وأنها تسعى فخاف فلما قيل له: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ [طه: 69] ألقى موسى عصاه فإذا هي أعظم من حياتهم ثم أخذت تزداد عظماً حتى ملأت الوادي ثم صعدت وعلت حتى علقت ذنبها بطرف القبة ثم هبطت فأكلت كل ما عملوا في الميلين والناس ينظرون إليها لا يحسبون إلا أنه سحر، ثم أقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعاً فصاح بموسى عليه السلام فأخذها فإذا هي عصى كما كانت، ونظرت السحرة فإذا هي لم تدع من حبالهم وعصيهم شيئاً إلا أكلته فعرفت السحرة أنه ليس بسحر، وقالوا: أين حبالنا وعصينا لو لم تكن سحراً لبقيت! فخروا سجداً وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: 121-122].

قال ابن عطية[2]: والظاهر من الآيات والقصص في كتب المفسرين أن الحبال والعصي كانت تنتقل بحيل السحر وبدس الأجسام الثقيلة المياعة فيها وكان تحركها يشبه تحرك الذي له إرادة كالحيوان، وهو السعي فإنه لا يوصف بالسعي إلا من يمشي من الحيوان، وذهب قوم إلى أنها ما لم تكن تتحرك لكنهم سحروا أعين الناس وكان الناظر يخيل إليه أنها تتحرك وتنتقل وهذا يحتمل والله أعلم أي ذلك كان.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.

حتم

(حتم - قضى - وجب - أمر - فرض - لزم)

■ **الحَتْمُ:** الثبوت المقدر، واللزوم والإيجاب لما لم يقع بعد ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71].

■ **القَضَاءُ:** اللزوم والإيجاب لما وقع على وجه الدوام ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23].

■ **الوُجوبُ:** اللزوم الذي وقع في التو والساعة ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحجّ: 36].

■ **الأَمْرُ:** اللزوم والإيجاب لما تأمر الآخر بعمله ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسُف: 40].

■ **الفَرْضُ:** اللزوم والإيجاب في ما ألزمك به وحدث خاصة ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: 85].

■ **الإِلْزَامُ:** طول مكث الشيء اللازم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفَتْح: 26].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والتّاء والميم، ليس عندي أصلاً، وأكثر ظنّي أنّه أيضاً من باب إبدال التّاء من الكاف. إلا أنّ الّذي فيه من إحكام الشّيء يقال:

(1) معجم مقاييس اللغة.

حَتَمَ عليه، والحَاتِمُ: الّذي يقضي الشّيء. فأمّا تسميتهم الغراب حاتِماً فمن هذا، لأنهم يزعمون أنّه يَحْتُمُ بالفراق، وهو كالحُكم منه.

قال الخَليل[1]: الحَتْم: إيجاب القضاء، والحَاتِمُ: القاضي. والحَاتِمُ: الغراب الأسود، بل غراب البَيْن، أحمر المنقار والرِّجلين. والحُتَامَةُ: ما يبقى على الخِوان من سِقاط الطّعام. والتَحَتُّمُ: أن تأكل شيئاً فكان في فيك هَشًّا.

قال الفرّاء[2]: التَّحَتُّمُ: أكل الحُتَامَة، وهي فتات الخُبز. وجاء في الخبر: «من أكل وتحتمّ فله كذا وكذا من الثّواب». والتَّحَتُّمُ أيضاً: تفتّت الثُؤلول إذا جفّ، والتَّحَتُّمُ: تكسّر الزّجاج بعضه على بعض.

قال الجَوهَري[3]: الحَتْمُ: إحكام الأمر، والحَتْمُ: القضاء: والجمع: الحُتُوم. وحَتَمْتُ عليه الشّيء: أوجَبتُ. والحَاتِمُ: القاضي، والحَاتِمُ: الغراب الأسود. والحُتَامَةُ: ما بقي على المائدة من الطّعام. والتَّحَتُّمُ: الهشاشة، يقال: هو ذو تَحَتُّمٍ، وهو غضّ المُتَحَتِّمِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمًا مَّقۡضِيًّا﴾ [مريم: 71].

قال الزمخشري[4]: الحتم: مصدر حتم الأمر إذا: أوجبه، فسمي به الموجب، كقولهم: خلق الله، وضرب الأمير.

قال النيسابوري[5]: أي: محتوماً، مصدر بمعنى المفعول.

(1) العين.
(2) معاني القرآن.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الكشاف.
(5) غرائب القرآن.

قال القاسمي[1]: أي: حكماً جزماً مقطوعاً به.

ابن عطية[2]: والحتمْ: الأمر المنفذ المجزوم.

قال الفخر الرازي[3]: واحتج من أوجب العقاب عقلاً فقال: إن قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ يدل على وجوب ما جاء من جهة الوعيد والأخبار لأن كلمة على للوجوب والذي ثبت بمجرد الأخبار لا يسمى واجباً. والجواب أن وعد الله تعالى لما استحال تطرق الخلف إليه جرى مجرى الواجب.

قال أبو السعود[4]: أي: أمراً محتوماً أوجبه الله عَزَّوَجَلَّ على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتةَ، وقيل: أقسم عليه.

(1) محاسن التأويل.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

حث

(حث - حض - سبق - وفض - عجل - هرع)

■ **الحَثُّ**: السرعة بالسير عن طريق السوق ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: 54].

■ **الحَضُّ**: السرعة في الفعل عن طريق التحريض ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 3].

■ **السَّبْقُ**: زيادة السرعة عن سرعة الآخر ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: 17].

■ **الإِيفَاضُ**: سرعة الفرقة المسلحة التي يحمل كل منهم وفاضه أي: كنانته وسلاحه ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: 43]. . أي: يسرعون.

■ **العَجَلَةُ**: السرعة في طلب الشيء قبل أوانه ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 83].

■ **الهُرُوعُ**: سرعة المتلهف الولهان ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ﴾ [هود: 78].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلها تعني قضاء الحدث في وقت أقلّ، وكلّما كان إنجاز وقت الحدث قليلاً عن المستوى الاعتيادي سُمّي سرعة وعكسها البطء. هذه السرعة ليست على نسق واحد أو نمط موحّد ولكل نوع من أنواع السرعة كلمة خاصة لا تُغني عنها كلمة أخرى.

حثّ: هو السير أسرع من المُعتاد وإنما يكون الإسراع منظّماً دقيقاً لا يتخلله

انقطاع. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في وصف سرعة توالي الليل النهار بانضباط دقيق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] هذه السرعة منظمة ودقيقة لا تنقطع ولا تختلف كلما جاء نهار طلبه ليل والعكس. ويُقال في اللغة: الحثحوث: للسريع في المشي المنظّم كما تمشي القوات العسكرية. والحثّ يكون فقط في السير كالحثّ في سباق أو امتحان وكل ما هو من باب السير المتوالي.

حضّ: إذا كانت السرعة ليست على المشي ولكن على أبواب الخير تُسمّى حضّاً؛ كالحضّ على الصلاة وعلى الإنفاق وغيرهما من العبادات. والحضّ هو سرعة الفعل والحدث في غير المشي. ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقَّة: 34].. ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 3] ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفَجر: 18] والحضّ مأخوذ من أمرين: أحدهما الحظ بمعنى: خذ حظك من النجاح أو المال أو الزرع، أو مأخوذ من الحضيض وهو المكان السفلي في سفح الجبل وهو أشدّ استقراراً، لأنه ثابت لا يتزلزل وهو أعمق وأقوى مكان في سفح الجبل. فعندما أحضّك على أمر ما كالإنفاق مثلاً، فكأني أريدك أن تذهب بهذا الإنفاق إلى قاعه الراسخ.

أسرع: الإسراع محمود والعجلة مذمومة. والإسراع هو تقصير زمن الحدث ولكن بإنجاز، مثلاً أن نسرع في بناء مبنى ما بمنتهى الإتقان في ستة أشهر وكان هذا البناء سيستغرق سنة. قال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: 51] لأنه يوم القيامة يحاسب الله تعالى العباد كلهم من أول الخلق إلى أن تقوم الساعة في وقت واحد وفي نفس اللحظة، وكان يقتضي هذا الحساب زمناً طويلاً وملايين السنوات. وكلمة الإسراع ومشتقاتها في القرآن الكريم في آيات عديدة منها ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

﴿وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. . والمسارعة تقتضي وجود آخرين أو منافسين في السرعة. وهناك الإسراع وهو السباق ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

والمعروف أن سرعة السباق هي أشد أنواع السرعات. وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ [ق: 44] ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ [المعَارج: 43] يُبعث الناس يوم القيامة كالفراش المبثوث والسرعة تكون في ذلك اليوم المشهود ديدن كل الذين يُبعثون كأنما يسارعون إلى مكان معيّن أو هدف محدد.

عجل: العجلة هي تقصير المدة ولكن بدون إتمام العمل. الإسراع هو أن تسرع فيما ينبغي الإسراع فيه أما العجلة هي أن تسرع فيما لا ينبغي الإسراع فيه وهي كما قلنا مذمومة: «في التأني السلامة وفي العجلة الندامة». قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤)﴾ [طه: 83-84] في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، فقد آمن قوم موسى لكنه لم يُتم عمله ولم يطمئن على ثبات عقيدتهم وإنما عجل إلى ربه ولم يُنجز عمله فكانت النتيجة أنهم فُتنوا وعبدوا العجل. وفي قوله تعالى في الحج: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البَقَرَة: 203] فعلى الرغم من أن الحج ميسّر لكن من بقي إلى اليوم الثالث يكون أفضل له ممن يتعجّل في يومين وكأنه غمز مبطّن للحجاج الذين يتعجلون في يومين وهؤلاء لا إثم عليهم لكن الزيادة في الأجر تكون لمن بقي لليوم الثالث. وهذا شأن كل العبادات فهي تنفي الإثم وإذا أُتقنت فإنها تزيد الأجر.

هرع: هي السرعة مع الاضطراب الشديد. الهرع بتسكين الراء والهرَع بفتح الراء هي السرعة المضطربة. قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ

يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هُود: 78] ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصَّافات: 70] ولا تغني كلمة أخرى من منظومة السرعة عن هذه الكلمة في الآية الكريمة. قد يسمع الإنسان صوتاً أو صراخاً هائلاً فيُسرع إسراعاً هائلاً إلى حيث الصوت ويكون في غاية الاضطراب، فإما أن يضطرب الإنسان بنفسه من خوف أو فرح أو حزن أو بفعل أحدهم.

فَضَّ: سرعة العسكريين المثقلين بما يحملونه، فإذا أسرعوا سمعت لأحمالهم خشخشة. وذلك لشدة سرعتهم لتحقيق هدف عسكري في غاية الأهمية.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والثّاء أصلان: أحدهما: الحضّ على الشّيء، والآخر: يَبيسٌ من يبيس الشّيء. فالأوّل: قولهم: حَثَثْتُهُ على الشّيء أَحُثُّه، ومنه: الحَثِيثُ. يقال: ولّى حَثِيثاً، أي: مُسرعاً.

قال الخَليل[2]: حَثَثْتُ فلاناً فهو حثِيثٌ مَحْثُوثٌ، وقد احْتَثَّ وامرأةٌ حَثِيثَةٌ في موضع حَاثَّةٌ، وامرأةٌ حثيثٌ في موضع مَحْثُوثَةٌ. والحَثِيثَى من «الحَثّ»، قال: «**أقْبَلوا دِلِّيلَى ربّكم وحِثِّيثَاهُ إيّاكم**» يعني: ما يدلّكم ويحثّكم. والحَثْحَثَةُ: اضطراب البَرق في السّحاب، وانتخال المطر والثّلجُ. والحَثُوثُ والحُثْحُوثُ: السريع. قال زائدة: الحَثْحثة: طلب الشّيء وحركته، يقال: حَثْحَثَ الأمرَ ليتحرّك. وحَثْحِث القوم، أي: سَلْهُم عن الأُمور.

قال اللّيث: الحَثُّ: الإعمال في الاتّصال؛ والحِثّيثَى: الاسم نفسه. نحوه

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

الحَرْبيّ. وقال سيبَويه: أمّا الحِثّيثَى: فكثرة الحَثّ، كما أن الرّميّا كثرة الرّمي، ولايكون من واحد[1].

قال الجَوهَري[2]: حَثَّهُ على الشّيء واسْتَحَثَّهُ بمعنًى، أي: حضّه عليه، فاحْتَثَّ، وحثَّثَهُ تَحْثِيثاً وحَثْحَثَهُ بمعنًى. وولّى حَثِيثاً، أي: مُسرعاً حريصاً. ولا يَتَحَاثُّونَ على طعام المسكين، أي: لا يتحاضّون. والحِثِّيثَى الحثُّ، وكذلك الحُثْحُوثُ وقَرْبٌ حَثْحَاثُ، أي: سريع ليس فيه فتور. وفرس جواد المَحَثَّةِ، أي: إذا حُثَّ جاءه جَرْيٌ بعد جَرْي.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعرَاف: 54].

قال الفخر الرازي[3]: واعلم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة، وذلك هو الحق، لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة، وأكملها شدة، حتى أن الباحثين عن أحوال الموجودات. قالوا: الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل، فإلى أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل، وإذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية الشدة والسرعة، فلهذا السبب قال تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ ونظير هذه الآية قوله سبحانه: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: 40] فشبه ذلك السير وتلك الحركة بالسباحة في الماء، والمقصود: التنبيه على سرعتها وسهولتها وكمال إيصالها.

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) التفسير الكبير.

قال القرطبي[1]: أي: يطلبه دائماً من غير فتور. و﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ في موضع نصب على الحال. والتقدير: استوى على العرش مغشياً الليل النهار. وكذا ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ حال من الليل؛ أي: يغشي الليل النهار طالباً له. ويحتمل أن تكون الجملة مستأنفة ليست بحال. ﴿حَثِيثًا﴾ بدل من طالب المقدّر أو نعت له، أو نعت لمصدر محذوف؛ أي: يطلبه طلباً سريعاً.

قال ابن عطية[2]: ﴿حَثِيثًا﴾ معناه سريعاً، و﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ حال من الليل بحسب اللفظ على قراءة الجماعة، ومن النهار بحسب المعنى، وأما على قراءة حميد فمن النهار في الوجهين، ويحتمل أن يكون حالاً منهما، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريم: 27].

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) المحرر الوجيز.

حجب

(حجب - حجز - ستر - غشي - غطى - خمر)

- **الحَجْبُ والحِجَابُ:** المنع من الوصول إلى الشيء بإقامة المانع ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].
- **الحَاجِزُ:** المانع من اختلاط شيئين ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النَّمل: 61].
- **السَّتْرُ:** المنع من النظر والمشاهدة ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فُصّلت: 22]. .
- **الغِشَاءُ:** اللباس الذي يوضع فوق الوجه كله مباشرة ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].
- **الغِطَاءُ:** الإناء الذي يجعل فوق الشيء فلا يرى ولا يُرى ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: 22].
- **الخِمَارُ:** ما يستر شعر المرأة وصدرها ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النُّور: 31].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

هذه المفردات تعني المنع من الوصول وكل كلمة من هذه الكلمات المنظومة تختص بمعنى تتفرّد به.

الحجاب: الحجاب في القرآن هو منع الوصول إلى الشيء من حيث التلاقي

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: 53] وكذلك قوله في سورة الأعـراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46] الحجاب يمنع أصحاب الأعراف من الوصول إلى داخل الجنة ولقاء أهلها تصديقاً لقوله تعالى في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13].
فالحجاب إذن بهذا المعنى هو خاصٌ بنساء النبي. أما نساء المسلمين فيمكن لهن التقاء الآخرين بالملابس الشرعية وفي إطار الحشمة. وقد وردت كلمة الحجاب في القرآن الكريم في مواضع أخرى هي: سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]، وسورة مريم: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، وسورة فصّلت: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: 5] وسورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51].

الغطاء: هو منع الوصول إلى رأس الشيء. فكل شيء يوضع على الرأس ويكون صلباً يُسمّى غطاءً، كالقدر يوضع عليه غطاء فلا يمكن لليد أن تصل إلى القدر إلا بعد أن ترفع الغطاء، وتُسمى خوذة الجنود غطاءً لأنها تمنع الوصول إلى الرأس وهي صلبة، وكذلك تُسمى الخوذة الحديدية التي يلبسها المحاربون في المعركة. إذن فالغطاء هو كل شيء سميك صلب يمنع الوصول إلى الشيء. وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة للشرك في سورة الكهف: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: 101] فالشرك كان صلباً بحيث لا يلين. وكذلك استعملت للجهل إذا كان مُطبقاً ولا يمكن رفعه كما في قوله تعالى في سورة قٓ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:

22] هناك جهل من طبيعة قوانين عقل الإنسان لأن معارف الإنسان في الدنيا قليلة مهما بلغ من العلم، وعندما يموت يكشف الله تعالى له معارف عظيمة لم يكن يفهمها من قبل بطبيعة عقله الإنساني.

الخمار: والغطاء من حيث المرأة في الإسلام يُسمى خماراً، هذا إذا لم يكن الغطاء صلباً تغطي المرأة فيه شعرها وهو يمنع الوصول إليه. ويقال: خَمَر الشيء بمعنى ستَرَه. والحديث الشريف يقول: «**خمّروا الآنية**» أي: غطّوها بشيء ليس صلباً كقماش أو نايلون أو نحوه. ولهذا جاء الحكم من الله تعالى لنساء المؤمنين بضرب خمورهن على جيوبهن كما في آية سورة النور: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النّور: 31].

الغشاء: إذا كان الغطاء بالوجه يُسمّى غشاءً أو غُشوة كما في اللغة الدّارجة، كما جاء في قوله تعالى في سورة هود: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: 5] وفي سورة نوح: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7] وضعوا ثيابهم على وجوههم حتى أخفوها بالكامل. وكل شيء يغمر الوجه والرأس كله وجهاً وشعراً يُسمى غشاء كما في سورة طه: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: 78] الماء صار فوقه رؤوسهم ووجوههم، وفي سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11] وكذلك في سورة آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ﴾ [آل عمران: 154] النعاس شمل جميع الرأس وما حوى. وقد استعمل القرآن كلمة الغشاء في مواضع عديدة منها في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: 32] وفي سورة

البقرة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7] وسورة يسٓ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يسٓ: 9] وفي سورة يونس: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: 27] وفي سورة الليل ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: 4]. فالغشاء إذن شمولي والخمار جزئي.

النقاب: هو ما يوضع على الوجه فقط. وهي مأخوذة من نقب الأمر أي: العمل الصالح الكريم ولهذا كان رئيس القوم يُسمّى نقيباً لعمله الصالح العظيم. وفي التاريخ الإنساني كان رئيس القوم يتنقب أي: يُغطي وجهه دلالة على كرمه وشجاعته، وكان يُسمّى نقيب القوم وما زالت بعض القبائل في المغرب العربي يغطون وجوههم رجالاً ونساءً. وقد استعمل القرآن هذه الكلمة في سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 12]. وكل عمل صالح يُسمّى منقبة. والمناقب هي الأعمال الكريمة كما يُقال مناقب الصحابة وكذلك المنقبة النبوية وهي شعر في مدح النبي ﷺ وشمائله.

الستار: ما يحول دون رؤية الشيء أو الدخول إليه، ومنه ستائر البيت على النوافذ لستر البيت عن أعين الآخرين، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ [فُصّلت: 22]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والجيم والباء أصل واحد، وهو المنع: حَجَبْتَهُ عن كذا، أي: منعته. وحِجَابُ الجوف: ما يَحجُبُ بين الفؤاد وسائر الجوف. والحَاجِبَان: العظمان فوق العينين بالشَّعَر واللّحم. وهذا على التّشبيه، كأنّهما تحجبان شيئاً يصل إلى العينين. وكذلك حَاجِبُ الشّمس، إنمّا هو مشبّه بحاجب الإنسان، وكذلك الحَجَبَةُ: رأس الوَرِك، تشبيهٌ أيضاً لإشرافه.

قال الخَليل(2): الحَجْبُ: كلّ شيء منَع شيئاً من شيء فقد حَجَبَهُ حَجَباً. والحِجَابَةُ: ولاية الحَاجِبُ. والحِجَابُ، اسم: ما حَجَبْتَ به شيئاً عن شيء؛ ويجمع على: حُجُب. وجمع حَاجِب: حَجَبَةٌ. وحِجَاب الجَوْف: جِلدة تَحْجُب بين الفؤاد وسائر البطن. والحَاجِبُ: عظم العَيْن من فوق يستره بشَعْره ولحمه. وحَاجِبُ الفيل: اسم شاعر. ويسمّى رؤوس عَظْم الوِركينْ وما يلي الحَرْقَفَتين: حَجَبَتَيْن وثلاث حَجَبَاتٍ؛ وجمعه حَجَبٌ.

قال الجَوهَريّ(3): الحِجَابُ: السَّتر. وحِجَابُ الجوف: ما يُحْتَجَبُ بين الفؤاد وسائره. وحَجَبَهُ، أي: منعه عن الدّخول. والإخوة يَحْجُبُونَ الأُم عن الثُّلث. والمَحْجُوبُ: الضّرير. وحَاجِبُ العين: جمعه حَوَاجِبٌ، وحَاجِبُ الأمير: جمعه حُجّابٌ. واسْتَحْجَبَهُ: ولّاه الحِجْبَة. وحَوَاجِبُ الشّمس: نواحيها.

المعنى المشترك:

وقد وردت كلمة (حجب) في القرآن الكريم على المعاني التالية:

أ - السور: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: 46].

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) الصحاح في اللغة.

ب - الستر الشعري للمرأة: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزَاب: 53].

ج - مغيب الشمس: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [صَ: 32].

د - المنع من الاقتراب ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفّفين: 15].

قال القرطبي[1]: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾: أي: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. وعلى الأول الجمهور، وأنهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه.

قال الألوسي[2]: لا يرونه سبحانه وهو عَزَّوَجَلَّ حاضر ناظر لهم بخلاف المؤمنين فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية لأن المحجوب لا يرى ما حجب أو الحجب المنع والكلام على حذف مضاف أي: عن رؤية ربهم لممنوعون فلا يرونه سبحانه.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ﴾ [الأعرَاف: 46].

قال البغوي[3]: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ﴾، يعني: بين الجنّة والنار. وقيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحَديد: 13].

قال القشيري[4]: ذلك الحجاب الذي بينهما حصل من الحجاب السابق؛ لمَّا

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) روح المعاني.
(3) معالم التنزيل.
(4) لطائف الإشارات.

حُجِبُوا في الابتداء في سابق القسمة عما خُصَّ به المؤمنون من القربة والزلفة حُجِبوا في الانتهاء عما خَصَّ به السعداء من المغفرة والرحمة. ويقال: حجاب وأي حجاب! لا يُرفَع بحيلة ولا تنفع معه وسيلة. حجابٌ سبق به الحكم قبل الطاعة والجُرْم.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17].

قال الطبري(1): فاتخذت من دون أهلها ستراً يسترها عنهم وعن الناس. وذُكر عن ابن عباس، أنها صارت بمكان يلي المشرق، لأن الله أظلها بالشمس، وجعل لها منها حجاباً.

قال الماوردي(2): قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: حجاباً من الجدران.

الثاني: حجاباً من الشمس جعله الله ساتراً.

الثالث: حجاباً من الناس، وهو محتمل، وفيه وجهان:

أحدهما: أنها اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة.

الثاني: أنها اتخذت مكاناً تعتزل فيه أيام حيضها.

قال ابن كثير(3): أي: استترت منهم وتوارت، فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45].

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) تفسير ابن كثير.

قال ابن عطية[1]: هذه الآية تحتمل معنيين: أحدهما أن الله تعالى أخبر نبيه أنه يحميه من الكفرة أهل مكة الذين كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد ويريدون مد اليد إليه، وأحوالهم في هذا المعنى مشهورة مروية، والمعنى الآخر أنه أعلمه أنه يجعل بين الكفرة وبين فهم ما يقرأه محمد ﷺ حجاباً، فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها، وعلى التأويل الأول هما آيتان لمعنيين، وقوله: ﴿مَّسْتُورًا﴾ أظهر ما فيه أن يكون نعتاً للحجاب، أي: مستوراً عن أعين الخلق لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب، وإنما هو من قدرة الله وكفايته وإضلاله بحسب التأويلين المذكورين، وقيل التقدير مستوراً به على حذف العائد وقال الأخفش ﴿مَّسْتُورًا﴾ بمعنى ساتر كمشؤوم وميمون فإنهما بمعنى شائم ويامن.

وهذا لغير داعية إليه، تكلف، وليس مثاله بمسلم، وقيل هو على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر، وهذا معترض بأن المبالغة أبداً إنما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الأول، فلو قال حجاباً حاجباً لكان التنظير صحيحاً.

قال الماوردي[2]: فيه وجهان: أحدهما: أي: جعلنا القرآن حجاباً ليسترك عنهم إذا قرأته.

الثاني: جعلنا القرآن حجاباً يسترهم عن سماعه إذا جهرت به. فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاباً في عدم رؤيتك.

والثاني: أن الحجاب المستور أن طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه، الثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ، فحال الله بينه وبينهم من الأذى، ﴿مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45] فيه وجهان:

أحدهما: أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه.

الثاني: أن الحجاب ساتر عنكم ما وراءه، ويكون مستور بمعنى ساتر.

---

(1) المحرر الوجيز. (2) النكت والعيون.

حجة

(حجة - آية - برهان - بينة - دليل - سلطان)

■ **الحُجَّةُ:** الدليل المسكت عند الخصومة ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: 66].

■ **الآيَـةُ:** الدليـل القـاطـع الخـارق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49].

■ **البُرْهَانُ:** دليل قاطع على دعوى جديدة ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النّساء: 174].

■ **البَيِّنَةُ:** الدليل الذي يوجب العقوبة على المنكر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [غافر: 23].

■ **الدَّلِيلُ:** الذي يقودك إلى المطلوب ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: 120].

■ **السُّلْطَانُ:** الدليل الذي يوجب العقوبة على المنكر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [غافر: 23].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والجيم أصولٌ أربعة. فالأول القصد، وكل قَصْدٍ حجٌّ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

ثم اختُصَّ بهذا الاسمِ القصدُ إلى البيت الحرام للنُّسْك. والحَجِيجُ: الحاجّ.

ويقال لهم الحُجُّ أيضاً. قال: وفي أمثالهم: «لَجَّ فَحَجَّ». ومن أمثالهم: «الحاجَّ أسْمَعْتَ»، وذلك إذا أفشَى السرّ، أي: إنَّك إذا أسْمَعْت الحُجّاج فقد أسمعتَ الخلق. ومن الباب المحَجَّة، وهي جَادَّة الطريق.

وممكن أن يكون الحُجَّة مشتقّةً من هذا؛ لأنها تُقْصَد، أو بها يُقْصَد الحقُّ المطلوب. يقال: حَاجَجْتُ فلاناً فحجَجْته أي: غلبتُه بالحُجَّةِ، وذلك الظّفرُ يكون عند الخصومة، والجمع حُجَجٌ. والمصدر الحِجَاجُ. ومن الباب حَجَجْتُ الشَّجَّة، وذلك إذا سَبَرْتَها بالمِيل، لأنك قصدت معرفةَ قَدْرِها. قال: ويقال: بل هو أن يصبّ على دَم الشَّجَّة السَّمن، فيظهرَ فيُؤخَذَ بقُطْنةٍ.

والأصل الآخر: الحِجَّة وهي السّنَة. وقد يمكن أن يُجمع هذا إلى الأصل الأوّل؛ لأن الحَجُّ في السنة لا يكون إلا مرَّةً واحدة، فكأنَّ العام سُمِّي بما فيه من الحَجّ حِجّة. والأصل الثالث: الحِجَاجُ، وهو العظْم المستدير حَولَ العَين. يقال للعظيمِ: الحِجَاجِ أَحَجُّ، جمع الحِجَاج أحِجَّة. وزعم أبو عمرو أنّه يقال للمكان المتكاهف ومن الصَّخرة حِجَاجٌ. والأصل الرابع: الحَجْحَجَةُ: النُّكوص. يقال: حَمَلوا علينا ثمَّ حَجْحَجُوا. والمُحَجْحِج: العاجز.

قال الخَليل[1]: قد تُكسر الحَجَّةُ والحَجُّ، فيقال: حِجٌّ وحِجَّةٌ. ويقال للرّجل الكثير الحَجُّ: حَجّاجٌ من غير إمالة. وكلّ نَعْت على «فَعَال» فإنه مفتوح الألف فإذا صيرّته اسماً يتحَوّل عن حال النَّعْت فتدخله الإمالة، كما دخلَتْ في الحَجّاج والعَجّاج. وحَجَّ علينا فلان، أي: قَدِم. والحَجُّ: كثرة القَصْد إلى من يُعظّم. حَجُّوا عِمامته، أي: عظّموه. والحِجَّةُ: شَحْمَة الأُذن. الحَجْحَجَةُ: النُكوص، تقول: حملوا ثمّ حَجْحَجوا، أي: نَكَصُوا. والمَحَجَة: قارعة الطّريق الواضح.

(1) العين.

قال الجَوهَرّي(1): الحَجُّ: القَصْد، ورجل مَحْجُوجٌ، أي: مقصود، وقد حَجَّ بنو فلان فلاناً، وإذا أطالوا الاختلاف إليه. هذا الأصل، ثمّ تُعُورف استعماله في القصد إلى «مكّة» للنّسك، تقول: حَجَجْتُ البيت أحُجُّه حَجّاً، فأنا حَاجٌّ. وربّما أظهر والتّضعيف في ضرورة الشّعر. ويُجمَع على حُجّ مثل بازِل وبُزِلٍ، وعائِذٍ وعُوذٍ. والحِجُّ بالكسر: الاسم. والحِجَّةُ: المرّة الواحدة، وهو من الشّواذّ، لأنّ القياس بالفتح. والحِجَّةُ: السّنة؛ والجمع: الحِجَجُ. وذو الحِجَّةُ: شهر الحَجُّ؛ والجمع: ذوات الحِجَّةِ.

*** من الألفاظ المشتركة لكلمة (الحجة) في القرآن الكريم جاءت على النحو التالي:**

أ. قصد زيارة البيت الحرام

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البَقَرَة: 158].

ب. البينة الواضحة

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ﴾ [الأنعَام: 83].

ج. الخصومة واللجاجة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشّورى: 16].

د. العمل لمدة سنة كاملة:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ﴾ [القَصَص: 27].

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البَقَرَة: 158].

قال الطبري[1]: فمن أتاه عائداً إليه بعد بدء، وكذلك كل من أكثر الاختلاف إلى شيء فهو حاجّ إليه ومنه قول الشاعر:

يعني بقوله يحجون: يكثرون التردّد إليه لسؤدده ورياسته. وإنما قيل للحاج حاج لأنه يأتي البيت قبل التعريف، ثم يعود إليه لطواف يوم النحر بعد التعريف، ثم ينصرف عنه إلى منى، ثم يعود إليه لطواف الصدر، فلتكراره العود إليه مرّة بعد أخرى قيل له حاجّ.

قال السجستاني[2]: أي: قصد البيت، ويقال حججت الموضع أحجُّه حجّاً: إذا قصدته، ثم سمي السفر إلى البيت حجّاً دون ما سواه. والحَج والحِج لغتان، ويقال: الحَج المصدر والحِج الاسم، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [التّوبَة: 3].

أي: يوم النحر ويقال يوم عرفة، وكانوا يسمون العمرة الحج الأصغر.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: 196].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿ٱلْحَجَّ﴾ في اللغة عبارة عن القصد وإنما يقال: حج فلان الشيء إذا قصده مرة بعد أخرى، وأدام الاختلاف إليه (والحجة) بكسر الحاء السنة، وإنما قيل لها حجة لأن الناس يحجون في كل سنة، وأما في الشرع فهو اسم لأفعال مخصوصة منها أركان ومنها أبعاض ومنها هيئات، فالأركان ما لا

---

(1) جامع البيان.
(2) نزهة القلوب.
(3) التفسير الكبير.

يحصل التحلل حتى يأتي به والأبعاض هي الواجبات التي إذا ترك شيء يجبر بالدم، والهيئات ما لا يجب الدم على تركها، والأركان عندنا خمسة: الإحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، وفي حلق الرأس أو تقصيره قولان: أصحهما أنه نسك لا يحصل التحلل إلا به، وأما الأبعاض فهي الإحرام من الميقات والمقام بعرفة إلى المغرب في قول والبيتوتة بمزدلفة ليلة النحر في قول ورمي جمرة العقبة والبيتوتة بمنى ليالي التشريق في قول ورمي أيامها. وأما سائر أعمال الحج فهي سنة.

قال ابن كثير(1): من تمامهما أن تفرد كل واحد منهما من الآخر، وأن تعتمر في غير أشهر الحج.

قال الشعراوي(2): نفهم منه أن الأمر بإتمام الشيء لا يكون إلا إذا جاء الأمر بفرض هذا الفعل، فكأنك بدأت في العمل بعد التشريع به، ويريد منك سبحانه ألا تحج فقط، ولكن يريد منك أن تتمه وتجعله تامّاً مستوفياً لكل مطلوبات المشرع له.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ [البَقَرَة: 197].

قال الطبري(3): فمن أوجب الحجّ على نفسه وألزمها إياه فيهن، يعني في الأشهر المعلومات التي بينها. وإيجابه إياه على نفسه العزم على عمل جميع ما أوجب الله على الحاجّ عمله وترك جميع ما أمره الله بتركه.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي يكون به الرجل فارضاً الحجّ بعد إجماع جميعهم، على أن معنى الفرض: الإيجاب والإلزام، فقال بعضهم: فرض الحجّ الإهلال.

قال الألوسي(4): ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ أي: ألزم نفسه ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالإحرام،

(1) تفسير ابن كثير.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) جامع البيان.
(4) روح المعاني.

ويصير محرماً - بمجرد النية - عند الشافعي لكون الإحرام التزام الكف عن المحظورات فيصير شارعاً فيه بمجردها كالصوم، وعندنا - لا - بل لا بد من مقارنة التلبية لأنه عقد على الأداء فلا بد من ذكر كما في تحريمة الصلاة، ولما كان باب الحج أوسع من باب الصلاة كفى ذكر يقصد به التعظيم سوى التلبية - فارسياً كان أو عربياً - وفعل كذلك من سوق الهدي أو تقليده، واستدل بالآية على أنه لا يجوز الإحرام بالحج إلا في تلك الأشهر، كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه وعطاء وغيرهما إذ لو جاز في غيرها - كما ذهب إليه الحنفية - لما كان لقوله سبحانه: ﴿فِيهِنَّ﴾ فائدة، وأجيب بأنّ فائدة ذكر ﴿فِيهِنَّ﴾ كونها وقتاً لأعماله من غير كراهية فلا يستفاد منه عدم جواز/ الإحرام قبله، فلو قدّم الإحرام انعقد حجاً مع الكراهة، وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه يصير محرماً بالعمرة، ومدار الخلاف أنه ركن عنده - وشرط عندنا - فأشبه الطهارة في جواز التقديم على الوقت، والكراهة جاءت للشبهة، فعن جابر عن النبي الرسول ﷺ: «**لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج**».

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التّوبَة: 3].

قال الفخر الرازي[1]: اختلفوا في يوم الحج الأكبر. فقال ابن عباس في رواية عكرمة إنه يوم عرفة، وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد، وإحدى الروايتين عن علي: ورواية عن المسور بن مخرمة عن رسول الله ﷺ، وهو أنه، قال: خطب رسول الله ﷺ عشية عرفة. فقال: «**أما بعد فإن هذا يوم الحج الأكبر**». وقال ابن عباس: في رواية عطاء: يوم الحج الأكبر يوم النحر، وهو قول الشعبي والنخعي والسدي وأحد الروايتين عن علي، وقول المغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير. والقول الثالث ما رواه ابن جريج عن مجاهد أنه

(1) التفسير الكبير.

قال: يوم الحج الأكبر أيام منى كلها، وهو مذهب سفيان الثوري، وكان يقول يوم الحج الأكبر أيامه كلها، ويقول يوم صفين، ويوم الجمل يراد به الحين والزمان، لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً كثيرة. حجة من قال يوم عرفة قوله عليه الصلاة والسلام: «**الحج عرفة**» ولأن أعظم أعمال الحج هو الوقوف بعرفة، لأن من أدركه، فقد أدرك الحج، ومن فاته فقد فاته الحج. وذلك إنما يحصل في هذا اليوم. وحجة من قال إنه يوم النحر، هي أن أعمال الحج إنما تتم في هذا اليوم، وهي الطواف والنحر والحلق والرمي، وعن علي رضي الله عنه أن رجلاً أخذ بلجام دابته فقال: ما الحج الأكبر. قال: يومك هذا، خل عن دابتي، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ، وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال: «**هذا يوم الحج الأكبر**»، وأما قول من قال المراد مجموع تلك الأيام، فبعيد لأنه يقتضي تفسير اليوم بالأيام الكثيرة، وهو خلاف الظاهر.

قال ابن عطية[1]: عرفة حيث وقع أول الأذان، وقالت طائفة أخرى: هو يوم النحر حيث وقع إكمال الأذان، واحتجوا أيضاً بأنه من فاته الوقوف يوم عرفة فإنه يجزيه الوقوف ليلة النحر، فليس يوم عرفة على هذا يوم الحج الأكبر.

● **قال تعالى**: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البَقَرَة: 150].

قال القشيري[2]: إذا أردت ألا يكون لأحد عليك سبيلٌ، ولا يقع لمخلوق عليك ظِلٌّ، ولا تصل إليك بالسوءِ يَدٌ، فحيثما كنتَ وأينما كنتَ وكيفما كنت كن لَنَا وكُن مِنّا، فإِنَّ من انقطع إلينا لا يتطرق إليه حدثان.

قال الزمخشري[3]: ومعناه، لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين

(1) المحرر الوجيز.
(2) لطائف الإشارات.
(3) الكشاف.

منهم القائلين: ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء. فإن قلت: أي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحوّل حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين؟ قلت: كانوا يقولون ما له لا يحوّل إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟ فإن قلت: كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين؟ قلت: لأنهم يسوقونه سياق الحجة. ويجوز أن يكون المعنى: لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب، إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون: بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم.

● **قال تعالى:** ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 165].

قال الطبري[1]: يقول: أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين، لئلا يحتجّ من كفر بي وعبد الأنداد من دوني، أو ضلّ عن سبيلي بأن يقول إن أردت عقابه: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: 134]، فقطع حجة كل مبطل ألحد في توحيده وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إعذاراً منه بذلك إليهم، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه.

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: 258].

قال الزمخشري[2]: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: 258] متعلق بحاجّ على وجهين: أحدهما حاجّ لأن آتاه الله الملك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتوّ فحاجّ لذلك،

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك، فكأن المحاجة كانت لذلك، كما تقول: عاداني فلان لأني أحسنت إليه، تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقِعَة: 82].

والثاني: حاجّ وقت أن آتاه الله الملك. فإن قلت: كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر؟ قلت: فيه قولان: آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع، وأما التغليب والتسليط فلا. وقيل: ملكه امتحاناً لعباده. و﴿إِذْ قَالَ﴾ [البقرة: 258] نصب بحاج أو بدل من آتاه إذ جعل بمعنى الوقت.

قال ابن كثير[1]: هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ويقال: نمرود ابن فالخ بن عبار بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، والأول قول مجاهد وغيره، قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود، وبختنصر، والله أعلم. ومعنى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: بقلبك يا محمد ﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾، أي: وجود ربه، وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره، كما قال بعده فرعون لملئه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: 38].

● **قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 76].**

قال البغوي[2]: يخاصموكم، يعني أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم عليكم فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه؟ وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد الرسول ﷺ: آمنوا به فإنه حق ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم.

---

(1) تفسير ابن كثير. (2) معالم التنزيل.

قال النيسابوري[1]: ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه. جعلوا محاجتهم به وقولهم: «هو في كتابكم هكذا» محاجة عند الله. ألا تراك تقول: هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد؟ وعن الحسن: ليحاجوكم في ربكم لأن المحاجة فيما ألزم تعالى من اتباع الرسل محاجة فيه أي: دينه.

● **قال تعالى:** ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: 66].

قال الطبري[2]: يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم، وأتتكم به رسل الله من عنده، وفي غير ذلك مما أوتيتموه، وثبتت عندكم صحته، فلم تحاجون: يقول: فلم تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم، يعني الذي لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه، ولم تجدوه في كتب الله، ولا أتتكم به أنبياؤكم، ولا شاهدتموه فتعلموه.

قال الفخر الرازي[3]: هو أنهم زعموا أن شريعة التوراة والإنجيل مخالفة لشريعة القرآن فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به وهو ادعاؤكم أن شريعة إبراهيم كانت مخالفة لشريعة محمد ﷺ؟. ثم يحتمل في قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنه لم يصفهم في العلم حقيقة وإنما أراد إنكم تستجيزون محاجته فيما تدعون علمه، فكيف تحاجونه فيما لا علم لكم به ألبتة؟.

● **قال تعالى:** ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ﴾ [الأنعام: 80].

قال أبو حيان[4]: المحاجة مفاعلة من اثنين مختلفين في حكمين يدلي كل

(1) غرائب القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) البحر المحيط.

منهما بحجته على صحة دعواه، والمعنى وحاجه قومه في توحيد الله ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك ومحاجة مثل هؤلاء إنما هي بالتمسك باقتفاء آبائهم تقليداً وبالتخويف من ما يعبدونه من الأصنام كقول: قوم هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هُود: 54] فأجابهم بأن الله قد هداه بالبرهان القاطع على توحيده ورفض ما سواه وأنه لا يخاف من آلهتهم.

حَجَر

(حَجَر - صخر - صفا)

■ **الحَجَرُ:** الجوهر الصلب المعروف صغير الحجم ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: 24].

■ **الصَّخْرُ:** الجوهر الصلب المعروف كبير الحجم ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفَجر: 9].

■ **الصَّفَا:** الصخر الخالص من الشوائب، واحده صفوانة ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [البَقَرَة: 264].

❊ ❊ ❊

(الحجرة – الغرفة)

■ **الحجرة:** مخدع الزوجين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحُجرَات: 4].

■ **الغرفة:** مكان الجلوس العام في البيت ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سَبَإ: 37].

❊ ❊ ❊

حِجر

(حِجر - نُهى - لُبّ - عقل)

هذه الكلمات كلها تدخل في معنى العقل، والحِجر اسم من أسماء العقل. وقد جاء في القرآن العقل بمعنى الحِجر والعِقْل والنُّهى واللُّب ولكل لفظ منها مدلول خاص لعقل لا يشتمل عليه لفظ آخر.

شرح المعاني:

العقل: قال الراغب الأصفهاني: هو القوة المتهيأة لطلب العلم وفهمه وتلقيه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العَنكبوت: 43] فالعقل عموماً هو الطاقة التي وهبها الله تعالى للإنسان بحيث يتهيّأ بها لتحصيل العلم، وهذه ميزة تميّز بها الإنسان على سائر المخلوقات حتى على الملائكة أنفسهم، إذ أن الملائكة لا يملكون عقلاً استنباطياً ولذا امتحنهم الله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: 31] فقالوا: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: 32] فقال تعالى لآدم: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البَقَرَة: 33] لأن آدم له عقل استنباطي يستطيع أن يتهيّأ للعلم ولكل مشتقاته ولذلك أسجد تعالى الملائكة لآدم. وما أنعم الله تعالى نعمة على البشر أعظم من نعمة العقل التي هي أساس التكليف. فهذ العقل هو القوة ولكن هذه القوة تفعل عدة أفعال فنُسمّي العقل تسمية جديدة بناء عليه. والمعروف أن العقل والنفس في صراع دائم فما يريده العقل لا تريده النفس وما تريده النفس لا يريده العقل

والكتاب العزيز شاهد على ذلك والأحاديث النبوية كذلك كما في الحديث: «**أعدى أعدائك نفسُك التي ما بين جنبيك**».

فإذا وصل العقل بالتربية والإعداد إلى مرحلة أن يكون قادراً على المنع من الاستجابة لشهوات النفس السيئة سُمّي حِجراً ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: 5] وسُمّي العقل حِجراً لأنه يحجر صاحبه عن الاستجابة لشهوات النفس.

النُّهية: إذا تطوّر العقل أكثر وتربّى أكثر واستمر في عالم النضوج صعوداً سُمّي نُهية وجمعها نُهى. والنُهية هي العقل الذي تطوّر من كونه مجرد عقل ثم صار حِجراً، وهو العقل الذي ينهى صاحبه عن كل قبيح: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: 54].

اللُّبّ: إذا بلغ العقل غاية النضج سُمّي لُبًّا. واللُّبّ هو العقل الخالص من الشوائب المبدع الجوّال الذي يقيس المعدوم على الموجود فيُوجِد للمعدوم حُكماً. والكلام في اللب عظيم ولذلك أسند الله تعالى كل شيء عظيم لهذا اللب. وقال العلماء: أن اللب هو العقل الزاكي الذي لا يكتفي بمنطوق العقل وإنما يتجاوز ذلك إلى مكارم الأخلاق كما قال الرسول ﷺ: «**إن الله يُحبُّ مكارم الأخلاق ويكره سفسافها**».

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 280].

فنظِرة إلى ميسرة من العقل أما قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فهو من اللب ولا يفعله إلا كِرام الخُلُق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: 194].

اعتدوا عليه من العقل واتّقوا من اللب. فالذي يُوصل إلى مكارم الأخلاق هو اللب. هذا اللب الذي أناط به الله تعالى كل المحاسن وكل الأخلاق الحسنة وهو

العقل الذي يوصل إلى الرُّشد والرُّشد غاية الإنسان. وإذا بلغ الإنسان الرُّشد فقد اكتمل كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51].

لأنه كان استنباطياً كما ذكر تعالى في القرآن الكريم لذا كان عقله لُبًّا وصل به إلى الرُّشد. واللب من السَّعَة يُقال: فلان في لبّ رخيّ أي: في سعة رخيّة. وقول: لبيك في الحج كأن الحجيج يطلبون سعة الله تعالى ورحمته لأنهم وصلوا إلى حِماه. هذا العقل له أنشطة متدرجة كونه مجرد عقل فإنه يُجمّع الأشياء المتنوعة المختلفة لكي يأخذ منها أو يستدل بها على شيء واحد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: 164].

من هذه المجموعة المتنافرة نستدل على أن لهذا الكون خالقاً ونخرج من هذه المجموعة بشيء واحد كما تجمع العقال البعير.

التفكّر: إذا تجاوزت مرحلة العقل تأتي مرحلة التفكّر وهي على عكس العقل فهي تفكك كل جزئيات الموضوع لتخرج منه بحكمة واحدة. كما في آية الخمر والميسر:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البَقَرَة: 219] القارئ لهذه الآية يفكك الخمر من جميع النواحي اقتصادية واجتماعية وصحية إلى أن يصل إلى تحريمها وكذلك الميسر فككه تفكيكاً دقيقاً تخرج منه بحكمة تحريمه. فالتفكّر تفكيك والعقل تجميع، ونخرج من التجميع بحكمة واحدة ونخرج من التفكيك بعدّة حكم.

التدبّر: إذا تجاوزت مرحلة العقل والتفكّر تدخل في مرحلة التدبّر. والتدبّر معناه أن تطيل النظر في الشيء من إبداع أو اختراع أو نظرية أو حديث حتى تتلمس كل جوانبها وأبعادها وتعرف خصائصها كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النِّساء: 82].

التذكّر: هذا التدبر الطويل يوصل إلى مرحلة التذكّر والتذكّر هو الذي يقيس المعدوم على الموجود، وإيجاد المعلومات بعد عدم وهكذا تمّت الاختراعات وكل ما هو جديد وما أنتجه العقل من استنباط من ملاحظة أو حادثة أو فكرة: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: 19].

الفِقه: هو الفهم الدقيق لنظرية كاملة تقتضي تفصيلاً أو إجمالاً.

المعنى المشترك:

* والحجر من الكلمات المشتركة في عدة معانٍ في كتاب الله على النحو التالي:

أ - حضانة المحضون في حضن الحاضن:

قال تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ [النِّساء: 23].

ب - الشيء الممنوع قطعياً:

قال تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفُرقان: 22].

ج - الحاجز والمانع:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفُرقان: 53]..

كي لا يختلط العذب والمالح (والحجر) المنع المطلق من الاختلاط.

د – العقد:

قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفَجر: 5].

هـ – اسم قرية

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحِجر: 80]. .

أي: قرية ثمود قوم صالح عليه السلام.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والجيم والراء أصل واحد مطَّرد، وهو المنْع والإحاطة على الشيء. فالحَجْر حَجْر الإنسان، وقد تكسر حاؤه.

ويقال: حَجَر الحاكمُ على السَّفيه حَجْراً؛ وذلك منْعُه إيَّاه من التصرُّف في ماله.

والعَقْل يسمَّى حِجْراً لأنّه يمنع من إتيانِ ما لا ينبغي، كما سُمِّي عَقْلاً تشبيهاً بالعِقال. قال الله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفَجر: 5]. قصبَة اليمامة. والحَجَر معروف، وأحسَب أنَّ البابَ كلَّه محمولٌ عليه ومأخوذ منه، لشدَّته وصلابته. وقياسُ الجمْع في أدنى العدد أحجار، والحجارة أيضاً له قياس، كما يقال: جمل وجِمالة، وهو قليل. والحِجْر: الفرس الأنثى؛ وهي تصانُ ويُضَنُّ بها. والحاجرُ: ما يُمْسك الماءَ من مكانٍ منْهَبِط، وجمعه حُجْرانٌ. وحَجْرة القوم: ناحية دارهم وهي حِماهُم. والحُجْرة من الأبنية معروفة. وحجَّر القَمَرُ: إذا صارت حولَه دارةٌ. ومما يشتقُّ من هذا قولهم: حَجَّرْتُ عينَ البعير: إذا وسمْتَ حولَها بميسمٍ مستدير.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: والحِجرْ: حطيم مكّة، وهو المُدار بالبيت كأنّه حُجْرة، ممّا يلي المَثْعَب. والحِجْر والحُجْر: لغتان، وهو الحرام، وكان الرّجل يلقى غيره في الأشهر الحُرُم فيقول: حِجْراً محجُوراً، أي: حرام مُحرّم عليك في هذا الشّهر، فلا يبدؤه بشرّ، فيقول المشركون يوم القيامة للملائكة: حِجْراً مَحجوراً، ويظنوّن أن ذلك ينفعهم كفعلهم في الدّنيا. والمُحْجَرُ: المُحرّم. والمَحْجَرُ: حيث يقع عليه النّقاب من الوجه. وما بدا من النّقاب فهو مَحجْر.

قال الجَوهَري[2]: **الحَجَرُ**: جمعه في القلّة: أَحْجَارٌ، وفي الكثرة: حِجَارٌ وحِجَارَة، كقولك: جَمل وجِمالة، وذكر وذِكارة، وهو نادر. وحَجَر أيضاً: اسم رجل، ومنه أوس بن حَجَر الشّاعر. والحَجَران: الذّهب والفضّة. والحَجْرُ؛ ساكن: مصدر قولك حجَر عليه القاضي يَحجُر حَجْراً، إذا منعه من التّصرّف في ماله.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحُجرَات: 4].

قال الألوسي[3]: و«الْحُجُراتِ» جمع حجرة على وزن فُعْلة بضم الفاء وسكون العين وهي القطعة من الأرض المحجورة أي: الممنوعة عن الدخول فيها بحائط، وتسمى حظيرة الإبل وهي ما تجمع فيه وتكون محجورة بحطب ونحوه حجرة أيضاً فهي بمعنى اسم المفعول كالغرفة لما يغرف باليد من الماء، وفي

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) روح المعاني.

جمعها هنا ثلاثة أوجه، ضم العين اتباعاً للفاء كقراءة الجمهور، وفتحها وبه قرأ أبو جعفر وشيبة، وتسكينها للتخفيف وبه قرأ ابن أبي عبلة. وهذه الأوجه جائزة في جمع كل اسم جامد جاء على هذا الوزن.

والمراد حجرات نسائه عليه الصلاة والسلام وكانت تسعة لكل منهن حجرة. وفي ذكر «الْحُجُراتِ» كناية عن خلوته عليه الصلاة والسلام بنسائه لأنها معدة لها، ولم يقل: حجرات نسائك ولا حجراتك توقيراً له ﷺ وتحاشياً عما يوحشه عليه الصلاة والسلام. ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها فيكون القصد إلى الاستغراق العرفي أي جميع حجرات نسائه ﷺ أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام على أن الاستغراق إفرادي لا شمولي مجموعي ولا أنه من مقابلة الجمع بالجمع المقتضية لانقسام الآحاد على الآحاد لأن من ناداه ﷺ من وراء حجرة منها فقد ناداه من وراء الجميع على ما قيل، وعلى هذا يكون إسناد النداء من إسناد فعل الأبعاض إلى الكل، وقيل: إن الذي نادى رجل واحد كما هو ظاهر خبر أخرجه الترمذي وحسنه وجماعة عن البراء بن عازب.

● **قال تعالى**: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: 23].

قال ابن عطية[1]: ﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ ذكر الأغلب في هذه الأمور، إذ هي حالة الربيبة في الأكثر، وهي محرمة وإن كانت في غير الحجر، لأنها في حكم أنها في الحجر، إلا ما روي عن علي أنه قال: تحل إذا لم تكن في الحجر وإن دخل بالأم، إذا كانت بعيدة عنه، ويقال: حِجَرْ بكسر الحاء وفتحها، وهو مقدم

(1) المحرر الوجيز.

ثوب الإنسان وما بين يديه منه في حالة اللبس، ثم استعملت اللفظة في الحفظ والستر، لأن اللابس إنما تحفظ طفلاً وما أشبهه بذلك الموضع من الثوب.

قال الفخر الرازي(1): ﴿فِي حُجُورِكُم﴾ أي: في تربيتكم، يقال: فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته، والسبب في هذه الاستعارة أن كل من ربى طفلاً أجلسه في حجره، فصار الحجر عبارة عن التربية، كما يقال: فلان في حضانة فلان، وأصله من الحضن الذي هو الإبط.

● **قال تعالى**: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [الفجر: 5].

قال الطبري(2): ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾: فإنه لذي حِجًى وذي عقل يقال للرجل إذا كان مالكاً نفسه قاهراً لها ضابطاً: إنه لذو حَجَر، ومنه قولهم: حَجَر الحاكم على فلان.

قال الزمخشري(3): والحجر: العقل؛ لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي، كما سمي عقلاً ونهية؛ لأنه يعقل وينهى. وحصاة: من الإحصاء وهو الضبط. وقال الفراء: يقال: إنه لذو حجر، إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها؛ والمقسم عليه محذوف وهو «ليعذبن» يدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ - إلى قوله: - فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: 6 - 13].

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الحِجر: 80].

قال ابن عاشور(4): جُمِعتْ قصص هؤلاء الأمم الثّلاث: قومِ لوط، وأصحابِ الأيكة، وأصحاب الحجر في نسق، لتماثل حال العذاب الّذي سلط عليها وهو عذاب الصّيحة والرّجفة والصّاعقة. وأصحاب الحِجر هم ثمود كانوا ينزلون الحِجْر - بكسر الحاء وسكون الجيم -. والحجر: المكان المحجور،

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) التحرير والتنوير.

أي: الممنوع من النّاس بسبب اختصاص به، أو اشتقّ من الحجارة لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبل نحتاً محكماً. وقد جعلت طبقات وفي وسطها بئر عظيمة وبئار كثيرة. والحجر هو المعروف بوادي القرى وهو بين المدينة والشّام، وهو المعروف اليوم باسم مدائن صالح على الطريق من خيبر إلى تبوك.

وأما حَجر اليمامة مدينةُ بني حنيفة فهي - بفتح الحاء - وهي في بلاد نَجد وتسمى العَروض وهي اليوم من بلاد البحرين.

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفُرقان: 22].

قال الفخر الرازي(1): اختلفوا في أن الذين يقولون حجراً محجوراً من هم؟ على ثلاثة أقوال: القول الأول: أنهم هم الكفار وذلك لأنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، (ثم) إذا رأوهم عند الموت (و) يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو (الموتور)، ونزول الشدة. القول الثاني: أن القائلين هم الملائكة ومعناه حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشرى، أي جعل الله ذلك حراماً عليكم، ثم اختلفوا على هذا القول فقال بعضهم: إن الكفار إذا خرجوا من قبورهم، قالت الحفظة لهم: حجراً محجوراً، وقال الكلبي: الملائكة على أبواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين: حجراً محجوراً، وقال عطية: إذا كان يوم القيامة يلقى الملائكة المؤمنين بالبشرى فإذا رأى الكفار ذلك قالوا لهم: بشرونا فيقولون: حجراً محجوراً. القول الثالث: وهو قول القفال والواحدي وروي عن الحسن أن الكفار يوم القيامة إذا شاهدوا ما يخافونه فيتعوذون منه ويقولون: حجراً محجوراً، فتقول الملائكة: لا يعاذ من شر هذا اليوم.

---

(1) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 24].

قال الماوردي[1]: والحجارة من كبريتٍ أسود، وفيها قولان: أحدهما: أنهم يعذبون فيها بالحجارة مع النار، التي وقودها الناس.

والثاني: أن الحجارة وقود النار مع الناس، ذكر ذلك تعظيماً للنار، كأنها تحرق الحجارة مع إحراقها الناس.

قال النسفي[2]: ومعنى قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: 24] أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس والحجارة وهي حجارة الكبريت، فهي أشد توقداً وأبطأ خموداً وأنتن رائحة وألصق بالبدن أو الأصنام المعبودة فهي أشد تحسيراً. وإنما قرن الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أنداداً ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبيَاء: 98] أي: حطبها، فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغاً في إيلامهم.

(1) النكت والعيون.
(2) مدارك التنزيل.

حجز

(حجز - حجب - ستر - غشي - غطى)

- **الحَاجِزُ:** المانع من اختلاط شيئين يفسدان بالاختلاط.. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾ [النَّمل: 61].
- **الحَاجِبُ:** المانع من الوصول بإقامة المانع ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفّفين: 15].
- **السَّاتِرُ:** المانع من النظر والمشاهدة ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ [فُصّلت: 22].
- **الغِشَاءُ:** اللباس يوضع فوق الوجه ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].
- **الغِطَاءُ:** الإناء يجعل فوق الشيء ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والجيم والزّاي أصل واحد مطّرد القياس، وهو الحَوْل بين الشيئين؛ وذلك قولهم: حَجَزْتُ بين الرّجلين، وذلك أن يمنع كلّ واحد منهما من صاحبه.

قال الخَليل[2]: الحَجْزُ: أن تُحجَز بين مقاتلين. والحِجَازُ والحَاجِزُ: اسم.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

وسمّي الحجاز لأنّه يفصل بين الغَوْر والشّام وبين البادية. والحِجَازُ: حَبْل يُلقى للبعير من قِبل رِجلَيْه، ثمّ يُناخ عليه، يُشدّ به رُسْغا رِجلَيْه إلى حِقوَيْه وعَجزه. حَجَزْته فهو مَحجُوز. والرّجل يَحْتَجِزُ بإزاره على وسطه. وحُجْزُ الرّجل أصله ومَنبْتُه. وحُجْزُ الرّجل أيضاً: فصل ما بين فَخِذه والفَخِذِ الأخرى من عشيرته.

قال الجَوهَرّي[1]: حَجَزَه يَحْجُزُه حَجْزاً، أي: منعه، فانْحَجَزَ. والمُحَاجَزَةُ: الممانعة، وفي المَثل: «**إن أردْتَ المُحاجَزْة فقبل المناجَزة**»، وقد تَحَاجَزَ الفريقان. ويقال: كانت بين القوم رِمياً ثمّ صارَتْ إلى حِجِيزَى، أي: تراموا ثمّ تحَاجَزُوا. وهما على مثال «خِصّصى» وقولهم: حَجَازَيْك، مثال حَنانَيك، أي: احْجِز بين القوم. والحَجَزَةُ بالتّحريك: الظلمة، وفي حديث قيْلَة: «**أيعَجِز ابن هذه أن يَنتصِف من وراء الحَجزة**» وهم الّذين يحجزونه عن حقّه. والحِجَازُ: بلاد سمّيت بذلك، لأنّها حجَزَت بين نَجْد والغَوْر[2].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النَّمل: 61].

قال القشيري[3]: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين القلب والنفس لئلا يغلب أحدُهما صاحبَه. ويقال بين العبودية وأحكامها، والحقيقة وأحكامها، فلو غَلَبَتْ العبوديةُ كان جَحْداً للحقيقة، ولو غلبت الحقيقةُ العبوديةَ كانت طَيًّا للشريعة.

ويقال: ألْسِنَةُ المريدين مَقَرُّ ذكره، وأسماعُهم مَحلُّ الإدراك الموصِّل إلى الفهم، والعيون مقر الاعتبار.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) المعجم في فقه لغة القرآن.
(3) لطائف الإشارات.

قال الفخر الرازي[1]: فالمقصود منه أن لا يفسد العذب بالاختلاط، وأيضاً فلينتفع بذلك الحاجز، وأيضاً المؤمن في قلبه بحران بحر الإيمان والحكمة وبحر الطغيان والشهوة وهو بتوفيقه جعل بينهما حاجزاً لكي لا يفسد أحدهما بالآخر.

قال ابن عطية[2]: «**الحاجز**» ما جعل الله بينهما من حواجز الأرض وموانعها على رقتها في بعض المواضع ولطافتها التي لولا قدرة الله تعالى لغلب الملح العذب.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحَاقَّة: 47].

قال البغوي[3]: مانعين يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى: أن محمداً لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه بأنه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: ﴿حَاجِزِينَ﴾ بالجمع هو فعْلُ واحدٍ رداً على معناه كقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 285].

قال الزمخشري[4]: قيل ﴿حَاجِزِينَ﴾ في وصف أحد؛ لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 285]، ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزَاب: 32]، والضمير في عنه للقتل، أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسول الله، أي: لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه.

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

حدب

(حدب - تل - جبل - رابية -)

■ **الحَدَبُ:** ما ارتفع من الأرض السهلة لمعرفة المواقع والاتجاهات ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والدّال والباء أصل واحد، وهو ارتفاع الشّيء؛ فالحَدْبُ: ما ارتفع من الأرض. والحَدَبُ في الظّهر، يقال: حَدِبَ واحْدَوْدَبَ. وناقة حَدْبَاءُ: إذا بدَت حَراقِفها، وكذلك الحِدْبَارُ، يقال: هُنّ حُدْبٌ حَدَابِيرٌ.

قال الخَليل[2]: الحَدَبَةُ: موضع الحَدَبُ من ظهر الأَحْدَبِ والاسم: الحَدَبَةُ. وقد حَدِبَ حَدْباً واحْدَ وَدَب ظهره. وحَدِبَ فلان على فلان حَدَباً، أي: عطَف عليه وحَنا، وإنّه كالوالد. والحَدُبُ: حَدُور في صببٍ، ومن ذلك حَدَبُ الرّيح وحَدَبُ الرّمل ؛ وجمعه: حِدَابٌ، ويقال للدآبة إذا بدَت حراقيفهُ وعظُم ظهره: حَدْبَاءُ وحِدْبيرُ وحِدْبَارُ. والحِدابُ: ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة: حَدَبة حِدْبة وحَدِبة.

قال الجَوهَرّي[3]: الحَدَبُ: ما ارتفع من الأرض؛ والجمع: الحِدَابُ. . . والحَدَبَةُ: الّتي في الظّهر، وقد حَدِب ظهره فهو حَدِبٌ، واحْدَوْدَبَ مثله. وأحْدَبَه

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

الله، فهو رجل أَحْدَبٌ بيّن الحَدَبِ وناقة حَدْبَاء، إذا بدَت حَراقِفُها. يقال: هُنّ حُدْبٌ حَدَابِيرٌ. ويقال أيضاً: حَدَبَ عليه وتَحَدَّبَ عليه، أي: تعطّف عليه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96].

قال الماوردي(1): وفي حدب الأرض ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه فجاجها وأطرافها.

والثاني: حولها.

الثالث: تلاعها وآكامها، مأخوذ من حدبة الظهر.

قال الزمخشري(2): الحدب: النشز من الأرض. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «من كل جدث» وهو القبر، الثاء: حجازية، والفاء: تميمية.

قال الألوسي(3): ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ أي: مرتفع من الأرض كجبل وأكمة. وقرأ ابن عباس (جدث) بالجيم والثاء المثلثة وهو القبر، وهذه القراءة تؤيد رجوع الضمير إلى الناس.

قال الفخر الرازي(4): ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ فحشو في أثناء الكلام، والمعنى إذا فتحت يأجوج واقترب الوعد الحق شخصت أبصار الذين كفروا، والحدب النشز من الأرض، ومنه حدبة الأرض، ومنه حدبة الظهر.

---

(1) النكت والعيون.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.
(4) التفسير الكبير.

حدث

(حدث - وجد - وقع - كان)

■ **الحُدُوث:** كون الشيء بعد أن لم يكن، وإحداثه: إيجاده ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 70].

■ **الإيجَاد:** اكتشاف الشيء لأول مرة ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النَّمل: 24].

■ **الوُقُوع:** ثبوت الشيء بعد انتظار طويل ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النَّمل: 82].

■ **الكَيْنُونَة:** استمرار الحدث ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 110].

* * *

حديث

(حديث - قول - كلام - لفظ - خطاب)

- **الحَدِيثُ:** ما يبلغ الإنسان من جهة السمع محاله موضوع ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: 3].
- **القَوْلُ:** اللفظ المفهوم الدال على معنى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: 40-41].
- **الكَلامُ:** اللفظ المركب وإن لم تفهمه أنت ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّساء: 164].
- **اللَّفْظُ:** رفع الصوت بالقول والكلام ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: 18].
- **الخِطَابُ:** كلام موجه لآخرين ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: 23].

* * *

شرح المعاني:

حديث: إذا كان الكلام طويلاً من عدة جُمل له موضوع محدد يتحدث عن موضوع ما اقتصادي أو سياسي أو ديني أو غيره يُسمّى حديثاً ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23].

قول: إذا تخلل الحديث عبارة قوية تحمل نظرية أو قراراً أو قاعدة يُسأل عنها صاحبها سلباً أو إيجاباً وقد يُحاسب عليها صاحبها إما له وإما عليه وقد تكون لُبّ الحديث ونتيجته التي تلفت النظر يُسمّى قولاً. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]. الحديث ليس كله أقوال فقد يكون فيه زيادات وحواشي، أو يكونُ كلاماً خارج الموضوع أو غير مقصود. أما القول فهو أهم ما في الحديث والحديث أهم ما في الكلام، والكلام أهم ما في النطق، والنطق أهم ما في اللفظ، واللفظ أهم ما في الصوت.

إن كلمة حديث هي معنى أصوات الفم الإنساني وكل ما يصدر عن الفم الإنساني هو متعدد المعاني.

صوت: هو أول شيء يخرج من فم الإنسان، والصوت هو عندما لا يكون مكوناً من حرفين فيكون إما أنيناً أو عواءً أو بكاءً أو نواحاً أو عويلاً أو غيره، ولكل صوت اسمه وفصيلته وطبيعته في عالم الإنسان.

لفظ: إذا كان الصوت مكوناً من حرفين يُسمى لفظاً مثال: من، إن، عن، في قد لا يكون لهما معنى لكن لا بد أن يكون كل هذه كلمات وكما قيل (كلامنا لفظ مفيد كاستقم، إذن وهو فعل وحرف واسم وذلك هو الكلِم). عندما يكون اللفظ مسموعاً من فم حيّ ومن حرفين فهو لفظ.

نطق: عندما يكون اللفظ مكوّناً من كلمة فهو نطق ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النَّمل: 16] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصَّافات: 92].

كلام: إذا كان هناك عدة كلمات تُسمّى كلاماً ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: 46] فالكلام جمع كلمة.

ولو تتبعنا القرآن الكريم لوجدنا أن هذه الكلمات كلها موظّفة في القرآن توظيفاً محدداً لا زيادة فيه ولا لبس ولكل منها معنى لا يفيده غيرها من الكلمات. ففي قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ لم يأت بكلمة حديث أو كلام أو صوت أو منطق وإنما جاءت الآية بكلمة قول ومعنى كلمة قول في الآية أن

الملكين لا يسجلان كلام الحشو مما لا يعنيه الإنسان وليس به مسؤولية مثل أين الطعام وأين فلان وغيره، إنما الذي يُسجله الملكان هو القول الذي يعنيه الإنسان ويؤثر عليه أو على غيره في الحياة والاجتماع والدين ويُسجل في صحيفة أعماله سواء الحسنة أو السيئة.

وأهم هذه الكلمات كلمتي القول والحديث اللتين سنستعرضهما بإسهاب فيما يلي: -

القول: هو كما قلنا كلام مقصود قصداً كأن يتحدث الإنسان في محاضرة ما ثم يقول جملة معينة ضمن حديث طويل تشد الناس وتلفت انتباههم فيتعلمون منها جديداً وقد تسعدهم أو تشقيهم، هذه الجملة الوحيدة التي شدّت الناس هي القول. ولأهمية القول وصفه الله تعالى في القرآن بعدة أوصاف من حيث أهميته جاء منها:

قول سديد: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70] قول عظيم: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: 40] قول يثير الغضب في بطلانه وانحرافه وباطله.

قول كريم: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] وكرم القول مع الوالدين نظرية في القرآن.

قول ميسور: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28].

قول صواب: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38].

قول ثقيل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] إذا كان فيه من العلم والمعاني ما لا يمكن لكل الناس حمله ومن هذا نذكر حديث النملة مع سليمان في سورة النمل كان حديثاً طويلاً لكن ما شد انتباه سليمان قولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18] لذا تبسم ضاحكاً من قولها وليس من حديثها كله لأن الذي لفت نظره في قول النملة أنها تدرك وتفرّق بين من يقتل متعمداً ومن يقتل خطأً بدون قصد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

المثاني: من الثناء وقد قيل في هذه الكلمة آراء كثيرة وقد وصف الله تعالى

الكتاب كله بالمثاني ووصف الفاتحة بالسبع المثاني واختلف المفسرون فيها ونحن نعود إلى أصل اللغة لفهم معنى المثاني فنقول: المثاني في اللغة هو ما يُثنى عليه. والقرآن كله يُثنى عليه من حيث أن الراسخين في العلم كلما أوغلوا في هذا البحر الذي لا ساحل له واكتشفوا درّة جديدة من درره يشعر بالفخر والزهو، ويُثني على الله تعالى أن وفقه لاكتشاف هذا المعنى، وفي كل ساعة منذ نزول القرآن إلى أن تقوم الساعة يجد الباحثون في القرآن شيئاً جديداً لم يعثر عليه أحد قبلهم. وهناك فرق بين الحمد وبين الثناء، فالحمد يكون لمن قدّم إليك معروفاً أما الثناء فهو لأن فيك صفات عظيمة أنا معجب بها كما ورد في سورة الفاتحة قوله تعالى في الحديث القدسي: (**حمدني عبدي، مجّدني عبدي، أثنى عليّ عبدي**) وعندما تحدث الله تعالى عن الفاتحة قال: (**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**) فهي قرآن كامل لأن كل مسلم يُثني على هذه السورة وقد جعل الله تعالى الفاتحة هي الصلاة على عظمة الصلاة وقال: (**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي**) كما في الحديث القدسي. وقد نزل بها ملك خُلق لأجلها ولم ينزل بغيرها. وعندما نزلت فتح لها باب من السماء لم يفتح إلا لها وأُغلق بعد ذلك والحديث عن جبريل عليه السلام: إنها أعطيت للرسول ولم تُعط لملك ولا لبشر قبل النبي وهي الصلاة، وهي الرقية وهي الموحّدة بين المسلمين ومنابعها كثيرة ولا تنقضي محاسنها، وقد استخلص الإمام الرازي منها عشرة آلاف مسألة فقهية وشرعية، وهي سبع آيات نثنيها كل يوم في الصلاة مرات عديدة في الفروض والنوافل والذكر بعد الصلوات.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والدّال والثّاء أصل واحد، وهو كون الشّيء لم يكن. يقال: حَدَثَ أمر بعد أن لم يكن. والرّجل الحَدِثُ: الطّريّ السِّنّ. والحَدِيثُ من هذا، لأنّه كلام يحْدُثُ منه الشّيء.

قال الخَليل[2]: يقال: صار فلان أُحْدُوثَةٌ، أي: كثّروا فيه الأحاديث. وشابّ حَدَثٌ، وشابّة حَدَثَةٌ: فتيّة في السّنّ. والحدَثُ: من أَحْدَاثِ الدّهر شِبه النّازلة. والأُحْدُوثَةُ: الحَدِيثُ نفسه. والحَدِيثُ: الجديد من الأشياء. ورجل حِدْثٌ: كثير الحَدِيثُ. والحَدث: الإبداء.

قال الجَوهَريّ[3]: الحَدِيث: نقيض القديم، يقال: أخذني ما قَدُم وما حَدُث. لا يُضم «حَدُث» في شيء من الكلام إلا في هذا الموضع. وذلك لمكان «قَدُم» على الازدواج. والحديث: الخبر، يأتي على القليل والكثير؛ ويُجمع على أحاديث على غير قياس. والحُدُوثُ: كون شيء لم يكن. وأَحْدَثَهُ الله فحَدث، وحدَث أمرٌ، أي: وقَع[4].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

قال الطبري[5]: يقول: فبأيّ تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) المعجم في فقه لغة القرآن.
(5) جامع البيان.

وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدّقون، إن لم يصدّقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد ﷺ من عند الله تعالى.

قال أبو السعود[1]: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ قطعٌ لاحتمال إيمانِهم رأساً ونفيٌ له بالكلية مترتبٌ على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات وإخلالِهم بالتفكر والنظر، والباءُ متعلقةٌ بيؤمنون وضميرُ بعده للآيات على حذفِ المضاف المفهومِ من كذبوا والتذكيرُ باعتبار كونِها قرآناً أو بتأويلها بالمذكور وإجراءِ الضمير مُجرى اسمِ الإشارة والمعنى أكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من أحواله عليه الصلاة والسلام وأحوالِ المصنوعاتِ فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثلُ هذه الشواهدِ القويةِ كلا وهيهات، وقيل: الضميرُ للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآنِ يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهايةُ في البيان، وقيل هو إنكارٌ وتبكيتٌ لهم مترتبٌ على إخلالهم بالمسارعة إلى التأمل فيما ذُكر كأنه قيل: لعل أجلَهم قد اقترب فما لهم لا يبادِرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفَوْتِ، وماذا ينتظرون بعد وضوحِ الحقِّ وبأي حديثٍ أحقَّ منه يريدون أن يؤمنوا؟ وقيل: الضميرُ لأجَلهم، والمعنى فبأي حديثٍ بعد انقضاءِ أجلِهم يؤمنون؟ وقيل: للرسول عليه الصلاة والسلام على حذف مضافٍ أي فبأي حديثٍ بعد حديثِه يؤمنون وهو أصدقُ الناس.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].

قال الفخر الرازي[2]: المراد بالحديث القرآن. قال القاضي: وهذا يقتضي وصف القرآن بأنه حديث وذلك يدل على فساد قول من يقول: إنه قديم وجوابه أنه محمول على الألفاظ وهي حادثة.

قال أبو السعود[3]: أي القرآنِ الذي عبّر عنه في صدر السورةِ بالكتاب،

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) التفسير الكبير.

(3) إرشاد العقل السليم.

وجوابُ الشرطِ محذوفٌ ثقةً بدلالة ما سبق عليه، وقرىء بأنْ المفتوحةِ أي لأن لم يؤمنوا، فإعمالُ باخعٌ بحمله على حكاية حالٍ ماضيةٍ لاستحضار الصورةِ كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ﴾ [الكهف: 18].

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان: 6].

قال الماوردي[1]: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: شراء المغنيات لرواية عن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغنِيَاتِ وَلاَ شِرَاؤُهُنَّ وَلاَ التِّجَارَةُ فِيهِنَّ وَلاَ أَثْمَانُهُنَّ وَفِيهِنَّ أنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾».

الثاني: الغناء.

الثالث: أنه الطبل، والمزمار.

الرابع: أنه الباطل.

الخامس: أنه الشرك بالله.

السادس: ما ألهى عن الله سبحانه.

السابع: أنه الجدال في الدين والخوض في الباطل.

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص تأويلاً.

ثامناً: أنه السحر والقمار والكهانة. وفيمن نزلت قولان: أحدهما: أنها نزلت في النضر بن الحارث كان يجلس بمكة فإذا قالت قريش: إن محمداً قال: كذا وكذا ضحك منه وحدثهم بحديث رستم واسفنديار ويقول لهم: إن حديثي أحسن

---

(1) النكت والعيون.

من قرآن محمد. الثاني: أنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية فشغل بها الناس عن اتباع النبي ﷺ.

قال القرطبي(1): ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ من يشتري ذا لهو أو ذات لهو؛ وهذه إحدى الآيات الثلاث التي استدلّ بها العلماء على كراهة الغناء والمنع منه. والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النّجْم: 61]. قال ابن عباس: هو الغناء الْحِمْيَرِيّة؛ اسمدي لنا؛ أي: غنّي لنا. والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: 64] قال مجاهد: الغناء والمزامير. وقد مضى في «سبحان» الكلام فيه.

وروى الترمذِيّ عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تبيعوا القَيْنَات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام، في مثل هذا أنزلت هذه الآية**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: 6]» إلى آخر الآية. سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فقال: الغناء والله الذي لا إله إلا هو؛ يرددها ثلاث مرات. وقال: الغناء ينبت النفاق في القلب؛ وقاله مجاهد، وزاد: إنّ لهو الحديث في الآية الاستماع إلى الغناء وإلى مثله من الباطل. وقال الحسن: لهو الحديث المعازِف والغناء. وقال القاسم بن محمد: الغناء باطل والباطل في النار. وقال ابن القاسم سألت مالكاً عنه فقال: قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يُونس: 32].

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزُّمَر: 23].

قال الماوردي(2): ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن، ويحتمل تسميته حديثاً وجهين:

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) النكت والعيون.

أحدهما: لأنه كلام الله، والكلام يسمى حديثاً كما سمي كلام رسول الله الرسول ﷺ حديثاً.

الثاني: لأنه حديث التنزيل بعدما تقدمه من الكتب المنزلة على من تقدم من الأنبياء. ويحتمل وصفه بأحسن الحديث وجهين: أحدهما: لفصاحته وإعجازه.

الثاني: لأنه أكمل الكتب وأكثرها إحكاماً.

قال الشعراوي(1): يقول الله تعالى: ما دُمتم ستتبعون الأحسن وتختارونه فأنا مُنزِلٌ عليكم أحسن الحديث، نعم هو أحسن الحديث لأنه كلامُ الله وكلام الله صفته، وهو كامل الكمال المطلق، وقد جعله الله مُعْجزاً، وتولى سبحانه حفظه بنفسه ولم يكل حفظه للخلق. وفي عُرْف البشر أن الإنسان لا يحفظ إلا ما كان حجة له ولا يحفظ الحجة عليه، أما الحق سبحانه فيحفظ القرآن وهو حجة عليه سبحانه لخَلْقه، فكل ما أتى في القرآن ضمن الحق سبحانه حدوثه، كما أخبرنا الله به لأنه هو منزله وهو حافظه. والمراد بأحسن الحديث القرآن الكريم.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: 78].

قال الطبري(2): لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به من أن كلّ ما أصابهم من خير أو شرّ أو ضرّ وشدة أو رخاء، فمن عند الله، لا يقدر على ذلك غيره.

قال البغوي(3): أي: لا يفقهون قولاً، وقيل: الحديث هاهنا هو القرآن أي: لا يفقهون معاني القرآن.

قال البيضاويّ(4): يوعظون به، وهو القرآن فإنهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله سبحانه وتعالى، أو حديثاً ما كبهائم لا أفهام لها أو حادثاً من صروف الزمان فيفتكرون فيه فيعملون أن القابض والباسط هو الله سبحانه وتعالى.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) جامع البيان.
(3) معالم التنزيل.
(4) أنوار التنزيل.

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 44].

قال الزمخشري[1]: أخباراً يسمر بها ويتعجب منها. الأحاديث: تكون اسم جمع للحديث. ومنه: أحاديث رسول الله ﷺ. وتكون جمعاً للأحدوثة: التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة. وهي: مما يتحدّث به الناس تلهياً وتعجباً، وهو المراد هٰهنا.

قال الطبري[2]: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للناس ومثلاً يُتَحدّث بهم، وقد يجوز أن يكون جمع حديث. وإنما قيل: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [المؤمنون: 44] لأنهم جُعلوا حديثاً ومثلاً يُتمثَّل بهم في الشرّ، ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً ولا أُحدوثة.

● قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 70].

قال أبو السعود[3]: أي: حتى أبتدىء ببيانه، وفيه إيذانٌ بأن كلَّ ما صدر عنه فله حكمةٌ وغايةٌ حميدةٌ البتةَ.

قال الفخر الرازي[4]: أي: لا تستخبرني عما تراه مني مما لا تعلم وجهه حتى أكون أنا المبتدىء لتعليمك إياه وإخبارك به.

قال الألوسي[5]: أي: حتى أبتدئك ببيانه، والغاية على ما قيل مضروبة لما يفهم من الكلام كأنه قيل أنكر بقلبك على ما أفعل حتى أبينه لك أو هي لتأبيد ترك السؤال فإنه لا ينبغي السؤال بعد البيان بالطريق الأولى، وعلى الوجهين فيها إيذان بأن كل ما يصدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة، وقيل: حتى للتعليل وليس بشيء.

---

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التفسير الكبير.
(5) روح المعاني.

● **قال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113].

قال الفخر الرازي(1): ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ ففيه وجهان. الأول: أن يكون المعنى إنا إنما أنزلنا القرآن لأجل أن يصيروا متقين أي محترزين عما لا ينبغي أو يحدث القرآن لهم ذكراً يدعوهم إلى الطاعات وفعل ما ينبغي.

قال الألوسي(2): أي عظة واعتباراً مؤدياً في الآخرة إلى الاتقاء، وكأنه لما كانت التقوى هي المطلوبة بالذات منهم أسند فعلها إليهم ولما لم يكن الذكر كذلك غير الأسلوب إلى ما سمعت كذا قيل، وقيل: المراد بالتقوى ملكتها، وأسندت إليهم لأنها ملكة نفسانية تناسب الإسناد لمن قامت به، وبالذكر العظة الحاصلة من استماع القرآن المثبطة عن المعاصي، ولما كانت أمراً يتجدد بسبب استماعه ناسب الإسناد إليه، ووصفه بالحدوث المناسب لتجدد الألفاظ المسموعة.

● **قال تعالى:** ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: 2].

قال الزمخشري(3): ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة، ليكرّر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون، فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر - التي هي أحق الحق وأجدّ الجدّ - إلا لعباً وتلهياً واستسخاراً والذكر: هو الطائفة النازلة من القرآن.

قال البيضاويّ(4): تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا.

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: 4].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.
(3) الكشاف.
(4) أنوار التنزيل.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها؟ قلت: هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان، حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال، فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات؟ وأنّ هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه. وقيل: ينطقها الله على الحقيقة. وتخبر بما عمل عليها من خير وشرّ. وروي عن رسول الله ﷺ: «**تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها**».

قال الماوردي[2]: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، قاله أبو هريرة ورواه مرفوعاً، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة. الثالث: تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها، قال ابن مسعود: فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى، وأن أمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن. وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل: أحدها: أن الله تعالى يقلبها حيواناً ناطقاً فتتكلم بذلك.

الثاني: أن الله تعالى يُحدث الكلام فيها. الثالث: يكون الكلام منها بياناً يقوم مقام الكلام.

قال الألوسي[3]: المراد: يوم إذ زلزلت زلزالها وأخرجت أثقالها وقال الإنسان ما لها تحدث الخلق ما عندها من الأخبار وذلك بأن يخلق الله تعالى فيها حياة وإدراكاً وتتكلم حقيقة فتشهد بما عمل عليها من طاعة أو معصية.

---

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) روح المعاني.

حد

(حد - حاجز - فاصل - طرف -
شاطئ - ساحل - جرف - جنب)

■ **الحَدُّ:** الطرف الذي يميز الشيء عن لصيقه، ويمنع الغير من الدخول فيه، ويجمع جميع ما يدخل فيه ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البَقَرَة: 229].

■ **الحَاجِزُ:** الطرف الفاصل بين المتخاصمين ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النَّمل: 61].

■ **الفَاصِلُ:** إبانة أحد الشيئين من الآخر ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدّخَان: 40].

■ **الطَّرفُ:** بداية الشيء ونهايته وهو ملازم له ولا ينفصل عنه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرّعد: 41].

■ **الشَّاطِئُ:** طرف الماء ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [القصص: 30].

■ **السَّاحِلُ:** اليابسة بعد الشاطئ ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39].

■ **الجَرْفُ:** ساحل الوادي الترابي ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التّوبَة: 109].

■ **الجَنْبُ:** الطرف المنيع لكل شيء وكل إنسان ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: 56].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والدّال أصلان: الأوّل: المنع، والثّاني: طرف الشّيء. فالحَدُّ: الحاجز بين الشّيئين. وفلان مَحْدُودٌ، إذا كان ممنوعاً. «وإنّه لُمحارَفٌ مَحْدُودٌ» كأنّه مُنع الرّزق. ويقال للبوّاب: حَدَّادٌ لمنعه النّاس من الدّخول. وسمّي الحَدِيدُ حَدِيداً لامتناعه وصلابته وشدّته، والاسْتِحْدَادُ: استعمال الحديد.

قال الخَليل[2]: فصل ما بين كلّ شيئين: حَدٌّ بينهما. ومنتهى كلّ شيء: حَدُّهُ. وحَدَّ السّيف واحْتَدَّ. وهو جَلْدُ حَدِيدٌ. وأحْدَدْتُه.. واسْتَحَدَّ الرّجل واحْتَدَّ حِدَةً فهو حَدِيدٌ. وحُدُودُ الله: هي الأشياء الّتي بيّنها وأمر أن لا يُتعدى فيها. والحَدُّ: حَدُّ القاذف ونحوه، ممّا يقام عليه من الجزاء بما أتاه. والحَدِيدُ: معروف، وصاحبه: الحَدَّادُ. ورجل مَحْدُودٌ: محارِف في جدّه. وحَدُّ كلّ شَيء: طرَف شَباته كحدِّ السّنان والسّيف ونحوه. والحَدُّ: الرّجل المَحْدُود عن الخير. والحَدُّ: بأسُ الرّجل ونَفاذه في نَجْدته.

قال الزّجّاج[3]: وحَدَّتِ المرأة على زوجها وأَحَدَّتْ، إذا تركت الزّينة. معنى الحَدَّادُ في اللّغة: المحاجب، وكلّ من منع شيئاً فهو حَدَّادُ.

قال الجَوهَريّ[4]: الحَدُّ: الحاجز بين الشّيئين. وحَدُّ الشّيء: منتهاه، تقول: حَدَدْتُ الدّار أحدُدُّها حَدّاً والتَّحْديدُ مثله. وفلان حَديدُ فلان: إذا كان أرضه إلى جنب أرضه. والحَدُّ: المنع، ومنه قيل للبوّاب: حَدَّادٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) معاني القرآن.
(4) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 63].

قال الزمخشري[1]: المحادة مفاعلة من الحدّ كالمشاقة من الشقّ.

قال الطبري[2]: أنه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما.

قال الألوسي[3]: من يعادي الله ورسوله، ويحتمل أن يكون من الحدّ بمعنى المنع.

● **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: 19].

قال الطبري[4]: عَضُّوكم بألسنة ذَرِبة. ويقال للرجل الخطيب الذَّرِب اللسان: خطيب مِسْلَق ومِصْلَق، وخطيب سَلاّق وصَلاّق. وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسْلُقون المؤمنين به، فقال بعضهم: ذلك سَلْقُهم إياهم عند الغنيمة، بمسألتهم القَسْمَ لهم. ذكر من قال ذلك: عن قتادة ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أما عند الغنيمة، فأشحّ قوم، وأسوأ مُقاسَمَة: أعطُونا أعطُونا، فإنا قد شِهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحقّ.

قال أبو السعود[5]: ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ وقالُوا: وفروا قسمَتنا فإنّا قد شاهدناكم وقاتلنا معكُم وبمكاننا غلبتُم عدوَّكم وبنا نُصرتم عليه، والسَّلْق: البسطُ بقهرٍ باليدِ أو باللِّسانِ.

---

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) روح المعاني.
(4) جامع البيان.
(5) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى:** ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: 22].

قال الطبري[1]: يقول: فأنت اليوم نافذ البصر، عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة، وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به، وله بهذا الأمر بصر: أي علم. وقد رُوي عن الضحاك إنه قال: معنى ذلك ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ لسان الميزان، وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه، فشبَّه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعدل به الحقّ في الوزن، ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص، فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب في الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان.

قال الماوردي[2]: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وفي المراد بالبصر هنا وجهان: أحدهما: بصيرة القلب لأنه يبصر بها من شواهد الأفكار، ونتائج الاعتبار ما تبصر العين ما قابلها من قبلها من الأشخاص والأجسام، فعلى هذا في قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾ تأويلان: أحدهما: سريع كسرعة مور الحديد. الثاني: صحيح كصحة قطع الحديد. الوجه الثاني: أن المراد به بصر العين وهو الظاهر، على هذا في قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾ تأويلان: أحدهما: شديد، الثاني: بصير، وماذا يدرك البصر؟ فيه خمسة أوجه: أحدها: يعاين الآخرة، الثاني: لسان الميزان، الثالث: ما يصير إليه من ثواب أو عقاب، الرابع: ما أمر به من طاعة وحذره من معصية، الخامس: العمل الذي كان يعمله في الدنيا.

قال البيضاويّ[3]: نافذ لزوال المانع للأبصار. وقيل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمعنى: كنت في غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن، ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون. ويؤيد الأول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) أنوار التنزيل.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187].

قال الطبري[1]: يعني تعالى ذكره بذلك هذه الأشياء التي بينتها من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهاراً في غير عذر، وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد. يقول: هذه الأشياء حددتها لكم، وأمرتكم أن تجتنبوها في الأوقات التي أمرتكم أن تجتنبوها وحرّمتها فيها عليكم، فلا تقربوها وابعدوا منها أن تركبوها، فتستحقوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدى حدودي وخالف أمري وركب معاصيّ. وكان بعض أهل التأويل يقول: حدود الله: شروطه. وذلك معنى قريب من المعنى الذي قلنا، غير أن الذي قلنا في ذلك أشبه بتأويل الكلمة، وذلك أن حدّ كل شيء ما حصره من المعاني وميز بينه وبين غيره، فقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ من ذلك، يعني به المحارم التي ميزها من الحلال المطلق فحددها بنعوتها وصفاتها وعرّفها عباده.

قال الزمخشري[2]: الأحكام التي ذكرت ﴿حُدُودُ﴾ فلا تغشوها. فإن قلت: كيف قيل: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾ مع قوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 229]؟ قلت: من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهى أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل، ثم بولغ في ذلك فنهى أن يقرب الحدّ الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل، وأن يكون في الواسطة متباعداً عن الطرف فضلاً عن أن يتخطاه، كما قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه**» فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد. ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصاً، لقوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ وهي حدود لا تقرب.

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

● **قال تعالى**: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التّوبَة: 112].

قال النسفي[1]: أوامره ونواهيه، أو معالم الشّرع.

قال أبو السعود[2]: أي: فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع عَملاً وحمْلاً للناس عليه - فلئلا يُتوهمَ اختصاصُه بأحد الوجهين.

قال البيضاويّ[3]: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي، والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال: الجامعون بين الوصفين، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ أي: فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها. وقيل إنه للإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث أن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية.

(1) مدارك التنزيل.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) أنوار التنزيل.

حديقة

(حديقة - جنة - روضة - حرث)

- **الحَدِيقَةُ:** قطعة من الأرض ذات عين ماء كحدقة العين هيئة وماء تحيطها أشجار مثمرة ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النّمل: 60].
- **الجَنَّةُ:** بستان تخفي أشجاره الأرض لكثافتها ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: 15].
- **الرَّوْضَةُ:** مستنقع الماء والخضرة ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: 15].
- **الحَرْثُ:** الأرض المعدة للبذر والحصاد ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [القَلَم: 22].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

هذه الكلمات حديقة، جنّة، روضة، حرث، زرع ونبات وردت في القرآن الكريم، أما كلمة بستان وحقل فلم تردا في القرآن ولكنهما وردتا في الأحاديث.

حديقة: هي قطعة مدوّرة من الأرض فيها عين ماء ذاتي وبعض الأشجار المثمرة، وقد سُمّيت بهذا الاسم تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وفي حصول الماء فيها. ويقال في اللغة: أحدق القوم أي: أحاطوا به تشبيهاً بإدارة الحدقة. ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: 60]، ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ [النبأ: 32]، ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: 30].

جنّة: إذا بلغت كثافة البستان حدًّا لا يبدو ولا يظهر من دخل فيه ولا تبدو الأرض فيه من أعلى وإذا دخل فيه إنسان لا يُرى لشدة كثافة الشجر يُسمّى جنّة. وأطلقت كلمة جنّة لأنها تجنّ من فيها والأرض التي تحتها بحيث لا تُرى. ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة: 265-266]، ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: 19].

الحرث: هي الأرض الواسعة التي تُعدّ للبذر وتُهيأ وتنمّق وتُعلّم بمعالم وتزرع فيها البقول وكل ما هو متسلق أو ممتد. ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117]، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: 205]، ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 78].

روضة: منطقة زراعية فيها ماء كثير وخضرة دائمة فهي روضة. وسميّت روضة لأنها تبهج النفس وتدخل السعادة عليها فالأشجار والأزهار منمّقة وتلفت النظر وتعطي شعوراً بالسعادة والبهجة للناظر إليها، وإذا دخلها إنسان بدا السرور على وجهه والسعادة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: 15]، ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: 22]، والحبور هو السرور الذي يطفح على الوجه بحيث يراه الآخرون.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والدّال والقاف أصل واحد وهو الشّيء يحيط بشيء، يقال: حَدق القوم بالرّجل وأَحْدَقُوا به. وحَدَقَةُ العين من هذا، وهي السّواد، لأنها تحيط بالصّبي ؛ والجمع: حِدَاقٌ. والتَّحْدِيقُ: شدّة النّظر. والحَدِيقَةُ: الأرض ذات الشّجَر.

قال الخَليل[2]: حَدَقَةُ العين في الظّاهر هي سواد العين، وفي الباطن: خَرزتُها ؛ وتُجمع على: حَدَق وحْدَاق أيضاً. والحَدِيقَةُ: أرض ذات شجر مُثمِر ؛ والجميع: الحَدَائِقُ. والحَدِيقَةُ من الرّياض: ما أحدق بها حاجز أو أرض مرتفعة. والتَحْدِيقُ: شدّة النّظر. وكلّ شّيء استدار بشيء فقد أَحْدَقَ به.

قال الأَزْهَري[3]: (قيل) السّواد الأعظم في العين هو الحَدَقَةُ، والأصغر هو النّاظر وفيه إنسان العَين. وإنما النّاظر كالمرآة إذا استَقبلتها رأيت فيها شخصَك. وقيل: حَدَقَ فلان الشّيء بعينه يَحْدِقُه حَدْقاً: إذا نظر إليه، وحَدَقَ إذا فتح عينه وطَرِف بها. والحُدُوقُ: المصدر. ورأيت المَيت يَحْدِقُ يَمنْةً ويَسْرةً، أي يفتح عينيه ويَنظُر.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: 60].

قال ابن عطية[1]: «الحدائق» مجتمع الشجر من الأعناب والنخيل وغير ذلك، قال قوم: لا يقال حديقة إلا لما عليه جدار قد أحدق به، وقال قوم: يقال ذلك كان جداراً أو لم يكن لأن البياض محدق بالأشجار.

قال الألوسي[2]: ﴿حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة وهي كما في «البحر» البستان سواء أحاط به جدار أم لا، وهو ظاهر إطلاق تفسير ابن عباس حيث فسر الحدائق لابن الأزرق بالبساتين ولم يقيد، وقال الزمخشري: هي البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة، وهو مروي عن الضحاك، وقال الراغب: هي قطعة من الأرض ذات ماء سميت حديقة تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها، ولعل الأظهر ما في «البحر» وكأن وجه تسمية البستان عليه حديقة أن من شأنها أن تحدق بالحيطان أو تصرف نحوها الإحداق وتنظر إليها.

قال الشعراوي[3]: نحن نعتبر الآن الحدائق الجميلة من باب الكماليات، وليس بها مُقوِّمات حياتنا. نقول: نعم هي كذلك الآن، لكن في الماضي كانوا يسمون كل أرض زراعية محوطة بسور: حديقة، أو حائط.

قال السجستاني[4]: بساتين ذات حسن، واحدها حديقة، والحديقة: كل بستان عليه حائط، وما لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) روح المعاني.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) نزهة القلوب.

حذر

(حذر - خوف - خشية - رعب - رهب - وجل - وجف - شفق)

■ **الحَذَرُ:** احتراز من مخيف ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: 9].

■ **الخَوْفُ:** توقع مكروه عن أمارة معلومة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسرَاء: 57].

■ **الخَشْيَةُ:** خوف من ذي هيبة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: 28].

■ **الرُّعْبُ:** امتلاء القلب بالخوف الشديد حتى شعر بالجبن ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عِمرَان: 151].

■ **الرَّهْبُ:** خوف من قوي منتقم يثير الاضطراب الدائم ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفَال: 60].

■ **الوَجَلُ:** استشعار الخوف في بدايته ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 35].

■ **الوَجِفُ:** الاضطراب من شدة السرعة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النَّازعَات: 8].

■ **الشَّفَقُ:** الإشفاق: عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف مما يلحقه.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والذال والراء أصلٌ واحد، وهو من التحرُّز والتيقُّظ. يقال: حَذِر يَحْذَر حَذَراً. ورَجُلٌ حَذِرٌ وحَذُورٌ وحِذْرِيانٌ: متيقّظٌ متحرّز. وحَذَارِ، بمعنى احذَرْ. قال: وقرئت: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56]، قالوا: متأهِّبون. وحَذِرُونَ خائفون. والمحْذُورة: الفزَع. فأمّا الحِذْرِيَةُ فالمكانُ الغليظ: ويمكن أنْ يكون سُمّي بذلك لأنه يُحذَر المشْيُ عليه.

قال الخليل(2): الحَذَرُ مصدر قولك: حَذِرْتُ أَحْذَرُ حَذَراً فأنا حَاذِرٌ.

وأنا حَذِيرُكَ منه، أي: أُحَذِّرُكَهُ.

وحَذَارِ من فلان، أي: احْذَر.

قال الجوهري(3): الحَذَرُ والحِذْرُ: التَحَرُّزُ. وقد حَذِرْتُ الشيءَ أَحْذَرُهُ حَذَراً. ورجل حَذِرٌ وحَذُرٌ، متيقِّظٌ مُتَحَرِّزٌ، والجمع حَذِرونَ وحَذَارَى وحَذُرونَ. والتَّحْذيرُ: التخويفُ. والحِذارُ: المُحاذَرَةُ. وقولهم: إنَّه لابنُ أَحْذارٍ، أي: لابنُ حزْمٍ وحَذرٍ. وحَذارِ، بمعنى احْذَرْ. والمَحْذُورَةُ: الفزعُ بعينه.

وقرئ: وإنَّا لجميع «حاذِرونَ» و«حَذِرونَ» و«حَذُرونَ» أيضاً بضم الدال، حكاه الأخفش. ومعنى حاذِرونَ: متأهِّبون. ومعنى حَذِرُونَ: خائفون. والحِذْرِيَةُ على فِعْلِيَةٍ: قِطعةٌ من الأرض غليظة، والجمع الحَذَارَى. ونَفَشَ الديك حِذْرِيَتَهُ، أي: عِفْرِيتَهُ. ورجلٌ حِذْرِيانٌ: شديد الفزع والحَذَرِ.

*** وقد ورد الحذر في القرآن الكريم على خمسة أوجه:**

الوجه الأول: بمعنى تحرز منه على خيفة. ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

تَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: 64].. وقال تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التّوبَة: 122].

الوجه الثاني: بمعنى أعدّ نفسه وتنبّه لما يخشاه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النّساء: 71].

﴿فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ﴾ [النِّساء: 102].

الوجه الثالث: بمعنى الخوف، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عِمرَان: 28].

الوجه الرابع: بمعنى الخشية. قال تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [البَقَرَة: 19].. أي: خشية الموت.

الوجه الخامس: بمعنى الإباء والامتناع. قال تعالى: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المَائدة: 41].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 19].

قال أبو السعود[1]: ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ أي: يحذرون حذراً مثل حذر الموت، والحَذر والحذار هو شدة الخوف، وقرىء حذارَ الموت، والموتُ زوال الحياة، وقيل عرَضٌ يُضادُّها، لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ [الملك: 2].

قال الألوسي[2]: ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ نصب على العلة لـ ﴿يَجۡعَلُونَ﴾ وإن كان من

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.

الصواعق في المعنى مفعولاً له كان هناك نوعان منصوب ومجرور، ولزوم العطف في مثله غير مسلم خلافاً لمن زعمه ولا مانع من أن يكون علة له مع علته كما أن من الصواعق علة له نفسه، وورد مجيء المفعول له معرفة وإن كان قليلاً.

● **قال تعالى**: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 64].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين، قالوا: لعلّ الله لا يفشي سرّنا فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم: استهزءوا، متهدّداً لهم متوعداً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن مجاهد ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ قال: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله أن لا يفشي سرّنا علينا.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ فإنه يعني: إن الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم، فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة.

قال ابن عطية[2]: قوله: ﴿يَحْذَرُ﴾ خبر عن حال قلوبهم، وحذرهم إنما هو أن تتلى سورة ومعتقدهم هل تنزل أم لا ليس بنص في الآية لكنه ظاهر، فإن حمل على مقتضى نفاقهم واعتقادهم أن ذلك ليس من عند الله فوجه بين، وإن قيل إنهم يعتقدون نزول ذلك من عند الله وهم ينافقون مع ذلك فهذا كفر عناد.

● **قال تعالى**: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: 9].

---

(1) جامع البيان. (2) المحرر الوجيز.

قال ابن عاشور[1]: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾، أي: يحذر عقاب الآخرة فتعين أن الرجاء أيضاً المأمولُ في الآخرة. وللخوف مزيته من زجر النفس عما لا يرضي الله، وللرجاء مزيته من حثها على ما يرضي الله وكلاهما أنيس السالكين.

قال الفخر الرازي[2]: إشارة إلى أن الإنسان عند المواظبة ينكشف له في الأول مقام القهر وهو قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ ثم بعده مقام الرحمة وهو قوله: ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ ثم يحصل أنواع المكاشفات وهو المراد بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: 9]. أنه قال في مقام الخوف ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ فما أضاف الحذر إلى نفسه، وفي مقام الرجاء أضافه إلى نفسه، وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله تعالى.

● **قال تعالى**: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ﴾ [المَائدة: 41].

قال الزمخشري[3]: ﴿فَٱحْذَرُواْۚ﴾ وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال. وروي: أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدّهما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالوا: إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن يأمركم بالرجم فلا تقبلوا، وأرسلوا الزانيين معهم، فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، فقال: «**هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له: ابن صوريا**»؟ قالوا: نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكماً. فقال له رسول الله ﷺ: «**أنشدك الله الذي لا إلٰه إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟**» رواه مسلم والبخاري.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.

قال الخازن[1]: يعني وإن لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم فاحذروا أن تقبلوه.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 235].

قال الفخر الرازي[2]: وهو تنبيه على أنه تعالى لما كان عالماً بالسر والعلانية، وجب الحذر في كل ما يفعله الإنسان في السر والعلانية.

قال الزمخشري[3]: ﴿يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ ولا تعزموا عليه.

قال أبو حيان[4]: قيل: المعنى ما في أنفسكم من هواهنّ، وقيل: من الوفاء والإخلاف، قاله ابن عباس: فاحذروه، الهاء تعود على الله تعالى، أي: فاحذروا عقابه.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 56].

قال الزمخشري[5]: وقرىء: «حذرون» و«حاذرون» و«حادرون»، بالدال غير المعجمة. فالحذر: اليقظ، والحاذر: الذي يجدّد حذره. وقيل: المؤدي في السلاح، وإنما يفعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه. والحادر: السمين القوي. أراد أنهم أقوياء أشداء. وقيل مدججون في السلاح، قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم.

قال القرطبي[6]: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ أي: مجتمع أخذنا حِذرنا وأسلحتنا. وقرىء (حَاذِرُونَ) ومعناه معنى (حَذِرُونَ) أي: فرقون خائفون. قال الجوهري:

---

(1) لباب التأويل.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) البحر المحيط.
(5) الكشاف.
(6) الجامع لأحكام القرآن.

وقرىء ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ و(حَذِرُونَ) و(حَذُرونَ) بضم الذال حكاه الأخفش؛ ومعنى (حَاذِرُون) متأهبون، ومعنى: (حَذِرُونَ) خائفون.

● **وقال تعالى:** ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: 28].

قال الزمخشري[1]: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهذا وعيد شديد. ويجوز أن يضمن (تَتَّقُوا) معنى تحذروا وتخافوا، فيعدى بمن وينتصب (تُقَة) أو تقية على المصدر، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: 102].

قال أبو السعود[2]: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أي: ذاتَه المقدسة فإن جواز إطلاقِ لفظِ النفسِ - مراداً به الذاتُ - عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين، وقد صرح بعضُ محققي المتأخرين بعدم الجواز وإن أريد به الذات بلا مشاكلة، وفيه من التهديد ما لا يخفى عُظْمُه، وذكرُ النفس للإيذان بأن له عقاباً هائلاً لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ تكرير لما سبق وإعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لإفادة ما يفيده قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] من أن تحذيرَه تعالى من رأفته بهم ورحمتِه الواسعةِ أو أن رأفته بهم لا تمنعُ تحقيقَ ما حذّرهُموه من عقابه وأن تحذيرَه ليس مبنياً على تناسي صفةِ الرأفة بل هو متحققٌ مع تحققها أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6].

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النِّساء: 71].

قال الزمخشري[3]: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ احذروا واحترزوا من العدوّ ولا تمكنوه من أنفسكم.

---

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الكشاف.

قال الشعراوي[1]: لا يقال لك: خذ حذرك إلا إذا كان هناك عدو يتربص بك؛ فكلمة: «خذ حذرك» هذه دليل على أن هذا الحذر مثل السلاح، مثلما يقولون: خذ بندقيتك خذ سيفك، خذ عصاك، فكأن هذه آلة تستعد بها في مواجهة خصومك وتحتاط لمكائدهم، ولا تنتظر إلى أن تغير عليك المكائد، بل عليك أن تجهز نفسك قبل ذلك على احتمال أن توجد غفلة منك، هذا هو معنى أخذ الحذر، ولذلك يقول الحق: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]. وهذا يعني: إياك أن تنتظر حتى يترجموا عداءهم لك إلى عدوان؛ لأنهم سيعجلونك فلا توجد عندك فرصة زمنية كي تواجههم. فلا بد لكم أيها المؤمنون من أخذ الحذر لأن لكم أعداء، وهؤلاء الأعداء هم الذين لا يحبون لمنهج السماء أن يسيطر على الأرض. فحين يسيطر منهج السماء على الأرض فلن يوجد أمام أهواء الناس فرصة للتلاعب بأقدار الناس. ومن ينتفعون بسيطرتهم وبأهوائهم على البشر فلن يجدوا لهم فرصة سيادة.

(1) تفسير الشعراوي.

حرب

(حرب - قتال - جهاد)

- **الحَرْبُ:** المنازعة بالسلاح لكف العدو وقهره ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: 64].
- **القِتَالُ:** المنازعة بين فريقين بإزالة الروح عن الجسد ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: 17].
- **الجِهَادُ:** المنازعة ببذل الجهد بكل أنواعه لإصلاح الآخر ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحَجّ: 78].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلها في معنى الجهد العسكري مع العدو، ولكل كلمة ميزة من حيث أنها ترسم زاوية دقيقة لا تتناولها كلمة أخرى وجميع هذه الكلمات ترسم الصورة الكاملة.

الحرب: تعني الجهد العسكري الذي يكون هدفه السلب والقتال من أجل الاستيلاء على ثروة الآخر أو سلاحه أو حريته. والحُرَيْب مُصغر الحرب عند العرب تعني السلب. وقد جاء ذكر الحرب في القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57] ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ

خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33] هذه الآية في قُطّاع الطرق الذين يستهدفون المارّة ليسلبوا أموالهم وممتلكاتهم، وعقاب هؤلاء أن تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف كما في الآية. أما الذين لا يسلبون الناس أموالهم فلا يدخلون في هذه الآية. ولو قال تعالى: يقاتلون بدل يحاربون لكانت الآية شملت كل من يُخيف المارّة. وكذلك قوله تعالى في آية الربا: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 279] قال تعالى بحرب ولم يقل بقتال لأنهم سلبوا ما في أيدي الناس وسيسلبهم الله تعالى أموالهم ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البَقَرَة: 276] ومال الربا هو المال الذي يفنى بسرعة والله تعالى يسلبه منهم. والحرب الإسلامية لا تكون إلا عند الاعتداء على العقيدة أو الأرض أو العِرض أو الممتلكات.

القتال: على عكس الحرب وهو ما يكون هدفه إزهاق الأنفس من العدو وقتل أكبر عدد من جنوده. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 216] ولو قال: الحرب لما استوفت الصورة حقها. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65].

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25].. ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: 20].

البأس: هي الحرب التي يكون هدفها التنكيل الكامل بالعدو كما فعل مشركو قريش بالمسلمين في أُحُد فنكّلوا بهم تنكيلاً شديداً. فالبأس إذن هو الانتقام

الشديد والتنكيل العظيم وكسر النفس. قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البَقَرة: 177] ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحَشر: 14].

الزحف: هو الجيش المتثاقل البطيء لضعفه وقلة قدرته فهو ضعيف في عدّته بطيء الحركة ليس كفؤاً لجيش العدو، والهروب في هذه الحالة من الكبائر لأن بقاء المقاتلين في الجيش ضرورة وهروبهم منه وفرارهم جريمة عظمى. فالكبيرة العظيمة في الهروب من المعركة تقتصر على أن يكون الجيش زاحفاً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

الغزو: عندما تخرج أنت لأرض العدو. إذا كنت في أرضك فأنت مدافع مقاتل ولكن عندما تضطر لنقل المعركة إلى العدو يُسمّى هذا غزواً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: 156].

النفير: جيش النجدة. إذا كان الجيش يقاتل عدواً ويتضعضع يُرسل بطلب النجدة وهذا الذي يأتي للنجدة يأتي مسرعاً بدون قواعد ويصبح فرضاً على النساء والأطفال والشيوخ. قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التّوبَة: 41] خفافاً أي: الجيش المقاتل وثقالاً: هم النساء والأطفال والشيوخ الكبار. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 71] والنفرة مأخوذة من سرعة الهجوم ولهذا سُمّي الخروج من عرفة إلى المزدلفة نفرة فالحجيج ينتظرون غروب الشمس فينطلقون بنفس واحد إلى المزدلفة. والنفير على خلاف الزحف. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ

﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]
وقال الرسول ﷺ: «**إذا استنفرتم فانفروا**».

البغي: هو الحرب غير المشروعة والتي ليس لها سبب. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: 39] ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يُونس: 23].

الجهاد: يشمل كل ما سبق. وكل ما يشتغل بالجهد العسكري حتى يشمل من يُصلح الدبابات ومن يخلف جندياً في أهله أو يشارك في المال أو السلاح أو الدعاء. والجهاد أعمّ من كل ما سبق وكل من هو متجحفل مع الجيش يسمى مجاهداً. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 16] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 24] و﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 110] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والراء والباء أصولٌ ثلاثة: أحدها السَّلْب، والآخر دويْبَة، والثالث بعضُ المجالس. فالأوَّل: الحَرْب، واشتقاقها من الحَرَب وهو السَّلْب. يقال: حَرَبْتُه مالَه، وقد حُرِب مالَه، أي: سُلِبَه، حَرَباً.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والحَرِيبُ المَحْرُوبُ. ورجل مِحْرَابٌ: شجاعٌ قَؤُومٌ بأمر الحَرْبِ مباشرٌ لها.

وحَرِيبَةُ الرَّجُل: مالُه الذي يعيش به، فإذا سُلِبَه لم يَقُمْ بعده.

ويقال أَسَدٌ حَرِبٌ، أي: من شدّة غضبِه كأنّه حُرِب شيئاً أي: سُلِبه.

وكذلك الرجل الحَرِب. وأما الدويْبَة [فـ] الحِرباء. يقال: أرضٌ مُحَرْبِئَةٌ: إذا كثُر حِرباؤها. وبها شبِّه الحِرْبَاءُ، وهي مسامير الدُّروع.

قال الخَليل[1]: الحَرْبُ: نقيض السِّلْمُ، تُؤنّث؛ وتصغيرها: حُرَيْبٌ، رواية عن العرب، ومثلها ذُرَيعٌ وفُرَيْسٌ وقُرَيْسٌ أُنثى، ونُيَيْب، يعني النّاقة - وذُوَيْد وقَدَيْر وخلَق، يقال: مِلحَفةٌ خُلَيق، كلّ ذلك تأنيث يُصغّر بغير الهاء. ورجل مِحْربٌ: شجاع. وفلان حَرْب فلان، أي: يحاربه. ودار الحَرْبِ: بلاد المشتركين الذّين لا صُلحَ بينهم وبين المسلمين.

قال الأزهَريّ[2]: أنّثوا «الحَرْب» لأنّهم ذهبوا إلى المحارَبة، وكذلك السَّلَم يذهب بهما إلى المسالمة، فتؤنّث. محروب: حُرِب دينه، أي: سُلِب دينه، يعني قوله: «**فإن المَحْروب من حُرِب دينَه**». وقيل: سمّي محراب الإمام محراباً، لأنّ الإمام إذا قام فيه لم يأمن أن يَلحَن أو يُخطىء فهو خائف مكاناً، كأنّه مأوى الأسد.

الحرب في القرآن:

الحرب: المقاتلة والمنازعة مؤنثة، تقول: وقعت الحرب وقامت الحرب على ساق، وقد تذكر، ودار الحرب بلاد الأعداء، وأهلها حربون.

والمحراب: جمعه محاريب يطلق على معانٍ:

(أ) - صدر المجلس أو أكرم موضع فيه.

(ب) - الغرفة التي في مقدمة المعبد.

(ت) - القصر.

---

(1) العين. (2) تهذيب اللغة.

(ث) - الموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد عن أعين الناس.

* **وقد وردت كلمة الحرب في القرآن على خمسة أوجه:**

الوجه الأول: بمعنى المنازلة. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 279].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: 33].

سمى الله تعالى قطع الطريق، بالقتل السلب لمحاربة الله ورسوله، لمنازعة ومخالفة أمره.

الوجه الثاني: بمعنى القتال. قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: 64]. . أي: أوقدوا ناراً للقتال. وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾ [الأنفَال: 57].

الوجه الثالث: بمعنى الكفر. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محَمَّد: 4] أي الكافر الحربي.

الوجه الرابع: بمعنى الحجرة في مقدمة المعبد. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عِمرَان: 37].

الوجه الخامس: بمعنى القصر والمسجد. قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سَبَإ: 13]. . فسرت المحاريب بالقصور والمساجد يتعبد فيها.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 279].

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: هلا قيل بحرب الله ورسوله؟ قلت: كان هذا أبلغ، لأن المعنى: فأذنوا بنوع من الحرب عظيم عند الله ورسوله. وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يديْ لنا بحرب الله ورسوله.

قال أبو السعود[2]: أي: ما أُمرتم به من الاتقاء وتركِ البقايا إما مع إنكار حُرمتِه وإما مع الاعتراف بها ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 279] أي: فاعلَموا بها من أذِن بالشيء إذا علِمَ به، أما على الأول فكَحربِ المرتدين وأما على الثاني فكحرب البغاة.

● قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمَّد: 4].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بيَّنت لكم، حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها، المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها، وقيل: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها. وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. عن مجاهد، قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال: حتى يخرج عيسى ابن مريم، فيسلم كلّ يهوديّ ونصرانيّ وصاحب ملة،

---

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.

وتأمن الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جِراباً، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دماً إذا وضعها.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المَائدة: 33].

قال الطبري(1): وهذا بيان من الله عزّ ذكره عن حكم الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أعلم عباده ما الذي يستحقّ المفسد في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض، خزياً لهم وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم. ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية. فقال بعضهم: نزلت في قوم من أهل الكتاب، كانوا أهل موادعة لرسول الله ﷺ، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض، فعرّف الله نبيه ﷺ الحكم فيهم.

وأولى الأقوال في ذلك عندي أن يقال: أنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ معرفه حكمه على من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، بعد الذي كان من فعل رسول الله ﷺ بالعرنيين ما فعل.

فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن تكون الآية نزلت في الحال التي ذكرت من حال نقض كافر من بني إسرائيل عهده، ومن قولك إن حكم هذه الآية حكم من الله في أهل الإسلام دون أهل الحرب من المشركين؟ قيل: جاز أن يكون

(1) جامع البيان.

ذلك كذلك، لأن حكم من حارب الله ورسوله وسَعَى في الأرض فساداً من أهل ذمتنا وملتنا واحد، والذين عُنُوا بالآية كانوا أهل عهد وذمة، وإن كان داخلاً في حكمها كل ذمي وملي، وليس يبطل بدخول من دخل في حكم الآية من الناس أن يكون صحيحاً نزولها فيمن نزلت فيه.

قال أبو السعود[1]: كلامٌ مستأنفٌ سيق لبيان حكمِ نوع من أنواع القتلِ وما يتعلق به من الفساد بأخذ المالِ ونظائرِه وتعيينِ موجبِه العاجلِ والآجلِ إثرَ بيانِ عظمِ شأن القتلِ بغير حق، وأُدرج فيه بيانُ ما أشير إليه إجمالاً من الفساد المبيحِ للقتل، قيل: أي يحاربون رسولَه، وذكرُ الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محلّه عنده عز وجل ومحاربةُ أهلِ شريعتِه وسالكي طريقتِه من المسلمين محاربةٌ له عليه السلام فيعم الحكمُ من يحاربهم ولو بعد أعصارٍ بطريق العبارة دون الدِلالةِ والقياس، لأن ورود النصِّ ليس بطريق خطابِ المشافهةِ حتى يختصَّ حكمُه بالمكلفين عند النزول فيُحتاجَ في تعميمه لغيرهم إلى دليل آخرَ، وقيل: جعلُ محاربة المسلمين محاربةً لله تعالى ورسولِه تعظيماً لهم والمعنى يحاربون أولياءَهما، وأصل الحربِ السلْب والمرادُ هٰهنا قطعُ الطريق، وقيل: المكابرة بطريق اللصوصية وإن كانت في مِصْرٍ.

●**قال تعالى**: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عِمرَان: 37].

قال الزمخشري[2]: قيل: بنى لها زكريا محراباً في المسجد، أي: غرفة يصعد إليها بسلم. وقيل: المحراب أشرف المجالس ومقدّمها، كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس. وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب.

قال الفخر الرازي[3]: ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ الموضع العالي الشريف، واحتج

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

الأصمعي على أن المحراب هو الغرفة بقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [صٓ: 21] والتسور لا يكون إلا من علو، وقيل: المحراب أشرف المجالس وأرفعها، يروى أنها لما صارت شابة بنى زكريا عليه السلام لها غرفة في المسجد، وجعل بابها في وسطه لا يصعد إليه إلا بسلم، وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب.

● **قال تعالى:** ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سَبَإ: 13].

قال الزمخشري(1): المحاريب: المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال: سميت محاريب لأنه يحامي عليها ويذب عنها. وقيل: هي المساجد.

قال القرطبي(2): المحراب في اللغة: كل موضع مرتفع. وقيل للذي يصلَّى فيه: محراب؛ لأنه يجب أن يرفع ويعظّم. وقال الضحاك: «مِنْ مَحَارِيبَ» أي: من مساجد. وكذا قال قتادة. وقال مجاهد: المحاريب دون القصور. وقيل: هو ما يرقى إليه بالدرج كالغرفة الحسنة؛ كما قال: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [صٓ: 21] وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [مريَم: 11] أي: أشرف عليهم. وفي الخبر: أنه أمر أن يعمل حول كرسيّه ألف محراب فيها ألف رجل عليهم المسوح يَصْرخون إلى الله دائباً، وهو على الكرسي في موكِبه والمحاريب حوله، ويقول لجنوده إذا ركب: سبّحوا الله إلى ذلك العَلَم، فإذا بلغوه قال: هلّلوه إلى ذلك العَلَم، فإذا بلغوه قال: كبّروه إلى ذلك العَلَم الآخر، فتَلِجّ الجنود بالتسبيح والتهليل لَجّةً واحدة.

(1) الكشاف.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

حرث

(حرث - حديقة - روضة - جنة)

■ **الحَرْثُ:** الأرض المعدة للبذر والحصاد ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [القَلَم: 22].

■ **الحَدِيقَةُ:** قطعة من الأرض ذات عين ماء كحدقة العين هيئة وماء تحيطها أشجار مثمرة ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النَّمل: 60].

■ **الرَّوْضَةُ:** مستنقع الماء والخضرة ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: 15].

■ **الجَنَّةُ:** بستان تخفي أشجاره الأرض لكثافتها ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: 15].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والرّاء والثّاء أصلان متفاوتان: أحدهما: الجمع والكسب، والآخر: أن يُهزَل الشّيء. فالأول الحَرث، وهو الكسب والجمع؛ وبه سمّي الرّجل حَارِثاً.

قال الخَليل[2]: الاحترات من الزّرع، ومن كَسب المال. والإحْرَاثُ: هَزْلُ الخيل، يقال: أَحْرَثْنا الخيل؛ وحَرَثْنَاهَا: لغة. والمِحْرَاثُ: من الحديد كهيئة المِسْحاة، تُحرّك بها النّار، ومِحْراثُ الحَرْب: ما يهيّجها. والحَرْثُ: قَذْفُك الحَبّ في الأرض.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال ابن دُرَيْد[1]: والحَرْث: حَرَثَ الزّرع، حَرَثَ يَحْرُثُ حَرْثاً وحِرَاثَةً.

قال الجَوهَرّي[2]: الحَرْثُ: كسب المال وجمعه، وفي الحديث: «**احرُث لدنياك كأنّك تعيش أبداً**». وأبو الحَارِثِ: كنية الأسد. والحَارِثُ: قُلّة من قُلَلِ الجَولان، وهو جبل بالشّام. والحَرْثُ: الزّرع، والحَرَّاثُ: الزَّرَّاعُ، وقد حَرَثَ واحْتَرَثَ، مثل زرَع وازدَرع. ويقال: «**احْرُثِ القرآن**» أي ادْرُسْه. وحَرَثْتُ النّاقة وأحْرَثْتَها، أي: سرت عليها حتّى هُزِلت.

*** ورد الحرث في القرآن على أربعة أوجه:**

الوجه الأول: بمعنى: بذر الحبوب: قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [**الواقعة: 63-64**]. . أي: تبذرون حبه وتعملون في أرضه.

الوجه الثاني: بمعنى: الزرع قائماً كان أو حصيداً: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [البَقَرَة: **71**]. . أي: الزرع قائماً. وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عِمرَان: **117**].

الوجه الثالث: منبت الولد: قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: **223**]. . مجاز على التشبيه بالمحاريث، فشبهت النطفة التي تلقى في أرحامهن للاستيلاد بالبذور التي تلقى في المحارث للاستنبات، وقيل الحرث على الزوجة لأنها مكان غرس الأبناء.

الوجه الرابع: الثواب، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشّورى: **20**]. . أريد به ثواب الآخرة.

---

(1) الجمهرة.
(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ [الواقعة: 63-64]

قال الفخر الرازي(1): الفرق بين الحرث والزرع هو أن الحرث أوائل الزرع ومقدماته من كراب الأرض، وإلقاء البذر، وسقي المبذور، والزرع هو آخر الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوائه على الساق، فقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي: ما تبتدئون منه من الأعمال أأنتم تبلغونها المقصود أم الله؟ ولا يشك أحد في أن إيجاد الحب في السنبلة ليس بفعل الناس، وليس بفعلهم إن كان سوى إلقاء البذر والسقي.

قال الماوردي(2): أضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله وينبت على اختياره لا على اختيارهم، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ: «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُم زَرَعْتُ وَلَكِن لِيَقُلْ حَرَثْتُ**».

● **قال تعالى:** ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223].

قال الطبري(3): يعني تعالى ذكره بذلك: نساؤكم مزدرع أولادكم، فأتوا مزدرعكم كيف شئتم، وأين شئتم. وإنما عنى بالحرث وهو الزرع المحتدث والمزدَرَع، ولكنهن لما كنّ من أسباب الحرث جعلن حرثاً، إذ كان مفهوماً معنى الكلام.

(1) التفسير الكبير.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: مزرع ومنبت للولد، وهذا على سبيل التشبيه، ففرج المرأة كالأرض، والنطفة كالبذر، والولد كالنبات الخارج، والحرث مصدر، ولهذا وحد الحرث فكان المعنى نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون للولد، فحذف المضاف، وأيضاً قد يسمى موضع الشيء باسم الشيء على سبيل المبالغة. ويقال: هذا أمر الله، أي: مأموره، وهذا شهوة فلان، أي: مشتهاه، فكذلك حرث الرجل محرثة.

● **قال تعالى**: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117].

قال الفخر الرازي[2]: وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب بالكلية ولا يحصل منه منفعة لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب بالكلية لأنه وإن كان يذهب صورة فلا يذهب معنى، لأن الله تعالى يزيد في ثوابه لأجل وصول تلك الأحزان إليه.

قال الشعراوي[3]: ولماذا تصيب الريح حرث قوم ظلموا أنفسهم، وهل لا تصيب الريح حرث قوم لم يظلموا أنفسهم؟ إن الذين ظلموا أنفسهم تنزل بهم هذه الكارثة كعقوبة، مثلهم في ذلك مثل أصحاب الجنة الذين يقول فيهم الحق سبحانه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: 17-20].

لقد جزاهم الله بظلمهم، ولكن ألا نرى رجلاً لم يظلم نفسه وتصيب زراعته كارثة؟ إننا نرى ذلك في الحياة، والرجل الذي لم يظلم نفسه وتصيب زراعته كارثة، ويصبر على كارثته، يأخذ الجزاء والثواب من الله، ولعل الله قد أهلك بها مالاً كانت الغفلة قد أدخلته في ماله من طريق غير مشروع.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير الشعراوي.

هكذا تكون الكارثة بالنسبة للمؤمن لها ثواب وجزاء، أو تكون تطهيراً للمال. أما الذي ينفق على غير نية الله وهو كافر، فلا ثواب له.

● **قال تعالى:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشّورى: 20].

قال ابن عطية[1]: والحرث في هذه الآية: عبارة عن السعي والتكسب والإعداد. ولما كان حرث الأرض أصلاً من أصول المكاسب استعير لكل متكسب، ومنه قول ابن عمر: احرث دنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. وقوله تعالى: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ وعد منتجز. وقوله في: ﴿حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ معناه: ما شئنا ولمن شئنا، فرب ممتحن مضيق عليه حريص على حرث الدنيا مريد له لا يحس بغيره، نعوذ بالله من ذلك، وهذا الذي لا يعقل غير الدنيا هو الذي نفى أن يكون له نصيب في الآخرة.

قال القشيري[2]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ نَزِدْه - اليومَ - في الطاعات توفيقاً، وفي المعارف وصفاء الحالات تحقيقاً. ونَزِدْه في الآخرة ثواباً واقتراباً وفنونَ نجاةٍ وصنوفَ درجاتٍ. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ : مكتفياً به نؤتِه منها ما يريد، وليس له في الآخرةِ نصيب.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البَقَرَة: 205].

قال الفخر الرازي[3]: من قال سبب نزول الآية أن الأخنس مر بزرع للمسلمين فأحرق الزرع وقتل الحمر قال: المراد بالحرث الزرع، وبالنسل تلك الحمر، والحرث هو ما يكون منه الزرع، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: 63] وهو يقع على كل ما يحرث ويزرع من أصناف النبات، وقيل: إن الحرث هو

(1) المحرر الوجيز.
(2) لطائف الإشارات.
(3) التفسير الكبير.

شق الأرض، ويقال لما يشق به: محرث، وأما النسل فهو على هذا التفسير نسل الدواب، والنسل في اللغة: الولد، واشتقاقه يحتمل أن يكون من قولهم: نسل ينسله إذا خرج فسقط، ومنه نسل ريش الطائر، ووبر البعير، وشعر الحمار، إذا خرج فسقط، والقطعة منها إذا سقطت نسالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يسٓ: 51] أي: يسرعون، لأنه أسرع الخروج بحدة، والنسل الولد لخروجه من ظهر الأب وبطن الأم وسقوطه، والناس نسل آدم، وأصل الحرف من النسول وهو الخروج، وأما من قال: إن سبب نزول الآية: أن الأخنس بيت على قوم ثقيف وقتل منهم جمعاً، فالمراد بالحرث: إما النسوان لقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 223] أو الرجال وهو قول قوم من المفسرين الذين فسروا الحرث بشق الأرض، إذ الرجال هم الذين يشقون أرض التوليد، وأما النسل فالمراد منه الصبيان.

قال الشعراوي(1): والحرث له معنيان: فمرة يُطلق على الزرع، ومرة يُطلق على النساء، المعنى الأول ورد في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ . . .﴾ [الأنبياء: 78]. فالحرث في الآية معناه: الزرع، والزرع ناتج عن إثارة الأرض وإهاجتها. وعملك يا أيها الإنسان أن تهيج الأرض وتثيرها، وتأتي بالبذر الذي خلقه الله في الأرض التي خلقها الله، وتسقيها بالماء الذي خلقه الله، وتكبر في الهواء الذي خلقه الله، ولذلك يلفتنا وينبهنا الحق - سبحانه - فيقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: 63-64].

والمعنى الثاني: يُطلق الحرث على المرأة في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾. وإذا كان حرث الزرع هدفه إيجاد النبات فكذلك المرأة حتى تلد الأولاد. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البَقَرَة: 223]. وأراد المتحللون الإباحيون أن يُطلقوا إتيان المرأة في جميع جسدها، ونقول لهم: لاحظوا قوله:

(1) تفسير الشعراوي.

﴿حَرْثَكُمْ﴾ والحرث محل الإنبات، فالإتيان يكون في محل الإنبات فقط، لا تفهمها تعميماً وإنما هي تخصيص. ويتابع الحق وصف الذي يقول القول الحسن، ولكن يسعى في الأرض بالفساد فيقول: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البَقَرَة: 205]. والنسل هو الأنجال والذرية.

حرج

(حرج - ضيق - ضير - تثريب)

■ **الحَرَجُ:** الضيق الشديد عند ملتقى إرادتين مختلفتين ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجّ: 78].

■ **الضِّيقُ:** عدم توفر السعة في تحقيق المراد ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبَة: 25].

■ **الضَّيْرُ:** توقع الضرر الشديد المحتمل ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 50].

■ **التَّثْرِيبُ:** اللوم الشديد على خطأ فادح ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسُف: 92].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والرّاء والجيم أصل واحد، وهو معظم الباب، وإليه مرجع فروعه؛ وذلك تجَمّع الشّيء وضيقه. فمنه الحَرَج جمع حَرَجَة، وهي مجتمع شجر، ويقال في الجمع: حَرَجَاتٍ. ويقال: حِرَاجٌ أيضاً.

قال الخَليل[2]: الحَرَجُ: المأثَم، والحَارِجُ: الآثم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأزهَرّي[1]: قيل: أَحْرَجْتُ فلاناً، أي: ألجأتُه إلى مضيق، وكذلك أجْحَرْتَه، وأَجْرَذتهُ بمعنى واحد.

قال الجَوهَرّي[2]: مكانٌ حَرَجٌ وحَرِجٌ، أي: ضيّق كثير الشّجر، لا تصل إليه الرّاعية.

قال الرّاغِب[3]: أصل الحَرَجِ والحَرَاجِ: مجتمع الشّيء وتُصور منه ضيق ما بينهما، فقيل للضيّق: حرَجٌ، وللإثم: حرَجٌ. والمُنْحَرِجُ والمُنْحوِبُ: المُتَجَنّبُ من الحَرَجِ والحَوَبِ.

وقد ورد الحرج في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: بمعنى الشك.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ [النّساء: 65]. . أي: شكاً.

الوجه الثاني: بمعنى الضيق:

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المَائدة: 6].

يعني من ضيق في أمر دينكم. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78] يعني من ضيق.

الوجه الثالث: بمعنى الاثم:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التّوبَة: 91]. .

أي: لا إثم عليهم في التخلف عن الغزو. وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ [النُّور: 61].

(1) تهذيب اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].

قال الفخر الرازي[1]: قالت المعتزلة: دلت الآية على أن تكليف ما لا يطاق لا يوجد لأنه تعالى أخبر أنه ما جعل عليكم في الدين من حرج، ومعلوم أن تكليف ما لا يطاق أشد أنواع الحرج. قال أصحابنا: لما كان خلاف المعلوم محال الوقوع فقد لزمكم ما ألزمتموه علينا. اعلم أن هذه الآية أصل كبير معتبر في الشرع، وهو أن الأصل في المضار أن لا تكون مشروعة، ويدل عليه هذه الآية فإنه تعالى قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78] ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] ويدل عليه من الأحاديث قوله عليه السلام: «**لا ضرر ولا ضرار في الإسلام**» ويدل عليه أيضاً أن دفع الضرر مستحسن في العقول فوجب أن يكون الأمر كذلك في الشرع لقوله عليه السلام: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**» وأما بيان أن الأصل في المنافع الإباحة فوجوه: أحدها: قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]. وثانيها: قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: 4].

● قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78].

قال الطبري[2]: وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجاً،

(1) التفسير الكبير. (2) جامع البيان.

والكفَّارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج.

قال ابن عطية[1]: معناه من تضييق يريد في شرعة الملة، وذلك أنها حنيفية سمحة ليست كشدائد بني إسرائيل وغيرهم بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما كثر عده، والحرجة الشجر الملتف المتضايق، ورفع الحرج لجمهور هذه الأمة ولمن استقام على منهاج الشرع، وأما السلابة والسرّاق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين، وليس في الشرع أعظم حرجاً من إلزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج.

● **قال تعالى**: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [**الأعراف: 2**].

قال الطبري[2]: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فلا يضق صدرك يا محمد من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه، ولا تشكّ في أنه من عندي، واصبر بالمضي لأمر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحَمَّلك من عبء أثقال النبوة، كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن الله معك. والحرج: هو الضيق في كلام العرب، وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته في قوله: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [**الأنعام: 125**] بما أغنى عن إعادته.

قال القرطبي[3]: ﴿حَرَجٌ﴾ أي: ضِيق؛ أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ؛ لأنه رُوي عنه عليه السلام أنه قال: «**إني أخاف أن يَثْلغُوا رأسي فيدعوه خبزَة**» الحديث. خرّجه مسلم. قال إلكِيا: فظاهره النهي، ومعناه نفي الحرج عنه؛ أي لا يضيق صدرك ألاّ يؤمنوا به، فإنما عليك البلاغ، وليس عليك سوى الإنذار به من شيء

(1) المحرر الوجيز.
(2) جامع البيان.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

من إيمانهم أو كفرهم، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: 6] الآية. وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 3]. ومذهب مجاهد وقتادة أن الحرَج هنا الشك، وليس هذا شك الكفر إنما هو شك الضيق. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحِجر: 97]. وقيل: الخطاب للنبيّ ﷺ والمراد أمّته. وفيه بعدٌ. والهاء في «مِنْهُ» للقرآن. وقيل للإنذار؛ أي: أنزل إليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه. فالكلام فيه تقديم وتأخير. وقيل للتكذيب الذي يعطيه قوّة الكلام. أي: فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين له.

● **قال تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النُّور: 61].

قال القرطبي[1]: اختلف العلماء في تأويل هذه الآية على أقوال ثمانية. أقربها هل هي منسوخة أو ناسخة أو مُحْكَمة؛ فهذه ثلاثة أقوال: الأوّل: أنها منسوخة من قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النُّور: 61] إلى آخر الآية؛ قاله عبد الرحمٰن بن زيد، قال: هذا شيء قد انقطع، كانوا في أوّل الإسلام ليس على أبوابهم أغلاق، وكانت الستور مرخاة، فربما جاء الرجل فدخل البيت وهو جائع وليس فيه أحد؛ فسوّغ الله عز وجل أن يأكل منه، ثم صارت الأغلاق على البيوت فلا يحلّ لأحد أن يفتحها، فذهب هذا وانقطع. قال الرسول ﷺ: «**لا يَحْتَلِبَنّ أحدٌ ماشيةَ أحدٍ إلا بإذنه...**» الحديث. خرّجه الأئمة. الثاني: أنها ناسخة؛ قاله جماعة.

روى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لما أنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: 29] قال المسلمون: إن الله عز وجل قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأن الطعام من أفضل

(1) الجامع لأحكام القرآن.

الأموال، فلا يحلّ لأحد منّا أن يأكل عند أحد، فكفّ الناس عن ذلك؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ - إلى - أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾. قال: هو الرجل يوكّل الرجل بضيعته. قلت: عليّ بن أبي طلحة هذا هو مولى بني هاشم سكن الشام، يُكْنَى أبا الحسن ويقال أبا محمد، واسم أبيه أبي طلحة سالمٌ، تُكلِّم في تفسيره؛ فقيل: إنه لم ير ابن عباس، والله أعلم. الثالث: أنها محكمة؛ قاله جماعة من أهل العلم ممن يُقْتَدى بقولهم؛ منهم سعيد بن المسيِّب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. وروى الزُّهْرِيّ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان المسلمون يُوعِبُون في النَّفِير مع رسول الله ﷺ، فكانوا يدفعون مفاتيحهم إلى ضَمْناهم ويقولون: إن احتجتم فكُلُوا؛ فكانوا يقولون إنما أحلُّوه لنا عن غير طِيب نَفْس؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾ إلى آخر الآية. قال النحاس: «يُوعِبون» أي: يخرجون بأجمعهم في المغازِي؛ يقال: أوْعَب بنو فلان لبني فلان إذا جاؤوهم بأجمعهم. وقال ابن السكِّيت: يقال أوْعب بنو فلان جلاءً؛ فلم يبق ببلدهم منهم أحد. وجاء الفرسُ برَكْضٍ وَعِيب؛ أي: بأقصى ما عنده. وفي الحديث: «**في الأنف إذا استوعِب جَدْعُه الدِّيَةُ**» إذا لم يترك منه شيء. واستيعاب الشيء استئصاله. ويقال: بَيْتٌ وَعِيبٌ إذا كان واسعاً يَسْتَوْعِب كلّ ما جُعل فيه. والضَّمْنَى هم الزَّمْنَى، واحدهم ضَمِن مثل زَمِن.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

قال الفخر الرازي(1): واعلم أن الراضي بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام قد يكون راضياً به في الظاهر دون القلب فبين في هذه الآية أنه لا بد من حصول

(1) التفسير الكبير.

الرضا به في القلب، واعلم أن ميل القلب ونفرته شيء خارج عن وسع البشر، فليس المراد من الآية ذلك، بل المراد منه أن يحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به الرسول هو الحق والصدق. قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ واعلم أن من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقاً وصدقاً قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد أو يتوقف في ذلك القبول، فبين تعالى أنه كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب.

فلا بد أيضاً من التسليم معه في الظاهر، فقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ المراد به الانقياد في الباطن، وقوله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ المراد منه الانقياد في الظاهر والله أعلم. دلت الآية على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الخطأ في الفتوى وفي الأحكام، لأنه تعالى أوجب الانقياد لحكمهم وبالغ في ذلك الإيجاب وبين أنه لا بد من حصول ذلك الانقياد في الظاهر وفي القلب، وذلك ينفي صدور الخطأ عنهم، فهذا يدل على أن قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التّوبَة: 43] وأن فتواه في أسارى بدر، وأن قوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التّحْريم: 1] وأن قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عَبَسَ: 1] كل ذلك محمول على الوجوه التي لخصناها في هذا الكتاب.

قال ابن عطية(1): الضّيق والتكلف، والمشقة.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا. . .﴾ [الأنعام: 125].

قال الخازن(2): قال أهل المعاني: لما كان القلب محلاً للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فقبل ما أودعه من الإيمان بالله ورسوله، ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح، فدل ذلك على أن الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي

---

(1) المحرر الوجيز. (2) لباب التأويل.

علماً ولا استدلالاً على توحيد الله تعالى والإيمان به وفي الآية دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله وإرادته حتى إيمان المؤمن وكفر الكافر.

قال القرطبي[1]: وهذا ردّ على القدرية. ونظير هذه الآية من السُّنَّة قوله ﷺ: «**مَنْ يُرِد الله به خيراً يفقهه في الدِّين**» أخرجه الصحيحان. ولا يكون ذلك إلا بشرح الصدر وتنويره. والدين العبادات؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: 19]. ودليل خطابه أن مَن لم يُرد الله به خيراً ضيّق صدره، وأبعد فهمه فلم يفقهه. والله أعلم. وروي «أن عبد الله بن مسعود قال: يا رسول الله، وهل ينشرح الصدر؟ فقال: «**نعم يدخل القلبَ نورٌ**» فقال: وهل لذلك من علامة؟ فقال الرسول ﷺ: «**التَّجَافِي عن دار الغُرورِ والإنابةُ إلى دار الخلود والاستعدادُ للموت قبل نزول الموت**».

(1) الجامع لأحكام القرآن.

حرد

(حرد - بسل - حرمان - عضل)

■ **الحَرْدُ:** المنع من شدة الغضب ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ﴾ [القَلَم: 25].

■ **البَسْلُ:** والإبسال: الحرمان من الخير العام عقوبة ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ۖ﴾ [الأنعَام: 70].

■ **الحِرْمَانُ:** المنع مما هو مثير للجميع ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذّاريَات: 19].

■ **العَضْلُ:** استعمال صاحب النفوذ نفوذه لمنع صاحب الحق من حقه ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 232].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والرّاء والدّال أُصول ثلاثة: القَصْد، والغضب، والتنّحي. فالأول: القَصْد. يقال: حَرَدَ حَرْدَه، وأي: قصَد قَصْده. ومن هذا الباب الحُرُود: مَباعر الإبل؛ واحدها: حِرْدٌ. والثّاني: الغضب. يقال: حَرِد الرّجل: غضِبَ، حَرْداً، بسكون الرّاء. ويقال: أسدٌ حَارِدٌ. والثّالث: التَنحّي، والعُدول. يقال: نزل فلانٌ حريداً، أي: متنحيًّا. وكوكب حَرِيدٌ.

قال الخَليل[2]: الحَرَد مصدر الأحرَدُ: الّذي إذا مشى رفع قوائمه رفعاً شديداً

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ويضعها مكانها، من شدّة قَطافته، في الدّوابّ وغيرها. وحَرِدَ الرّجل فهو أَحْرَدُ، إذا ثَقُلَت عليه دِرْعَه فلم يستطع الانبساط في المشي.

قال الجَوهَرّي(1): حرَد يَحرِد بالكسر حَرْداً: قَصَد، تقول: «حرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قصَدت قَصْدك. والحَرُودُ من النُوق: القليلة الدَّرِّ.

قال الرّاغِب(2): الحَرْد: المنع عن حدّة وغضَب، ونزل فلان حَريداً، أي: مُتَمَنّعاً عن مخالطة القوم، وهو حَرِيدُ المحلّ وحَارَدَتِ السّنة: منعت قطرها، والنّاقة: منعَت دَرّها. وحَرِدَ: غضِبَ، وحَرَّدَهُ: كذا. وبعير أحْرَدُ: في إحدى يَدَيْه حَرَدٌ. والحُرْدِيَّةُ: حَظيرة من قصَب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القَلَم: 25].

قال الزمخشري(3): الحرد: من حردت السنة إذا منعت خيرها؛ وحردت الإبل إذا منعت درّها. والمعنى: وغدوا قادرين على نكد، لا غير عاجزين عن النفع، يعني أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم، فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان، وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة. أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين، بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها، أي: غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع، أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم: عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها، فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) الكشاف.

و﴿قَدِرِينَ﴾ من عكس الكلام للتهكم، أي: قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين، وعلى حرد ليس بصلة قادرين، وقيل: الحرد بمعنى الحرد. وقرىء: «على حرد»، أي: لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض، كقوله تعالى: ﴿يَتَلَوَمُونَ﴾ [القلم: 30] وقيل: الحرد القصد والسرعة؛ يقال: حردت حردك.

قال الطبري(1): واختلف أهل التأويل في معنى الحرْد في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: على قُدْرة في أنفسهم وجدّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وغدوا على أمرهم قد أجمعوا عليه بينهم، واستسرّوه، وأسرّوه في أنفسهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وغدوا على فاقة وحاجة. عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِرِينَ﴾ قال: على فاقة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: على حنق. وقال على غضب. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يتأوّل ذلك: وغدوا على منع. ويوجهه إلى أنه مِن قولهم: حاردَتِ السنة إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن.

وهذا قول لا نعلم له قائلاً من متقدّمي العلم قاله وإن كان له وجه، فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز عندنا أن يتعدّى ما أجمعت عليه الحجة، فما صحّ من الأقوال في ذلك إلا أحد الأقوال التي ذكرناها عن أهل العلم. وإذا كان ذلك كذلك، وكان المعروف من معنى الحرد في كلام العرب القصد من قولهم: قد حرد فلان حَرْد فلان: إذا قصد قصده يعني: يقصد قصدها، صحّ أن الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: معنى قوله: ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِرِينَ﴾ [القَلَم: 25] وَغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه، واستسرّوه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم.

(1) جامع البيان.

حر

(حر - دفء - حماوة - أجاج)

■ **الحَرُّ المؤلم:** ضد البرد المؤلم ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: 81].

■ **الدِّفْءُ:** الحر المريح ضد البرد المؤلم ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ [النحل: 5].

■ **الحَمَاوَةُ:** الحر المتولد من المصادر كالنار والشحن ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86].

■ **الأُجَاجُ:** الماء شديد الحرارة والملوحة ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفُرقان: 53].

* * *

شرح المعاني:

حَرَّرَ الرقبة: أعتقها. وحَرَّرَ الولد. وهبه لطاعة الله وخدمة المسجد.

وحَرَّرَ الكتاب: قوّمه وحسنه وخصصه بإقامة حروفه وإصلاح نقطه.

وحَرَّر المعنى: استخلصه مجرداً. والحُرُّ: الفرس الأصيل العتيق. والحُرُّ: الطين الخالص من الرمل.

والحَرُورُ: الريح الحارة بالليل.

والسُّمُوم: الريح الحارة بالنهار.

والحَرِيرُ: الإبريم.

والحرارة: ضربات حرارة عابرة وعارضة في الهواء والأجسام كحرارة الشكم والنار وحرارة عارضة في البدن كحرارة المحموم.

المعنى المشترك:

(والحَرُّ) من الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم على النحو التالي: -

أ - ضد البرد. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [التوبَة: 81].

ب - نوع رفيع من اللباس. قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الحَجّ: 23].

ج - وقف الولد وتخصيصه لخدمة المسجد. قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ [آل عِمرَان: 35].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والرّاء في المضاعف له أصلان: فالأول: ماخالف العبودية، ويَرَى من العيب والنّقص. يقال هو حُرٌّ بَينَ الحَرُورية والحُريّة. ويقال: طين حُرٌّ: لا رَمْل فيه. وباتَتْ فلانة بليلة حُرَّةٌ. إذا لم يصل إليها بعلها في أوّل ليلة، فإن تمكّن منها فقد باتت بليلة شَيْبَاء. والثّاني: خلاف البَرْد. يقال: هذا يوم ذو حَرّ، ويومٌ حارٌّ. والحَرُورُ: الرّيح الحارّة تكون بالنّهار واللّيل. ومنه «الحِرَّةُ» وهو العطش. ويقولون في مثَلٍ: «حِرَّةٌ تحت قِرّة».

قال الخَليل[2]: حَرَّ النّهار يَحِرُّ حَرًّا. والحَرُورُ: حَرّ الشّمس. وحَرّت كَبدُه

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

حَرَّةً؛ ومصدره: الحَرَرُ، وهو يُبْسُ الكَبِد. والكبد تَحُرُّ من العطش أو الحزن. والحَرِيرَةُ: دقيق يُطبَخُ بلبن. والحَرَّةُ: أرض ذات حجارة سُود نَخِرة، كأنمّا أُحرِقت بالنّار؛ وجمعها: حِرَارٌ واحَرِّين وحَرَّات.

قال الجَوهَريّ[1]: الحَرُّ: ضدّ البرد، والحَرَارَةُ: ضدّ البرودة. والحَرَّةُ: أرض ذات حجارة سُود نَخرةٍ، كأنّها أُحرِقت بالنّار؛ والجمع: الحِرَارُ والحَرَّات.

قال الرّاغِب[2]: الحَرَارة: ضدّ البرودة ؛ وذلك ضربان: حَرَارَةٌ عارضة في الهواء من الأجسام المَحمية كحرارة الشّمس والنّار، وحرارة عارضة في البدن من الطّبيعة كحرارة المحموم. يقال: حَرَّ يومنا والرّيح يَحَرُّ حَرًّا وحَرَارَةً، وحُرَّ يومنا فهو مَحْرُورٌ، وكذا حَرَّ الرَّجل.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النّحل: 81].

قال الطبري[3]: السبب الذي من أجله خصّ الله تعالى ذكرهُ السرابيل بأنها تقي الحرّ دون البرد على هذا القول، هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حرّ، فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم بما يقيهم مكروه ما به عرفوا مكروهه دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه، وكذلك ذلك في سائر الأحرف الأُخَر.

وقال آخرون: ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر، إذ كان

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) جامع البيان.

معلوماً عند المخاطبين به معناه، وأن السرابيل التي تقي الحرّ تقي أيضاً البرد وقالوا: ذلك موجود في كلام العرب مستعمل.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: إن القوم خوطبوا على قدر معرفتهم، وإن كان في ذكر بعض ذلك دلالة على ما ترك ذكره لمن عرف المذكور والمتروك وذلك أن الله تعالى ذكره إنما عدّد نعمه التي أنعمها على الذين قُصدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم، فذكر أياديه عندهم.

قال الفخر الرازي[1]: واعلم أن بلاد العرب شديدة الحر، وحاجتهم إلى الظل ودفع الحر شديدة، فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه المعاني في معرض النعمة العظيمة، وأيضاً البلاد المعتدلة والأوقات المعتدلة نادرة جداً والغالب إما غلبة الحر أو غلبة البرد. وعلى كل التقديرات فلا بد للإنسان من مسكن يأوي إليه، فكان الإنعام بتحصيله عظيماً، ولما ذكر تعالى أمر المسكن ذكر بعده أمر الملبوس فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْۚ﴾ السرابيل القمص واحدها سربال، قال الزجاج: كل ما لبسته فهو سربال من قميص أو درع أو جوشن أو غيره، والذي يدل على صحة هذا القول أنه جعل السرابيل على قسمين: أحدهما: ما يكون واقياً من الحر والبرد. والثاني: ما يتقى به عن البأس والحروب.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبَة: 81].

قال الطبري[2]: وذلك أن النبيّ ﷺ استنفرهم إلى هذه الغزوة، وهي غزوة تبوك في حرّ شديد، فقال المنافقون بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ فقال الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد نار جهنم التي أعدّها الله لمن خالف أمره

(1) التفسير الكبير. (2) جامع البيان.

وعصى رسوله، أشدّ حرّاً من هذا الحرّ الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه. يقول: الذي هو أشدّ حرّاً أحرى أن يحذر ويتقى من الذي هو أقلهما أذى. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ يقول: لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آي كتابه، ولكنهم لا يفقهون عن الله، فهم يحذرون من الحرّ أقله مكروها وأخفه أذى، ويوافقون أشدّه مكروهاً وأعظمه على من يصلاه بلاء.

قال الشوكاني[1]: أي: قال المنافقون لإخوانهم هذه المقالة تثبيطاً لهم، وكسراً لنشاطهم، وتواصياً بينهم بالمخالفة لأمر الله ورسوله، ثم أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لهم: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ والمعنى: أنكم أيها المنافقون كيف تفرّون من هذا الحرّ اليسير، ونار جهنم التي ستدخلونها خالدين فيها أبداً أشدّ حرّاً مما فررتم منه، فإنكم إنما فررتم من حرّ يسير في زمن قصير، ووقعتم في حرّ كثير في زمن كبير، بل غير متناهٍ أبد الآبدين، ودهر الداهرين.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر: 20- 21].

قال الزمخشري[2]: والحرور: السموم؛ إلاّ أنّ السموم يكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار. وقيل: بالليل خاصة. فإن قلت: لا المقرونة بواو العطف ما هي؟ قلت: إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي. فإن قلت: هل من فرق بين هذه الواوات؟ قلت: بعضها ضمت شفعاً إلى شفع، وبعضها وتراً إلى وتر.

قال ابن عطية[3]: ﴿ٱلْحَرُورُ﴾ شدة حر الشمس، وقال رؤبة بن العجاج

---

(1) فتح القدير.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

﴿ٱلْحَرُورُ﴾ بالليل والسموم بالنهار، وليس كما قال وإنما الأمر كما حكى الفراء وغيره أن السموم يختص بالنهار و﴿ٱلْحَرُورُ﴾ يقال في حر الليل وفي حر النهار.

قال الماوردي(1): (الحرور) الريح الحارة كالسموم.

● **قال تعالى**: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحجّ: 23].

قال الفخر الرازي(2): فبين تعالى أنه موصلهم في الآخرة إلى ما حرمه عليهم في الدنيا من هذه الأمور وإن كان من أحله لهم أيضاً شاركهم فيه لأن المحلل للنساء في الدنيا يسير بالإضافة إلى ما سيحصل لهم في الآخرة.

قال ابن كثير(3): في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم، لباس هؤلاء من الحرير؛ إستبرقه وسندسه، كما قال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: 21-22] وفي الصحيح: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا، فإنه من لبسه في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة» قال عبد الله بن الزبير: من لم يلبس الحرير في الآخرة، لم يدخل الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35].

قال البغوي(4): ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: عتيقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق. قال الكلبي ومحمد بن إسحاق وغيرهما: كان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى

---

(1) النكت والعيون.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) معالم التنزيل.

يبلغ الحلم، ثم يخير إن أحب أقام، وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا ومن نسله محرراً لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان، ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والأذى، فحررت أم مريم ما في بطنها، وكانت القصة في ذلك، أن زكريا وعمران تزوجا أختين، وكانت أشياع بنت قافوذا أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت قافوذا أم مريم عند عمران، وكان قد أُمسك عن حنة الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً فتحركت بذلك نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولداً وقالت: اللهم لك علي إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه، فحملت بمريم فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت، أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى لا تصلح لذلك؟ فوقعا جميعاً في همٍّ من ذلك، فهلك عمران، وحنة حامل بمريم.

قال الزمخشري(1): معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يدَ لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء، وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 92].

قال القرطبي(2): أي: فعليه تحرير رقبة؛ هذه الكفارة التي أوجبها الله تعالىٰ في كفارة القتل والظِّهار أيضاً على ما يأتي. واختلف العلماء فيما يجزىء منها،

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

فقال ابن عباس والحسن والشَّعْبيّ والنَّخَعِيّ وقَتَادة وغيرهم: الرقبة المؤمنة هي التي صلّت وعَقَلت الإيمان، لا تجزىء في ذلك الصغيرة، وهو الصحيح في هذا الباب قال عطاء ابن أبي رباح: يجزىء الصغير المولود بين مسلمين.

وقال جماعة منهم مالك والشافعيّ: يجزىء كل من حُكم له بحكم في الصَّلاة عليه إن مات ودفنه. وقال مالك: ومن صلّىٰ وصام أحبّ إليّ. ولا يجزىء في قول كافة العلماء أعمى ولا مُقْعَد ولا مقطوع اليدين أو الرجلين ولا أشلّهما، ويجزىء عند أكثرهم الأعرج والأعور. قال مالك: إلاَّ أن يكون عَرَجاً شديداً. ولا يجزىء عند مالك والشافعيّ وأكثر العلماء أقطع إحدى اليدين أو إحدى الرجلين، ويجزىء عند أبي حنيفة وأصحابه. ولا يجزىء عند أكثرهم المجنون المطْبَق ولا يجزىء عند مالك الذي يُجَنّ ويُفيق، ويجزىء عند الشافعيّ. ولا يجزىء عند مالك المُعْتَق إلى سنين، ويجزىء عند الشافعيّ. ولا يجزىء المُدبَّر عند مالك والأوزاعيّ وأصحابِ الرأي، ويجزىء في قول الشافعيّ وأبي ثور، واختاره ابن المنذر. وقال مالك: لا يصح من أعتق بعضه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾. ومن أعتق البعض لا يُقال حرّر رقبة وإنما حَرّر بعضها. واختلفوا أيضاً في معناها فقيل: أوجبت تمحيصاً وطهوراً لذِنب القاتل، وذنبهُ ترك الاحتياط والتحفّظ حتى هلك على يديه ٱمرؤ مَحْقُون الدّم.

وقيل: أوجبت بدلاً من تعطيل حق الله تعالىٰ في نفس القتيل، فإنه كان له في نفسه حق وهو التنعم بالحياة والتصرّف فيما أحِل له تصرّف الأحياء، وكان لله سبحانه فيه حق، وهو أنه كان عبداً من عباده يجب له من اسم العبودية صغيراً كان أو كبيراً حرّاً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذِمّياً ما يتميز به عن البهائم والدّواب، ويُرْتَجَى مع ذلك أن يكون من نسله من يعبد الله ويطيعه، فلم يَخْلُ قاتله من أن يكون فوّت منه الاسم الذي ذكرنا، والمعنى الذي وصفنا، فلذلك ضمن الكفارة. وأي واحد من هذين المعنيين كان، ففيه بيان أن النص وإن وقع على القاتل خطأ فالقاتل عمداً مثله، بل أوْلى بوجوب الكفارة عليه منه، على ما يأتي بيانه، والله أعلم.

حرس

(حرس - حفظ - رصد - رقيب - خزن)

■ **الحَارِسُ:** يقف خارج الشيء ليحميه ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجنّ: 8].

■ **الحَافِظُ:** يكون داخل الشيء يديمه ويحميه ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطّارق: 4].

■ **الرَّقِيبُ:** الحارس الذي يقف في مكان مرتفع يجيد النظر فيما حوله يحصي كل حركة ﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: 18].

■ **الرَّاصِدُ:** الحارس الذي لا يراه أحد ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجنّ: 9].

■ **الخَازِنُ:** حماية الشيء من الضياع بالخروج ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزُّمَر: 71].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والرّاء والسّين أصلان: أحدهما: الحفظ، والآخر: زمان. فالأوّل: حَرَسَه يَحْرُسُه حَرْساً. والحَرَسُ: الحُرَّاسُ. وأمّا حَرِيسَة

(1) معجم مقاييس اللغة.

الجَبَل الّتي جاءت في الحديث، فيقال: هي الشّاة يدركها اللّيل قبل أوِيهّا إلى مأواها، فكأنّها حُرِسَتْ هناك.

قال الخَليل[1]: الحَرْسُ: وقت من الدّهر دون الحُقْب. والحَرَسُ: هم الحُرَّاسُ والأَحْرَاسُ. والفعل: حَرَسَ يَحْرُسُ، ويَحْتَرِسُ، أي: يحترِز: فعل لازِم. والأَحْرَسُ: هو الأصمّ من البنيان.

قال الجَوهَريّ[2]: حرَسَهُ يَحْرُسُه حِراسَةً، أي: حفظه. وتَحَرَّسْتُ من فلان واحْتَرَسْتُ منه بمعنى، أي: تحفّظت منه. وفي المَثَل: «مُحترِسٌ من مثله وهو حَارِسٌ» والحَرَسَ: حَرَسُ السُّلطان، وهم الحُراسُ، الواحد: حَرَسِيٌّ، لأنّه قد صار اسم جنس فنُسب إليه. ولاتقل: حَارِسٌ إلا أن تذهب به إلى معنى الحِراسة دون الجنس. والحَريسَةُ: الشّاة تُسرق ليلاً، واحتَرَسَها فلان، أي: سرقها ليلاً، وهي الحَرَائِسُ. ومنه: حَريسَةُ الجبَل. والحَرْس: الدهر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: 8].

قال ابن كثير[3]: يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحفت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط، ولا

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) تفسير ابن كثير.

يدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز.

قال القرطبي(1): أي حَفَظة، يعني الملائكة. والحَرَس: جمع حارس ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع.

قال الألوسي(2): ﴿حَرَسًا﴾ أي: حراساً اسم جمع كخدم كما ذهب إليه جمع لأنه على وزن يغلب في المفردات كبصر وقمر ولذا نسب إليه فقيل حرسي، وذهب بعض إلى أنه جمع والصحيح الأول ولذا وصف بالمفرد فقيل: ﴿شَدِيدًا﴾ أي: قوياً، ولو روعي معناه جمع بأن يقال شداداً إلا أن ينظر لظاهر وزن فعيل فإنه يستوي فيه الواحد والجمع. والمراد بالحرس الملائكة عليهم السلام.

قال الماوردي(3): هم الملائكة الغلاظ الشّداد.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) روح المعاني.
(3) النكت والعيون.

حرص

(حرص - بخل - شح - قتر - غل)

■ **الحِرْصُ:** فرط الشره وفرط الإرادة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البَقَرَة: 96].

■ **البُخْلُ:** حبس المقتنيات عما لا يحق ذلك ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ [الليل: 8-9].

■ **الشُّحُّ:** لذة البخيل والحرص على ما يملك فلا يعطيه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: 9].

■ **التَّقْتِيرُ:** البخل الشديد بالنفقة اللازمة ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسرَاء: 100].

■ **غِلُّ اليدِ:** الإمعان بالتقتير ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسرَاء: 29].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والرّاء والصّاد أصلان: أحدهما: الشَّقّ والآخر الجَشَع. فالأوّل: الحَرْص: الشَّقّ يقال: حَرَص القصّار الثّوب: إذا شقّه.

قال الخَليل(2): حَرَصَ يَحرِصُ حِرْصاً، فهو حَرِيصٌ عليك، أي: على نفعك؛ وقوم حُرَصَاءُ وحِرَاصٌ. والحَرْصَةُ: مستَقَر وسط كلّ شيء كالعَرْصة للدّار. والحَارِصَةُ: شُجَّة تَشُقّ الجِلْد قليلاً، كما يَحرص القَصّارُ الثّوب عند الدَقّ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجَوهَرّي(1): الحِرْصُ: الجَشَع: وقد حَرَصَ على الشّيء يحَرِصُ بالكسر، فهو حَرِيصٌ. والحَرْصُ: الشَّقُّ. والحَارِصَةُ: الشّجّة الّتي تشُق الجلد قليلاً، وكذلك الحَرْصَةُ. وحَرَصَ القَصّار الثّوب يَحرِصه أي: خَرَقه بالدَّقِّ. والحَرِيصَةُ والحَارِصَةُ: السّحابة الّتي تَقشِر وجه الأرض بمطرها.

* **ورد الحرص في القرآن الكريم على وجهين:**

الوجه الأول: بمعنى التمني والإرادة:

قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النّحل: 37] أي: بفرط إرادتك في هداهم.

الوجه الثاني: بمعنى الشفقة والرغبة والرأفة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبة: 128].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103].

قال ابن حيان(2): ولو حرصت: ولو بالغت في طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر. وجواب لو محذوف أي: ولو حرصت لم يؤمنوا.

قال القرطبي(3): ظنّ أن العرب لما سألته عن هذه القصة وأخبرهم يؤمنون،

(1) الصحاح في اللغة.
(2) البحر المحيط.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

فلم يؤمنوا؛ فنزلت الآية تسلية للنبي ﷺ؛ أي: ليس تقدر على هداية من أردت هدايته؛ تقول: حَرَص يَحرِص، مثل: ضَرَب يَضرِب. وفي لغة ضعيفة حَرِص يَحرَص مثل حَمِدَ يَحمَد. والحِرْص طلب الشيء باختيار.

قال الألوسي[1]: أي: على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك عليهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البَقَرَة: 96].

قال الطبري[2]: يا محمد لتجدن أشدّ الناس حرصاً على الحياة في الدنيا وأشدّهم كراهة للموت اليهود.

وأحرص من الذين أشركوا على الحياة، كما يقال: هو أشجع الناس ومن عنترة، بمعنى: هو أشجع من الناس ومن عنترة، فكذلك قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ لأن معنى الكلام: ولتجدنّ يا محمد اليهود من بني إسرائيل أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا. فلما أضيف «أحرص» إلى «الناس»، وفيه تأويل «من» أظهرت بعد حرف العطف ردًّا على التأويل الذي ذكرنا. وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهود بأنهم أحرص الناس على الحياة لعلمهم بما قد أعدّ لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقرّ به أهل الشرك، فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث لأنهم يؤمنون بالبعث، ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب، وأن المشركين لا يصدّقون بالبعث، ولا العقاب. فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس؟ قلت: بلى، ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد. ويجوز أن يراد: وأحرص من

(1) روح المعاني.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

الذين أشركوا، فحذف لدلالة أحرص الناس عليه. وفيه توبيخ عظيم: لأنّ الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقرّ بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ. فإن قلت: لم زاد حرصهم على حرص المشركين؟ قلت: لأنهم علموا - لعلمهم بحالهم - أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك.

● **قال تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

قال القرطبي(1): ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ قال: أن تدخلوا الجنة.

وقيل: حريص عليكم أن تؤمنوا. وقال الفراء: شحيح بأن تدخلوا النار. والحرص على الشيء: الشُّحُّ عليه أن يضيع ويتلف.

قال الفخر الرازي(2): ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ والحرص يمتنع أن يكون متعلقاً بذواتهم، بل المراد حريص على إيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة.

قال الشعراوي(3): ومعنى الحرص: أن يحوطكم بالرعاية؛ حتى لا تقعوا في المشقة الأكبر. ولذلك قلنا: إن الرسول ﷺ قد صوَّر هذه المسألة بقوله ﷺ: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار- أي أمسككم من خلفكم حتى لا تذهبوا إلى النار- وأنتم تفلتون من يدي**».

والحق يُسَرّي عن رسوله ﷺ فيقول: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ [الكهف: 6]. ويقول الحق أيضاً لرسوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 3]. فالرسول ﷺ يدعو الناس إلى إتقان العمل في الدنيا؛ ليصلوا إلى

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير الشعراوي.

الجنة في الآخرة؛ لأن كل مؤمن عزيز عليه ﷺ ويخشى أن يُرهَق إنسان واحد في الآخرة، ولذلك قال الحق: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء: 3-4]. أي: إياك أن تحزن أنك حريص على أن يؤمنوا؛ لأن الحق سبحانه يقدر أن ينزل عليهم آية تجعل رقابهم خاضعة، ولكن الرب لا يريد رقاباً تخضع؛ وإنما يريد قلوباً تخشع.

حرض

(حرض - بور - زبد - غثاء - هباء)

■ **الحَرَضُ:** العليل الضعيف الهزيل حتى لا يأبه به أحد ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسُف: 85].

■ **البُورُ:** الشيء الكاسد لا يحتاجه أحد ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفُرقان: 18].

■ **الزَّبَدُ:** النسيم الأبيض الذي يحمله السيل لا قيمة له ولا يرغبه أحد ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17].

■ **الغُثَاءُ:** ما يطفح مع السيل من النباتات المنفصلة عن أصولها ولا قيمة لها ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ [المؤمنون: 41].

■ **الهَبَاءُ:** ذرات التراب التي لا ترى بالعين لشدة ضآلتها إلّا إذا سلطت عليها الشمس ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقِعَة: 6].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلها تدخل في معنى اللا شيء، وهي تعني أن في كتاب الله تعالى تعبيرات تدل على اللاشيء، بمعنى أن شيئاً كان له وجود وأثر ووظيفة أو تأثير، ثم لم يعد له أي قيمة أو نفع أو اعتبار، ولم يعد يحرُص عليه أحد حتى صار لا شيء.

حَرَض: هو الإنسان اللاشيء الذي بلغ من الضعف والهزال والكِبَر حتى لم يعد يطيقه أحد أو يلتفت إليه أحد ولم يعد له وظيفة ولا قوة ما عدا نفساً، إنسان هو والموت سواء بسواء إلا أنه يتنفّس. قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يُوسُف: 85].

بور: الشيء الكاسد الذي لا يريده أحد. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفُرقان: 18] أي: قوماً لا قيمة لكم وليس لكم صفة من علم أو خُلُق وليس هناك من يعترف بهم أو ينتمي إليهم.

زَبَد: هو النسيم الأبيض الذي يحمله السيل سواء في القِدْر أو النهر.

عندما يغلي القدر يظهر الزبد عليه وكذلك السيل والزبد لا قيمة له ولا يُنتفع به في شيء ولا يُمتلك ولا يمكن أن يُوصف بوصف وإنما يُلقي به الماء جانباً فيتلاشى وليس له وجود تُلقي به الأمواج خارج النهر أو الحوض ثم يتلاشى. قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرّعد: 17] جُفاء أي: بعيداً مُلقى على حافة النهر.

غثاء: ما يطفح من السيل من النباتات الصغيرة التي يجرفها تكاد تغطي سطح الماء وربما يتوهم أنها شيء لكنها في الحقيقة لا قيمة لها ولا يُنتفع بها. قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: 41].

هباء: هو ذرّات التراب التي لا تُرى بالعين المجردة وإنما تُرى عندما تُسلّط عليها أشعة الشمس وهي ذرات هزيلة دقيقة. قال تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقِعَة: 6] ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

هشيم: هو النبات اليابس عندما يتكسّر إلى أجزاء صغيرة فيصبح بلا قيمة ولا

يُنتفع به بشيء حتى لو كان جبلاً من الهشيم تهُبّ عليه الريح فيتلاشى. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القَمَر: 31].

سراب: هو الماء الوهمي الذي تراه على الطريق من خداع العين كأن ترى ماء في الصحراء وكلما اقتربت منه تجده شيئاً وليس له قيمة ولا تأثير. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [النور: 39].

سُدى: كل بيت من البيوت فيه زاوية يوضع فيها أشياء لا قيمة لها من أثاث أو ملابس أصبحت بالية أو مهشّمة ولم يعد لها قيمة أو وظيفة ويحاول أهل البيت أن يتخلصوا منها. مثال كرسي مكسور لا يمكن أن يُستعمل للجلوس أبداً ولم يعد يتعلق به أي وظيفة. وكل شيء كان له وظيفة ثم لم يعد كذلك يُسمّى سدى. والإنسان لن يكون سُدى إلا إن وصل إلى جهنم فيكون حطبها وقبل جهنم كان هذا الإنسان مسؤولاً ويُحاسب. قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ [القِيَامَة: 36].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والراء والضاد أصلان: أحدهما نبت، والآخَر دليلُ الذَّهاب والتّلَف والهلاك والضَّعف وشِبهِ ذلك. أمَّا الأوّل فالحُرْض الأُشنان، ومُعالِجُه الحَرَّاضُ. والإحْرِيضُ: العُصْفُر. قال: والأصل الثاني: الحَرَض، وهو المُشرِف على الهلاك. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف: 85]. ويقال: حَرَّضْتُ فلاناً على كذا. زعم ناسٌ أنّ هذا من الباب. قال أبو إسحاق البصريُّ الزَّجّاج: وذلك أنّه إذا خالف فقَدْ أفْسَد. وقوله تعالى:

(1) معجم مقاييس اللغة.

﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: 65]، لأنهم إذا خالَفُوه فقد أُهلِكوا. وسائر الباب مقاربٌ هذا؛ لأنَّهم يقولون هو حُرْضَة، وهو الذي يُنَاوَلُ قِدَاحَ الميسر ليضرب بها. ويقال إنّه لا يأكل اللحمَ أبداً بثَمن، إنّما يأكل ما يُعْطَى، فيُسمَّى حُرْضَةً، لأنه لا خَيرَ عنده. ومن الباب قولُهم للذي لا يُقاتِل ولا غَنَاء عِنْدَه ولا سِلاح معَه حَرَض. قال الطرِمّاح: ويقال حَرَض الشّيءُ وأحرضَهُ غيره، إذا فَسَد وأفسَدهُ غيرُه. وأحْرَضَ الرّجُل، إذا وُلِد له [ولَدُ] سَوء. وربما قالوا حَرَضَ الحالبان النّاقَة، إذا احتلبا لبنَها كلَّه.

قال الخليل[1]: التّحريض: التحضيض. والحُرُض مثقل: الأشنان، والمحرضة: وعاؤه.

والحَرَضُ: الذي لا خير فيه لؤماً ودقة من كلّ شيء والفعل منه: حَرَضَ يَحْرُضُ حُرُوضاً.

قال الجوهري[2]: رجلٌ حَرَضٌ، أي: فاسدٌ مريضٌ يُحْدِثُ في ثيابه، واحدُه وجمعُه سواءٌ. وقال أبو عمرو: الحَرَضُ: الذي أذابه الحزنُ أو العشقُ، وهو في معنى مُحْرَضٍ. وقد حَرِضَ بالكسر. وأَحْرَضَهُ الحُبُّ، أي: أفسده.

والتَّحْريضُ على القتال: الحثُّ والإحماءُ عليه. والحُرُضُ الحُرْضُ: والأُشْنانُ[3].

والمِحْرَضَةُ بالكسر: إناؤه. والحَرَّاضُ: الذي يوقِد عَلى الحُرُضِ ليتَّخذ منه نورَةً أو جِصَّاً. والحُرْضَةُ الذي يضرب للأيسار بالقداح، لا يكون إلاَّ ساقطاً بَرَماً. وأَحْرَضَ الرجُلُ، إذا ولَدَ ولد سَوءٍ. ويقال الأَحْراضُ والحُرْضانُ: الضِعافُ الذين لا يقاتلون. والإحْريضُ: العُصْفُرُ.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) المعجم في فقه لغة القرآن.

* **وقد ورد الحرض في القرآن الكريم على وجهين:**

الوجه الأول: بمعنى الإشراف على الهلاك لاعتلاله:

قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [يُوسُف: 85].

أي: مدنفاً ومشرفاً على الهلاك لاعتلاله وهزله.

الوجه الثاني: بمعنى الحث والترغيب على الشيء. قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النِّساء: 84]، أي: رغبهم وحثهم على القتال، من التحريض وهو الحث والإحماء، كأن يزين ويسهل الخطب وهو في الأصل إزالة الحرض.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: 85].

قال الفخر الرازي(1): حكى الواحدي عن أهل المعاني أن أصل الحرض فساد الجسم والعقل للحزن والحب، وقوله: حرضت فلاناً على فلان تأويله أفسدته وأحميته عليه، وقال تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: 65]. إذا عرفت هذا فنقول: وصف الرجل بأنه حرض إما أن يكون لإرادة أنه ذو حرض فحذف المضاف أو لإرادة أنه لما تناهى في الفساد والضعف فكأنه صار عين الحرض ونفس الفساد. وأما الحرض بكسر الراء فهو الصفة وجاءت القراءة بهما معاً. إذا عرفت هذا فنقول: للمفسرين فيه عبارات: أحدها: الحرض والحارض

(1) التفسير الكبير.

هو الفاسد في جسمه وعقله. وثانيهما: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الحرض فقال: الفاسد الدنف. وثالثها: أنه الذي يكون لا كالأحياء ولا كالأموات، وذكر أبو روق أن أنس بن مالك قرأ: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ بضم الحاء وتسكين الراء قال يعني مثل عود الأشنان، وقوله: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾ أي: من الأموات، ومعنى الآية أنهم قالوا لأبيهم إنك لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه أو تموت من الغم كأنهم قالوا: أنت الآن في بلاء شديد ونخاف أن يحصل ما هو أزيد منه وأقوى وأرادوا بهذا القول منعه عن كثرة البكاء والأسف.

قال الزمخشري[1]: مشفياً على الهلاك مرضاً، وأحرضه المرض.

● **قال تعالى**: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [النِّساء: 84].

قال ابن كثير[2]: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ أي: على القتال، ورغبهم فيه، وشجعهم عليه، كما قال لهم الرسول ﷺ يوم بدر، وهو يسوي الصفوف: «**قوموا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض**» وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها**» قالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس بذلك؟ فقال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة**» وروي من حديث عبادة ومعاذ وأبي الدرداء، نحو ذلك. وعن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا سعيد من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً، وجبت له الجنة**».

(1) الكشاف.
(2) تفسير ابن كثير.

قال الفخر الرازي[1]: والمعنى أن الواجب على الرسول عليه الصلاة والسلام إنما هو الجهاد وتحريض الناس في الجهاد، فإن أتى بهذين الأمرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركاً للجهاد شيء.

قال الألوسي[2]: أي: حثهم على القتال ورغبهم فيه وعظهم لما أنهم آثمون بالتخلف لفرضه عليهم قبل هذا بسنين، وأصل التحريض إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به، فالتفعيل للسلب والإزالة - كقذيته، وجلدته - ولم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره.

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: 65].

قال الزمخشري[3]: التحريض: المبالغة في الحث على الأمر من الحرض، وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت، أو أن تسميه حرضاً: وتقول له: ما أراك إلا حرضاً في هذا الأمر وممرضاً فيه، ليهيجه ويحرّك منه.

قال أبو السعود[4]: أي: بالِغْ في حثّهم عليه وترغيبِهم فيه بكل ما أمكن من الأمور المرغّبة التي أعظمُها تذكيرُ وعدِه تعالى بالنصر وحُكمُه بكفايته تعالى أو بكفايتهم وأصلُ التحريضِ الحَرَضُ وهو أن ينهكه المرضُ حتى يُشفيَ على الموت وقال الراغب: كأنه في الأصل إزالةُ الحَرَض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت: فالأوجهُ حينئذ أن يُجعل الحَرَضُ عبارةً عن ضعف القلب الذي هو من باب نَهْكِ المرض، وقيل: معنى تحريضِهم تسميتُهم حرضاً بأن يقال: إني أراك في هذا الأمر حَرَضاً أي: محرّضاً فيه لتهييجه إلى الإقدام وقرىء حرِّص بالصاد المهملة وهو واضح.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.
(3) الكشاف.
(4) إرشاد العقل السليم.

حرف

(حرف - جنب - جرف - حافة - حد - شفا - شاطئ - ساحل)

- **الحَرْفُ:** نهاية الطرف المنجي للشيء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحَجّ: 11].
- **الجَنْبُ:** الجهة المريحة للشيء ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: 16].
- **الجُرْفُ:** شاطئ السيل ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾ [التّوبَة: 109].
- **الحَافَّةُ:** الجهة التي في الواجهة للشيء ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾ [الكهف: 32].
- **الحَدُّ:** الحاجز بين الشيئين المانع من اختلاطهما ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ [البَقَرَة: 229].
- **الشَّفَا:** بداية الطرف المهلك للشيء ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عِمرَان: 103].
- **الشَّاطِئُ:** طرف الماء والوادي ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص: 30].
- **السَّاحِلُ:** طرف اليابسة بعد الماء ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39].

* * *

شرح المعاني:

لكل شيء طرفان وجوانب، وطرفا الشيء هما مبتداه ومنتهاه، فالنهار له طرفان الصبح والمغرب ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هُود: 114] وجوانبه هي بقية الأوقات. الأرض لها أطراف كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرّعد: 41]. وتختلف أسماء الأطراف في كتاب الله تعالى باختلاف نوعها ووظيفتها أو حجمها أو ارتفاعها أو انخفاضها بدقة لا يمكن أن يقولها في أماكنها إلا ربٌّ وسع علمه كل شيء. والله تعالى يرسم الصورة كاملة من خلال اختيار الكلمة المناسبة في الجملة المناسبة.

الحرف: طرف الشيء العالي المدبب وهو حاد كالسكين يصعب الوقوف عليه وإذا تمكنت من الوقوف يصعب التماسك عليه وإذا تماسكت تهوي. حرف الجبل هو قمّته المدببة التي يصعب الوصول إليها والتماسك عليها. والحرف هو كل طرف مدبب كطرف البعير (سنامه) لا يمكن أن يتماسك عليه بدون ركاب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحَجّ: 11] هذا ما يفعله الحمقى الذين يختارون رأياً واحداً ويرفضون جميع الآراء ويتهمونها بأنها باطلة فهذا ما أسرع ما ينزلق ولا يجد بديلاً فيجب أن نعبد الله تعالى على البسيطة. والتحريف من الحرف ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء: 46].

يأخذون رأياً واحداً. كما حرّف بنو إسرائيل كلمة حطة وقالوا: حنطة، حرّفوها لأنهم لم يدركوا مغزى كلمة حطة ولو أدركوه لقالوا: اغفر لنا.

الطرف: بداية الشيء ونهايته وهو ملازم له يبقى ببقائه ويذهب بذهابه ولا

يمكن فصله عنه ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: 130] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء: 44].

الحدّ: حد الشيء هو الطرف الذي يميّزه عن غيره ولكي لا يختلط بغيره كحدود الأرض فالحدّ هو طرف وظيفته أنه يميّز هذا الشيء عن غيره وهو طرف يمنع الآخرين من التجاوز عن هذا الشيء ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: 187].

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطّلَاق: 1].

إذن فالحدّ يميّز ويمنع التجاوز ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البَقَرَة: 229] والحدود تمنع من التجاوز عن الأحكام الشرعية ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبَة: 97].

الرجا: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: 17] الرجا عكس الحرف فهو واسع يمكن الجلوس عليه ويمكن أن تبني عليه بيتاً كحافة النهر أو الكورنيش أو الجزر داخل البحار والأماكن المنبسطة ويمكن التمسك بها طويلاً، لهذا الملائكة حول العرش هم في غاية الراحة.

الحافة: مانع يمنعك من السقوط على الطرف. أنت مثلاً على قمة جبل لكن هناك من بنى ستارة كثيفة تمنعك من السقوط ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزُّمَر: 75] أي: لهم مواقع منيعة يتمسكون بها ومستمسكون بها لأنها مريحة لها حفائف وحافّات وهي عكس الحرف.

الجنب: هو الطرف المنيع الذي يحرص كل من له شيء أن يكون الجنب

منيعاً. أطراف الإنسان هما يداه ورجلاه وهي تحرك وتعمل وهو مستمسك فإذا قُطعت أطرافه يعيش. لكن الجنب من الإبط إلى الحوض إن لم تحمه فإن أي ضربة تودي بصاحبها. البلاد حدودها معروفة فإذا اخترق العدو جنوبها فقد ذهبت ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: 56] هو التوحيد. يمكن أن يعمل الإنسان معصية يمكن تداركها لكن أن تشرك بالله هذ مقتل فيجب أن تكون توحيدك لله محمياً ويجب أن يكون منيعاً لا يُخترق.

شـفـا: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عِمرَان: 103] المكان المشرف أو طرف الشيء العميق جداً هاوية، بئر وادي عميق حافته اسمها شفا مثل الشفة العليا فطرف الحافة تسمى شفا. ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبَة: 109].

شاطئ وساحل: الشاطئ طرف الماء ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30] والساحل طرف اليابسة ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: 39].

الجرف: شاطئ المسيل إذا أخذه السيل يجرف كل شيء في طريقه عندما يأتي على الأرض الرملية يحدث فيها أنهاراً لهشاشة الأرض الترابية ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 109] لكل طرف اسم ولكل اسم وظيفة استعملها القرآن على هذا النسق العجيب بحيث لا تغني كلمة عن أخرى.

الحد والحدود: هذا الدين حدي (افعل ولا تفعل) آتوا الزكاة، أقيموا الصلاة، لا تأكلوا الربا هذه تكاليف محدودة من حيث أن لها حداً أعلى وحداً أدنى من حيث التطبيق ومن حيث الحكم وقد ذكر هذا الأصفهاني والسمين.

وتكاليف الإسلام ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البَقَرَة: 187] و﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البَقَرَة: 229] وقال الراغب الأصفهاني: جميع حدود الله على أربعة أوجه منها:

ما لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه ولا القصور عنه (لا يمكن أن تزيد أو تنقص) وهذه مثل أوقات الصلاة وعدد الركعات.

ما تجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان كالزكاة لا يمكن الإنقاص عن الحد المطلوب ولكن الزيادة جائزة، وكذلك المحرمات مثل الميتة والدم ولحم الخنزير هذه هي الحدود التي لا يمكن أن تنقص منها لكن يمكن أن تزيد عليها محرمات أخرى.

ما يجوز النقصان فيه ولا يجوز الزيادة مثل الوضوء: غسل كل عضو ثلاث مرات لا تزيد عن أربع.

ما تجوز الزيادة عليه والنقصان لكنها مقيدة مثل: صلاة الضحى وعشر ذي الحجة.

الصاحب بالجنب: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّساء: 36] منهم من قال الجار ومنهم من قال رفيق السفر ومنهم من قال الزوج والزوجة وأكثر الآراء على أنه الزوج والزوجة ويقال للجماع الجناب.

هذا الدين فيه سعة ولا ينبغي أن يأتي أحد ويضيق على الناس ويشغلهم، وهناك فرق بين من يدعي العلم ولم يطلبه في حياته وبين العالم؛ ومن هذا المنطلق كره كثير من المسلمين الدين لأنه فرض عليهم رأياً واحداً وقد يكون من أضعف الآراء ولا يلبي احتياجاتهم ومنهم من استحل قتل الناس فهذا ويل. وكون الله تعالى واسعاً عليماً يعطينا معنى السعة والعلم في الدين.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والرّاء والفاء ثلاثة أُصول: حدّ الشّيء والعدول، وتقدير الشّيء. فأمّا الحدّ، فحَرْفُ كلّ شيء: حدّه، كالسّيف وغيره. ومنه: الحَرْفُ، وهو الوجه، تقول: هو من أمره على حَرْفٍ واحد، أي: طريقة واحدة.

قال الخَليل[2]: الحَرْفُ: من حروف الهجاء، وكلّ كلمة بُنيت أداةً عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمّى حَرْفاً، وإن كان بناؤها بحَرْفَيْنِ أو أكثر مثل: حتّى، وبل، ولعلّ. وكلّ كلمة تُقرأ على وجوه من القرآن تسمّى حَرْفاً. يقال: يُقرأ هذا الحَرْف في حَرْف ابن مَسعود، أي: في قراءته. والتَّحْرِيفُ في القرآن: تغيير الكلمة عن معناها.

قال الجَوهَري[3]: حَرْفُ كلّ شيء: طرَفه وشفيره وحدّه، ومنه حَرْفُ الجبل، وهو أعلاه المحددّ. والحَرْفُ: واحد حروف التّهجّي.

والحُرْفُ بالضم: حَبُّ الرَشاد، ومنه قيل شيءٌ حِرِّيفٌ بالتشديد، للذي يُلْذَعُ اللسانُ بحَرافَتِهِ[4].

وكذلك بصلٌ حِرِّيفٌ ولا تقل حَرِّيفٌ. والحُرْفُ أيضاً: الاسمُ من قولك رجلٌ مُحَارَفٌ، أي: منقوصُ الحظّ لا ينمو له مالٌ. وكذلك الحِرْفَةُ بالكسر. والمِحْرافُ: الميلُ الذي تُقاسُ به الجِراحاتُ. وتَحْريفُ الكلام عن مواضعه: تغييرُه. وتحْريفُ القلمِ: قَطُّهُ مُحَرّفاً. ويقال: انْحَرَفَ عنه وتَحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ، أي: مالَ وعَدَلَ. ويقال: ما لي عن هذا الأمر مَحْرِفٌ، ومالي عنه مَصْرِفٌ، بمعنىً واحد، أي: مُتَنَحّى.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) المعجم في فقه لغة القرآن.

* وقد ورد الحرف في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: - بمعنى الشك:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحَجّ: 11] أي: يعبد على غير طمأنينة، كأنه على طرف من الدين لم يدخل فيه دخول تمكن، فهو يرتد لأدنى ما يصيبه من شيء.

الوجه الثاني: بمعنى حرّفة وبدّله:

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النِّساء: 46].

يحرفونه عن معناه. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البَقَرَة: 75].. أي: يحرفونه عن معناه.

الوجه الثالث: بمعنى الميل والعدول:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفَال: 16] أي: إلّا مائلاً عن موضعه استعداداً للقتال لا فراراً منه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النِّساء: 46].

قال الطبري[1]: فإنه يقول: يبدّلون معناها ويغيرونها عن تأويله، والكلم جماع كلمة. وكان مجاهد يقول: عنى بالكلم: التوراة. عن مجاهد في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: تبديل اليهود التوراة.

(1) جامع البيان.

قال البغوي[1]: يُغيّرونَ الكَلِمَ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ ويسألونه عن الأمر، فيُخبرهم، فيرى أنهم يأخذون بقوله، فإذا انصرفُوا من عنده حرَّفُوا كلامه.

قال الزمخشري[2]: يميلونه عنها ويزيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها، وأزالوه عنها، وذلك نحو تحريفهم (أسمر ربعة) عن موضعه في التوراة بوضعهم (آدم طوال) مكانه، ونحو تحريفهم (الرجم) بوضعهم (الحدّ) بدله: فإن قلت: كيف قيل هاهنا (عن مواضعه) وفي المائدة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المَائدة: 41] قلت: أمّا (عن مواضعه) فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه. وأمّا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ فالمعنى: أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارّه، والمعنيان متقاربان.

● **قال تعالى**: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 75].

قال الماوردي[3]: في ذلك قولان: أحدهما: أنهم علماء اليهود والذين يحرفونه التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لأهوائهم وإعانة لراشيهم. والثاني: أنهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره وحرفوا القول في إخبارهم لقومهم، وفي كلام الله الذي يسمعونه قولان: أحدهما: أنها التوراة التي عَلِمَها علماء اليهود. والثاني: الوحي الذي كانوا يسمعونه كما تسمعه الأنبياء. وفي قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 75] وجهان:

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) النكت والعيون.

أحدهما: من بعد ما سمعوه، وهم يعلمون أنهم يحرفونه.

والثاني: من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون، ما في تحريفه من العقاب.

قال ابن عطية[1]: وقال مجاهد والسدي: عني بالفريق هنا الأحبار الذين حرفوا التوراة في صفة محمد الرسول ﷺ، وقيل المراد كل من حرف في التوراة شيئاً حكماً أو غيره كفعلهم في آية الرجم ونحوها، وقال ابن إسحاق والربيع: عُني السبعون الذين سمعوا مع موسى عليه السلام ثم بدلوا بعد ذلك.

وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم، وقرأ الأعمش، «كَلِمَ الله»، وتحريف الشيء إحالته من حال إلى حال، وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن تحريفهم وتبديلهم إنما هو بالتأويل ولفظ التوراة باقٍ، وذهب جماعة من العلماء إلى أنهم بدلوا ألفاظاً من تلقائهم وأن ذلك ممكنٌ في التوراة لأنهم استحفظوها، وغير ممكن في القرآن لأن الله تعالى ضمن حفظه.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16].

قال القشيري[2]: بإيثار بعض الرُّخص ليتقوَّى على ما هو أشد؛ كأكْله مثلاً ما يُقِيم صُلْبَه ليقوى على السَّهر، وكترفقه بنفسه بإيثار بعض الراحة من إزالة عطش، أو نفي مقاساة جوع أو بَرْدٍ أو غيره لئلا يبقى عن مراعاة قلبه، ولاستدامة اتصال قلبه به، فإنْ تَرَكَ بعضَ أورادِ الظاهر لئلا يبقى به عن الاستقامة في أحكام واردات السرائر أَخَذَ في حقِّ الجهاد بحزم.

قال أبو السعود[3]: إما بالتوجه إلى قتال طائفةٍ أخرى أهم من هؤلاء وإما

(1) المحرر الوجيز.
(2) لطائف الإشارات.
(3) إرشاد العقل السليم.

بالفرّ للكرّ بأن يُخيِّل لعدوّه أنه منهزمٌ ليغُرَّه ويُخرِجَه من بين أعوانه ثم يعطِفَ عليه وحدَه أو مع مَنْ في الكمين من أصحابه وهو باب من خِدعِ الحربِ ومكايدِها.

● **قال تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحَجّ: 11].

قال الفخر الرازي[1]: وفي تفسير الحرف وجهان: الأول: ما قاله الحسن وهو أن المرء في باب الدين معتمدة القلب واللسان فهما حرفا الدين، فإذا وافق أحدهما الآخر فقد تكامل في الدين وإذا أظهر بلسانه الدين لبعض الأغراض وفي قلبه النفاق جاز أن يقال فيه على وجه الذم يعبد الله على حرف الثاني: قوله: ﴿عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ أي: على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون طمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه. وهذا هو المراد.

قال القشيري[2]: يعني يكون على جانبٍ، غير مخلص. . . لا له استجابة توجب الوفاق، ولا جَحْداً يبين الشقاق؛ فإنْ أصابه أَمْنٌ وخير ولِينٌ اطمأن به وسَكَنَ إليه، وإن أصابته فتنةٌ أو نالته محنة ارتدَّ على عقبيه ناكساً، وصار لِمَا أظهر من وفاقه عاكساً. ومَنْ كانت هذه صفته فقد خسر في الدارين، وأخفق في المنزلتين.

(1) التفسير الكبير.

(2) لطائف الإشارات.

حرق

(حرق - شعل - سجر - شوى
- صلى - صهر - غلى - كوى)

■ **الحَرْقُ:** إيقاع الحرارة على الشيء بدون لهب ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البَقَرَة: 266].

■ **الشَّعْلُ:** إيقاع الحرارة على الشيء مع لهب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريَم: 4].

■ **السَّجْرُ:** يجعل الكافر وقود التنور خاصته ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غَافر: 72].

■ **الشِّوَاءُ:** ما يصيب الجلد من النار حتى ينضج ﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: 29].

■ **الصَّلْيُ:** أن يجعل الشيء وقوداً للنار ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: 12].

■ **الصَّهْرُ:** يبقى الكافر في الماء الحار حتى يذوب لحمه فلا يبقى إلّا العظم ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحَجّ: 20].

■ **الغَلْيُ:** شدة الصلي حتى تفور به النار فوران القدر ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 45-46].

■ **الكَيُّ:** مرور الحجارة على موضع صغير بقدر الدرهم من الجلد ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبَة: 35].

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلها تدخل في معنى أعمال النار يوم القيامة.

الحَرق: يوضع الإنسان على الجمر حتى يتلاشى المحروق من شدة حرارة الجمر ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68].

اللّفح: هو الوهج الذي يُصيب ظاهر الجلد من النّار. عندما تمر النار فإن وهجها يصيب البشرة من الخارج. قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104].

اللّوح: هو أثر من آثار اللفح أي: يصير الجلد ملوّحاً أي: حائلاً إلى لون آخر ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدّثّر: 29] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر: 60] وجوههم مسودة من شِدّة اللفح. والنفح عكسه النفخ وهو نوع آخر من العذاب في جهنم وهو عذاب بالبرد والزمهرير ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 46].

الكيّ: هو الحرق بشيء محمي من حديد أو ما شابه يُكوى به المكان المعيّن لوَسْمه. والكيّ يُستعمل يوم القيامة لتمييز المعذَّب كالمنافق والمُرابي والسارق والقاتل والمُشرك كما توسم البهائم ليُعرف مالكها، فيوم القيامة يوسم كل مجرم بوسم معين عن طريق الكيّ فيُعرَف ما ذنبه وما هو جُرمه ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التّوبَة: 35].

الشَيّ: بالحرارة فقط حتى ينضج وليس على اللهب أو الجمر وإنما هو على حرّ اللهب والجمر. يوضع الشيء في مكان يأتيه حرّ النار من بعيد فيُشوى وينضج كما يشوى العِجل ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29].

الصِّلاء: هو الإدخال باللهب والجمر وهذه نار خاصة بالمشركين كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليْل: 15].

النّزع: تنزع أطراف الإنسان. من ضمن أعمال النار أنها تتناثر بها أعضاء الإنسان. ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعَارج: 16] والشوى هي أعضاء الإنسان.

الكَلْح: من آثار النار يوم القيامة أن تتقلص الشّفَة العليا حتى تصل إلى الرأس والشفة السفلى تندلق حتى تصل إلى أسفل الذقن فتقسو الشفتان وتبرز الأسنان ويبدو الهلع والعبوس من شدة الألم على سُحنة الإنسان المعذّب وهذا المنظر المخيف من آثار النار يوم القيامة ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104].

الصّهر: هو أن يستمر الحرق بالماء الحار أو المواد الشديدة الحرارة ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [صٓ: 57]، ﴿غِسْلِينٍ﴾ [الحَاقَّة: 36] فلا يبقى إلا العظم يُصهر الجلد واللحم ثم يعود وينسلخ اللحم عن العظم وهكذا عملية مستمرة ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحَجّ: 20] والفرق بين الصهر في الدنيا (في حالات التعذيب في بعض السجون) أن المعذّب يموت أما في الآخرة فليس هناك موت وإنما يستمر العذاب وكلما تلاشى اللحم وانصهر عاد من جديد لتتكرر العملية.

السّجر: هو إشعال النار في الشخص كما يفعل بعض الناس الآن الذي يعترضون على أمر ما فيُشعلون النار في أجسادهم. ومن العذاب يوم القيامة أن يُسجر الناس كل يوم ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غَافر: 72].

الغشية: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].

الاطلاع: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة: 6-7].

هذه كلمات عمل النار يوم القيامة وليس بوسع العقل البشري أن يُلِمّ بما سيحصل يوم القيامة لأن ما سيجري يومها لا تدركه قوانين عقولنا البشرية حتى إذا مات الإنسان كشف الله تعالى عنه غطاءه ليُبصر ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا

عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22]. قال رسول الله ﷺ يصف نار الآخرة: «**أُوقد عليها ألف عام حتى ابيضّت ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرّت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودّت فهي سوداء مُظلمة**».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والرّاء والقاف أصلان: أحدهما: حكّ الشّيء بالشّيء مع حرارة والتهاب، وإليه يرجع فروع كثيرة. والآخر: شيء من البدن. فالأوّل: قولهم حَرَقْتُ الشّيء: إذا بَردَت وحَككتَ بعضه ببعض.

قال الخَليل(2): حَرِيقُ النّاب: صَريفُه إذا حَرَق أحدهما بالآخر. والرّجل يَحْرِقُ نابَه.

قال الجَوهَري(3): الحَرَقُ بالتّحريك: النّار، يقال: في حَرَقِ الله. والحَرَقُ أيضاً: احتراق يصيب الثّوب من الدُّقّ، وقد يُسكّن. وأحْرَقَه بالنّار وحَرَّقَه، شُدّد للكثرة. وتحرّق الشّيء بالنّار واحْتَرَق؛ والاسم: الحُرْقَةُ والحَرِيقُ.

وحَرِقَ شَعْرُهُ بالكسر، أي: تقطّع ونسَل، فهو حَرِقُ الشَعْرِ والجناحِ. وسحابٌ حِرقٌ، أي: شديد البرق. ويقال ماءٌ حُراقٌ بالضم، مخفَّفٌ، للشديد الملوحةِ.

وفرسٌ حُرَاقُ العَدْوِ، إذا كان يَحْتَرِقُ في عَدْوِهِ. والحُرَاقُ والحُراقَةُ: ما تقع فيه النار عند القدْح والحَرَوْقَاءُ لغةٌ فيه. والحُرَّاقة بالتشديد والفتح: ضربٌ من السفن فيها ترامي نيرانٍ يُرْمَى بها العدوّ في البحر. والحارِقَتانِ: رؤس الفخذين في الوركين. ويقال هما عَصَبَتانِ في الورك. والمَحْروقُ: الذي انقطعتْ حارِقَتُهُ، ويقال الذي زال وركه. والحارِقةُ من النساء: الضيِّقَةُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وفي حديث علي عليه السلام: خيرُ النساء الحَارِقَةُ. والحُرْقانُ المذَحُ، وهو اصطكاك الفخذين. والمُحارَقَةُ: المجامَعةُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عِمرَان: 181].

قال الألوسي[1]: والحريق بمعنى المحرق وإضافة العذاب إليه من الإضافة البيانية أي العذاب الذي هو المحرق لأن المعذب هو الله تعالى لا الحريق، أو الإفاضة للسبب لتنزيله منزلة الفاعل - كما قاله بعض المحققين - (والذوق - كما قال الراغب - وجود الطعم في الفم؛ وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر فإنه يقال له: أكل)، ثم اتسع فيه فاستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات، وذكره هنا - كما قال ناصر الدين - لأن العذاب مرتب على قولهم الناشىء عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه، ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال، ولك أن تقول: إن اليهود لما قالوا ما قالوا وقتلوا من قتلوا فقد أذاقوا المسلمين وأتباع الأنبياء غصصاً وشبوا في أفئدتهم نار الغيرة والأسف وأحرقوا قلوبهم بلهب الإيذاء والكرب فعوضوا هذا العذاب الشديد، وقيل: لهم ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم أولياء الله تعالى في الدنيا ما يكرهون. والقائل لهم ذلك - كما قال الضحاك - خزنة جهنم، فالإسناد حينئذ مجازي، وفي هذه الآية مبالغات في الوعيد حيث ذكر فيها العذاب والحريق والذوق المنبىء عن اليأس.

قال الطبري[2]: عذاب نار محرقة ملتهبة، والنار اسم جامع للملتهبة منها

(1) روح المعاني.
(2) جامع البيان.

وغير الملتهبة، وإنما الحريق صفة لها، يراد أنها محرقة، كما قيل: «عَذَاب أَلِيمٌ» يعني: مؤلم، و«وجيع» يعني: موجع.

● **قال تعالى:** ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: 22].

قال البيضاويّ(1): أي: النار البالغة في الإحراق.

قال البغوي(2): أي: المحرق مثل الأليم والوجيع.

قال الخازن(3): والحريق بمعنى المُحرق، فهذا وصف حال أحد الخصمين، وهم الكفار.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ [طه: 97].

قال الطبري(4): ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قرْاء الحجاز والعراق لَنُحَرِّقَنَّهُ بضم النون وتشديد الراء، بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «لَنُحْرِقَنَّهُ» بضم النون، وتخفيف الراء، بمعنى: لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة، وقرأه أبو وجعفر القارىء: «لَنَحْرُقَنَّهُ» بفتح النون وضم الراء بمعنى: لنبردنه بالمبارد من حرقته أحرقه وأحرّقه.

والصواب في ذلك عندنا من القراءة ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضم النون وتشديد الراء، من الإحراق بالنار، كما: عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ يقول: بالنار. وعن ابن عباس ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ فحرّقه ثم ذراه في اليم.

قال الفخر الرازي(5): ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ وجهان. أحدهما: المراد إحراقه بالنار

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) معالم التنزيل.
(3) لباب التأويل.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.

وهذا أحد ما يدل على أنه صار لحماً ودماً، لأن الذهب لا يمكن إحراقه بالنار، وقال السدي: أمر موسى عليه السلام بذبح العجل فذبح فسال منه الدم ثم أحرق ثم نسف رماده وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه وثانيهما لنحرقنه أي: لنبردنه بالمبرد، يقال: حرقه يحرقه إذا برده وهذه القراءة تدل على أنه لم ينقلب لحماً ولا دماً فإن ذلك لا يصح أن يبرد بالمبرد، ويمكن أن يقال: إنه صار لحماً فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها، قراءة العامة بضم النون وتشديد الراء ومعناه لنحرقنه بالنار، وقرأ أبو جعفر وابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الراء خفيفة يعني لنبردنه.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68].

قال البغوي(1): روي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء إبليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيّدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة، أيْ ربنا إبراهيم خليلك يُلقَى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فاذنْ لنا في نصرته، فقال الله عز وجل: إنه خليلي ليس لي غيره خليل، وأنا إلٰهه وليس له إلٰه غيري، فإن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلْينصرْه فقد أذِنتْ له في ذلك، وإن لم يدعُ غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال: إن أردتَ أخمدتُ النار، وأتاه خازن الرياح فقال: إنْ شئتَ طيَّرتُ النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل.

قال الزمخشري(2): واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه، ولذلك جاء: «**لا يعذب بالنار إلا خالقها**».

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 24].

قال الطبري(1): فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم: اعبدوا الله واتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، إلاَّ أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرّقوه بالنار، ففعلوا، فأرادوا إحراقه بالنار، فأضرموا له النار، فألقَوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم يسلطها عليه.

قال البيضاويّ(2): وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون أسند إلى كلهم.

قال الشوكاني(3): أي قال بعضهم لبعض عند المشاورة بينهم، افعلوا بإبراهيم أحد الأمرين المذكورين، ثم اتفقوا على تحريقه ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ [العَنكبوت: 24] وجلعها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النّحل: 79] جل جلاله وعظم نواله.

(1) جامع البيان.
(2) أنوار التنزيل.
(3) فتح القدير في علم التفسير.

حرك

(حرك - رجّ - زلزل)

■ **التَّحْرِيكُ:** انتقال الجسم من مكان إلى مكان ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القِيَامَة: 16].

■ **الرَّجُّ:** التحريك بعنف وإزعاج يقال: رج فارتج ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقِعَة: 4].

■ **الزَّلْزَلَةُ:** التحريك حتى يفقد التوازن والتماسك ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزَاب: 11].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والراء والكاف أَصلٌ واحد، فالحَرَكَةُ ضدُّ السكون. ومن الباب الحارِكانِ، وهما ملتقى الكتِفَين، لأنَّهما لا يزالان يَتَحَرَّكان. وكذلك الحَرَاكِيكُ، وهي الحراقِفُ، واحدتها حَرْكَكَة.

قال الخليل[2]: حَرَكَ الشّيء، يَحْرُكُ حَرَكاً وحَرَكَةً، وكذلك يَتَحَرَّك. تقول: حَرَكْتُ بالسّيف مَحْرَكَهُ حَرْكاً، أي: ضربته. والمَحْرَكُ: منتهى العُنق، وعند مفصل الرأس. والحَارِكُ: أعلى الكاهل. والحَرَاكِيكُ: الحَرَاقِفُ؛ واحدها: حَرْكَكَة.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهريّ[1]: الحَرَكَةُ: ضد السّكون، وحَرَّكْتُه فتَحَرَّكَ. ويقال: ما به حَرَاكٌ، أي: حَرَكَةٌ. والمِحْرَاكُ: المحراث الّذي تحرّك به النّار. وغلام حَرِكٌ: أي خفيف ذكيّ. والحَارِكُ من الفرس: فروع الكتفين، وهو أيضاً الكاهل. وحَرَكْتُهُ أَحْرُكُهُ حَرْكاً: أصبت حَارِكَهُ. والحَرْكَكةُ: الحرقفة والجمع: الحَرَاكِكُ. والحَرَاكِيكُ، وهي رؤوس الوركين. ويقال: أطراف الوركين ممّا يلي الأرض إذا قعدت.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القِيَامَة: 16].

قال الطبري[2]: واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ فقال بعضهم: قيل له ذلك، لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به، يريد حفظه من حبه إياه، فقيل له: لا تعجل به فإنَّا سَنحفظُه عليك.

وقال آخرون: بل السبب الذي من أجله قيل له ذلك، أنه كان يُكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه، فقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ إن علينا أن نجمعه لك، ونقرئكه فلا تنسى.

وأشبه القولين بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذُكر عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، وذلك أن قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ينبىء أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبيّ ﷺ من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك.

قال الزمخشري[3]: الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ للقرآن. وكان رسول الله ﷺ إذا لقن

(1) الصحاح في اللغة.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

الوحي نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقياً إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه.

قال القشيري[1]: لا تستعجِلْ في تَلَقُّفِ القرآنِ على جبريل، فإنَّ علينا جَمْعَه في قلبك وحِفْظَه، وكذلك علينا تيسيرُ قرءاته على لسانك، فإذا قرأناه أي: جمعناه في قلبك وحفظك فاتبع بإقرائك جَمْعَه.

(1) لطائف الإشارات.

حرم
(حرم - بسل - حرد - عضل)

- **الحِرْمَانُ:** منع النفس مما هو متيسر عند الغير ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذّاريَات: 19].
- **الإبْسَالُ:** الحرمان من الخير عموماً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الأنعَام: 70].. أي: حرموا من كل خير.
- **الحَرْدُ:** المنع من شدة الغضب ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القَلَم: 25].
- **العَضْلُ:** المنع بالقهر ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 232].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والرّاء والميم أصل واحد، وهو المنع والتّشديد. فالحَرَامُ: ضدّ الحلال.

قال الخليل(2): الحَرَمُ: حَرَمُ مكّة وما أحاط بها إلى قريب من المواقيت الّتي يَحْرُمُونُ منها، مفصول بين الحلّ والحَرَم بمنى. وحَرَمُ الرّجل: نساؤه وما يحمي. والمَحَارِمُ: ذو الرَّحِمِ في القرابة، وذات الرَّحِمِ في القرابة، أي ما لا يحلّ تزويجها. يقال: هو ذو رَحِمٍ مَحْرَمٍ، وهي ذات رَحِمٍ مَحْرَمٍ.

قال الجوهريّ(3): الحُرْمُ بالضمّ: الإِحْرَامُ. والمَحْرُمَةُ، بفتح الرّاء وضمّها.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وقد تَحَرَّمَ بصحبته. وحُرْمَةُ الرّجل: حَرَمُهُ وأهله. ورجل حَرَامٌ، أي: مُحْرَمٌ؛ والجمع: حُرُمٌ، مثل قذال وقذل.

قال الرّاغب[1]: الحَرَامُ: الممنوع منه إمّا بتسخير إلْهّي وإمّا بمنع قهريّ، وإمّا بمنع من جهة العقل أو من جهة الشّرع، أو من جهة من يرتسم أمره. وسوط مُحَرَّمٌ: لم يدبغ جلده، كأنّه لم يحلّ بالدّباغ الّذي اقتضاه قول النبي محمد ﷺ: «**أيّما إهاب دبغ فقد طهر**» وقيل: بل المُحَرَّمُ الّذي لم يُلَيَّنْ. والحَرَمُ: سمّي بذلك لتحريم الله تعالى فيه كثيرا ممّا ليس بمُحَرَّم في غيره من المواضع، وكذا الشّهر الحَرَامُ. وقيل: رجل حَرَامٌ وحلال ومحلٌّ ومُحْرِمٌ. والمَحْرُمَةُ والمَحْرَمَةُ: الحُرْمَةُ.

*** ورد الحرام في القرآن الكريم على عدة وجوه:**

الوجه الأول: بمعنى الممنوع شرعاً: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [البَقَرَة: 173]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البَقَرَة: 275] وقال: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المَائدة: 72].

الوجه الثاني: الممنوع مطلقاً: قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذّاريَات: 19] أي: الذي لا يجد ما يدفع حاجته. وقال تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقِعَة: 67] أي: ممنوعون من الخير.

الوجه الثالث: الممنوع بصرف من ملابسته بصارف. قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النِّساء: 160]، وقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: 148].

الوجه الرابع: حرام المعصية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النَّمل: 91]. وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: 157].

---

(1) مفردات الراغب.

الوجه الخامس: وصف البيت والمسجد والشهر، قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144] وقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: 27] وقال ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 194].

الوجه السادس: بمعنى مكة وما حولها حرماً وما يحل انتهاكه. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: 57].

الوجه السابع: الحج والعمرة: لأنه يوم عليه ما كان حلالاً من قبل كالصيد والنساء. أو لأنه دخل بذلك في عهد وحرمة من أن يعتدى عليه كما كانت عادة العرب. قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: 96]، وقال ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: 1].

الوجه الثامن: وصف الأشهر الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، فقد حرمها الله من عهد قديم والتزمت العرب تحريمها. قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5].

الوجه التاسع: ما لا يحل انتهاكه أو ما وجب القيام به من حقوق الله، قال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: 194] وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: 30].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 19].

قال الطبري(1): والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد

(1) جامع البيان.

يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾.

قال الماوردي(1): أما السائل فهو مَن يسأل الناس لفاقته، وأما المحروم، ففيه ثمانية أقوال:

أحدها: المتعفف الذي يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته.

الثاني: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم، وروي أن النبي ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت الآية.

الثالث: أنه من ليس له سهم في الإسلام.

الرابع: المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه.

الخامس: أنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه.

السادس: أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يصب.

السابع: أنه المملوك.

الثامن: أنه الكلب، روي أن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجاء كلب فاحتز عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم.

ويحتمل تاسعاً: أنه من وجبت نفقته من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه، حتى وجبت نفقته في مال غيره.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧﴾ [الواقعة: 66-67].

قال الزمخشري(2): ﴿مَحۡرُومُونَ﴾ محارفون محدودون، لا حظ لنا ولا بخت لنا؛ ولو كنا مجدودين، لما جرى علينا هذا.

---

(1) النكت والعيون.

(2) الكشاف.

قال الشوكاني[1]: أي: حرمنا رزقنا بهلاك زرعنا، والمحروم: الممنوع من الرزق الذي لا حظ له فيه، وهو المحارف.

قال القشيري[2]: بل نحن محرومون بعد أن ضاع منا الرزق.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: 116].

قال الطبري[3]: كي تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذبَ، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تحرِّمون.

قال الزمخشري[4]: بدل من الكذب. ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول، أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم، فتقول هذا حلال وهذا حرام. ولك أن تنصب الكذب بتصف، وتجعل «ما» مصدرية، وتعلق ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بلا تقولوا: على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة وبينة، ولكن قول ساذج ودعوى فارغة. فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟ قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه، فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصوّرته بصورته، كقولهم: وجهها يصف الجمال. وعينها تصف السحر. وقرىء: «الكذب» بالجرّ صفة لما المصدرية، كأنه قيل: لوصفها الكذب، بمعنى الكاذب، كقوله تعالى: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ [يوسف: 18].

● **قال تعالى**: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95].

---

(1) فتح القدير.
(2) لطائف الإشارات.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.

قال ابن عطية[1]: المعنى وحتم ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الدنيا فيتوبون ويستعتبون بل هو صائرون إلى العقاب، وقال بعض هذه الفرقة الإهلاك هو بالطبع على القلوب ونحوه والرجوع هو إلى التوبة والإيمان، وقالت فرقة المعنى ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ أي: ممتنع، و«حرم» كذلك، ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

قال الزجاج[2]: معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أي: حكمنا بهلاكهم أن تتقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي: لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي: يتقبل عمله، ثم ذكر هذه الآية عقيبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57].

قال الزمخشري[3]: فألقمهم الله الحجر. بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته، وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون، وبحرمة البيت هُم قارّون بواد غير ذي زرع، والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب، فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوّف والتخطف، ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة، وإلى الحرم مجاز.

قال الشعراوي[4]: وقال: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القَصَص: 57] مع أن الأمن لمن في

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) تفسير الشعراوي.

المكان، لكن أراد سبحانه أن يُؤمِّن نفس المكان، فيكون كل ما فيه آمناً، حتى القاتل لا يُقتصّ منه في الحرم، والحيوان لا يُثار فيه ولا يُصَاد، والنبات لا يُعضد حتى الحجر في هذا المكان آمن، ألاَ تراهم يرجمون حجراً في رمي الجمرات في حين يُكرِّمون الحجر الأسود ويُقبّلونه.

وحينما نتأمل الحرم منذ أيام الخليل إبراهيم عليه السلام نجد أن له خطة، وأن الحق سبحانه يُعدُّه ليكون حرماً آمناً، فلما جاءه إبراهيم قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37].

● **قال تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الحج: 30].

قال الطبري(1): ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها وحُرَمه أن يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة.

قال الماوردي(2): فيه قولان: أحدهما: أنه فعل ما أمر به من مناسكه.

والثاني: أنه اجتناب ما نهى عنه في إحرامه. ويحتمل عندي قولاً ثالثاً: أن يكون تعظيم حرماته أن يفعل الطاعة ويأمر بها، وينتهي عن المعصية وينهى عنها.

قال الزمخشري(3): والحرمة: ما لا يحل هتكه. وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج.

● **قال تعالى:** ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: 93].

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.

قال الطبري[1]: ثم اختلف أهل التأويل في تحريم ذلك عليهم، هل نزل في التوراة أم لا؟ فقال بعضهم: لما أنزل الله عز وجل التوراة، حرّم عليهم من ذلك ما كانوا يحرّمونه قبل نزولها.

فتأويل الآية على هذا القول: كل الطعام كان حلاًّ لبني إسرائيل، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، فإن الله حرّم عليهم من ذلك ما كان إسرائيل حرّمه على نفسه في التوراة، ببغيهم على أنفسهم، وظلمهم لها. قل يا محمد: فأتوا أيها اليهود إن أنكرتم ذلك بالتوراة، فاتلوها إن كنتم صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم في التوارة، وأنكم إنما تحرّمونه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه.

وقال آخرون: ما كان شيء من ذلك عليهم حراماً، ولا حرّمه الله عليهم في التوراة، وإنما هو شيء حرّموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله. فكذبهم الله عز وجل في إضافتهم ذلك إليه، فقال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: إن كنتم صادقين، فأتوا بالتوراة فاتلوها، حتى ننظر هل ذلك فيها، أم لا؟ ليتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم.

وتأويل الآية على هذا القول: كل الطعام كان حِلاًّ لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، بمعنى: لكن إسرائيل حرّم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك. وكأن الضحاك وجه قوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ إلى الاستثناء الذي يُسمّيه النحويون: الاستثناء المنقطع. وقال آخرون تأويل ذلك: كل الطعام كان حِلاًّ لبني إسرائيل، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، فإن ذلك حرام على ولده بتحريم إسرائيل إياه على ولده، من غير أن يكون الله حرّمه على إسرائيل ولا على ولده.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: كل

---

(1) جامع البيان.

الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوارة، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه، فإن كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم، من غير أن يحرّمه الله عليهم في تنزيل ولا بوحي قبل التوراة، حتى نزلت التوراة، فحرم الله عليهم فيها ما شاء، وأحلّ لهم فيها ما أحبّ.

واختلف أهل التأويل في الذي كان إسرائيل حرّمه على نفسه، فقال بعضهم: كان الذي حرّمه إسرائيل على نفسه العروق.

وقال آخرون: بل الذي كان إسرائيل حرّم على نفسه: لُحوم الإبل وألبانُها.

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول ابن عباس الذي رواه الأعمش، عن حبيب، عن سعيد، عنه، أن ذلك العروق ولحوم الإبل، لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمهما، كما كان عليه من ذلك أوائلها وقد رُوي عن رسول الله ﷺ بنحو ذلك خبر.

● **قال تعالى:** ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ [الأنعام: **143-144**].

قال الفخر الرازي(1): **قال المفسرون**: إن المشركين من أهل الجاهلية كانوا يحرمون بعض الأنعام، فاحتج الله تعالى على إبطال قولهم بأن ذكر الضأن والمعز والإبل والبقر وذكر من كل واحد من هذه الأربعة زوجين، ذكراً وأنثى.

ثم قال إن كان حرم منها الذكر وجب أن يكون كل ذكورها حراماً وإن كان حرم الأنثى، وجب أن يكون كل إناثها حراماً، وقوله: ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ تقديره: إن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وجب تحريم

(1) التفسير الكبير.

الأولاد كلها لأن الأرحام تشتمل على الذكور والإناث، هذا ما أطبق عليه المفسرون في تفسير هذه الآية، وهو عندي بعيد جداً، لأن لقائل أن يقول: هب أن هذه الأنواع الأربعة، أعني: الضأن، والمعز، والإبل، والبقر، محصورة في الذكور والإناث، إلا أنه لا يجب أن تكون علة تحريم ما حكموا بتحريمه محصورة في الذكورة والأنوثة، بل علة تحريمها كونها بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاماً أو سائر الاعتبارات، كما أنا إذا قلنا: أنه تعالى حرم ذبح بعض الحيوانات لأجل الأكل. فإذا قيل: إن ذلك الحيوان إن كان قد حرم لكونه ذكراً وجب أن يحرم كل حيوان ذكر، وإن كان قد حرم لكونه أنثى وجب أن يحرم كل حيوان أنثى، ولما لم يكن هذا الكلام لازماً علينا، فكذا هذا الوجه الذي ذكره المفسرون في تفسير هذه الآية، ويجب على العاقل أن يذكر في تفسير كلام الله تعالى وجهاً صحيحاً فأما تفسيره بالوجوه الفاسدة فلا يجوز والأقرب عندي فيه وجهان: أحدهما: أن يقال: إن هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم، بل هو استفهام على سبيل الإنكار يعني أنكم لا تقرون بنبوة نبي، ولا تعرفون شريعة شارع، فكيف تحكمون بأن هذا يحل وأن ذلك يحرم؟ وثانيهما: أن حكمهم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوص بالإبل، فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الأنواع الأربعة، فلما لم تحكموا بهذه الأحكام في الأقسام الثلاثة، وهي: الضأن والمعز والبقر، فكيف خصصتم الإبل بهذا الحكم على التعيين؟ فهذا ما عندي في هذه الآية والله أعلم بمراده[1].

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 91].

قال الزمخشري[2]: ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها، فأجزل

(1) المعجم في فقه لغة القرآن. (2) الكشاف.

بذلك قسمها في الشرف والعلو، ووصفها بأنها محرّمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضادّ لربه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحَجّ: 25] لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها. واللاجىء إليها آمن.

قال أبو السعود[1]: والبلدةُ هي مكَّةُ المعظمةُ وتخصيصُها بالإضافةِ لتفخيمِ شأنِها وإجلال مكانِها، والتعرض لتحريمهِ تعالى إيَّاها تشريفٌ لها بعد تشريفٍ وتعظيمٌ إثرَ تعظيمٍ مع ما فيه من الإشعارِ بعلَّةِ الأمرِ وموجبِ الامتثالِ به كَما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: 3-4] ومن الرَّمزِ إلى غايةِ شَنَاعةِ ما فعلُوا فيها ألا يَرَى أنَّهم مع كونِها محرَّمةً من أنْ تنتهكَ حرمتُها باختلاءِ خلاها وعضْدِ شجرِها وتنفيرِ صيدِها وإرادةِ الإلحادِ فيها بوجهٍ من الوجوهِ قد استمرُّوا فيها على تعاطِي أفجرِ أفرادِ الفُجور وأشنعِ آحادِ الإلحادِ حيثُ تركُوا عبادةَ ربَّها ونصبُوا فيها الأوثانَ وعكفُوا على عبادتِها قاتلَهم الله أنَّى يؤفكون.

● **قال تعالى**: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].

قال البغوي[2]: يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحَام.

قال الطبري[3]: وتحريم ما حرّمت عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم، وحرّموا ما أحلّ الله لهم، وجعله لهم رزقاً من أنعامهم.

قال القرطبي[4]: أخبر بخسرانهم لِوَأْدِهِم البنات وتحريمهم البَحِيرة وغيرها بعقولهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) معالم التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: 146].

قال ابن عطية[1]: لما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ما حرم على أمة محمد ﷺ أعقب ذلك بذكر ما حرم على اليهود لما في ذلك من تكذيبهم في قولهم: إن الله لم يحرم علينا شيئاً وإنما حرمنا على أنفسنا ما حرمه إسرائيل على نفسه، وقد تقدم القول في سورة البقرة.

قال الخازن[2]: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ﴾ قال ابن عباس: هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب. وقيل كل ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والإوز والبط. قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفراً على الاستعارة ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعَام: 146] يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ يعني إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فإنه غير محرم عليهم، وقال السدي وأبو صالح: الألية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لأن البقر ليس لها ألية ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وهي المباعر، في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية، وقيل: الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى أن الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ يعني من شحم الألية لأنه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا أن الذي حرم عيلهم شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القَصَص: 12].

---

(1) المحرر الوجيز. (2) لباب التأويل.

قال الفخر الرازي[1]: اعلم أن قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ يقتضي تحريمها من قبله فإذا لم يصح بالتعبد والنهي لتعذر التمييز فلا بد من فعل سواه وذلك الفعل يحتمل أنه تعالى مع حاجته إلى اللبن أحدث فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء، فلذلك لم يرضع أو أحدث في لبنهن من الطعم ما ينفر عنه طبعه أو وضع في لبن أمه لذة فلما تعودها لا جرم كان يكره لبن غيرها.

قال الزمخشري[2]: التحريم: استعارة للمنع؛ لأنّ من حرم عليه الشيء فقد منعه. ألا ترى إلى قولهم: محظور. وحجر، وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثدياً، فكان لا يقبل ثدي مرضع قط، حتى أهمهم ذلك.

قال الشعراوي[3]: التحريم هنا لا يعني التحريم بالنسبة للمكلَّف: هذا حلال وهذا حرام، إنما ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ يعني: منعناه أنْ يرضع من المرضعات اللائي يأتونَ بهن لتتقلب عليه المراضع واحدة بعد الأخرى، إلى أن تأتيه أمه.

● **قال تعالى**: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾ [آل عِمرَان: 50].

قال ابن عطية[4]: ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾ إشارة إلى ما حرمه الأحبار بعد موسى وشرعوه، فكأن عيسى رد أحكام التوراة إلى حقائقها التي نزلت من عند الله تعالى، وقال عكرمة: «حرم عليكم» بفتح الحاء والراء المشددة، وإسناد الفعل إلى الله تعالى أو إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال الزمخشري[5]: وما حرم الله عليهم في شريعة موسى: الشحوم والثروب ولحوم الإبل، والسمك، وكل ذي ظفر، فأحل لهم عيسى بعض ذلك. قيل: أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصة له. واختلفوا في إحلاله لهم السبت. وقرىء «حرم عليكم» على تسمية الفاعل، وهو ما بين يديّ من التوراة، أو الله عَزَّ وَجَلَّ، أو

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) المحرر الوجيز.
(5) الكشاف.

موسى عليه السلام؛ لأن ذكر التوراة دل عليه، ولأنه كان معلوماً عندهم. وقرىء: «حرم»، بوزن كرم.

● **قال تعالى:** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ [النساء: 23].

قال الطبري(1): فكل هؤلاء اللواتي سماهنّ الله تعالى وبين تحريمهنّ في هذه الآية محرّمات غير جائز نكاحهنّ لمن حرّم الله ذلك عليه من الرجال، بإجماع جميع الأمة، لا اختلاف بينهم في ذلك، إلا في أمهات نسائنا اللواتي لم يدخل بهنّ أزواجهنّ، فإن في نكاحهنّ اختلافاً بين بعض المتقدمين من الصحابة إذا بانت الابنة قبل الدخول بها من زوجها، هل هنّ من المبهمات، أم هنّ من المشروط فيهنّ الدخول ببناتهنّ.

قال أبو السعود(2): ليس المرادُ تحريمَ ذواتِهن بل تحريمَ نكاحِهن وما يُقصد به من التمتع بهن وبيانَ امتناعِ ورودِ مِلكِ النكاحِ عليهن وانتفاءِ محلِّيتِهن له أصلاً، وأما حرمةُ التمتُّع بهن بملك اليمينِ في الموادّ التي يُتصور فيها قرارُ المِلكِ كما في بعض المعطوفاتِ على تقدير رِقِّهن فثابتةٌ بدِلالة النصِّ لاتحاد المدارِ الذي هو عدمُ مَحلّيةِ أبضاعِهن للمِلْك لا بعبارته بشهادة سباقِ النظمِ الكريمِ وسياقِه، وإنما لم يوجب المدارُ المذكورُ امتناعَ ورودِ مِلكِ اليمينِ عليهن رأساً، ولا حرمةَ سببِه الذي هو العقدُ أو ما يجري مَجراه كما أوجب حرمةَ عقدِ النكاحِ وامتناعَ ورودِ حُكمِه عليهن لأن موردَ مِلكِ اليمينِ ليس هو البُضعَ الذي هو موردُ ملكِ النكاحِ حتى يفوتَ بفوات مَحلِّيتِه له كملك النكاحِ فإنه حيث كان موردُه ذلك فات بفوات محلّيتِه له قطعاً، وإنما موردُه الرقبةُ الموجودةُ في كل رقيق فيتحقق بتحقق محلِّه حتماً ثم يزول بوقوع العِتقِ في المواد التي سببُ حرمتِها محضُ القرابةِ النَّسَبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبِعاً لجميع أحكامِه المقصودةِ منه

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.

شرعاً وأما حلُّ الوطءِ فليس من تلك الأحكامِ فلا ضيرَ في تخلُّفه عنه كما في المجوسية. والأمهاتُ تعُمُّ الجداتِ وإن عَلَوْن، والبناتُ تتناول بناتِهن وإن سفَلْن والأخواتُ ينتظِمْن الأخواتِ من الجهات الثلاثِ وكذا الباقياتُ، والعمةُ كلُّ أنثى ولدَها مَنْ وَلدَ والدَك، والخالةُ كلُّ أنثى ولدَها مَنْ ولدَ والدتَك قريباً أو بعيداً، وبناتُ الأخِ وبناتُ الأختِ تتناول القريبةَ والبعيدةَ.

● **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 37].

قال البيضاوي(1): فيتركونه على حرمته. قيل: أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القبائل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه.

قال أبو السعود(2): ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ﴾ أي: يحافظون على حُرمته كما كانت، والتعبيرُ عن ذلك بالتحريم باعتبار إحلالِهم له في العام الماضي أو لإسنادهم له إلى آلهتهم كما سيجيء.

● **قال تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: 1].

قال الطبري(3): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبيّ المحرّم على نفسه ما أحلّ الله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرّم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك.

واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جلّ ثناؤه أحله لرسوله، فحرّمه

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.

على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطية، حرّمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طالباً بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله ﷺ في يومها وفي حجرتها.

وقال آخرون: بل حرم رسول الله ﷺ جاريته، فجعل الله عزّ وجلّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين، فأوجب فيها من الكفارة مثل ما أوجب في اليمين إذا حنث فيها صاحبها.

وقال آخرون: كان ذلك شراباً يشربه، كان يعجبه ذلك.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبيّ ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون كان شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أيّ ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلَّة يمينه كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه.

فإن قائل قائل: وما برهانك على أنه ﷺ كان حلف مع تحريمه ما حرم، فقد علمت قول من قال: لم يكن من النبيّ ﷺ في ذلك غير التحريم، وأن التحريم هو اليمين؟ قيل: البرهان على ذلك واضح، وهو أنه لا يعقل في لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل لجاريته، أو لطعام أو شراب، هذا عليّ حرام يمين، فإذا كان ذلك غير معقول، فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشيء الحلال له: هو عليّ حرام. وإذا كان ذلك كذلك صحّ ما قلنا، وفسد ما خالفه، وبعد، فجائز أن يكون تحريم النبيّ الرسول ﷺ ما حرّم على نفسه من الحلال الذي كان الله تعالى ذكره، أحله له بيمين، فيكون قوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ﴾ معنا: لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقربه، فتحرّمه على نفسك باليمين.

وإنما قلنا: إن النبيّ ﷺ حرّم ذلك، وحلف مع تحريمه، كما:

حدثني الحسن بن قزعة، قال: ثنا مسلمة بن علقمة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، عن مسروق، عن عائشة قالت: آلى رسول الله ﷺ وحرم، فأُمِرَ في الإيلاء بكفارة، وقيل له في التحريم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾.

● قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87].

قال ابن عاشور[1]: استئناف ابتدائي خطاب للمؤمنين بأحكام تشريعية، وتكملة على صورة التفريع جاءت لمناسبة ما تقدّم من الثناء على القسّيسين والرهبان. وإذ قد كان من سنّتهم المبالغة في الزهد وأحدثوا رهبانية من الانقطاع عن التزوّج وعن أكل اللحوم وكثير من الطيّبات كالتدهُّن وترفيه الحالة وحُسن اللباس، نبّه الله المؤمنين على أنّ الثناء على الرهبان والقسّيسين بما لهم من الفضائل لا يقتضي اطّراد الثناء على جميع أحوالهم الرهبانيّة.

وصادف أن كانَ بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ قد طمَحت نفوسهم إلى التقلّل من التعلّق بلذائذ العيش اقتداء بصاحبهم سيِّد الزاهدين ﷺ روى الطبري والواحدي أنّ نفَراً تنافسوا في الزهد. فقال أحدُهم: أمّا أنا فأقوم الليل لا أنام، وقال الآخر: أمَّا أنا فأصوم النهار، وقال آخر: أمّا أنا فلا آتي النساء، فبلغ خبرُهم رسولَ الله ﷺ فبعث إليهم، فقال: «**ألَمْ أنبَأْ أنَّكم قلتم كذا**. قالوا: بَلَى يا رسول الله، وما أرَدْنا إلاّ الخَيْر، قال: **لَكِنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي**» فنزلت هذه الآية. ومعنى هذا في «صحيحي البخاري ومسلم» عن أنس بن مالك وليس فيه أنّ ذلك سبب نزول هذه الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ تنبيه لفقهاء الأمّة على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يقم الدليل على تحريمه، أو كان دليله غير بالغ قوة دليل النهي الوارد في هذه الآية. ثم إنّ أهل الجاهلية كانوا قد حرّموا أشياء على أنفسهم كما تضمنته سورة الأنعام، وقد أبطلها الله بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾ [الأعراف: 32]، وقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ

(1) التحرير والتنوير.

قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: 140]، وقوله: ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [الأنعام: 143] إلى قوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ [الأنعام: 144]، وغير ذلك من الآيات. وقد كان كثير من العرب قد دخلوا في الإسلام بعد فتح مكّة دفعة واحدة كما وصفهم الله بقوله: ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النّصر: 2]. وكان قصر الزمان واتّساع المكان حائلين دون رسوخ شرائع الإسلام فيما بينهم، فكانوا في حاجة إلى الانتهاء عن أمور كثيرة فاشية فيهم في مدّة نزول هذه السورة، وهي أيام حجّة الوداع وما تقدّمها وما تأخّر عنها.

● **قال تعالى:** ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذّاريات: 19].

قال الراغب(1): ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ الذي لم يوسع عليه الرزق كما وسع على غيره. ومن قال: أراد به الطلب، فلم يعن أن ذلك اسم الطلب كما ظنه بعض من رد عليه، وإنما ذلك منه ضرب مثال بشيء. لأن الطلب كثيراً ما يحرمه الناس، أي: ينهونه.

وقال السيواسي(2): ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يستجدي ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ أي: المتعفف الذي لا يسأل فيحرم لتعففه، لأنه يحسب غنياً.

وقال العز بن عبد السلام(3): (حق) يعني الزكاة (للسائل) الذي يسألهم (والمحروم) الذي حرم الرزق فاحتاج. وقيل المتعفف والسائل: المتكفف.

● **قال تعالى:** ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ [الأنعام: 145].

قال ابن عطية(4): هذا أمر من الله عَزَّوَجَلَّ بأن يشرع للناس جميعاً ويبين عن الله

(1) المفردات.
(2) عيون التفاسير.
(3) التفسير العظيم.
(4) المحرر الوجيز.

ما أوحي إليه، وهذه الآية نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، فإن هذه وإن كانت في حكم الميتة فكان في النظر احتمال أن تلحق بالمذكيات لأنها بأسباب وليست حتف الأنف، فلما بيّن النص إلحاقها بالميتة كانت زيادة في المحرمات، ثم نزل النص على رسول الله ﷺ في تحريم الخمر بوحي غير مُنْجَز، وبتحريم كل ذي ناب من السباع، فهذه كلها زيادات في التحريم ولفظة التحريم إذا وردت على لسان رسول الله ﷺ، فإنها صالحة أن تنتهي بالشيء المذكور إلى غاية المنع والحظر، وصالحة بحسب اللغة أن تقف دون الغاية في حيز الكراهية ونحوها، فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة المتأولين وأجمع عليه الكل منهم ولم يضطرب فيه ألفاظ الأحاديث وأمضاه الناس على إذلاله وجب بالشرع أن يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة، وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة ألفاظ الحديث واختلفت الأمة فيه مع علمهم بالأحاديث كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**كل ذي ناب من السباع حرام**».

قال الزمخشري(1): تنبيه على أنّ التحريم إنما يثبت بوحي الله تعالى وشرعه، لا بهوى الأنفس ﴿مُحَرَّمًا﴾ طعاماً محرّماً من المطاعم التي حرّمتموها.

● **قال تعالى**: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37].

قال الطبري(2): المحرم - على ما قاله قتادة: من استحلال حرمات الله فيه، والاستخفاف بحقه.

قال الزمخشري(3): وقيل للبيت المحرم، لأنّ الله حرم التعرض له والتهاون

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

به، وجعل ما حوله حرماً لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنعاً عزيزاً يهابه كل جبار، كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب، أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها، أو لأنه حرّم على الطوفان أي منع منه، كما سُمي عتيقاً لأنه أعتق منه فلم يستول عليه.

قال الفخر الرازي[1]: أمر الصائرين إليه أن يحرموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم من قبل.

حرم موضع البيت حين خلق السمٰوات والأرض وحفه بسبعة من الملائكة، وهو مثل البيت المعمور الذي بناه آدم، فرفع إلى السماء السابعة.

حرم على عباده أن يقربوه بالدماء والأقذار وغيرها.

● **قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** [المَائدة: 26].

قال الطبري[2]: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ وإنما حرّم الله جلّ وعزّ على القوم الذين عصوه وخالفوا أمره من قوم موسى وأبوا حرب الجبارين، دخولَ مدينتهم أربعين سنة، ثم فتحها عليهم، وأسكنوها، وأهلك الجبارين بعد حرب منهم لهم، بعد أن قضيت الأربعون سنة، وخرجوا من التيه.

قال الزمخشري[3]: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها، فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلمَّا أبوا الجهاد قيل: فإنها محرّمة عليهم. والثاني: أن يراد فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون كان من كتب.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: الأكثرون على أنه تحريم منع لا تحريم تعبد، وقيل: يجوز أيضاً أن يكون تحريم تعبد، فأمرهم بأن يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقاباً لهم على سوء صنيعهم.

(1) التفسير الكبير.

حرى

(تحرّى - جس - حس - توسم)

- **التَّحرِّي:** معرفة المطلوب الخفي بدراسة آثاره للوصول إليه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدٗا﴾ [الجنّ: 14].
- **التَّجَسُّسُ:** معرفة المطلوب الخفي بالأعوان الأخفياء ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: 12].
- **التَّحَسُّسُ:** معرفة المطلوب الخفي باستعمال الحواس الذكية ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يُوسُف: 87].
- **التَّوَسُّمُ:** معرفة المطلوب الخفي بدراسة جزئيات انفعالاته وحركاته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحِجر: 75].

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلها تدخل في معنى كشف الغيب وطرق الحصول على معلومات.

الغيب غيبان: غيب يختص الله تعالى به أو يعلّمه من أراد من رسله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ [الجن: 26-27] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمَان: 34] هذه الغيبيات الخمس من اختصاص الله تعالى وحده أو

يعلّمه رسوله كما أخبرنا الرسول ﷺ عن غيبيات علّمه إياها ربه تعالى فأخبرنا بما يجري في الدنيا.

والغيب الثاني هو غيب إنساني وهو كل ما غاب عنك وما لا تراه ولا تعرف عنه شيئاً، وهذا الغيب يتقلص من جيل إلى جيل. فالبترول مثلاً كان غيباً عن السابقين ثم أصبح مشاهداً وكذلك أخبار الأمم السابقة التي ذكرها تعالى في القرآن الكريم ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25] ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44] وما أخبرنا به النبي ﷺ أصبح مشاهداً منه إخباره بحصار العراق وبقتل العلماء في أحاديث «**لا تقوم الساعة حتى..**» مثل:

«**لا تقوم الساعة حتى يكون الروم أشد الناس عليكم**» «**لا تقوم الساعة حتى يتحدث رجل في المشرق يسمعه من في المغرب**» وهذا أصبح مشاهداً الآن وكان غيباً فيما مضى. وهذه المعاني تهيب بنا أن نسعى لاكتشاف الغيب سواء كان علماً أو آثاراً أو معادن أو أشخاصاً ضاعوا أو أشياء فقدناها. وكل حركة الكون تقوم على كشف الغيب عن شيء لا بد أن نعرفه؛ لأنه بمعرفته دفع لشرّ أو كسب لخير. إن التحري كان منفرداً بشخص واحد يقوم به وعلى مرّ الزمان أصبح التحري عمل مؤسسات ودوائر عظيمة. وهذه المنظومة تؤثر بالناس شقاء وسعادة، سلاماً وحرباً والعالم كله اليوم يقوم على هذه الدوائر التي تتحارب فيما بينها بالمعلومات والتحريات والمعارف وغيرها أو تتنافس. وهذه المنظومة تحقق هدفين إما أن تجلب نفعاً كأسواق جديدة واكتشافات جديدة، وإما أن تدفع شراً وهذه المؤسسات مُطالبة اليوم بأن تكون دروع الأمة بدفع الشر والضرر من العدو وعلى كل دولة الاهتمام بهذه الأجهزة كماً وكيفاً وإخلاصاً.

حَرِيَ: التحري هو أن تتناول الأمر من جانبه أي: سرًّا بمعنى تأخذ الحَرَى أي: الجانب بدون أن يشعر بك أحد ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجنّ: 14] لم يعرفوا من مرة واحدة ولكنهم مرّوا بتجارب عديدة كما تحرى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى بلغ الرشد، تحرى الكوكب والقمر والشمس وعبادة عمّه للأصنام فأدّى به التحري إلى الرُّشد وهو أرقى أنواع التفكير العقلي ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51]. وهناك طريقتان للتحري إما عن طريق التجارب تجربة تلو الأخرى كما فعل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى وصل إلى الحقيقة والحقّ، والطريقة الثانية هي استعمال الشكّ حتى يؤدي إلى اليقين كما في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260] فالتحري يوصل إلى اليقين والذي يؤمن بالدين يكون بعد يقينه بهذا الدين أنه هو الدين الصحيح.

الاستخبار: هو أن تكشف خطط العدو وتعرف تصرفاته من بعيد كما فعل الهدهد مع ملكة سبأ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التّوبة: 94] والخبر يكون من قريب، أما الاستخبار والنبأ فيكون من بعيد.

التبيّن: هو المراقبة من بعيد أو التغلغل في صفوف الآخرين لمعرفة صدق الخبر لأنه لا بُدّ من التيقن من صحة الخبر أو كذبه كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحُجرَات: 6] بمعنى أُطلب البيان وهو تفصيل كامل من الذي نقل الخبر.

التحقيق: هو كشف مدى صدق الدعوة وهو يختلف عن التبيّن الذي هو كما

أسلفنا يكون لكشف صدق المخبر. وفي الإسلام علم عظيم هو علم التحقيق لإثبات أحاديث رسول الله ﷺ، ويُقال أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع حديثاً من أبي هريرة فخزنه عاماً ثم سأل أبا هريرة عنه فرواه عليه بنفس لفظه الأول فقال له عمر: لو كنتَ أخطأت لدلّ على كذِبك. والفرق بين التبيين والتحقيق أنك في الأول تجعل صاحب الخبر يبيّن أما في الآخر فأنت تجعل صاحب الدعوة يأتي ببرهان على صحة دعوته. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: 111] طلب تعالى منهم أن يأتوه بالبرهان على صدق دعواهم تلك. إذن على صاحب الخبر أن يبيّن عما قال بالتفصيل وعلى صاحب الدعوة أن يبرهن عن دعواه بالدليل.

التحسس: هو معرفة مكان شيء أو شخص غائب أو مفقود ولا بد من الانطلاق بالحركة للسؤال عن هذا الغائب أو المفقود في محاولة لإيجاده ولا بد من استعمال كافة الحواس حتى تجعل المفقود أو الغائب مُشاهَداً كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87] والفرق بين التحسس والتجسس أن التحسس يكون للصديق أو إذا ضاع منك كنز أو ولد أو معلومات والتحسس يكون عادة لمصلحتك، أما التجسس فهو محاولة اكتشاف غيب العدو وحركاته وخططه ويكون ذلك عن طريق استراق السمع ونشر العيون وهذا يكون لمصلحة الآخرين. والتحسس والتجسس محاولة اكتشاف الغيب. والتجسس إن كان على العدو فهو من التجسس الإيجابي وهو فضيلة كما فعل الهدهد في قصة سبأ، لأنه قد يدفع شر العدو ويُفشِل خططه أو قد يُعين على مهاجمته أما التجسس على المسلمين فهذا من التجسس السلبي المذموم الذي نهى الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ

رَّحِيمٌ﴾ [الحُجرَات: 12] ونهى عنه الرسول ﷺ: «**لا تحسسوا ولا تجسسوا**» وهذا من خائنة الأعين. وقد تجسس عمر مرة على شاربي خمر فحاججوه فاعتذر منهم.

القصّ والقَصص: هذه كانت موهبة وهي اتباع الأثر وأصبحت الآن علماً قائماً بذاته. وقد كان السابقون يقصون آثار الناس ويتعرفون على آثار شخص ما من بين آلاف الآثار وكان هذا العلم يسمى (قص الأثر) أما الآن فلدينا بصمة الأصابع وبصمة الصوت والشفرة الوراثية وبصمة الشعر والعين وغيرها وهذه كلها تطوير لعلم القصّ حتى أن الكلاب الآن تستخدم لتقصي الأثر. قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11].

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64] اتبعوا آثارهم حتى وصلوا إلى المكان المُراد.

التوسّم: وهو من اللامعقول كالقصّ سابقاً. فالله تعالى يعطي من يشاء من عباده بصيرة عظيمة كأنه يكتشف ما وراء الحُجُب فيرى ما لا يراه أحد وهو ناجم في الغالب عن طاعة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحِجر: 75] ما في قصة الخضر كشف الله تعالى له أن الغلام سيكون شقياً وكذلك قصة عمر بن الخطاب (يا سارية الجبل) والتوسم من الفراسة ومن ضمنها أيضاً الرؤية الصالحة: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**».

التنقيب: هو البحث عن الشيء الثمين في موقع معين. أو البحث عن طريق سريّ يهرب منه ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: 36].

هذه جملة الأساليب التي يكتشف بها الإنسان الغيب فيصبح مُشاهداً وهي أساس حركة الكون كله من البحث عن المعادن والخصب والمرض والمجرمين وكل الاكتشافات. وقد أمرنا الله تعالى أن نتخذ من هذه الكلمات سواء كنا أفراداً أو أجهزة ما يمكننا من منع الأذى عن أنفسنا والوقاية من الشرّ القادم ووعدنا أن لا نُفنى بما في هذه الأمة من علماء وأجهزة كما جاء في الحديث الشريف:

«وعدني ربي أن لا يسلّط على أمتي من يستبيح بيضتها من سوى أنفسها» ويُشترط في هذه الأجهزة أن تكون سلاحاً ذا حدين ويجب أن نتعلم ونأخذ العبرة من قصة الهدهد في القرآن الكريم لأن فيها صفات الاستخباري الناجح وهذه الصفات هي:

الانتماء إلى الوطن انتماء شديداً لا شك فيه، والولاء المطلق عقائدياً وعاطفياً. فالهدهد لا يغادر وطنه وأهله وفيه عاطفة على أسرته فيموت حنيناً إلى أهله إذا غاب عنه طفله أو أُنثاه فهو عاشق مثالي، وكذلك على صاحب المخابرات أن يكون عاشقاً لوطنه عشقاً كاملاً.

ضرورة الإلمام بلغة العدو ومعرفتها معرفة كاملة، وأن يكون صاحب المخابرات عالماً بلغة الدولة التي يستخبر عنها وتعرف آدابها وأحكامها وإشاراتها.. أن يتمتع بالسريّة التامة الكاملة. أن يكون سريع الاستيعاب.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والرّاء وما بعدها معتل، أُصول ثلاثة: فالأوّل: جنس من الحرارة، والثّاني: القرب والقصد، والثّالث: الرّجوع. فالأوّل. الحَرْوُ، من قولك: وجدت في فمي حَرْوَةً وحَرَاوَةً، وهي حَرَارَةٌ من شيء يؤكل كالخردل ونحوه. ومن هذا القياس: حَرَاةُ النّار، وهو التهابها. ومنه الحَرَةُ: الصوت والجلبة. وأمّا القرب والقصد، فقولهم: أنت حرًّى أن تفعل كذا؛ ولا يثنى على هذا اللّفظ ولا يجمع. فإذا قلت: حَرِيٌّ قلت: حَرِيَّانِ وحَرِيُّون وأَحْرِيَاء للجماعة. وتقول: هذا الأمر مَحْرَاةٌ لكذا. ومنه قولهم: هو يَتَحَرَّى الأمر، أي: يقصده.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الحَرْيُ: النقصان بعد الزيّادة. والقمر يَحْرِي الأوّل فالأوّل حتّى ينقص، حَرْياً. والحَرَى مقصور: موضع البيض، وهو الأُفحوص والأدحي. والحَرَى أيضاً: كلّ موضع للظّباء تأوي إليه. والحَرَى: الجدارة. تقول: هو حَرِيٌّ، أي: خليق. وهو حَرٍ، وبالحَرَى وحَرًّى أن يكون كذاك، وما أَحْرَاه، وأَحْرِ به أن يكون كذا.

قال الجوهريّ[2]: يقال: إنيّ لأجد لهذا الطّعام حَرْوَةً وحَرَاوَةً، أي: حَرَارَةً؛ وذلك من حرافة كلّ شيء يؤكل. والحَرَاةُ: السّاحة، والعَقْوَة، والنّاحية. وكذلك «الحَرَا» مقصور. يقال: اذهب فلا أُرينّك بِحَرَايَ وحَرَاتِي. ويقال: لا تَطُرْ حَرَانَا، أي: لا تقرب ما حولنا. يقال: نزلت بحَرَاهُ وعَرَاهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: 14].

قال الزمخشري[3]: ذكر سبب الثواب وموجبه، والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.

قال الطبري[4]: يقول: فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك تعمدوا وترجَّوا رشداً في دينهم.

قال البغوي[5]: أي: قصدوا طريق الحق وتوخوه.

قال ابن الجوزي[6]: أي: توخّوه وأمّوه.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.
(5) معالم التنزيل.
(6) زاد المسير.

قال البيضاوي[1]: توخّوا رشداً عظيماً يبلغهم دار الثّواب.

قال ابن عطية[2]: ﴿تَحَرَّوۡاْ﴾: معناه طلبوا باجتهادهم، ومنه قوله ﷺ: «**لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها**».

قال النسفي[3]: طلبوا هدى. والتحري طلب الأحرى، أي الأولى.

(1) أنوار التنزيل.
(2) المحرر الوجيز.
(3) مدارك التنزيل.

حزب

(حزب - رهط - زمرة - طائفة - فريق - فوج)

- **الحِزْبُ:** جماعة فيها غلظة وشدة لما تؤمن به مما يخالف الجميع ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53].
- **الرَّهْطُ:** جماعة دون العشرة ينقادون لواحد منهم انقياداً أعمى ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النَّمل: 48].
- **الزُّمْرَةُ:** الجماعة النادرة المتخصصة بعمل دقيق ونادر ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر: 73]، كأهل بدر زمرة، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر: 71] كالخوارج زمرة.
- **الطَّائِفَةُ:** جماعة من الواحد إلى الألف يعرفون بأمر معين ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجرَات: 9].
- **الفَرِيقُ:** جماعة متفرقة عن الكل بعمل محدد ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 78].
- **الفَوْجُ:** جماعة تشكل بسرعة للقيام بعمل مستجعل ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النّصر: 2].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والزّاي والباء أصل واحد، وهو تجمع الشّيء، فمن ذلك الحِزْبُ: الجماعة من النّاس. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 32]. والطّائفة من كلّ شيء: حِزْبٌ، يقال: قرأ حِزْبَهُ من القرآن. والحِزْبَاءُ: الأرض الغليظة. والحَزَابِيَةُ: الحمار المجموع الخلق.

قال الخليل[2]: حَزَبَ الأمر يَحْزُبُ حَزَباً: إذا نابّك، قال: «فنعم أخا فيما ينوب ويحزب» وتَحَزَّب القوم: تجمّعوا، وحَزَّبْتُ أَحْزَاباً: جمّعتهم. والحِزْبُ: أصحاب الرّجل على رأيه وأمره. والمؤمنون: حِزْبُ الله، والكافرون: حِزْبُ الشّيطان. وكلّ طائفة تكون أهواؤهم واحدة فهم حِزْبٌ. والحَيْزَبُونُ: العجوز، النّون زائدة كنون الزّيتون. والحَزْبَاءَةُ، ممدودة: أرض حزنة غليظة، وتجمع حَزَابِيَّ.

قال الجوهريّ[3]: حِزْبُ الرّجل: أصحابه. والحِزْبُ: الورد، وقد حَزَّبْتُ القرآن. والحِزْبُ: الطّائفة. وتَحَزَّبُوا: تجمّعوا. والأَحْزَابُ: الطّوائف الّتي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام. والحَزَابِيْ: الغليظ القصير. يقال: رجل حَزَابٍ وحَزَابِيَةٌ أيضاً، إذا كان غليظاً إلى القِصَرِ. والياء للإلحاق، كالفهامية والعلانية من الفهم والعلن. والحِزْبَاءُ: الأرض الغليظة، والحِزْبَاةُ أخصّ منه؛ والجمع: الحَزَابِي. وأصله مشدّد، كما قلنا في: الصّحاري. والحِنْزَابُ: جزر البّر، والقُسْطُ: جزر البحر.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المَائدة: 56].

قال الزمخشري[1]: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر. ومعناه: فإنهم هم الغالبون، ولكنهم بذلك جعلوا أعلاماً لكونهم حزب الله. وأصل الحزب؟ القوم يجتمعون لأمر حزبهم. ويحتمل أن يريد بحزب الله: الرسول والمؤمنين. ويكون المعنى: ومن يتولهم فقد تولى حزب الله، واعتضد بمن لا يغالب.

قال الفخر الرازي[2]: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: الحزب في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حزبهم، وللمفسرين عبارات. قال الحسن: جند الله، وقال أبو روق: أولياء الله وقال أبو العالية: شيعة الله، وقال بعضهم: أنصار الله. وقال الأخفش: حزب الله الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم.

المسألة الثانية: قوله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ جملة واقعة موقع خبر المبتدأ، والعائد، غير مذكور لكونه معلوماً، والتقدير فهو غالب لكونه من جند الله وأنصاره.

قال أبو السعود[3]: أُوثرَ الإظهارُ على أن يقال: ومن يتولَّهم رعايةً لما مر من نُكتةِ بيانِ أصالتِه تعالى في الولاية كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ حيث أضيفَ الحِزبُ إليه تعالى خاصة وهو أيضاً من باب وضْعِ الظاهِرِ

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.

موضعَ الضمير العائد إلى (من)، أي: فإنهم الغالبون لكنهم جُعِلوا حزبَ الله تعالى تعظيماً لهم وإثباتاً لغَلَبتهم بالطريق البرهاني، كأنه قيل: ومن يتولَّ هؤلاء فإنهم حزبُ الله وحزبُ الله هم الغالبون.

● قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

قال الفخر الرازي[1]: لما عدد هذه النعم ذكر الأمر الرابع من الأمور التي توجب ترك الموادة مع أعداء الله فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وهو في مقابلة قوله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19].

قال أبو السعود[2]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ تشريفٌ لهُمْ ببيانِ اختصاصِهم بهِ عَزَّ وَجَلَّ وقولُه تعالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ بيانٌ لاختصاصِهِم بالفوزِ بسعادةِ الدارينِ والفوزِ بسعادةِ النشأتينِ والكلامُ في تحليةِ الجملةِ بفنونِ التأكيدِ كَمَا مَرَّ فِي مثلِها.

وقال السيواسي[3]: ﴿حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ جنده في نصرة دينه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ نجوا في الآخرة وظفروا بالجنة. وروي أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه أبو بكر صكة سقط منها، فقال له رسول الله: «**أو فعلتها**»؟ قال: نعم. قال: «**لا تعد**» قال: والله لو كان السيف قريب مني لقتلته. فنزلت.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6].

قال الطبري[4]: يعني شيعته ومن أطاعه.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) عيون التفاسير.
(4) جامع البيان.

قال القشيري(1): وحزْبه هم المُعرِضون عن الله، المشتغلون بغير الله، والغافلون عن الله. ودليلُ هذا الخطاب: إن الشيطانَ عدوُّكم فأبغضوه واتخذوه عدواً، وأنا وَلِيُّكم. وحبيبُكم فأَحِبُّوني وارْضَوْا بي حبيباً.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: 12].

قال الفخر الرازي(2): اختلفوا في الحزبين فقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك، فالملوك حزب وأصحاب الكهف حزب. والقول الثاني: قال مجاهد: الحزبان من هذه الفتية لأن أصحاب الكهف لما انتبهوا اختلفوا في أنهم كم ناموا والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: 19] فالحزبان هما هذان، وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول. القول الثالث: قال الفراء: إن طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم.

قال الماوردي(3): وفي الحزبين أربعة أقاويل: أحدها: أن الحزبين هما المختلفان في أمرهم من قوم الفتية.

الثاني: أن أحد الحزبين الفتية، والثاني: من حضرهم من أهل ذلك الزمان.
الثالث: أن أحد الحزبين مؤمنون، والآخر كفار.

الرابع: أن أحد الحزبين الله تعالى، والآخر الخلق، وتقديره: أنتم أعلم أم الله.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17].

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) التفسير الكبير.
(3) النكت والعيون.

قال ابن عطية[1]: ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ ها هنا يراد به جميع الأمم، وروى سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة، ولا من اليهود والنصارى ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**» فقلت: أين مصداق هذا من كتاب الله؟ حتى وجدته في هذه الآية، وكنت إذا سمعت حديثاً عن النبي ﷺ طلبت مصداقه في كتاب الله.

قال الشوكاني[2]: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: بالنبي أو القرآن (والأحزاب) المتحزبون من أهل الأديان كلها ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ لا محالة. وفي جعل النار موعداً إشعار بأن فيها ما لا يحيط به الوصف من أفانين العذاب.

قال النيسابوري[3]: يعني أهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: 36].

قال الطبري[4]: ومن أهل الملل المتحزّبين عليك، وهم أهل أديان شتى، من يُنكر بعض ما أنزل إليك.

قال البغوي[5]: يعني: الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ، وهم اليهود والنصارى.

قال القشيري[6]: أي: الأحزاب الذين قالوا كان محمد يدعو إلى إلٰه واحد، فالآن هو ذا يدعو إلى إلٰهين لمَّا نزل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: 110].

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) فتح القدير في علم التفسير.
(3) غرائب القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) معالم التنزيل.
(6) لطائف الإشارات.

● قال تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: 37].

قال الفخر الرازي(1): ففي الأحزاب أقوال: الأول: المراد فرق النصارى على ما بينا أقسامهم. الثاني: المراد النصارى واليهود فجعله بعضهم ولداً وبعضهم كذاباً. الثالث: المراد الكفار الداخل فيهم اليهود والنصارى والكفار الذين كانوا في زمن محمد ﷺ وإذا قلنا المراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ﴾ [آل عمران: 51] أي قل يا محمد إن الله ربي وربكم، فهذا القول أظهر لأنه لا تخصيص فيه، وكذا قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مؤكد لهذا الاحتمال.

قال الخازن(2): يعني النصارى سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية.

قال الشعراوي(3): الأحزاب: أي الذين اختلفوا في عيسى عليه السلام من قومه، فمنهم مَنْ قال: هو إلٰه، ومنهم مَن قال: ابن إلٰه. وآخر قال: هو ثالث ثلاثة. ومنهم مَنْ رماه بالسحر وقال عنه بعضهم: ابن زنى - نستغفر الله مما يقوله الظالمون والكافرون -.

والأحزاب: جمع حِزْب، وهم طائفة من الناس اجتمعوا حول مبدأ من المبادىء، ورأْي من الآراء يدافعون عنه ويعتقدونه، ويسيرون في حياتهم على وفقه، ويُخضِعون حركة حياتهم لخدمته.

● قال تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [صٓ: 11].

قال الطبري(4): ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني من أحزاب إبليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم، فأهلكهم الله بذنوبهم. و«مِنْ» من قوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ من صلة قوله جند، ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) لباب التأويل.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) جامع البيان.

قال الماوردي[1]: يعني مشركي قريش أنه أحزاب إبليس وأتباعه وقيل لأنهم تحازبوا على الجحود لله ولرسوله ﷺ. قال قتادة: فبشره بهزيمتهم وهو بمكة فكان تأويلها يوم بدر.

قال الألوسي[2]: ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ صفة ﴿جُندٌ مَّا﴾ أي: هم جند قليلون أذلاء أو كثيرون عظماء كائنون هنالك من الكفار المتحزبين على الرسل مكسورون عن قريب في مكانهم الذي تكلموا فيه بما تكلموا فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون.

(1) النكت والعيون. (2) روح المعاني.

حزن

(حزن - حسرة - ضيق - غم - هم)

- **الحُزْنُ:** خشونة النفس باشتهاء البكاء على شيء مضى ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 153].
- **الحَسْرَةُ:** حزن مع ندم شديد ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: 156].
- **الضِّيقُ:** حزن على ما لا حيلة فيه ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12].
- **الغَمُّ:** حزن يغطي كل المشاعر الأخرى ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [طه: 40].
- **الهَمُّ:** الحزن الذي يؤدي إلى الهزال ﴿طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: 154].

* * *

شرح المعاني:

الحزن كلمة تنطوي تحتها عدة كلمات كلها تُشكّل معنى الحُزن. وهذه الكلمات تُعبّر عن حالة ضد الفرح والسرور والارتياح وكل كلمة ترسم في هذا الباب زاوية دقيقة لا تُغني عنها كلمة أخرى.

الحزن: عندما تأسف على ما فات فأنت تحزن وسُمّيَ حينئذ حزناً، وهو أعمّ وأشمل من أية كلمة ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: 40] وينقسم الحزن إلى عدة حالات:

الضِّيق: من الحزن ما هو ضيق أي: الشعور بعدم تحقيق الهدف. كأن تكون أمامك مهمة أو هدف لكن بعض الظروف والأوضاع أو الأشخاص يحولون بينك وبين تحقيق الهدف فيصيبك ضيق. ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النّحل: 127] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: 70].

الحسرة: كانت أمامك فرصة عظيمة سهلة المنال ثم لم تأخذها لتقصير منك أو تخلفك عنها فتشعر بالحسرة. مثال: إذا دُعيت لاستلام جائزة عظيمة وطُلِب منك الحضور في موعد محدد لاستلام الجائزة ثم تخلّفت عن الموعد لسبب ما فإنك تشعر بالحسرة. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39] ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يسٓ: 30] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: 56] ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحَاقَّة: 50].

الأسف: هو حزن يبعث على الغضب وحب الانتقام فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً. ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: 150] ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزّخرُف: 55] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: 84] حزن يعقوب عليه السلام على يوسف مشوب بالغضب على إخوة يوسف. والأسف هو كل حزن عميق على شيء مهم جداً يثير غضباً.

الابتئاس: هو كل ما كان ناتجاً عن البأساء من فقر أو مرض أو قهر عدو، هذا الحزن يؤدي إلى انهيارك لشدة الفقر أو شدة المرض أو قهر العدو. ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يُوسُف: 69] ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هُود: 36].

الهمّ: مأخوذ من اسم المصدر (المهمة) هو الحزن على عدم قدرتك على مهمة عظيمة ثقيلة عليك حُكم بلاد مثلاً أو أولاد كُثُر ولا يوجد ما تنفقه عليهم أو امتحان صعب، والهمّ يُذيب قلب المهموم ويُضعفه ويُذهله لأنه يطول: فالحزن قد يكون ساعة والأسف قد يكون يوماً والحسرة قد تكون أياماً أما الهمّ فيطول كهمّ الأولاد من صغرهم حتى يكبروا ويتعلموا ويتزوجوا وينجبوا فهمّهم يطول. فالحزن إذا كان من أجل عدم قدرتك على مهمة عظيمة تُحبّها يُسمى همّاً. وجاء في الحديث الشريف: «**إن من الذنوب ذنوباً لا يغفرها إلا الهمّ للعيال**».

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: 154].

الغمّ: هو الحزن الذي تشعر به وأنت في محنة تظن أنها مُهلِكة أو كُربة لا بد أن تقضي عليك يسمّى غمّاً. مثال ما حصل مع يونس عليه السلام حينما التقمه الحوت وهو يمشي على شاطئ البحر فظنّ أنه هالك لا محالة فهو في كربة عظيمة ما ظنّ أنه ناجٍ منها فنادى في بطن الحوت ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87-88].

فنجّاه الله تعالى من الغمّ. وهكذا على كل من أصابه غمٌ ظنّ أنه لا يستطيع أن ينجو منه فعليه أن يلجأ إلى الله كما فعل ذو النون لأن الله تعالى قال في الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88] ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40] ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: 22].

النّكد: الحزن الناتج عن خيبة الأمل والنكد هو الذي يكون جُهده لا يأتي إلا بمردود ضعيف جداً. كأن تكون في امتحان تتوقع أن تحصل على درجة ممتازة فتحصل على درجة منخفضة، أو تاجر قدّر أن ربحه سيكون كبيراً من تجارته فلم

يربح إلا القليل أو المزارع الذي يتوقع أن يكون محصوله الزراعي عظيماً فيخرج النبات بائساً قليلاً لا يساوي الجهد الذي بذله. قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعرَاف: 58] والبلد الخبيث هو البلد الذي فيه ظُلم وقلنا سابقاً أن النبات يتأثر بواقع الزارع وبواقع الحُكم في البلد فالبلد العادل يبارك الله تعالى في زرعه ونباته.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والزّاي والنّون أصل واحد. وهو خشونة الشّيء وشدّة فيه، فمن ذلك: الحزن، وهو ما غلظ من الأرض. والحُز

والحُزْن: معروف، يقال: حَزَنَنِي الشّيء يَحْزُنَنِي ؛ وقد قالوا: أَحْزَنَنِي. وحُزَانَتِكَ: أهلك ومن تتحزّن له.

قال الخليل(2): الحُزْن والحَزَن: لغتان، إذا ثقلوا فتحوا، وإذا ضموا خففوا. يقال: أصابه حَزَنٌ شديد، وحُزْنٌ شديد. ويقال: حَزَنَنِي الأمر يَحْزُنُنِي فأنا مَحْزُونٌ، وأَحْزَنَنِي فأنا مُحْزَنٌ، وهو مُحْزِن؛ لغتان أيضاً، ولا يقال حَازِنٌ.

قال الأصمعيّ(3): الحُزَانَةُ: عيال الرّجل الّذين يَتَحَزَّنُ لهم وبأمرهم. الحَزُنُ: الجبال الغلاظ؛ الواحدة: حُزْنَةٌ، مثل صُبرةٍ وصُبرٍ.

قال ابن دريد(4): الحَزْن: الغلظ من الأرض، مثل الحَزْم سواء. وقد فصل قوم بينهما، فزعموا أنّ الحَزْنَ أغلظ من الحَزْم، وليس بالمعروف ؛ والجمع: حُزُونٌ. وأَحْزَنَ الرّجل، إذا ركب الحَزْن.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الأضداد.
(4) الجمهرة.

ورد الحُزْنُ في كتاب الله على وجهين:

الوجه الأول: الهم والغم:

قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبَة: 40].

وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعرَاف: 49].

وقال تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: 84].

الوجه الثاني: بمعنى الإساءة:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يُوسُف: 13].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [آل عِمرَان: 176].

وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبَة: 40].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يُونس: 65].

قال الفخر الرازي[1]: اعلم أن القوم لما أوردوا أنواع الشبهات التي حكاها الله تعالى عنهم فيما تقدم من هذه السورة وأجاب الله عنها بالأجوبة التي فسرناها وقررناها، عدلوا إلى طريق آخر، وهو أنهم هددوه وخوفوه وزعموا أنا أصحاب التبع والمال، فنسعى في قهرك وفي إبطال أمرك، والله سبحانه أجاب عن هذا الطريق بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

---

(1) التفسير الكبير.

واعلم أن الإنسان إنما يحزن من وعيد الغير وتهديده ومكره وكيده، لو جوز كونه مؤثراً في حاله، فإذا علم من جهة علام الغيوب أن ذلك لا يؤثر، خرج من أن يكون سبباً لحزنه. ثم إنه تعالى كما أزال عن الرسول حزن الآخرة بسبب قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62] فكذلك أزال حزن الدنيا بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فإذا كان الله تعالى هو الذي أرسله إلى الخلق وهو الذي أمره بدعوتهم إلى هذا الدين كان لا محالة ناصراً له ومعيناً، ولما ثبت أن العزة والقهر والغلبة ليست إلا له، فقد حصل الأمن وزال الخوف. فإن قيل: فكيف آمنه من ذلك ولم يزل خائفاً حتى احتاج إلى الهجرة والهرب، ثم من بعد ذلك يخاف حالاً بعد حال؟ قلنا: إن الله تعالى وعده الظفر والنصرة مطلقاً والوقت ما كان معيناً، فهو في كل وقت كان يخاف من أن لا يكون هذا الوقت المعين ذلك الوقت، فحينئذ يحصل الانكسار والانهزام في هذا الوقت.

قال أبو السعود[1]: تسليةٌ للرسول ﷺ عما كان يلقاه من جهتهم من الأذية الناشئةِ عن مقالاتهم الموحشةِ وتبشيرٌ له عليه الصلاة والسلام بأنه عز وجل ينصُره ويُعزّه عليهم، إثرَ بيانِ أن له ولأتباعه أمْناً من كل محذورٍ وفوزاً بكل مطلوبٍ، وقرىء: ولا يُحْزِنك من أحزنه وهو في الحقيقة نهيٌ له ﷺ عن الحزن كأنه قيل: لا تحزنْ بقولهم ولا تُبالِ بتكذيبهم وتشاورِهم في تدبير هلاكِك وإبطالِ أمرِك وسائرِ ما يتفوهون به في شأنك مما لا خيرَ فيه، وإنما وُجِّه النهيُ إلى قولهم للمبالغة في نهيه ﷺ عن الحزن لما أن النهيَ عن التأثير نهيٌ عن التأثر بأصله ونفيٌ له بالمرة وقد يوجّه النهيُ إلى اللازم والمرادُ هو النهيُ عن الملزوم كما في قولك: لا أُرَيَّنك هاهنا، وتخصيصُ النهي عن الحزن بالإيراد مع شمول النفي السابقِ للحزن أيضاً لما أنه لم يكن فيه ﷺ شائبةُ خوفٍ حتى ينهىٰ عنه وربما كان يُعنىٰ به ﷺ في بعض الأوقاتِ نوعُ حزنٍ فسُلِّيَ عن ذلك.

(1) إرشاد العقل السليم.

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 176].

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾؟ ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتدّ؟ قلت: معناه لا يحزنوك لخوف أن يضرّوك ويعينوا عليك. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم، وما وبال ذلك عائداً على غيرهم.

قال أبو السعود[2]: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ تلوينٌ للخطاب وتوجيهٌ له إلى رسول الله ﷺ لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والإيذانِ بأصالته في تدبير أمورِ الدينِ والاهتمامِ بشؤونه. . .

● قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].

قال الفخر الرازي[3]: وجمع قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جميع ما أعد الله تعالى لأولياءه لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضي الوصول إلى كل اللذات والمرادات وقدم عدم الخوف على عدم الحزن لأن زوال ما لا ينبغي مقدم على طلب ما ينبغي، وهذا يدل على أن المكلف الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الموازين ولا عند الصراط كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التفسير الكبير.

ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103] وقال قوم من المتكلمين: إن أهوال القيامة كما تصل إلى الكفار والفساق تصل أيضاً إلى المؤمنين لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: 2] وأيضاً فإذا انكشفت تلك الأهوال وصاروا إلى الجنة ورضوان الله صار ما تقدم كأن لم يمكن، بل ربما كان زائداً في الالتذاذ بما يجده من النعيم وهذا ضعيف لأن قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ أخص من قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ والخاص مقدم على العام. وقال ابن زيد: لا خوف عليهم أمامهم فليس شيء أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت، فأمنهم الله تعالى منه. ثم سلاهم عن الدنيا فقال: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا فإن قيل قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقتضي نفي الخوف والحزن مطلقاً في الدنيا والآخرة وليس الأمر كذلك لأنهما حصلا في الدنيا للمؤمنين أكثر من حصولهما لغير المؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام: «**خص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل**» وأيضاً فالمؤمن لا يمكنه القطع أنه أتى بالعبادات كما ينبغي فخوف التقصير حاصل وأيضاً فخوف سوء العاقبة حاصل، قلنا قرائن الكلام تدل على أن المراد نفيهما في الآخرة لا في الدنيا. ولذلك حكى الله عنهم أنهم قالوا حين دخلوا الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 34] أي: أذهب عنا ما كنا فيه من الخوف والإشفاق في الدنيا من أن تفوتنا كرامة الله تعالى التي نلناها الآن.

قال البيضاوي(1): فلا خوف عليهم فضلاً عن أن يحل بهم مكروه، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه، فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه.

● **قال تعالى**: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69].

---

(1) أنوار التنزيل.

قال الطبري[1]: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما قدّموا عليه من أهوال القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها بعد معاينتهم ما أكرمهم الله به من جزيل ثوابه.

قال الفخر الرازي[2]: ثم بيّن تعالى أن كل من أتى بهذا الإيمان وبهذا العمل فإنه يرد القيامة من غير خوف ولا حزن. والفائدة في ذكرهما أن الخوف يتعلق بالمستقبل، والحزن بالماضي، فقال: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بسبب ما يشاهدون من أهوال القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بسبب ما فاتهم من طيبات الدنيا لأنهم وجدوا أموراً أعظم وأشرف وأطيب مما كانت لهم حاصلة في الدنيا، ومن كان كذلك فإنه لا يحزن بسبب طيبات الدنيا. فإن قيل: كيف يمكن خلو المكلف الذي لا يكون معصوماً عن أهوال القيامة؟ والجواب من وجيهن: الأول: أنه تعالى شرط ذلك بالعمل الصالح، ولا يكون آتياً بالعمل الصالح إلا إذا كان تاركاً لجميع المعاصي، والثاني: أنه إن حصل خوف فذلك عارض قليل لا يعتد به.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35].

قال الطبري[3]: فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه. (وَلا هُمْ لا يَحْزنُونَ) على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها، وشهواتهم التي تجنبوها، اتباعاً منهم لنهي الله عنها إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك.

قال الفخر الرازي[4]: ثم قال تعالى: في صفته: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بسبب الأحوال المستقبلة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: بسبب الأحوال الماضية لأن الإنسان إذا جوز وصول المضرة إليه في الزمان المستقبل خاف وإذا تفكر فعلم أنه وصل إليه بعض ما لا ينبغي في الزمان الماضي، حصل الحزن في قلبه، لهذا

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

السبب والأولى في نفي الحزن أن يكون المراد أن لا يحزن على ما فاته في الدنيا، لأن حزنه على عقاب الآخرة يجب أن يرتفع بما حصل له من زوال الخوف، فيكون كالمعاد وحمله على الفائدة الزائدة أولى فبين تعالى أن حاله في الآخرة تفارق حاله في الدنيا، فإنه في الآخرة لا يحصل في قلبه خوف ولا حزن ألبتة، واختلف العلماء في أن المؤمنين من أهل الطاعات هل يلحقهم خوف، وحزن عند أهوال يوم القيامة فذهب بعضهم إلا أنه لا يلحقهم ذلك، والدليل عليه هذه الآية، وأيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 103] وذهب بعضهم إلى أن يلحقهم ذلك الفزع لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: 2] أي: من شدة الخوف. وأجاب هؤلاء عن هذه الآية: بأن معناه أن أمرهم يؤول إلى الأمن والسرور، كقول الطبيب للمريض: لا بأس عليك، أي: أمرك يؤول إلى العافية والسلامة، وإن كان في الوقت في بأس من علته، ثم بين تعالى أن الذين كذبوا بهذه الآيات التي يجيء بها الرسل ﴿وَٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ أن أنفوا من قبولها وتمردوا عن التزامها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وقد تمسك أصحابنا بهذه الآية على أن الفاسق من أهل الصلاة، لا يبقى مخلداً في النار، لأنه تعالى بين أن المكذبين بآيات الله والمستكبرين عن قبولها، هم الذين يبقون مخلدين في النار، وكلمة ﴿هُمْ﴾ تفيد الحصر، فذلك يقتضي أن من لا يكون موصوفاً بذلك التكذيب والاستكبار، لا يبقى مخلداً في النار، والله أعلم.

● **قال تعالى:** ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: 40].

قال الطبري(1): إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك، فقال له رسول الله ﷺ:

(1) جامع البيان.

«لاَ تَحْزَنْ لأنَّ اللَّهَ مَعَنا، واللَّهُ ناصِرُنا، فَلَنِ يَعْلَمَ المُشْرِكُونَ بِنا، وَلَنْ يَصِلُوا إلَيْنَا» يقول جلّ ثناؤه: فقد نصره الله على عدوّه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد، فكيف يخذله ويحوجه إليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده؟.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 34].

قال الطبري[1]: اختلف أهل التأويل في الحَزَن الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم، فقال بعضهم: ذلك الحزَن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار، إذ كانوا خائفين أن يدخلوها.

والحَزَن، والله ما حزنهم حزن الدنيا، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لا يتعزّ بعزاء الله يقطّع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمة إلاَّ في مطعم أو مشرب، فقد قلّ علمه، وحضر عذابه. وقال آخرون: عُني به الموت.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن، ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنوع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.

● **قال تعالى:** ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: 92].

---

(1) جامع البيان.

وقال ابن كثير[1]: هم سبعة نفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فاستحملوه، وكانوا أهل حاجة فقال: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التّوبَة: 92].

وقال رسول الله ﷺ: «**لقد خلفتم بالمدينة أقواماً ما أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم وادياً، ولا نلتم من عدو نيلاً إلّا وقد شركوكم في الأجر ثم قرأ قوله تعالى**: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التّوبَة: 92].

ثم رد الله تعالى الملامة على الذين يستأذنونك في القعود وهم أغنياء، وأنبهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرجال ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [التّوبَة: 93].

---

(1) تفسير ابن كثير.

حسب

(حسب - عد - أحصى)

■ **الحِسَابُ:** استعمال العدد والتقدير في كل شيء ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: 5]. . أي: مقادير الشيء الواحد. . فصلاة الصبح ثنتان والظهر أربع. . هذا حساب لأننا به نعرف عدد الركعات.

■ **العَدَدُ:** تركيب الآحاد ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11].

■ **الإِحْصَاءُ:** الإحالة بحقيقة المعدود من جميع الجوانب ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجنّ: 28]. . وهذا من قدرة الله وحده أن يعلم في كل فرد من أفراد العدد مثل صغيرة. . ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

* * *

حسب
(حسب - كفى)

■ **الحَسِيبُ:** الكافي في كل شيء ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: 173]. . ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: 36].

■ **الكَافِي:** في جانب معين من الاختيار ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: 36].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والسّين والباء أصول أربعة: فالأوّل: العَدُّ. تقول: حَسَبْتُ الشّيء أَحْسُبُه حَسْباً وحُسْبَاناً. ومن قياس الباب الحِسْبان: الظّنّ، ذلك أنّه فرّق بينه وبين العدّ بتغيير الحركة والتّصريف، والمعنى واحد، لأنّه إذا قال: حَسِبْتُه كذا، فكأنّه قال: هو في الّذي أعدّه من الأمور الكائنة.

قال الخليل[2]: الحسب: الشّرف الثّابت في الآباء. رجل كريم الحَسَبِ: حَسِيبٌ، وقوم حُسَبَاء. وفي الحديث: الحَسَبُ: المال، والكرم: التّقوى. وتقول: الأجر على حَسَبِ ذلك، أي على قدْره.

قال الأصمعيّ[3]: إنه لحسن الحِسْبَة في الأمر: إذا كان حسن التّدبير في الأمر والنّظر فيه. وليس هو من احْتِسَابِ الأجر.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الأضداد.

قال الجوهريّ[1]: حَسَبْتُهُ أَحْسُبُهُ - بالضمّ - حَسْباً وحِسَاباً وحِسْبَاناً وحِسَابَةً، إذا عددته. والمعدود مَحْسُوبٌ وحَسَبٌ أيضاً، وهو «فعل» بمعنى «مفعول» مثل نقضٍ بمعنى منفوض. ومنه قولهم: ليكن عملك بحَسَبِ ذلك، أي: على قدره وعدده. والحَسَبُ أيضاً: مايعدّه الإنسان من مفاخر آبائه. ويقال: حَسَبُهُ: دينه، ويقال: ماله. والرّجل حَسِيبٌ. وقد حَسُبَ - بالضمّ - حَسَابَةً، مثل: خَطب خطابة.

*** ورد (الحساب) في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:**

الوجه الأول: بمعنى العدّ والإحصاء.

قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يُونس: 5]. . أي: عدد الأيام.

وقال تعالى ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 5]. . أي: يجريان بحساب وإحصاء مقدر.

الوجه الثاني: الكافي الكثير.

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النِّساء: 6]. . أي: محاسباً أو كافياً وكفيلاً.

وقال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: 36].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسـراء: 14] أي: محاسباً، أو هي كافية لك كفيلة بمحاسبتك.

الوجه الثالث: عين المحاسبة.

قال تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطّلَاق: 8]. . أي: محاسبة شديدة.

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 8].

الوجه الرابع: بمعنى العذاب والبلاء.

قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ

(1) الصحاح في اللغة.

ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: 40]. . أي: بلاءً وهلاكاً محسوباً مقدراً بما ارتكبت من أنواع المخالفة.

الوجه الخامس: كناية عن سعة الفضل.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [البَقَرَة: 212]. . كناية عن سعة الفضل، أو أنه لا يحاسبه أحد بغير تقدير من المرزوق.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: 10]. . سعة وكثرة العطاء.

وقال تعالى: ﴿يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [غَافر: 40].

الوجه السادس: بمعنى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41]. . أريد به يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: 16]. . أي: يوم القيامة.

الوجه السابع: بمعنى الجزاء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: 117]. . أي: محاسبته.

وقال تعالى: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ [الشُّعَرَاء: 113].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا﴾ [النَّبَإِ: 27].

الوجه الثامن: بمعنى ظن.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: 2-3]. . أي: من حيث لا يظن أو من حيث لا يقدر وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: 47]. . أي: يظنون أو يقدرون.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: 102].

قال الطبري[1]: أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح، أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء، يقول: كلا بل هم لهم أعداء.

قال أبو السعود[2]: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: أكفروا بي مع جلالة شأني فحسِبوا ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ﴾ من الملائكة وعيسى وعُزيرٍ عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي ﴿أَوْلِيَآءَۚ﴾ معبودين ينصُرونهم من بأسي.

● **قال تعالى**: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 71].

قال الألوسي[3]: أي: ظن بنو إسرائيل أن لا يصيبهم من الله تعالى بما فعلوا بلاء وعذاب لزعمهم - كما قال الزجاج - أنهم أبناء الله تعالى وأحباؤه أو لإمهال الله تعالى لهم أو لنحو ذلك، وعن مقاتل تفسير الفتنة بالشدة والقحط، والأولى حملها على العموم، وعلى التقديرين ليس المراد منها معناها المعروف.

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ﴾ [البقرة: 214].

قال أبو السعود[4]: خوطب به رسولُ الله ﷺ ومن معه من المؤمنين حثًّا لهم

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) إرشاد العقل السليم.

على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفَرَة وتحمُّل المشاقِّ من جهتهم إثر بيانِ اختلافِ الأممِ على الأنبياء عليهم السلام، وقد بُيّن فيه مآلُ اختلافِهم وما لَقِيَ الأنبياءُ ومَنْ معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وأن عاقبة أمرِهم النصرُ وأم منقطعة والهمزةُ فيها للإنكار والاستبعاد أي: بل أحسبتم.

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: 178].

قال الطبري(1): ولا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله، أن إملاءنا لهم خير لأنفسهم. ويعني بالإملاء: الإطالة في العمر والإنساء في الأجل؛ ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: 46]: أي: حيناً طويلاً؛ ومنه قيل: عشت طويلاً وتمليت حيناً والملا نفسه: الدهر، والملوان: الليل والنهار.

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59].

قال الطبري(2): ولا تحسبنّ أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذّبوا بها سبقونا بأنفسهم، ففاتونا، إنهم لا يعجزوننا: أي يفوتوننا بأنفسهم، ولا يقدرون على الهرب منا.

● قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39].

قال الزمخشري(3): شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة

(1) جامع البيان.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

أمله ويلقى خلاف ما قدّر، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه العطش يوم القيامة فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغَاشِيَة: 3]، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: 23].

قال أبو حيان[1]: شبه أولاً أعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب في مكان منخفض ظنه العطشان ماء فقصده وأتعب نفسه في الوصول إليه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ أي جاء موضعه الذي تخيله. فيه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي فقده لأنه مع الدنو لا يرى شيئاً. كذلك الكافر يظن أن عمله في الدنيا نافعه حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم ينفعه عمله بل صار وبالاً عليه.

● **قال تعالى**: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30].

قال البيضاويّ[2]: يدل على أن الكافر المخطىء والمعاند سواء في استحقاق الذم، وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر.

قال الفخر الرازي[3]: كل من شرع في باطل، فهو يستحق الذم والعذاب سواء حسب كونه حقاً، أو لم يحسب ذلك، وهذا الآية تدل على أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين، بل لا بد فيه من الجزم والقطع واليقين، لأنه تعالى عاب الكفار بأنهم يحسبون كونهم مهتدين، ولولا أن هذا الحسبان مذموم، وإلا لما ذمهم بذلك، والله أعلم.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: 42].

---

(1) البحر المحيط.
(2) أنوار التنزيل.
(3) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: هذه الآية بجملتها فيها وعيد للظالمين، وتسلية للمظلومين، والخطاب بقوله: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ لمحمد ﷺ، والمراد بالنهي غيره ممن يليق به أن يحسب مثل هذا.

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ [إبراهيم: 42] يا محمد ﴿غَٰفِلًا﴾ ساهياً ﴿عَمَّا يَعْمَلُ﴾ هؤلاء المشركون من قومك، بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيها عليهم، ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

قال الفخر الرازي[3]: فالغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء، حقيق بالعاقل أن يكون في أشد الخوف منه.

قال الطبري[4]: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين، لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف في الدُّنا من صالح أو سيىء منا.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62].

قال الطبري[5]: وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس، وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها، لأنه لا يحسب بعقد يَدٍ، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، ولا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السَّمَوَاتِ ولا في الأَرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ولا أَكْبَرُ إلاَّ في كِتَابٍ مُبِينٍ.

قال الألوسي[6]: يحاسب جميع الخلائق بنفسه في أسرع زمان وأقصره،

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) جامع البيان.
(6) روح المعاني.

ويلزم هذا أن لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن. وفي الحديث «أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة» وفي بعض الأخبار «في مقدار نصف يوم» وذهب بعضهم إلى أنه تعالى لا يحاسب الخلق بنفسه بل يأمر سبحانه الملائكة عليهم السلام فيحاسب كل واحد منهم واحداً من العباد. وذهب آخرون إلى أنه عز وجل إنما يحاسب المؤمنين بنفسه وأما الكفار فتحاسبهم الملائكة لأنه تعالى لو حاسبهم لتكلم معهم وذلك باطل لقوله تعالى في صفتهم: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ [البَقَرَة: 174] وأجاب الأولون عن هذا بأن المراد أنه تعالى لا يكلمهم بما ينفعهم فإن ظواهر الآيات ومنها ما تقدم في هذه السورة من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعَام: 22] وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 30] تدل على تكليمه تعالى لهم في ذلك اليوم، ثم إن كيفية ذلك الحساب مما لا تحيط بتفصيلها عقول البشر من طريق الفكر أصلاً وليس لنا إلا الايمان به مع تفويض الكيفية وتفصيلها إلى عالم الغيب والشهادة.

● **قال تعالى**: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: 202].

قال الطبري(1): أنه محيط بعمل الفريقين كليهما اللذين من مسألة أحدهما: ربنا آتنا في الدنيا ومن مسألة الآخر: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فمحص له بأسرع الحساب، ثم إنه مُجازٍ كلا الفريقين على عمله. وإنما وصف جل ثناؤه نفسه بسرعة الحساب، لأنه جل ذكره يحصي ما يحصى من أعمال عباده بغير عقد أصابع ولا فكر ولا روية فعل العجزة الضعفة من الخلق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة فيهما، ثم هو مجاز عباده على كل ذلك فلذلك جل ذكره امتدح بسرعة

(1) جامع البيان.

الحساب، وأخبر خلقه أنه ليس لهم بمثل فيحتاج في حسابه إلى عقد كف أو وعي صدر.

قال الزمخشري[1]: يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد. فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة، أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدلّ على كمال قدرته ووجوب الحذر منه. روي: أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة. وروى في مقدار فواق ناقة. وروي في مقدار لمحة.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النِّساء: 6].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ قال ابن الانباري والأزهري: يحتمل أن يكون الحسيب بمعنى المحاسب، وأن يكون بمعنى الكافي، فمن الأول قولهم للرجل للتهديد: حسبه الله ومعناه يحاسبه الله على ما يفعل من الظلم، ونظير قولنا الحسيب بمعنى المحاسب، قولنا الشريب بمعنى المشارب، ومن الثاني قولهم: حسيبك الله أي: كافيك الله. واعلم أن هذا وعيد لولي اليتيم وإعلام له أنه تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله، وهذا المقصود حاصل سواء فسرنا الحسيب بالمحاسب أو بالكافي.

قال البغوي[3]: محاسباً ومجازياً وشاهداً.

● **قال تعالى**: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14].

قال الطبري[4]: حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهداً غيرها، ولا نطلب عليك محصياً سواها.

قال القشيري[5]: مَنْ ساعَدَتْه العنايةُ الأزليةُ حِفظَ عند معاملاته مما يكون

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) معالم التنزيل.
(4) جامع البيان.
(5) لطائف الإشارات.

وبالاً عليه يوم حسابه، ومَنْ أبلاه بحُكْمِه رَدَّه وأَمْهَلَه، ثم تركه وعَمَلَه، فإذا استوفى أَجَلَه عرف ما ضيَّعَه وأهمله، ويومئذ يُحِكِّمه في حالِ نفسه، وهو لا محالةَ يحكم بنفسه باستحقاقه لعذابه عندما يتحقق من قبيح أعماله. . . فكم من حسرةٍ يتجرَّعُها، وكم من خيبةٍ يتلقَّاها! ويقال مَنْ حَاسَبَه بكتابه فكتابةُ مُلازِمُه في حسابه فيقول: رَبِّ: لا تحاسبني بكتابي. . ولكن حاسِبْنِي بما قلتَ: إنَّكَ غافرُ الذَّنْبِ وقابلُ التوبِ. . لا تعاملني بمقتضى كتابي: ففيه بواري وهلاكي.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: 212].

قال الطبري(1): والله يعطي الذين اتقوا يوم القيامة من نعمه وكراماته وجزيل عطاياه، بغير محاسبة منه لهم على ما منَّ به عليهم من كرامته.

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ من المدح؟ قيل: المعنى الذي فيه من المدح الخبر عن أنه غير خائف نفاد خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها، إذ كان الحساب من المعطي إنما يكون ليعلم قدر العطاء الذي يخرج من ملكه إلى غيره لئلا يتجاوز في عطاياه إلى ما يجحف به، فربنا تبارك وتعالى غير خائف نفاد خزائنه، ولا انتقاص شيء من ملكه بعطائه ما يعطي عباده، فيحتاج إلى حساب ما يعطي، وإحصاء ما يُبقي فذلك المعنى الذي في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

قال الماوردي(2): فإن قيل: كيف يرزق من يشاء بغير حساب وقد قال تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابٗا﴾ [النبإ: 36] ففي هذا ستة أجوبة:

أحدها: أن النقصان بغير حساب، والجزاء بالحساب.

والثاني: بغير حساب لسعة ملكه الذي لا يفنى بالعطاء، لا يقدر بالحساب.

والثالث: إن كفايتهم بغير حساب ولا تضييق.

---

(1) جامع البيان. (2) النكت والعيون.

والرابع: دائم لا يتناهى فيصير محسوباً، وهذا قول الحسن.

والخامس: أن الرزق في الدنيا بغير حساب، لأنه يعم به المؤمن والكافر فلا يرزق المؤمن على قدر إيمانه ولا الكافر على قدر كفره.

والسادس: أنه يرزق المؤمنين في الآخرة وأنه لا يحاسبهم عليه ولا يَمُنُّ عليهم به.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: 10].

قال ابن عطية[1]: وهذا يحتمل معنيين، أحدهما: أن الصابر يوفى أجره ثم لا يحاسب عن نعيم ولا يتابع بذنوب، فيقع ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ في هذه الآية على الجماعة التي ذكرها النبي ﷺ أنها تدخل الجنة دون حساب في قوله: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**» الحديث على اختلاف ترتيباته.

والمعنى الثاني: أن أجور الصابرين توفى بغير حصر ولا وعد، بل جزافاً، وهذه استعارة للكثرة التي لا تحصى. وإلى هذا التأويل ذهب جمهور المفسرين حتى قال قتادة: ليس ثم والله مكيال ولا ميزان.

قال الفخر الرازي[2]: أنه تعالى وصف ذلك الأجر بأنه بغير حساب، وفيه وجوه الأول: قال الجبائي: المعنى أنهم يعطون ما يستحقون ويزدادون تفضلاً فهو بغير حساب، ولو لم يعطوا إلا المستحق لكان ذلك حساباً، قال القاضي هذا ليس بصحيح، لأن الله تعالى وصف الأجر بأنه بغير حساب، ولو لم يعطوا إلا الأجر المستحق، والأجر غير التفضل الثاني: أن الثواب له صفات ثلاثة أحدها: أنها تكون دائمة الأجر لهم، وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ معناه بغير نهاية، لأن كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه، فما لا نهاية له كان خارجاً عن الحساب وثانيها:

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.

أنها تكون منافع كاملة في أنفسها، وعقل المطيع ما كان يصل إلى كنه ذلك الثواب، قال الرسول ﷺ: «**إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» وكل ما يشاهدونه من أنواع الثواب وجدوه أزيد مما تصوروه وتوقعوه، وما لا يتوقعه الإنسان، فقد يقال إنه ليس في حسابه، فقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ محمول على هذا المعنى والوجه الثالث: في التأويل أن ثواب أهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال، روى صاحب «الكشاف» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينصب الله الموازين يوم القيامة، فيؤتى أهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صباً**» قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما به أهل البلاء من الفضل.

● **قال تعالى**: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: 18].

قال الفخر الرازي[1]: قال الزجاج: ذاك لأن كفرهم أحبط أعمالهم. وأقول هٰهنا حالتان: فكل ما شغلك بالله وعبوديته ومحبته فهي الحالة السعيدة الشريفة العلوية القدسية، وكل ما شغلك بغير الله فهي الحالة الضارة المؤذية الخسيسة، ولا شك أن هاتين الحالتين يقبلان الأشد والأضعف والأقل والأزيد، ولا شك أن المواظبة على الأعمال المناسبة لهذه الأحوال توجب قوتها ورسوخها لما ثبت في المعقولات أن كثرة الأفعال توجب حصول الملكات الراسخة، ولا شك أنه لما كانت كثرة الأفعال توجب حصول تلك الملكات الراسخة وكل واحدة من

(1) التفسير الكبير.

تلك الأفعال حتى اللمحة واللحظة والخطور بالبال والالتفات الضعيف فإنه يوجب أثراً ما في حصول تلك الحالة في النفس فهذا هو الحساب، وعند التأمل في هذه الفصول يتبين للإنسان صدق قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: 7-8].

إذا ثبت هذا فالسعداء هم الذين استجابوا لربهم في الإعراض عما سوى الله وفي الإقبال بالكلية على عبودية الله تعالى ولا جرم حصل لهم الحسنى.

وأما الأشقياء فهم الذين لم يستجيبوا لربهم، فلهذا السبب وجب أن يحصل لهم سوء الحساب، والمراد بسوء الحساب أنهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن معشوقهم الذي هو الدنيا وبقوا محرومين عن الفوز بخدمة حضرة المولى.

قال البيضاويّ(1): وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يُغفر منه شيء.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطّلاق: 8].

قال الزمخشري(2): بالاستقصاء والمناقشة ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ وقرىء: «نكرا» منكراً عظيماً، والمراد: حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر، وجيء به على لفظ الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 44]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 50] ونحو ذلك؛ لأنّ المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة، وما هو كائن فكأن قد كان.

● **قال تعالى**: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: 36].

قال ابن عطية(3): وقال مجاهد معناه: إن ﴿حِسَابًا﴾ معناه بتقسط على

(1) أنوار التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

الأعمال لأن نفس دخول الجنة برحمة الله وتفضله لا بعمل، والدرجات فيها والنعيم على قدر الأعمال، فإذا ضاعف الله لقوم حسناتهم بسبعمائة مثلاً ومنهم المكثر من الأعمال والمقل أخذ كل واحد سبعمائة بحسب عمله وكذلك في كل تضعيف، فالحساب ها هو موازنة أعمال القوم.

● **قال تعالى:** ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعَام: 52].

قال الطبري(1): ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء، وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء، فتطردهم حذار محاسبتي إياك بما خوّلتهم في الدنيا من الرزق.

قال الماوردي(2): فيه ثلاث أقوال: أحدها: يعني ما عليك من حساب عملهم من شيء من ثواب أو عقاب. ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يعني وما من حساب عملك عليهم من شيء، لأن كل أحد مؤاخذ بحساب عمله دون غير.

والثاني: معناه ما عليك من حساب رزقهم وفقرهم من شيء.

والثالث: ما عليك كفايتهم ولا عليهم كفايتك، والحساب الكفاية كقوله تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النّبَإ: 36] أي: تاماً كافياً، قاله ابن بحر.

● **قال تعالى:** ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: 20].

قال الماوردي(3): والهاء من «كتابيه» ونظائرها موضوعة للمبالغة، وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد. ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: 20] فيه وجهان: أحدهما: أي: علمت، قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقال مجاهد: ظن الآخرة

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) النكت والعيون.

يقين، وظن الدنيا شك. الثاني: ما قاله الحسن في هذه الآية، أن المؤمن أحْسن بربه الظن، فأحسن العمل، وأن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل. وفي الحساب ها هنا وجهان: أحدهما: في البعث. الثاني: في الجزاء.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرَّحمٰن: 5].

قال الطبري[1]: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: الشمس والقمر بحسبان، ومنازل لها يجريان ولا يعدوانها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهما يجريان بقَدَر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهما يدوران في مثل قطب الرحا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حساباً وحسباناً، مثل قولهم: كُفرته كفراناً، وغُفرته غُفْراناً. وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284].

قال الطبري[2]: وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حقّ ربّ المال الجحود والإنكار، أو تخفوا ذلك فتضمروه في أنفسكم وغير ذلك من سيىء أعمالكم، ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ يعني بذلك: يحتسب به عليه من أعماله، فيجازي من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله، وغافر منكم لمن شاء من المسيئين.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية إعلاماً من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه.

---

(1) جامع البيان.

(2) جامع البيان.

قال البغوي[1]: معنى الآية إن الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «**يا عائشة هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير**». أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة**». وقال بعضهم: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 284] يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 284] ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: 225].

وقال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ الله العبد بالهمَّة قال: إذا كان عزماً أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويجزيكم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويعذب الكافرين إظهاراً لعدله.

(1) معالم التنزيل.

حسد

(حسد - استياء - غيظ)

- **الحَسَدُ:** تمني زوال نعمة من مستحقها والعمل على ذلك ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: 5]. . أي: إذا عمل على تنفيذ حسده بالعمل على زوال النعمة.
- **الاسْتِيَاءُ:** الشعور بالألم من نعمة الغير ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [التوبَة: 50].
- **الغَيْظُ:** نوع من الحسد وهو حرارة يجدها الإنسان من فوران دم قلبه عند رؤية نعمة الآخر ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 119].

***

شرح المعاني:

هذه هي معاني قوة الشرّ الخفية في النفس والطاقة الكامنة في كل إنسان والتي تدفعه إلى الشرّ.

الحسد: هو تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك السعي في إزالتها. والحسد يكون عن حقد شديد وغليان، وهذا الغليان يبعث في النفس تغيراً كيميائياً بحيث يؤدي إلى الإضرار بالمحسود.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: 5] والفرق بين الحاسد والنافث أن الأول يتمنى زوال النعمة من المحسود أما النافث فهو لا يتمنى زوالها وإنما لا يرى الآخر أهلاً لما حصل عليه ويرى نفسه خيراً منه ويستصغره بعينه ويراه دون

المستوى لكنه لا يحقد عليه ولا يتمنى زوال نعمته. وفي الحديث: «**لا تجوز الرقية إلا من عين أو حمّى أو نافث**».

العين: العين معروفة قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: 51].

والعين لغة، فالعين تتكلم إن كنت حزيناً أو راضياً أو غاضباً أو معجباً أو مداعباً أو محتجّاً. وكان مشركو العرب إذا أرادوا أن يصيبوا أحداً بالعين جوّعوه ثلاثة أيام جوعاً عظيماً ثم يذهب إلى الذي يريد أن يصيبه فيمدحه فيصيبه بالعين. والآية نزلت في المشركين الذين عجبوا لحُجّة الرسول ﷺ والدين الذي جاء به فحسدوه، وأكثر من حسده أقاربه ولهذا وصّى الإسلام بالرّحِم لشدة أذى بعضهم لبعض ولذلك يقول الرسول ﷺ: «**أفضل الصدقة على ذي الرّحِم الكاشح المُبغِض**» فالعين تأتي من أقرب الناس إليك.

السحر: هو مجموعة أشياء تفعلها تفرّق بها بين الناس أو تؤذيهم أو تُنسيهم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102] نبيّن أن الإنسان مليء بالطاقات الهائلة في الخير والشّر كما أن فيه طاقة الحسد بحيث يقتل المحسود، أو العين إذا نظر إلى إنسان فأعجبه فيهلكه، أو النفث. وكذلك السحر بكل أنواعه طاقات فعّالة من اللامعقول يمكن للإنسان أن يكون قاتلاً بعينه بحيث لا يُعاقب عليها القانون. والإنسان معبّأ بطاقات خيّرة كثيرة منها علم التخاطب من بعيد والخوارق الكثيرة عند الصالحين والطالحين وهي قضية رياضية وتعويد النفس كالمشي على الماء والقفز من مكان إلى مكان.

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الحَسَدُ: معروف، الفعل: حَسَدَ يَحْسُدُ حَسَداً، ويقال: فلان يُحْسَدُ على كذا، فهو مَحْسُودٌ.

قال الجوهريّ[2]: الحَسَدُ: أن تتمنىّ زوال نعمة المَحْسُود إليك. يقال: حَسَدَهُ يَحْسُدُه حُسُوداً. وحَسَدْتُكَ على الشّيء وحَسَدْتُكَ الشّيء بمعنى.

قال الزمخشريّ[3]: حَسَدَهُ على نعمة الله، وحَسَدَهُ نعمة الله، وكلّ ذي نعمة مَحْسُودُهَا. وتقول: إنّ الحَسَدَ يأكل الجسد، والمَحْسَدَةُ مفسدة. وقومٌ حَسَدَةٌ وحُسَّادٌ وحُسَّدٌ، وهما يَتَحَاسَدَانِ. وصحبته فأحْسَدْتُه، أي: وجدته حَاسِدَاً. والأكابر مُحَسَّدُونَ.

قال الأزهريّ[4]: الغَبْط: ضرب من الحَسَدِ، وهو أخفّ منه، ألا ترى أنّ النبي ﷺ لمّا سئل: «هل يضّر الغبط؟ فقال: نعم، كما يضر الخبط» فأخبر أنّه ضارٌ وليس كضرر الحَسَد الّذي يتمنّى صاحبه زَيَّ النّعمة عن أخيه، والخَبْطُ: ضرب ورق الشّجر حتّى يتحاتَّ عنه، ثمّ يستخلف من غير أن يضّر ذلك بأصل الشّجرة وأغصانها. وأصل الحَسَدِ: القَشر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: 5].

قال الزمخشري[5]: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ إذا ظهر حسده، وعمل بمقتضاه: من بغي

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة، ومعجم فقه لغة القرآن.
(3) أساس البلاغة.
(4) تهذيب اللغة.
(5) الكشاف.

الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره. وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من حاسد. ويجوز أن يراد بشرّ الحاسد: إثمه وسماجة حاله في وقت حسده، وإظهاره أثره. فإن قلت: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ قلت: قد خص شرّ هؤلاء من كلّ شر لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به. وقالوا: شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر. فإن قلت: فلم عرّف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ قلت: عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضرّ. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا حسد إلاّ في اثنتين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار**».

قال الفخر الرازي(1): من المعلوم أن الحاسد هو الذي تشتد محبته لإزالة نعمة الغير إليه، ولا يكاد يكون كذلك إلا ولو تمكن من ذلك بالحيل لفعل، فلذلك أمر الله بالتعوذ منه، وقد دخل في هذه السورة كل شر يتوفى ويتحرز منه ديناً ودنيا، فلذلك لما نزلت فرح رسول الله ﷺ بنزولها لكونها مع ما يليها جامعة في التعوذ لكل أمر.

قال البيضاويّ(2): إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه، فإنه لا يعود ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره، وتخصيصه لأنه العمدة في إضرار الإنسان بل الحيوان غيره، ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبـ ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ [الفلق: 4] النباتات، فإن قواها النباتية من حيث

---

(1) التفسير الكبير.
(2) أنوار التنزيل.

أنها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانت تنفث في العقد الثلاثة، وبالحاسد الحيوان فإنه إنما يقصد غيره غالباً طمعاً فيما عنده، ولعل إفرادها من عالم الخلق لأنها الأسباب القريبة للمضرة.

● **قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾** [البقرة: 109].

قال الطبري[1]: أن كثيراً من أهل الكتاب يودّون للمؤمنين ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم يودونه لهم من الردّة عن إيمانهم إلى الكفر حسداً منهم وبغياً عليهم. والحسد إذا منصوب على غير النعت للكفار، ولكن على وجه المصدر الذي يأتي خارجاً من معنى الكلام الذي يخالف لفظه لفظ المصدر، كقول القائل لغيره: تمنيت لك ما تمنيت من السوء حسداً مني لك. فيكون الحسن مصدراً من معنى قوله: تمنيت من السوء لأن في قوله تمنيت لك ذلك، معنى حسدتك على ذلك. فعلى هذا نصب الحسد، لأن في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ يعني: حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق، ووهب لكم من الرشاد لدينه والإيمان برسوله، وخصكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم رؤوفاً بكم رحيماً، ولم يجعله منهم، فتكونوا لهم تبعاً. فكان قوله: حَسَداً مصدراً من ذلك المعنى.

وقال أبو زهرة[2]: كان المشركون والذين أوتوا الكتاب لا يرضون معجزة النبي ﷺ حجة دالة على صدق النبي. وقد تحداهم أن يأتوا بمثلها فعجزوا وعلموا مقامه من البيان، وأنه أعلى من البيان الإنساني حتى يقول قائلهم: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلوا ولا يعلى

---

(1) جامع البيان. (2) زهرة التفاسير.

عليه، والله ما يقول هذا بشر) فقد تبين لهم الحق.. ومع ذلك جحدوا وكفروا وتمادوا واضطهدوا ضعاف المؤمنين، وكانوا يودون أن يعود النبي ﷺ ومن معه إلى ما هم عليه. (حسداً لهم) ليكونوا تحت سلطانهم، وكانوا بين إحساسين: إحساس السلطان وحسد أهل الإيمان.

حسر

(حسرة - بؤس - حزن - ضيق - غم - هم)

■ **الحَسْرَةُ:** حزن من شدة الندم على فوات خير ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: 36].

■ **البُؤْسُ والبَأْسَاءُ:** الحزن الذليل من الفقر ونحوه ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [الأنعام: 42].

■ **الحُزْنُ:** خشونة النفس باشتهاء البكاء على شيء مضى ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عِمران: 153].

■ **الضِّيقُ:** حزن على ما لا حيلة فيه ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12].

■ **الغَمُّ:** حزن يغطي كل الجوانب ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [طه: 40].

■ **الهَمُّ:** الحزن الذي يؤدي إلى هزال الجسم ﴿طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: 154].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والسين والراء أصلٌ واحد، وهو من كَشْف الشيء. [يقال حَسَرْتُ عن الذراع]، أي: كشفته. والحَاسِرُ: الذي لا دِرْع عليه ولا مِغْفَر. ويقال حَسَرْتُ البيتَ: كنستُه. ويقال: إن المِحْسَرَة المِكْنَسَة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وفلان كريم المَحْسَر، أي: كريم المخبر، أي: إذا كشفْتَ عن أخلاقه وجدتَ ثَمَّ كريماً.

قال الأزهري[1]: [قيل:] يقال للرّجّالة في الحرب: الحُسَّرُ، وذلك أنّهم يَحسِرُون عن أيديهم وأرجلهم. وقال بعضهم: سُمّوا حُسّراً لأنّه لا دروع عليهم ولا بَيْض، والحَاسِرُ: الّذي لا بيضة على رأسه.

قال الجَوهَريّ[2]: حسَرْتُ كُمّي عن ذراعي أحْسِرُهُ حَسْراً: كشَفتُ. والحَاسِرُ: الّذي لا مِغْفَر له، ولا دِرْع. والانْحِسَارُ: الانكشاف. والمِحْسَرَةُ: المِكنَسة.

*** وقد ورد (الحسر) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:**

الوجه الأول: بمعنى الإعياء والتعب.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 4].

وقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: 19]. . أي: لا يستكبرون ولا يستحيون.

الوجه الثاني: بمعنى جهده. . حتى أنفق ما عنده.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]. . أي: لا شيء عندك.

الوجه الثالث: بمعنى أشد الندم.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: 39]. . أي: يوم الحسرة يوم شدة الندم، وهو يوم القيامة إذ يرون نتائج أعمالهم.

وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 156]. . والحسرة

---

(1) تهذيب اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

أصلها من الحسر وهو الكشف عن المبهم، وحيث أن الحسرة هي على ما فات الندم عليه، فكأن التحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه أو انحسرت قواه من فرط غم أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

قال الطّبريّ(1): معيباً، قد انقطع بك، لا شيء عندك تنفقه.

وأصله من قولهم للدّابّة ورزحت من السير، بأنه حسير.

يقال منه: حسرت الدابّة فأنا أحسرها، وأحسرها حسراً، وذلك إذا أنضيته بالسير. وحسرته بالمسألة، إذا سألته فألحفت. وحسر البصر فهو يحسر، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكلّ.

ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، وكذلك ذلك في كلّ شيء كلّ وأزحف حتّى يضنى.

قال الزّمخشريّ(2): منقطعاً بلا لا شيء عندك، من حسره السّفر، إذا بلغ منه، وحسره بالمسألة. نحوه البيضاويّ، والنّسفيّ، والمشهديّ.

قال ابن عطيّة(3): المحسور: المنفّه الّذي قد استنفدت قوّته. تقول: حسرت البعير، إذا أتعبته حتّى لم تبقَ له قوّة، فهو حسير.

ومنه البصر الحسير، وهو الكالّ.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك: 4].

قال الزّمخشريّ[1]: أي: - يرجع إليك بصرك - بالإعياء والكلال، لطول الإجالة والتّرديد.

قال القرطبيّ[2]: أي: قد بلغ الغاية في الإعياء، فهو بمعنى فاعل، من الحسور الّذي هو الإعياء. ويجوز أن يكون مفعولاً من حسره بعد الشّيء، وهو معنى قول ابن عبّاس.

يقال: قد حسر بصره يحسر حسوراً، أي: كلَّ وانقطع نظره من طول مدى، وما أشبه ذلك، فهو حسير ومحسور أيضاً.

قال الألوسيّ[3]: يقال: حسر بعيره يحسر حسوراً، أي: كَلَّ وانقطع، فهو حسير ومحسور.

والجملة (وَهُوَ حَسير) في موضع الحال كالوصف السّابق من البصر، ويحتمل أن يكون حالاً من الضّمير فيه.

● **قال الله تعالى:** ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾ [آل عِمرَان: 156].

قال ابن عطيّة[4]: فالإشارة في ذلك إلى هذا المعتقد الّذي لهم، جعل الله ذلك حسرة، لأنّ الّذي يتيقّن أنّ كلّ موت وقتل فبأجل سابق، يجد برد اليأس ولبتسليم لله تعالى على قلبه، والّذي يعتقد أنّ حميمه لو قعد في بيته لم يمت، يتحسّر ويتلهّف. وعلى هذا التّأويل مشى المتأوّلون، وهو أظهر ما في الآية.

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) روح المعاني.
(4) المحرر الوجيز.

وقال قوم: الإشارة بذلك إلى انتهاء المؤمنين ومخافتهم الكافرين في هذا المعتقد، فيكون خلافهم لهم حسرة في قلوبهم.

وقال قوم: الإشارة بذلك إلى نفس نهي الله تعالى عن الكون، مثل الكافرين في هذا المعتقد، لأنهم إذا رأوا أنّ الله تعالى قد وسمهم بمعتقد وأمر بخلافهم، كان ذلك حسرة في قلوبهم.

ويحتمل عندي أن تكون الإشارة إلى النّهي والانتهاء معاً، فتأمّله. والحسرة: التّلهفّ على الشّيء والغمّ به.

قال الفخر الرّازيّ(1): قال الله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ﴾ [آل عِمرَان: 156] وفيه قولان:

الأوّل: أنّ التّقدير: أنهم قالوا ذلك الكلام ليجعل الله ذلك الكلام حسرة في قلوبهم، مثل ما يقال: ربّيته ليوذيني ونصرته ليقهرني، ومثله قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ﴾ [القَصَص: 8].

والقول الثّاني في تفسير الآية: أنّ اللّام في قوله: (لِيَجْعَلَ اللهُ) متعلّقة بما دلّ عليه النّهي، والتّقدير: لا تكونوا مثلهم حتّى يجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، لأنّ مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادّتهم ممّا يغيظهم.

● **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفَال: 36].

قال الطّبريّ(2): يقول: تصير ندامة عليهم، لأنّ أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطعمون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأنّ الله معلي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السّفلى.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

قال الزّمخشريّ[1]: أي: تكون عاقبة إنفاقها ندماً وحسرة، فكأنّ ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة.

● **قال الله تعالى**: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يسٓ: 30].

قال البغويّ[2]: فيه قولان: أحدهما: يقول الله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً﴾ أي: ندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرّسل، والآخر أنّه من قول الهالكين.

وقيل: العرب تقول: يا حسرتا ويا عجبا، على طريق المبالغة والنّداء بمعنى التّنبيه، فكأنّه يقول: أيّها العجب هذا وقتك، وأيّتها الحسرة هذا أوانك؟ وحقيقة المعنى أنّ هذا أوان الحيرة والتّعجّب.

قال الزّمخشريّ[3]: نداء للحسرة عليهم، كأنّما قيل لها: تعالي يا حسرة، فهذه من أحوالك الّتي حقّك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرّسل.

والمعنى: أنّهم أحقّاء بأن يتحسّر عليهم المتحسّرون ويتلهّف على حالهم المتلهّفون، أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثّقلين.

ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة، في معنى ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به،و فرط إنكاره له وتعجيبه به، وقراءة من قرأ (يَا حَسْرَتَا) تعضد هذا الوجه، لأنّ المعنى: يا حسرتي.

وقرئ (يَا حَسْرَةَ العِبَاد) على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم، من حيث إنّها موجّهة إليهم، و(يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ) على إجراء الوصل مجرى الوقف.

● **قال تعالى**: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: 56].

---

(1) الكشاف.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.

قال ابن عطيّة[1]: ومعنى نداء الحسرة والويل، أي: هذا وقتك وزمانك فاحضري.

قال الألوسيّ[2]: والمراد حسرة فوت الجنّة وحسرة دخول النّار، واعتبار التّكثير أولى لكثرة حسراتهم يوم القايمة.

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعَام: 31].

قال القرطبيّ[3]: وقع النّداء على الحسرة وليست بمنادى في الحقيقة، ولكنّه يدلّ على كثرة التّحسّر، ومثله يا للعجب ويا للرّخاء، وليسا بمنادين في الحقيقة، ولكنّه يدلّ على كثرة التّعجّب والرّخاء.

وقيل: هو تنبيه للنّاس على عظيم ما يحلّ بهم من الحسرة، أي: يا أيّها النّاس تنبّهوا على عظيم ما بي من الحسرة، فوقع النّداء على غير المنادى حقيقة، كقولك: لا أرينّك ها هنا، فيقع النّهي على غير المنهيّ في الحقيقة.

قال أبو السّعود[4]: تعالي فهذا أوانك، والحسرة: شدّة النّدم، وهذا التّحسّر وإن كان يعتريهم عند الموت لكن لمّا كان ذلك من مبادي السّاعة سمّي باسمها، ولذلك قال ﷺ: **(من مات فقد قامت قيامته)** أو جعل مجيء السّاعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريَم: 39].

قال الطّبريّ[5]: وأنذر يا محمّد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم،

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) روح المعاني.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) جامع البيان.

على ما فرّطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من أهل الجنّة أهل الإيمان بالله والطّاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النّار، وأيقن الفريقان بالخلود الدّائم، والحياة الّتي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة.

قال الفخر الرّازيّ(1): وأمّا ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ فلا شبهة في أنّه يوم القيامة، من حيث يكثر التّحسّر من أهل النّار.

وقيل: يتحسّر أيضاً في الجنّة؛ إذ لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدّرجات العالية. والأوّل هو الصّحيح، لأنّ الحسرة غمّ، وذلك لا يليق بأهل الثّواب.

● **قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾** [البَقَرَة: 167].

قال الطّبريّ(2): كذلك يري الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم، لم عملوا بها، وهلّا عملوا بغيرها؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرّديئة إذا رأوا جزاءها من الله وعقابها، لأنّ الله أخبر أنّه يريهم أعمالهم ندماً عليهم.

فالّذي هو أولى بتأويل الآية ما دلّ عليه الظّاهر، دون ما احتمله الباطن الّذي لا دلالة له على أنّه المعنيّ بها، والّذي قال السّدّيّ في ذلك، وإن كان مذهباً تحتمله الآية، فإنّه منزع بعيد، ولا أثر بأنّ ذلك أكما ذكر- تقوم له حجّة فيسلّم لها، ولا دلالة في ظاهر الآية أنّه المراد بها، فإذا كان الأمر كذلك لم يحل ظاهر التّنزيل إلى باطن التّأويل.

قال الزّمخشريّ(3): أي: ندامات، و(حَسَرَات) ثالث مفاعيل (أرى) ومعناه: أنّ أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلّا حسرات مكان أعمالهم.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

قال أبو السعود[1]: أي: نداماتٍ شديدةً فإن الحسرةَ شدةُ الندم والكمَدِ، وهي تألُمُ القلبِ وانحسارُه عما يُؤْلمه، واشتقاقُه من قولهم بعير حسيرٌ أي: منقطعٌ القوة وهي ثالثُ مفاعيلِ يُري إن كان من رؤية القلبِ وإلا فهي حالٌ، والمعنى أن أعمالَهم تنقلبُ حسراتٍ عليهم فلا يرَوْن إلا حسراتٍ مكانَ أعمالِهم.

(1) إرشاد العقل السليم.

حس

(حس - علم - عرف - جس - شعر)

- **الحَسُّ:** الإدراك بالحس قصداً ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: 52].
- **العِلْمُ:** إدراك الشيء إجمالاً.
- **المَعْرِفَةُ:** إدراك الشيء تفصيلاً.
- **الجَسُّ:** إدراك الشيء خفية.
- **الشُّعُورُ:** إدراك الشيء تلقائياً بدون قصد.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والسين أصلان: فالأول غلبة الشيء بقتل أو غيره، والثاني حكايةُ صوتٍ عند توجُّعٍ وشبهه. فالأول الحَسُّ: القَتْل، والأصل الثاني: قولهم حَسّ، وهي كلمةٌ تقال عند التوجُّع.

قال الخَليل(2): الحَسُّ: القتل الذّريع. والغلبة العنيفة للعدو ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ [آل عِمرَان: 152].

والحَسُّ: إضرار البَرْد الأشياء، تقول: أصابتهم حَاسَّةُ من البَرْد، وبات فلان بحَسَّةِ سَوْء، أي: بحال سيّئة وشدّة.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والحَسُّ: نَفْضُك التّراب عن الدّابّة بالمِحَسّة وهي الفِرْجَوْن. ويقال: (ما سمعت له حِسًّا ولا جِرساً) فالحِسُّ: من الحركة، والجِرْس: من الصّوت.

والحِسُّ: داء يأخذ النُّفساء في رَحِمها.

وأحسَسْتُ من فلان أمراً، أي: رأيت.

قال الرّاغب(1): الحَاسَّةُ: القُوّة الّتي بها تُدرَك الأعراض الحِسِّيَّة، والحَوَاسّ: المشاعر الخمس. يقال: حَسَسْتُ وحَسِيتُ، وأَحْسَسْتُ.

فأحْسَسْتُ يقال على وجهين: أحدهما: يقال: أصبتُه بحِسِّي، نحو عِنْته ورُعْتُه، والثّاني: أصَبْتُ حَاسَّتَه، نحو كبَدته وفَأَدْته، ولمّا كان ذلك قد يتولّد من القتل عُبّر به عن القتل، فقيل: حَسَسْته، أي: قَتلْتُه.

والحَسيسُ: القتل، ومنه: جراد مَحْسُوسٌ، إذا طُبخ، وقولهم: البَردُ مَحَسَّةٌ للنّبت. وانْحَسَّتْ أسنانه: انفعال منه. فأمّا حَسِسْتُ فنحو علِمتُ وفهِمتُ، لكن لا يقال ذلك إلّا فيما كان من جهة الحاسّة، فأمّا حَسِيتُ، فبقلب إحدى السّينين ياءً.

وأمّا أحْسَسْته، فحقيقته: أدركته بحاسّتي، وأحَسْت، مثله، لكن حذفت إحدى السّينين تخفيفاً، نحو: ظَلْتُ.

والحُسَاسُ: عبارة عن سُوء الخُلُق، وجُعل على بناء زُكام وسُعال.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 152].

(1) مفردات الراغب.

قال الماورديّ[1]: أي: تقتلونهم، في قول الجميع، يقال: حسّه يحسّه حسًّا، إذا قتله، لأنّه أبطل بمعونته.

قال البغويّ[2]: أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله.

قال أبو السّعود[3]: أي: تقتلونهم قتلاً كثيراً فاشياً، من حسّه: إذا أبطل حسّه، وهو ظرف لـ (صَدَقَكُمُ).

● **قال تعالى**: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 102].

قال ابن عطيّة[4]: قالت فرقة: معناه: لا يسمعون خيراً ولا سارّاً من القول. وقالت فرقة: إنّ عذابهم أن يجعلوا في توابيت داخل توابيت أخرى فيصيرون هنالك لا يسمعون شيئاً .

قال الفخر الرّازيّ[5]: والحسيس: الصّوت الّذي يحسّ، وفيه سؤالان:

الأوّل: أيّ وجه في أن لا يسمعوا حسيسها من البشارة ولو سمعوه لم يتغيّر حالهم؟قلنا: المراد تأكيد بعدهم عنها، لأنّ من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها.

السّؤال الثّاني: أليس أنّ أهل الجنّة يرون أهل النّار فكيف لا يسمعون حسيس النّار؟

الجواب: إذا حملناه على التّأكيد زال هذا السؤال.

قال أبو السّعود[6]: والحسيس: صوت يحسّ به، أي: لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً، كما هو المعهود عند كون المصوّت بعيداً وإن كان صوته في غاية الشّدّة، لا أنّهم لا يسمعون صوتها الخفيّ في نفسه فقط.

(1) النكت والعيون.
(2) معالم التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) المحرر الوجيز.
(5) التفسير الكبير.
(6) إرشاد العقل السليم.

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 52].

قال الزّمخشريّ(1): فلمّا علم منهم (الكُفّر) علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواسّ.

قال الفخر الرّازيّ(2): الإحساس: عبارة عن وجدان الشّيء بالحاسّة. وهاهنا وجهان:

أحدهما: أن يجري اللّفظ على ظاهره، وهو أنّهم تكلّموا بالكفر، فأحسّ ذلك بأذنه.

والثّاني: أن نحمله على التّأويل، وهو أنّ المراد أنّه عرف منهم إصرارهم على الكفر، وعزمهم على قتله.

ولمّا كان ذلك العلم علما لا شبهة فيه، مثل العلم الحاصل من الحواسّ، لا جرم عبّر عن ذلك العلم بالإحساس.

● قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 87].

قال القشيريّ(3): ويقال: قوله: ﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾ أمر بطلب يوسف بجميع حواسّهم: بالبصر؛ لعلّهم تقع عليه أعينهم، وبالسّمع؛ لعلّهم يسمعون ذكره، وبالشّم؛ لعلّهم يجدون ريحه، وقد توهّم يعقوب أنّهم مثله في إرادة الوقوف على شأنه.

قال البغويّ(4): تخبّروا واطلبوا الخبر. والتحسّس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الآخر، إلّا أنّ التحسّس بالحاء في الخير وبالجيم في الشّرّ، والتّحسّس هو طلب الشّيء بالحاسّة.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) لطائف الإشارات.
(4) معالم التنزيل.

قال القرطبيّ[1]: هذا يدلّ على أنّه تيقّن حياته: إمّا بالرّؤيا، وإمّا بإنطاق الله تعالى الذّئب، كما في أوّل القصّة، وإمّا بإخبار ملك الموت إيّاه بأنّه لم يقبض روحه، وهو أظهر.

والتحسّس: طلب الشّيء بالحواسّ، فهو (تفعّل) من الحسّ، أي: اذهبوا إلى هذا الّذي طلب منكم أخاكم، واحتال عليكم في أخذه، فاسألوا عنه وعن مذهبه.

ويروى أنّ ملك الموت قال له: اطلبه من هاهنا، وأشار إلى ناحية مصر.

وقيل: إنّ يعقوب تنبّه على يوسف بردّ البضاعة، واحتباس أخيه، وإظهار الكرامة؛ فلذلك وجّههم إلى جهة مصر دون غيرها.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

حسم

(حسم - بتر - بتك - بتل - صرم - فصل - فصم - فرق)

■ **الحَسْمُ:** قطع الشيء وإزالة أثره بقوة ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقَّة: 7].

■ **البَتْرُ:** قطع الذنب والعقب ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].

■ **البَتْكُ:** قطع الأعضاء ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النِّساء: 119].

■ **البَتْلُ:** قطع الاتصال بأعراض الدنيا ومشاغلها ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8].

■ **الصَّرْمُ:** قطع الشيء بلا إمكانية للرجعة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].

■ **الفَصْلُ:** قطع الصلة بين أمرين مستقلين بينهما علاقة ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: 94].

■ **الفَصْمُ:** قطع الجزء الثابت في الشيء ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرة: 256].

■ **التَّفْرِيقُ:** قطع الصلة بين المتناظرات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: 159].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والسين والميم أصل واحد، وهو قطع الشيء عن آخره، فالحَسْمُ: القطع، وسمي السيف حُسَاماً. ويقال حُسَامَهُ: حدّه، أيّ ذلك كان فهو من القطع.

قال الخليل[2]: الحَسْمُ: أن تَحْسُمَ عرقاً فتكويه لئلا يسيل دمه.

والحَسْمُ: المنع.

والمَحْسُومُ: الذي حسم رضاعه وغذاؤه.

وحَسَمْتُ الأمر: أي: قطعته حتى لم يظفر منه شيء.

والحُسُومُ: الشّؤم.

قال الراغب[3]: الحَسْمُ: إزالة أثر الشيء، يقال: قطعه فحَسَمَهُ، أي: أزال مادته، وبه سمي السيف حُسَاماً. وحَسْمُ الداء: إزالة أثره بالكي، وقيل للشؤم المزيل لأثر من ناله: حُسُومٌ، قال تعالى: ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحَاقَّة: 7]، قيل: حَاسِمًا أثرهم، وقيلك حَاسِماً خبرهم، وقيل: قاطعاً لعمرهم. وكل ذلك داخل في عمومه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحَاقَّة: 7].

قال الطبري[4]: يقول تعالى ذكره: سخر تلك الرياح على عاد سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فقال بعضهم: عُني بذلك تباعاً.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) مفردات الراغب.
(4) جامع البيان.

وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿حُسُومًاۖ﴾ الريح، وأنها تحسم كلّ شيء، فلا تبقى من عاد أحداً، وجعل هذه الحسوم من صفة الريح.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُنِي بقوله ﴿حُسُومًاۖ﴾ متتابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. وكان بعض أهل العربية يقول: الحسوم: التباع، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوّله عن آخره قيل فيه حسوم قال: وإنما أخذوا والله أعلم من حسم الداء: إذا كوى صاحبه، لأنه لحم يكوى بالمكواة، ثم يتابع عليه.

قال الزمخشري[1]: الحسوم: لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود. أو مصدراً كالشكور والكفور؛ فإن كان جمعاً فمعنى قوله: ﴿حُسُومًاۖ﴾ نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة. أو متتابعة هبوب الرياح: ماخفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء، مرة بعد أخرى حتى ينحسم.

وإن كان مصدراً: فإما أن ينتصب بفعله مضمراً، أي: تحسم حسوماً، بمعنى تستأصل استئصالاً. أو يكون صفة كقولك: ذات حسوم. أو يكون مفعولاً له، أي: سخرها للاستئصال.

وقرأ السدى «حسوماً»، بالفتح حالاً من الريح، أي: سخرها عليهم مستأصلة. وقيل: هي أيام العجوز؛ وذلك أن عجوزاً من عاد توارت في سرب، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجز، وهي آخر الشتاء: وأسماؤها: الصن والصنبر، والوبر. والآمر، والمؤتمر، والمعلل، ومطفىء الجمر. وقيل: مكفيء الظعن.

قال الفخر الرازي[2]: (حسوماً)، أي: متتابعة، أي: هذه الأيام تتابعت عليهم بالريح المهلكة، فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع، وعلى هذا القول: حسوم

---

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

جمع حاسم. كشهود وقعود، ومعنى هذا الحسم في اللغة القطع بالاستئصال، وسمي السيف حساماً، لأنه يحسم العدو عما يريد، من بلوغ عداوته فلما كانت تلك الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى أتت عليهم أشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في إعادة الكي، على الداء كرة بعد أخرى، حتى ينحسم، وثانيها: أن الرياح حسمت كل خير، واستأصلت كل بركة، فكانت حسوماً أو حسمتهم، فلم يبق منهم أحد، فالحسوم على هذين القولين جمع حاسم.

وثالثها: أن يكون الحسوم مصدراً كالشكور والكفور، وعلى هذا التقدير فإما أن ينتصب بفعله مضمراً، والتقدير: يحسم حسوماً، يعني استأصل استئصالاً، أو يكون صفة، كقولك: ذات حسوم، أو يكون مفعولاً له، أي: سخرها عليهم للاستئصال، وقرأ السدي: ﴿حُسُومًا﴾ بالفتح حالاً من الريح، أي: سخرها عليهم مستأصلة، وقيل: هي أيام العجوز، وإنما سميت بأيام العجوز، لأن عجوزاً من عاد توارت في سرب، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها، وقيل: هي أيام العجز وهي آخر الشتاء.

حسن

(حسن - جمل - زين - نضر)

■ **الحُسْنُ:** ما يدعو كل الناس لإدامة النظر إلى الشيء بلذة ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: 180]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [يونس: 26]. . أي: الجنة.

■ **الجَمَالُ:** ما يدعوك أنت لإدامة النظر إلى الشيء بلذة ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النّحل: 6].

■ **الزِّينة:** الأسباب التي تجعل الشيء جميلاً ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك: 5].

■ **النَّضَارَةُ:** توهج البشرة في الوجوه ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة: 22-23].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والسين والنون أصلٌ واحد. فالحُسْنُ ضِدُّ القبح. يقال: رجلٌ حَسَنٌ وامرَأة حَسْنَاءُ وحُسّانَةٌ.

وليس في الباب إلاّ هذا. ويقولون: الحَسَنُ: جَبَل، وحَبْلٌ من حبال الرمل.

والمَحَاسِنُ من الإنسان وغيره: ضدُّ المساوىء. والحَسَنُ من الذراع:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

النصف الذي يلي الكوع، وأحسِبه سمّي بذلك مقابلةً بالنِّصف الآخر؛ لأنّهم يسمُّون النصف الذي يلي المِرفَق القبيح، وهو الذي يقال له كِسْرُ قبيحٍ.

قال الخَليل[1]: حَسُنَ الشيء فهو حَسَنٌ. والمَحْسَنُ: الموضع الحسَن في البدن؛ وجمعه: مَحَاسِنٌ.

وامرأة حَسْنَاءُ، ورجل حُسَّانٌ. وقد يجيء «فُعّال» نعتاً: رجل كُرّام.

والحُسَّانُ: الحَسَنُ جدًّا، ولا يقال: رجل أَحْسَنُ، وجارية حُسَّانَةٌ.

والمَحَاسِنُ من الأعمال ضدّ المساوئ.

قال الجوهري[2]: الحُسْنُ: نقيض القُبح؛ والجمع مَحاسِنُ على غير قياس، كأنه جمع مَحْسَنٍ. وقد حَسُنَ الشيء، وإن شئتَ خفَّفت الضمة فقلت حَسْنَ الشيءُ. ويقال رجلٌ حَسَنٌ بَسَنٌ، وبَسَنٌ إتباعٌ له. وامرأةٌ حَسَنَةٌ. وقالوا امرأةٌ حَسْناءُ ولم يقولوا رجلٌ أَحْسَنُ. والحاسِنُ القمر. وحَسَّنْتُ الشيء تَحْسِيناً: زيّنته.

وأَحْسَنْتُ إليه وبه. وهو يُحْسِنُ الشيء، أي: يعمله. ويَسْتَحْسِنُهُ يعدُّه حَسَناً.

والحَسَنَةُ خلاف السيِّئة. والمَحاسِنُ: خلاف المساوىء. والحُسْنَى خلاف السُّوْأَى.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: 69].

قال الزّمخشريّ[3]: فيه معنى التّعجّب كأنّه قيل: وما أحسن أولئك رفيقاً؛ ولاستقلاله بمعنى التّعجّب قرئ (وحَسْن) بسكون السّين، يقول المتعجّب: حُسْن الوجه وجهك، وحَسْن الوجه وجهك، بالفتح والضّمّ مع التّسكين.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الكشاف.

● قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 138].

قال البيضاويّ(1): (وَمَنْ أَحْسَنَ. . .) أخلص نفسه لله لا يعرف لها ربًّا سواه، و قيل: بذل وجهه له في السّجود. وفي هذا الاستفهام تنبيه على أنّ ذلك منتهى ما تبلغه القوّة البشريّة، (وَهُوَ مُحْسِن): آتٍ بالحسنات تارك للسّيّئات.

قال النّيسابوريّ(2): (وَمَنْ أَحْسَنُ ديناً) يعني من محمّد ﷺ حين أسلم سرّه وروحه وقلبه ونفسه وشيطانه، كما قال: (**أسلم شيطاني على يديّ**). ومن إسلام نفسه يقول يوم القيامة: أمّتي أمّتي، حين يقول الأنبياء: نفسي نفسي. (وَهُوَ مُحْسِن) بمعنى أنّه من أهل المشاهدة، يعبد الله كأنّه يراه بل يراه، ولأنّه أحسن خلقه العظيم إلى أن بلغ حدّ الكمال والختم.

● قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: 17-18].

قال الطّبريّ(3): فبشّر يا محمّد عبادي الّذين يستمعون القول من القائلين، فيتّبعون أرشده وأهداه إلى الحقّ، وأدلّه على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الّذي لا يدلّ على رشاد، ولا يهدي إلى سداد.

قال القشيريّ(4): (أَحْسَنَه) وفيه قولان:

أحدهما: أن يكون بمعنى الحسن، ولا تكون الهمزة للمبالغة، كما يقال: أعزّ، أي: عزيز.

والثّاني: الأحسن على المبالغة.

(1) أنوار التنزيل.
(2) غرائب القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) لطائف الإشارات.

والحسن ما كان مأذوناً فيه في صفة الخلق ويعلم ذلك بشهادة العلم، والأحسن هو الأولى والأصوب.

ويقال: الأحسن ما كان لله دون غيره، ويقال: الأحسن هو ذكر الله خالصاً له. ويقال: من عرف الله لا يسمع إلّا بالله.

● **قال الله تعالى:** ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: 145].

قال الزّمخشريّ[1]: أي: فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصّبر، فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للصّواب، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزُّمَر: 55].

وقيل: يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنّه أحسن من المباح. ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه، على قولك: الصّيف أحرّ من الشّتاء.

قال المراغيّ[2]: أي: وأمر قومك بالاعتصام بهذه الموعظة والأحكام المفصّلة في الألواح الّتي هي منتهى الكمال والحسن، كالإخلاص لله في العبادة؛ إذ يتحلّى العقل وتتزكّى النّفس مع ترك اتّخاذ الصّور والتّماثيل، لأنّها ذرائع للشّرك، وسبب للوصول إليه.

● **قال الله تعالى:** ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [النِّساء: 95].

قال الألوسيّ[3]: وهي الجنّة - كما قال قتادة، وغيره - لا أحدهما (الفريقين) فقط.

قال القاسميّ[4]: المثوبة الحسنى وهي الجنّة، لحسن عقيدتهم وخلوص نيّتهم. والجملة اعتراض جيء به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل أحد الفريقين

(1) الكشاف.
(2) تفسير المراغي.
(3) روح المعاني.
(4) محاسن التأويل.

على الآخر من حرمان المفضول: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [النِّساء: 95] بالجهاد ﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [النِّساء: 95] أي بغير عذر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95]، أي: ثواباً وافراً في الجنّة.

● **قال الله تعالى**: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النّجم: 31].

قال الفخر الرّازيّ[1]: وقوله تعالى في حقّ المسيء: (بِمَا عَمِلُوا) وفي حقّ المحسن: (بِالْحُسْنى) فيه لطيفة، لأنّ جزاء المسيء عذاب، فنبّه على ما يدفع الظّلم، فقال: لا يعذّب إلّا عن ذنب. وأمّا في (الحُسْنى) فلم يقل: بما عملوا، لأنّ الثّواب إن كان لا على حسنة يكون في غاية الفضل فلا يخلّ بالمعنى، هذا إذا قلنا: (الحُسْنى) هي المثوبة بالحسنى.

وأمّا إذا قلنا: الأعمال الحسنى، ففيه لطيفة غير ذلك، وهي أنّ أعمالهم لم يذكر فيها التّساوي، وقال في أعمال المحسنين: (الحُسْنى) إشارة إلى الكرم والصّفح؛ حيث ذكر أحسن الاسمين.

و(الحُسْنى): صفة أقيمت كقام الموصوف كأنّه تعالى قال: بالأعمال الحسنى، كقوله تعالى: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180]. وحينئذ هو كقوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 7]، أي: يأخذ أحسن أعمالهم ويجعل ثواب كلّ ما وجد منهم لجزاء ذلك الأحسن، أو هي صفة المثوبة، كأنّه قال: ويجزي الّذين أحسنوا بالمثوبة الحسنى أو بالعاقبة الحسنى، أي: جزاؤهم حسن العاقبة وهذا جزاء فحسب. وأمّا الزّيادة الّتي هي الفضل بعد الفضل، فغير داخله فيه.

قال المراغيّ[2]: أي: فهو يجازي بحسب علمه المحيط بكلّ شيء المحسن

(1) التفسير الكبير. (2) تفسير المراغي.

بالإحسان، ويدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار، ويمتّعه بنعيم لا يخطر على قلب بشر؛ والمسيء بصنيع ما أساء، وبما دسّى به نفسه من ضروب الشّرك والمعاصي، وبما ران على قلبه من كبائر الذّنوب والآثام، وقد أضلّه الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة.

● **قال الله تعالى**: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر: 8].

قال الطبريّ(1): أفمن حسّن له الشّيطان أعماله السّيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسناً، فحسب سيّئ ذلك حسناً، وظنّ أنّ قبحه جميل، لتزيين الشّيطان ذلك له.

قال الزّمخشريّ(2): ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد، وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتّى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه، فعند ذلك يهيم في الضّلال ويطلق أمر النّهي ويعتنق طاعة الهوى، حتّى يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، كأنّما غلب على عقله وسلب تمييزه.

● **قال الله تعالى**: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النّحل: 122].

قال الطّبريّ(3): وآتينا إبراهيم على قنوته لله، وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدّنيا ذكراً حسناً، وثناء جميلاً باقياً على الأيّام.

قال القشيريّ(4): الحسنة الّتي آتاه الله هي دوام ما آتاه، حتّى لم تنقطع عنه.

ويقال: هي الخلّة، ويقال: هي النّبوّة والرّسالة.

ويقال: آتيناه في الدّنيا حسنة حتّى كان لنا بالكلّيّة، ولم تكن فيه لغير بقيّة.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.
(4) لطائف الإشارات.

الشوكاني[1]: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ أي: خصلة حسنة أو حالة حسنة. وقيل هي الولد الصالح. وقيل: الثناء الحسن وقيل: النبوة. وقيل: الصلاة منا عليه في التشهد. وقيل هي أنه يتولاه جميع أهل الأديان.. ولا مانع من أن يكون ما آتاه الله كاملاً لذلك كله ولما عداه من خصال الخير. وهذا أوجه ما قيل.

● قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: 14].

قال القشيريّ[2]: يعني دخلوهم الجنّة وهم محرّرون عنها، غير داخلين في أسرها. ويقال: ثواب الدّنيا والآخرة: الغيبة عن الدّارين برؤية خالقهما.

ولـمّا قال: ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [آل عمران: 148] قال في الآخرة: ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ [آل عمران: 148]، فوجب أن يكون لثواب الآخرة مزيّة على ثواب الدّنيا، حيث خصّه بوصف الحسن، وتلك المزيّة دوامها وتمامها وثمارها، وأنّها لا يشوبها ما ينافيها، ويوقع آفة فيها.

قال النيسابوريّ[3]: ﴿حُسۡنُ﴾ وهو الجنّة وما فيها من المنافع واللّذّات، وذلك غير حاصل في الحال.

والمراد أنّه حكم لهم بحصولها في الآخرة، وحكم الله بالحصول كنفس الحصول... ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: 134] والإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه.

وها هنا سرّ، وهو أنّه تعالى وفّقهم للطّاعة ثمّ أثابهم عليها، ثمّ مدحهم على ذلك فسمّاهم محسنين، ليعلم العبد أنّ الكلّ بعنايته وفضله.

● قال لله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: 172].

(1) فتح القدير في علم التفسير.
(2) لطائف الإشارات.
(3) غرائب القرآن.

قال البيضاويّ[1]: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ صفة لـ (الْمؤمِنين)، أو نصب على المدح أو مبتدأ، خبره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بجملته، و(مِنْ) للبيان. والمقصود من ذكر الوصفين: المدح والتّعليل لا التّقييد، لأنّ المستجيبين كلّهم محسنون متّقون.

● **قال الله تعالى**: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المَائدة: 93].

قال الفخر الرّازيّ[2]: والمعنى أنّه تعالى لمّا جعل الإحسان شرطاً في نفي الجناح، بيّن أنّ تأثير الإحسان ليس في نفي الجماح فقط، بل وفي أنّه يحبّه الله، ولا شكّ أنّ هذه الدّرجة أشرف الدّرجات وأعلى المقامات.

قال الخازن[3]: يعني أنّه تعالى يحبّ المتقرّبين إليه بالإيمان والأعمال الصّالحة والتّقوى والإحسان، وهذا ثناء ومدح لهم على الإيمان والتّقوى والإحسان، لأنّ هذه المقامات من أشرف الدّرجات وأعلاها.

● **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النّحل: 128].

قال ابن عطيّة[4]: يتزيّدون فيما ندب إليه من فعل الخير.

قال الفخر الرّازيّ[5]: إشارة إلى الشّفقة على خلق الله؛ وذلك يدلّ على أنّ كمال السّعادة للإنسان في هذين الأمرين، أعني التّعظيم لأمر الله تعالى والشّفقة على خلق الله، وعبّر عنه بعض المشايخ، فقال: كمال الطّريق صدق مع الحقّ، وخلق مع الخلق. وقال الحكماء: كمال الإنسان في أن يعرف الحقّ لذاته، والخير لأجل العمل به.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) التفسير الكبير.
(3) لباب التأويل.
(4) المحرر الوجيز.
(5) التفسير الكبير.

قال البيضاويّ(1): في أعمالهم بالولاية والفضل، أو مع الّذين اتّقوا الله العظيم أمره، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ بالشّفقة على خلقه.

● **قال الله تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: 134].

قال القشيريّ(2): الإحسان: أن تعبد الله كأنّك تراه، هذا في معاملة الحقّ، وأمّا في معاملة الخلق فالإحسان أن تدع جميع حقّك بالكلّيّة كم كان على من كان، وتقبل منه ولا تقلّده في ذلك منّة.

قال ابن عطيّة(3): فعمّ هذه الوجوه وسواها من البرّ، وهذا يدّلك على أنّ الآية في المندوب إليه، ألا ترى إلى سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: ما الإيمان؟ ثمّ قال: ما الإسلام؟ فذكر له رسول الله ﷺ. المفروضات، ثمّ قال له: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنّك تراه...).

● **قال الله تعالى**: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان: 2-3].

قال القشيريّ(4): هو هدى وبيان، ورحمة وبرهان للمحسنين العارفين بالله، والمقيمين عبادة الله كأنّهم ينظرون إلى الله. وشرط المحسن أن يكون محسناً إلى عباد الله: دانيهم وقاصيهم، ومطيعهم وعاصيهم.

قال أبو السّعود(5): أي: العاملين للحسنات، فإن أريد بها مشاهيرها المعهودة في الدّين، فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [لقمَان: 4]، بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله: (المنسرح).

(1) أنوار التنزيل.
(2) لطائف الإشارات.
(3) المحرر الوجيز.
(4) لطائف الإشارات.
(5) إرشاد العقل السليم.

قال ابن عاشور[1]: ومعنى (الْمُحْسِنين): الفاعلون للحسنات، وأعلاها الإيمان وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة، ولذلك خصّت هذه الثّلاث بالذّكر بعد إطلاق (الْمُحْسِنِينَ) لأنّها أفضل الحسنات، وإن كان المحسنون يأتون بها وبغيرها.

● **قال الله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: 69].

قال الطّبريّ[2]: وإنّ الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشّرك، مصدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله، بالعون له، والنّصرة على من جاهد من أعدائه.

قال القرطبيّ[3]: وهو معهم بالنّصرة والمعونة، والحفظ والهداية، ومع الجميع بالإحاطة والقدرة، فبين المعنيين بون.

● **قال الله تعالى**: ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البَقَرَة: 178].

قال أبو السّعود[4]: أي: متلبسين به، والمراد به كلّ خصلة حسنة، وهم اللّاحقون بالسّابقين من الفريقين، على أنّ (مِنْ) تبعيضيّة. أو الّذين اتّبعوهم بالإيمان والطّاعة إلى يوم القيامة، فالمراد بالسّابقين: جميع المهاجرين والأنصار، و(مِنْ) بيانية.

قال ابن عاشور[5]: هو العمل الصّالح، و(الباء) للملابسة. وإنّما قيد هذا الفريق خاصّة، لأنّ السّابقين الأوّلين ما بعثهم على الإيمان إلّا الإخلاص، فهم محسنون.

وأمّا الّذين اتّبعوهم فمن بينهم من آمن اعتزازاً بالمسلمين، حين صاروا أكثر

(1) التحرير والتنوير.
(2) جامع البيان.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) التحرير والتنوير.

من أهل المدينة، فمنهم من آمن، وفي إيمانه ضعف وتردّد، مثل المؤلّفة قلوبهم، فربّما نزل بهم إلى النّفاق وربّما ارتقى بهم إلى الإيمان الكامل، وهم المذكورون مع المنافقين في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: 60]، فإذا بلغوا رتبة الإيمان دخلوا في وعد الرّضى من الله وإعداد الجنّات.

● **قال الله تعالى:** ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: 60].

قال الطّبريّ[1]: هل ثواب خوف مقام الله عَزَّوَجَلَّ لمن خافه، فأحسن في الدّنيا عمله، وأطاع ربّه، إلّا أن يحسن إليه في الآخرة ربّه، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدّنيا، ما وصف في هذه الآيات من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ – إلى قوله: – كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحمٰن: 46، 58].

قال القشيريّ[2]: يقال: الإحسان الأوّل من الله والثّاني من العبد، أي: هل جزاء من أحسنّا إليه بالنّصرة إلّا أن يحسن لنا بالخدمة؟ وهل جزاء من أحسنّا إليه بالولاء إلّا أن يحسن لنا بالوفاء؟

ويصحّ أن يكون الإحسان الأوّل من العبد والثّاني من الله، أي هل جزاء من أحسن من حيث الطّاعة إلّا أن يحسن إليه من حيث القبول والثّواب؟ وهل جزاء من أحسن من حيث الخدمة إلّا أن يحسن إليه من حيث النّعمة؟

ويصحّ أن يكون الإحسانان من الحقّ، أي: هل جزاء من أحسنّا إليه في الابتداء إلّا أن نحسن إليه في الانتهاء؟

وهل جزاء من فاتحناه باللّطف إلّا أن نربي له الفضل والعطف؟

ويصحّ أن يكون كلاهما من العبد، أي: هل جزاء من آمن بنا إلّا أن يثبت في

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.

المستقبل على إيمانه؟ وهل جزاء من عقد معنا عقد الوفاء إلّا أن يقوم بما يقتضيه بالتّفضيل؟ ويقال: هل جزاء من بعد عن نفسه إلّا أن نقرّبه منا؟

وهل جزاء من فني عن نفسه إلّا أن يبقى بنا؟ وهل جزاء من رفع لنا خطوة إلّا أن نكافئه بكلّ خطوة ألف خطوة، وهل جزاء من حفظ لنا طرفة إلّا أن نكرمه بلقائنا؟

● **قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النّساء: 62].

قال الطّبريّ(1): وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين، أنّهم لا يردعهم عن النّفاق العبر والنّقم، وأنّهم إن تأتهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطّاغوت لم ينيبوا ولم يتوبوا، و لكنّهم يحلفون بالله كذباً وجرأة على الله: ما أردنا باحتكامنا إليه إلّا الإحسان من بعضنا إلى بعض، والصّواب فيما احتكمنا فيه إليه.

(1) جامع البيان.

حشر

(حشر - ألف - جمع - ركم - وفق - ضم)

- **الحَشْرُ:** ضم الأحياء إلى الأحياء سوقاً ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾ [يونس: 28].
- **التَّأْلِيفُ:** ضم البعض إلى البعض بإلصاق ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 103].
- **الجَمْعُ:** ضم البعض إلى البعض في المكان الواحد ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التّغابُن: 9].
- **الرَّكْمُ:** ضم الشيء فوق الأشياء صعوداً ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: 37].
- **التَّوْفِيقُ:** ضم البعض إلى البعض على رأي واحد ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النّساء: 35].
- **الضَّمُّ:** إعادة الجزء إلى الكل ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابنِ فارس(1): الحاء والشّين والرّاء قريب المعنى من الّذي قبله [حشَد] وفيه زيادة المعنى، وهو السَّوق والبعث والانبعاث.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأهل اللّغة يقولون: الحَشْر: الجمع مع سَوْق، وكلّ جَمْع: حَشْرٌ. والعرب تقول: حشَرَتْ مالَ بني فلان السّنة، كأنّها جمعت: ذهبت به وأتَت عليه.

قال الخَليل[1]: الحَشْر: حشْر يوم القيامة، والمَحْشَرُ: المجمع الّذي يُحشَر إليه القوم. ويقال: حَشَرَتْهم السَّنة؛ وذلك أنها تضمُّهُم من النواحي والأمصار.

والحَشَرَةُ: ما كان من صغار دوابّ الأرض، مثل اليرابيع والقنافذ والضَّباب ونحوها، وهو اسم جامع لا يُفرد منه الواحد إلّا أن يقولوا: هذا من الحشرة.

قال الجَوهَريّ[2]: والحَشْر من القُذَذ: ما لَطُف.

وسِنانٌ حَشْرٌ: دقيق، وقد حَشَرتُه حَشْراً.

والحشَرَة بالتّحريك: واحدة الحشَرات، وهي صغار دوابّ الأرض.

وحشَرْتُ النّاس أحْشُرُهُمْ وأَحْشِرُهُم حَشْراً: جمعتهم، ومنه يوم الحَشْر.

وحشَرتِ السّنة مالَ فلان، أي: أهلكته. والمَحْشِرُ بكسر الشّين: موضع الحَشْرِ.

*** وقد ورد الحشر في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:**

الوجه الأول: بمعنى الهلاك.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التّكوير: 5] أي: أهلكت وقيل: جمعت.

الوجه الثاني: بمعنى الجمع.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يُونس: 45].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

وقال أيضاً: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النّمل: 17].

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

الوجه الثالث: بمعنى السوق.

قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصَّافات: 22]. أي: سوقوا الذين أشركوا وقرنائهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النَّازعَات: 23].

قال الماورديّ(1): فيه وجهان:

أحدهما: حشر السّحرة للمعارضة، ونادى جنده للمحاربة.

الثّاني: حشر النّاس للحضور، ونادى، أي: خطب فيهم.

قال الزّمخشريّ(2): فجمع السّحرة، كقوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 53].

قال ابن عطيّة(3): جمع أهل مملكته ثمّ ناداهم بقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعَات: 24].

● **قال تعالى:** ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

قال الزّمخشريّ(4): وجمعناهم إلى الموقف...

فإن قلت: لم جيء بـ (حَشَرْنَاهُمْ) ماضياً بعد (نُسَيِّرُ) و(تَرى)؟

---

(1) النكت والعيون.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) الكشاف.

قلت: للدّلالة على أنّ حشرهم قبل التّسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنّه قيل: وحشرناهم قبل ذلك.

قال ابن عطيّة[1]: أي: أقمناهم من قبورهم، وجعلناهم لعرضة القيامة.

قال أبو السّعود[2]: جمعناهم إلى الموقف من كلّ أوب. وإيثار صيغة الماضي بعد (نُسَيِّرُ) و(تَرى) للدّلالة على تحقّق الحشر المتفرّع على البعث الّذي ينكره المنكرون، وعليه يدور أمر الجزاء. وهذا الكلام فيما عطف عليه منفيًّا وموجباً.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التّكوير: 5].

قال الزّمخشريّ[3]: جمعت من كلّ ناحية. وقيل: إذا قضي بينها ردّت تراباً، فلا يبق منها إلّا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطّاووس ونحوه.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: حشرها: موتها، يقال إذا أجحفت السّنة بالنّاس وأموالهم: حشرتهم السّنة.

قال الفخر الرّازيّ[4]: جمعت من كلّ ناحية.

قال المعتزلة: إنّ الله تعالى يحشر الحيوانات كلّها في ذلك اليوم ويعوّضها على آلامها الّتي وصلت إليها في الدّنيا بالموت والقتل وغير ذلك، فإذا عوّضت على تلك الآلام، فإن شاء الله أن يبقي بعضها في الجنّة إذا كان مستحسناً فعل، وإن شاء أن يفنيه أفناه على ما جاء به الخبر. وأمّا أصحابنا فعندهم أنّه لا يجب على الله شيء بحكم الاستحقاق، ولكنّه تعالى يحشر الوحوش كلّها فيقتصّ للجمّاء من القرناء، ثم يقال لها: موتي فتموت، والغرض من ذكر هذه القصّة ها هنا وجوه:

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

أحدها: أنّه تعالى إذا كان يوم القيامة يحشر كلّ الحيوانات إظهاراً للعدل، فكيف يجوز مع هذا أنّ لا يحشر المكلّفين من الإنس والجنّ؟

الثّاني: أنّها تستجمع في موقف القيامة مع شدّة نفرتها عن النّاس في الدّنيا وتبدّدها في الصّحاري، فدلّ هذا على أنّ اجتماعها إلى النّاس ليس إلّا من هول ذلك اليوم.

والثّالث: أنّ هذه الحيوانات بعضها غذاء للبعض، ثمّ إنّها في ذلك اليوم تجتمع ولا يتعرّض بعضها لبعض، وما ذاك إلّا لشدّة هول ذلك اليوم.

وفي الآية قول آخر لابن عبّاس: وهو أنّ حشر الوحوش عبارة عن موتها، يقال إذا أجحفت السّنة بالنّاس وأموالهم: حشرتهم السّنة.

وقرئ (حُشِّرَت) بالتّسديد.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 172].

قال الطّبريّ[1]: فسيبعثهم يوم القيامة جميعاً.

قال أبو السّعود[2]: أي: المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم، ذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر أحد الفريقين في المفصّل تعويلاً على إنباء التّفصيل عنه، و ثقة بظهور اقتضاء حشر أحدهما لحشر الآخر، ضرورة عموم الحشر للخلائق كافّة، كما ترك ذكر أحد الفريقين في التّفصيل عند قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 175] سمع عموم الخطاب لهما، اعتماداً على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر، ضرورة شمول الجزاء للكلّ.

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.

حصب

(حصب - حطب - وقود - سجور)

■ **الحَصَبُ:** كل ما يلقى في النار للوقود ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98].

■ **الحَاصِبُ:** الرمي بالحجارة عقاباً أو حرباً ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 68].

■ **الحَطَبُ:** ما توقد به النار من نباتات الأرض ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجنّ: 15].

■ **الإيقَادُ:** بداية إشعال النار ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ [القَصَص: 38].

■ **السّجر:** عملية الإنضاج الشديد للنار العظيمة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التّكوير: 6].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والصّاد والباء أصل واحد، وهو جنس من أجزاء الأرض، ثمّ يُشتَقّ منه، وهو الحَصْباء، وذلك جنس من الحَصَى. ويقال: حَصَبْتُ الرّجل بالحَصْباء. وريح حَاصِبٌ. إذا أتت بالغبار.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فأمّا الحَصْبَة: فبَثْرةٌ تخرج بالجسد، وهو مشبّه بالحَصْبَاءِ. فأمّا المُحَصَّبُ بمنى فهو موضع الجمار.

قال الخَليل(1): الحَصْبُ: رميُك بالحَصْباء، أي: صغار الحَصَى أو كبارهم. وفي فتنة عثمان: (تحاصَبوا حتّى ما أُبصر أديم السّماء).

والحَصْبَة: معروفة تخرج بالجَنْب، حُصِبَ فهو مَحْصُوبٌ.

والحَصَبُ: الحطَب للتّنّور المستعمل في وَقُود، وأمَا ما دام غير مستعمل للسُّجور فلا يسمّى حَصَباً.

قال الجَوهَريّ(2): الحَصْبَاءُ: الحَصَى. وأرض حَصِبَةٌ ومَحْصَبَةٌ بالفتح: ذات حَصْبَاءُ.

وحَصَّبْتُ المسجد تَحْصِيباً، إذا فرشته بها، والمُحصّب: موضع الجمار بمنى. وحَصَبْتُ الرّجل أَحْصِبُهُ بالكسر، أي: رميته بالحَصْباء. وحَصَبَ في الأرض: ذهب فيها.

والحَاصِبُ: الرّيح الشّديدة الّتي تُثير الحَصْباء؛ وكذلك الحَصِبَةُ.

*** وقد ورد الحَصَبُ في القرآن على وجهين:**

الوجه الأول: كل ما يلقى في النار ليسجر به.

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبيَاء: 98] أي: الحطب الذي يلقى في النار.

الوجه الثاني: الريح المهلكة بالحصى وغيره.

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الإسرَاء: 68] حصب النار أي: ألقيت فيها كل ما يوقد، لا ما يهيج. ومنه سميت

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

الحصبة: وهو المرض المعدي الذي يلهب الجسم، فكأنه لشدة فتكه كفتك الحجارة الصلبة (سجيل) إذا قذفتها علو.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسرَاء: 68].

قال الزمخشري[1]: وهي الريح التي تحصب أي: ترمي بالحصباء، يعني: أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها، فيكون أشدّ عليكم من الغرق في البحر.

قال الفخر الرازي[2]: فإنه تعالى قادر على أن يسلط عليكم آفات البر من جانب التحت أو من جانب الفوق، أما من جانب التحت فبالخسف. وأما من جانب الفوق فبإمطار الحجارة عليهم، وهو المراد من قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ فكما لا يتضرعون إلا إلى الله تعالى عند ركوب البحر، فكذلك يجب أن لا يتضرعوا إلا إليه في كل الأحوال. ومعنى الحصب في اللغة: الرمي. يقال: حصبت أحصب حصباً: إذا رميت الحصب المرمي. ومنه قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبيَاء: 98] أي: يلقون فيها، ومعنى قوله: ﴿حَاصِبًا﴾ أي: عذاباً يحصبهم، أي: يرميهم بحجارة، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصباء حاصب، والسحاب الذي يرمي بالثلج والبرد يسمى حاصباً لأنه يرمي بهما رمياً. وقال الزجاج: الحاصب التراب الذي فيه حصباء والحاصب على هذا ذو الحصباء مثل اللابن والتامر.

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: **98**].

قال البغوي(1): ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، أي: وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن: الحطب. وقال عكرمة: هو الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمي بالحصباء. وأصل الحصب الرمي، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر: **34**] أي: ريحاً ترميهم بحجارة.

قال الزمخشري(2): والحصب: المحصوب، أي: يحصب بهم في النار. والحصب: الرمي. وقرىء بسكون الصاد، وصفاً بالمصدر. وقرىء «حطب» و«حضب» بالضاد متحركاً وساكناً.

قال الألوسي(3): والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه إذا رماه بالحصباء وهي صغار الحجارة فهو خاص وضعاً عام استعمالاً. وعن ابن عباس أنه الحطب بالزنجية.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.

حصحص

(حصحص - بدا - برز - ظهر)

■ **الحَصْحَصَةُ:** الظهور والانكشاف بذهاب الغطاء ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يُوسُف: 51].

■ **البُدُوُّ:** مقدمة الظهور ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: 47].

■ **الظُّهُورُ:** استثراء البُدُوِّ حتى صار حالة دائمة ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التّوبَة: 48].

■ **البُرُوزُ:** قوة البُدُوِّ واندفاعه ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 250].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والصّاد في المضاعف أُصول ثلاثة: أحدها: النّصيب، والآخر: وضوح الشّيء وتمكّنه، والثّالث: ذهاب الشّيء وقلّته.

فالأوّل: الحِصَّةُ: وهي النّصيب. يقال: أَحْصَصْتُ الرّجل: إذا أعطيته حِصَّتَهُ.

والثّاني: قولهم: حَصْحَصَ الشّيء: وضَح، قال الله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: 51]، ومن هذا الحَصْحَصَةُ: تحريك الشّيء حتى يستمكن ويستقرّ. والثّالث: الحُصُّ والحُصَاصُ: وهو العَدْو. وانْحَصَّ الشَّعر عن الرّأس: ذهب. ورجل أَحَصُّ: قليل الشّعر.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: الحَصْحَصَةُ: الحركة في الشّيء حتى يستقرّ فيه ويستمكن منه.

وتَحَاصَّ القوم تَحَاصًّا، يعني: الاقتسام من الحِصَّةِ.

والحَصْحَصَةُ: بيان الحقّ بعد كتمانه.

وحَصْحَصَ الحقّ، ولا يقال: حُصْحِصَ الحقّ.

والحُصَاصُ: سرعة العَدْو في شدّة.

والحُصُّ: الوَرْس، وإن جُمع: فحُصُوصٌ، يُصبَغ به، وهو الزّعفران أيضاً.

والحَصُّ: إذهابك الشَّعر كما تَحُصّ البيضة رأس صاحبها.

قال الجوهري[2]: الحِصْحِصُ بالكسر: الترابُ والحجارةُ. وحَصْحَصَ الشيءُ بانَ وظهر. يقال: الآنَ حَصْحَصَ الحقُّ. والحَصْحَصَةُ: تحريك الشيء في الشيء حتَّى يستمكن ويستقرَّ فيه. وفي الحديث: أنَّ سَمُرَةَ ابن جُنْدُبٍ أُتِيَ برجل عِنِّينٍ، فاشترى له جاريةً من بيت المال وأدخلها معه ليلةً، فلمَّا أصبح قال له: ما صنعت؟ قال: فعلت حتَّى حَصْحَصْتُ فيه. فسأل الجارية فقالت: لم يصنَعْ شيئاً. فقال: خَلّ سبيلَها يا مُحَصْحِصُ. وكذلك البعيرُ إذا أثبت ركبتيه للنُهوض بالثِقْل. والحَصْحَصَةُ: الإسراعُ في السير. قال الأصمعي: قَرَبٌ حَصْحَاصٌ، مثل حَثْحاثٍ أي: سريعٌ ليس فيه فتورٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: 51].

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

قال الطبري(1): الآن تبين الحقّ وانكشف فظهر.

وأصل حصحص: حَصّ ولكن قيل: حصحص، كما قيل: فكُبْكِبُوا في «كُبوا»، وقيل: «كفكف» في «كفّ»، و«ذْرذَر» في «ذَرّ». وأصل الحصّ: استئصال الشيء، يقال منه: حَصَّ شعره: إذا استأصله جزًّا. وإنما أريد في هذا الموضع: حصحص الحقّ: ذهب الباطل والكذب، فانقطع، وتبين الحقّ فظهر.

قال الزمخشري(2): أي: ثبت واستقرّ وقرىء: «حُصْحِص» على البناء للمفعول، وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة.

قال الشعراوي(3): أي: أنها أقرَّتْ بأنه لم يَعُدْ هناك مجال للستر، ووضح الحقُّ بعد خفاء، وظهرتْ حِصَّة الحق من حِصَّة الباطل، ولا بُدَّ من الاعتراف بما حدث.

قال القرطبي(4): ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يُوسُف: 51] لما رأت إقرارهن ببراءة يوسف، وخافت أن يشهد عليها إن أنكرت أقرت هي أيضاً، وكان ذلك لطفاً من الله بيوسف ﴿حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تبين وظهر قاله الزجاج وغيره، وأصل الحصص استئصال الشيء، وسنة حصاء أي: جرداء لا خير فيها. وقيل: هو مشتق من الحصة فالمعنى: بانت حصة الحق من حصة الباطل.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) مختصر تفسير القرطبي.

حصد

(حصد - جنى - صرم - قطف - خضد)

■ **الحَصْدُ:** قطع الزرع كله لانتهاء الموسم ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعَام: 141].

■ **الحَصِيدُ:** الزرع الذي قطع فصلاً بالحصاد.

■ **الجَنْيُ:** أخذ الثمرة من شجرها بالأيدي بعد نضجها.

(والجنا) التمر المجني فصلاً ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 54].

■ **الصَّرْمُ:** القطع الشامل ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].

■ **القَطْفُ:** رؤوس الغصن ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: 23].

■ **الخَضْدُ:** كسر الشوك عن النبات ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقِعَة: 28].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والصاد والدال أصلان: [أحدهما] قطْع الشيء، والآخر إحكامه. وهما متفاوتان. فالأول حَصَدْتُ الزّرعَ وغيرَه حَصْداً. وهذا زمَنُ الحَصَادِ والحِصَادِ. وفي الحديث: «**وهَلْ يكُبُّ الناسَ على مَناخِرِهم في النار إلا حَصَائِدُ ألسنتهم**». فإن الحصائد جمع حَصِيدة، وهو كلُّ شيءٍ قيل في الناس

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

باللِّسان وقُطِع به عليهم. ويقال: حَصَدْتُ واحْتَصَدْتُ، والرجل مُحْتَصِدٌ. قال:
إنما نحنُ مِثلُ خامةِ زَرْعٍ فمتى يَأْنِ يَأْتِ محتصِدُهْ.

والأصل الآخر قولهم: حَبْلٌ مُحْصَدٌ، أي: مُمَرٌّ مفتول. ومن الباب شجرةٌ حَصْدَاء، أي: كثيرة الورق؛ ودِرْع حَصْداء: مُحْكَمة؛ واسْتَحْصَدَ القومُ: إذا اجتَمَعوا.

قال الخليل(1): الحَصْدُ: جزّ البرّ ونحوه، وقَتْل الناس أيضاً حَصْدٌ. والحَصِيدَةُ: المزرعة إذا حصدت كلّها، والجمع الحَصَائِدُ. وأَحْصَدَ البُرّ: إذا أتى حصاده، أي: حان وقت جزازه. والحَصَادُ: اسم البرّ المحصود بعد ما يحصد.

قال الجوهري(2): حَصَدْتُ الزَرْعَ وغيرَهُ أَحْصِدُهُ وأحْصُدُهُ حَصْداً. والزرع محصُودٌ وحَصِيدٌ وحَصدةٌ وحَصَد بالتحريك. وحَصَائِدُ ألسنتهم التي في الحديث، هو ما قيل في الناس باللسان وقُطِعَ به عليهم. والمِحْصَدُ المِنْجَلُ. وأَحْصَدَ الزرعُ واستحصد: حانَ له أن يُحْصَدَ. وهذا زمن الحَصَادِ والحِصَاد. وحبل يُحْصَدٌ: أي محكَمٌ مَفْتول، وحَصِدٌ بكسر الصاد. واسْتَحْصَدَ الحبلُ، أي: استحكم. واسْتَحْصَدَ القومُ، أي: اجتمعوا وتظافروا. وأَحْصَدْتُ الحبلَ: فَتَلْتُهُ. ورجل مُحْصَد الرأي، أي: سَديده.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود: 100].

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

قال الطبري[1]: منها بنيانه بائد بأهله هالك ومنها قائم بنيانه عامر، ومنها حصيد بنيانه خراب متداع، قد تعفى أثره دارس، من قولهم: زرع حصيد: إذا كان قد استؤصل قطعه، وإنما هو محصود، ولكنه صرف إلى فعيل.

قال البغوي[2]: ﴿وَحَصِيدٌ﴾، خراب. وقيل: منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف. وحصيد، أي: انمحي أثره. وقال مقاتل: قائم يرى له أثر وحصيد لا يُرى له أثر، وحصيد بمعنى محصود.

قال ابن عطية[3]: ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ بمعنى قائم الجدرات ومتهدم لا أثر له، وهذا قول قتادة وابن جريج، والآية بجملتها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من أهل مكة وغيرهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [قٓ: 9].

قال الفخر الرازي[4]: فيه حذف تقديره وحب الزرع الحصيد وهو المحصود أي أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولها باقية وزرعاً يحصد كل سنة ويزرع في كل عام أو عامين، ويحتمل أن يقال التقدير ونبت الحب الحصيد والأول هو المختار.

قال الزمخشري[5]: وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد، وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما.

قال الألوسي[6]: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أي: حب الزرع الذي من شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما، فالإضافة لما بينهما من الملابسة. و﴿ٱلْحَصِيدِ﴾ بمعنى

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) المحرر الوجيز.
(4) التفسير الكبير.
(5) الكشاف.
(6) روح المعاني.

المحصود صفة لموصوف مقدر كما أشرنا إليه فليس من قبيل مسجد الجامع ولا من مجاز الأول كما توهم. وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات.

● **قال تعالى:** ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبيَاء: 15].

قال الألوسي[1]: أي: إلى أن جعلناهم بمنزلة النبات المحصود والنار الخامدة في الهلاك.

قال الزمخشري[2]: الحصيد: الزرع المحصود. أي: جعلناهم مثل الحصيد، شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول: جعلناهم رماداً، أي: مثل الرماد.

وقال القرطبي[3]: ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل. قاله مجاهد والسني: أي: بالعذاب ﴿خَٰمِدِينَ﴾ أي: ميتين. والخمود: الهمود كخمود النار إذا انطفأت، فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات: قد طفئ تشبيهاً بانطفاء النار.

● **قال تعالى:** ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يُونس: 24].

قال الطبري[4]: ﴿حَصِيدًا﴾ يعني مقطوعة مقلوعة من أصولها، وإنما هي محصودة صرفت إلى حصيد.

قال الماوردي[5]: فيه وجهان:

الأول: ذاهباً. والثاني: يابساً.

---

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) مختصر تفسير القرطبي.
(4) جامع البيان.
(5) النكت والعيون.

قال البغوي[1]: أي: محصودة مقطوعة.

قال ابن عطية[2]: ﴿حَصِيدًا﴾ : فعيل بمعنى مفول وعبر بـ «حصيد» عن التالف الهالك من النبات وإن لم يهلك بحصاد إذ الحكم فيهما واحد وكأن الآفة حصدته قبل أوانه.

(1) معالم التنزيل.

(2) المحرر الوجيز.

حصر

(حصر - حبس - سجن)

■ **الحَصْرُ:** منع المرء أو الشيء من الوصول إلى غايته وتوقيفه ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البَقَرَة: 196].

■ **الحَبْسُ:** ومنه (الحصر) المنع من الانبعاث ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المَائدة: 106].

■ **السِّجْنُ:** الحبس في بناء محصن بالحراسة ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يُوسُف: 33].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والصّاد والرّاء أصل واحد، وهو الجمع والحبس والمنع.

وأيّ ذلك كان فهو من الّذي ذكرناه من الجمع، لأنّه مجمع الأضلاع.

والحَصِرُ: العَيّ، كأنّ الكلام حُبس عنه ومُنع منه.

والحَصَرُ: ضِيق الصّدر.

قال الخَليل(2): حَصِر حَصَراً، أي: عَيّ فلم يقدر على الكلام. وحَصِر صدر المرء، أي: ضاق عن أمر حَصِراً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والحُصْر: اعتقال البطن، حُصِر، وبه حُصْرٌ، وهو مَحْصُورٌ.

والحِصَارُ: موضع يُحصَر فيه المرء، حَصَرُوه حَصْراً، وحَاصَرُوهُ.

والإِحْصَارُ: أي يَحصُر الحاجّ عن بلوغ المناسك مرضٌ أو عدوّ.

قال الجَوهَريّ(1): حَصَرَه يَحْصُرُه حَصْراً: ضيّق عليه وأحاط به.

الحَصِيرُ: الضّيّق البخيل، والحَصِيرُ: البارية، والحَصِيرُ: الجَنْب، والحَصِيرُ: المَلِك، لأنّه محجوب.

*** وقد ورد الحصر في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:**

الوجه الأول: بمعنى ضاق. طبق عليه.

قال تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: 90].. أي: ضاقت صدورهم وصارت محرجة بين هذا وذاك.

وقال تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التّوبَة: 5].

الوجه الثاني: بمعنى: منعه وحال بينه وبين قصده.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ [البَقَرَة: 196].

وقال الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عِمرَان: 39].. أي: الذي منع نفسه من الشهوات فلا يأتي النساء قصداً.

الوجه الثالث: بمعنى التوقيف والجلوس على بساط نسج من النبات لخشونته. ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسرَاء: 8].

---

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النساء: 90].

قال الطبري[1]: ضاقت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو أن يقاتلوا قومهم، والعرب تقول لكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل أو كلام: قد حصر، ومنه الحصر في القراءة.

قال الفخر الرازي[2]: معناه ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لأنكم مسلمون، ولا يريدون قتالهم لأنهم أقاربهم.

● قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ [التوبة: 5].

قال الطبري[3]: ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ يقول: وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ودخول مكة.

قال القرطبي[4]: ومعنى ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ يريد عن التصرف إلى بلادكم والدخول إليكم؛ إلا أن تأذنوا لهم فيدخلوا إليكم بأمان.

قال القاسمي[5]: أي: احبسوهم في المكان الذي هم فيه، لئلا يتبسطوا في سائر البلاد.

● قال تعالى: ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: 39].

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) محاسن التأويل.

قال ابن عطية[1]: أصل هذه اللفظة الحبس والمنع، ومنه الحصير لأنه يحصر من جلس عليه ومنه سمي السجن حصيراً وجهنم حصيراً، ومنه حصر العدو وإحصار المرض والعذر، ومنه قيل للذي لا ينفق مع ندمائه حصور، وأجمع من يعتدّ بقوله من المفسرين على أن هذه الصفة ليحيى عليه السلام إنما هي الامتناع من وطء النساء إلا ما حكى مكي من قول من قال: إنه الحصور عن الذنوب أي لا يأتيها، وروى ابن المسيب عن ابن العاصي إما عبد الله وإما أبوه عن النبي عليه السلام، أنه قال: «**كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكرياء**»، قال: ثم دلّى رسول الله بيده إلى الأرض فأخذ عويداً صغيراً، ثم قال: «**وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذلك سماه الله سيداً وحصوراً**»، وقال ابن مسعود «الحصور» العنين، وقال مجاهد وقتادة: «الحصور» الذي لا يأتي النساء، وقال ابن عباس والضحاك: الحصور الذي لا ينزل الماء. ذهب بعض العلماء إلى أن حصر يحيى عليه السلام كان لأنه لم يكن له إلا مثل الهدبة، وذهب بعضهم إلى أن حصره كان لأنه كان عنيناً لا يأتي النساء وإن كانت خلقته غير ناقصة، وذهب بعضهم إلى أن حصره كان بأنه يمسك نفسه تقى وجلداً في طاعة الله وكانت به القدرة على جماع النساء، قالوا: وهذا أمدح له وليس له في التأويلين الأولين مدح، إلا بأن الله يسر له شيئاً لا تكسب له فيه، وباقي الآية بيّن، وروي من صلاحه عليه السلام أنه كان يعيش من العشب وأنه كان كثير البكاء من خشية الله حتى خدد الدمع في وجهه طرقاً وأخاديد.

● **قال تعالى**: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسرَاء: 8].

قال البيضاويّ[2]: محبساً لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد. وقيل: بساطاً كما يبسط الحصير.

---

(1) المحرر الوجيز.　(2) أنوار التنزيل.

قال الفخر الرازي[1] : والحصير فعيل فيحتمل أن يكون بمعنى الفاعل، أي: وجعلنا جهنم حاصرة لهم، ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول، أي: جعلناها موضعاً محصوراً لهم، والمعنى أن عذاب الدنيا وإن كان شديداً قوياً إلا أنه قد يتفلت بعض الناس عنه، والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص عنه، إما بالموت وإما بطريق آخر، وأما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصراً للإنسان محيطاً به لا رجاء في الخلاص عنه، فهؤلاء الأقوام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة ما يكون محيطاً بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه أبداً.

● **قال تعالى**: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: 273].

قال ابن عطية[2] : والمعنى حبسوا ومنعوا وذهب بعض اللغويين إلى أن أحصر وحصر بمعنى واحد من الحبس والمنع سواء كان ذلك بعدو أو بمرض ونحوه من الأعذار، حكاه ابن سيده وغيره، وفسر السدي هنا الإحصار بأنه بالعدو. وذهب بعضهم إلى أن أحصر إنما يكون بالمرض والأعذار. وحصر بالعدو. وعلى هذا فسر ابن زيد وقتادة ورجحه الطبري. وتأول في هذه الآية أنهم هم حابسو أنفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو إذا أحاط بهم الكفر، فصار خوف العدو عذراً أحصروا به.

هذا متجه كأن هذه الأعذار أحصرتهم أي: جعلتهم ذوي حصر، كما قالوا: قبره: أدخله في قبره وأقبره: جعله ذا قبر، فالعدو وكل محيط يحصر، والأعذار المانعة «تُحصِر» بضم التاء وكسر الصاد أي: تجعل المرء كالمحاط به.

قال الفخر الرازي[3] : فنقول: الإحصار في اللغة أن يعرض للرجل ما يحول

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.

بينه وبين سفره، من مرض أو كبر أو عدو أو ذهاب نفقة، أو ما يجري مجرى هذه الأشياء، يقال: أحصر الرجل فهو محصر، ومضى الكلام في معنى الإحصار عند قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ بما يعني عن الإعادة، أما التفسير فقد فسرت هذه الآية بجميع الأعداد الممكنة في معنى الإحصار فالأول: أن المعنى: إنهم حصروا أنفسهم ووقفوها على الجهاد، وأن قوله: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مختص بالجهاد في عرف القرآن، ولأن الجهاد كان واجباً في ذلك الزمان، وكان تشتد الحاجة إلى من يحبس نفسه للمجاهدة مع الرسول ﷺ، فيكون مستعداً لذلك، متى مست الحاجة، فبيّن تعالى في هؤلاء الفقراء أنهم بهذه الصفة، ومن هذا حاله يكون وضع الصدقة فيهم يفيد وجوهاً من الخير أحدها: إزالة عيلتهم والثاني: تقوية قلبهم لما انتصبوا إليه.

وثالثها: تقوية الإسلام بتقوية المجاهدين ورابعها: أنهم كانوا محتاجين جداً مع أنهم كانوا لا يظهرون حاجتهم، على ما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: 273].

● **قال تعالى:** ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ﴾ [البقرة: 196].

قال البغوي(1): ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ اختلف العلماء في الإحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمعنى في إحرامه، من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة، يبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق، وقالوا: لأن الإحصار في كلام العرب هو حبس العلة أو المرض، وقال الكسائي وأبو عبيدة ما كان من مرض أو ذهاب نفقة يقال: منه أحصر فهو مُحْصَرٌ

(1) معالم التنزيل.

وما كان من حبس عدو أو سجن يقال: منه حصر فهو محصور، وإنما جعل هٰهنا حبس العدو إحصاراً قياساً على المرض إذ كان في معناه، واحتجوا بما روي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل**». قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا: صدق. وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو وهو قول ابن عباس وقال: لا حصر إلا حصر العدو، وروي معناه عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: الحصر والإحصار بمعنى واحد. وقال ثعلب: تقول العرب: حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير فهو محصر، واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديبية وكان ذلك حبساً من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالىٰ في سياق الآية: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ والأمن يكون من الخوف، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، وتأوله بعضهم على أنه إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام، كما روي أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي ﷺ: «**حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني**».

حصل

(حصل - قبض - غرف - تناول - تناوش)

■ **الحُصُولُ:** أخذ الشيء من حرز منيع كأخذ الذهب من حجر المعدن ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العَاديَات: 10].

■ **القَبْضُ:** أخذ الشيء القليل من كثير غيره ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: 96].

■ **الغَرْفُ:** أخذ الشيء بالكف الواحدة ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 249].

■ **التَّنَاوُلُ:** تحصيل الشيء العالي بيده ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: 92].

■ **التَّنَاوُشُ:** تحصيل الشيء البعيد ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سَبَإ: 52].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والصّاد واللّام أصل واحد منقاس، وهو جمع الشّيء، ولذلك سمّيت حَوْصَلة الطّائر، لأنّه يجمع فيها.

قال الخَليل(2): حَصَلَ يَحصُلُ حُصُولاً، أي: بقي وثَبت وذهب ماسواه، من حساب أو عمل ونحوه، فهو حاصل.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والتَّحْصِيلُ: تمييز ما يُحصّل؛ والاسم: الحَصِيلَةُ.

قال الجوهري[1]: حَصَّلْتُ الشيء تَحْصيلاً. وحاصِلُ الشيء ومَحْصُولُهُ: بقيَّته. والحَصَائِلُ: البقايا، الواحدة حَصِيلَةٌ. والمُحَصِّلَةُ: المرأةُ التي تُحَصِّلُ تراب المعدِن. وتَحْصيلُ الكلام: ردُّه إلى محصوله. والحَصِيلُ: نبتٌ. وقد حَصِلَ الفرسُ حَصَلاً، إذا اشتكى بطنَه من أكل تُراب النبت. والحَصَلُ أيضاً: البلحُ قبل أن يشتدّ وتظهر ثَفاريقُه، الواحدة حَصَلَةٌ. وقد أحْصَلَ النخلُ. والحُصَالَةُ بالضم: ما يَبقى في الأنْدَرِ من الحَبّ بعد ما يُرْفَعُ الحَبُّ؛ وهو الكُناسة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العَاديَات: 10].

قال الفخر الرازي[2]: وفي التفسير وجوه أحدها: معنى حصل جمع في الصحف، أي: أظهرت محصلاً مجموعاً وثانيها: أنه لا بد من التمييز بين الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والمحظور، فإن لكل واحد ومنه قيل للمنخل: المحصل وثالثها: أن كثيراً ما يكون باطن الإنسان بخلاف ظاهره، أما في يوم القيامة فإنه تتكشف الأسرار وتنتهك الأستار، ويظهر ما في البواطن، كما قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطّارق: 9].

واعلم أن حظ الوعظ منه أن يقال: إنك تستعد فيما لا فائدة لك فيه، فتبني المقبرة وتشتري التابوت، وتفصل الكفن، وتغزل العجوز الكفن، فيقال: هذا كله للديدان، فأين حظ الرحمٰن! بل المرأة إذا كانت حاملاً فإنها تعد للطفل ثياباً، فإذا قلت لها: لا طفل لك فما هذا الاستعداد؟ فتقول: أليس يبعثر ما في بطني؟ فيقول

(1) الصحاح في اللغة.

(2) التفسير الكبير.

الرب لك: ألا يبعثر ما في بطن الأرض، فأين الاستعداد، وقرىء (وحصل) بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر.

قال الألوسي(1): ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: جمع ما في القلوب من العزائم المصممة وأظهر كإظهار اللب من القشر وجمعه أو ميز خيره من شره فقد استعمل، حصل الشيء بمعنى ميزه من غيره كما في «البحر» وأصل التحصيل إخراج اللب من القشر كإخراج الذهب من حجر المعدن، والبر من التبن وتخصيص ما في القلوب لأنه الأصل لأعمال الجوارح ولذا كانت الأعمال بالنيات وكان أول الفكر آخر العمل فجميع ما عمل تابع له فيدل على الجميع صريحاً وكناية.

قال القرطبي(2): ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾.. أي: ميز ما فيها من خير وشر. كذا قال المفسرون وقال ابن عباس: أبرز ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ [**العاديات: 11**].. أي: عالم لا يخفى عليه من خافية، وهو عالم من بمن في ذلك اليوم وغيره. ولكن المعنى أن يجازيهم في ذلك اليوم.

وقال الشوكاني(3): ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ حصل: أبرز، وقرأ الجمهور (حُصَّل) بضم الحاء وتشديد الصاد مكسورا مبنياً للمفعول. وقرأ بعضهم (حَصل) بفتح الحاء والصاد وتخفيفها مبنياً للفاعل: أي: ظهر ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾.

---

(1) روح المعاني.
(2) المختصر.
(3) فتح القدير.

حصن

(حصن - أوى - خزن - عصم - لاذ - التحد)

■ **الحِصْنُ:** سياج منيع يحيط بالمدينة يمنع اقتحامها من العدو ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 2].

■ **المَأْوَى:** المكان الآمن من كل ما تكره ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 14-15].

■ **المَخْزَنُ:** المكان الذي يحفظ فيه الشيء الثمين ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].

■ **العَاصِمُ:** الأماكن الرئيسية التي تعصم أهلها من الغزو ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43].

■ **المَلاذُ:** من تحتمي به لقوته فتقف خلفه ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ﴾ [النور: 63].

■ **المُلْتَحَدُ:** مكان خفي إلى جانبك تستتر به عند الخوف ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والصّاد والنّون أصل واحد منقاس، وهو الحِفظ

(1) معجم مقاييس اللغة.

والحياطة والحِرْز. فالحِصْنُ معروف؛ والجمع: حُصُونٌ. والحَاصِنُ والحَصَانُ: المرأة المتعفِّفة الحاصنة فرجها.

قال الخَليل(1): الحِصْنُ: كلّ موضع حَصِينٌ لا يُوصَل إلى ما في جوفه. يقال: حَصُنَ الموضع حَصَانَة وحَصَّنْتُه وأَحْصَنْتُهُ. وحِصْنٌ حَصِينٌ، أي: لا يوصل إلى ما في جوفه. والحِصَانُ: الفرس الفحل، وقد تَحَصَّنَ، أي: تكلّف ذلك؛ ويُجمع على: حُصُن.

قال الأزهَريّ(2): وخيلُ العرب حُصُونُها، وهم إلى اليوم يُسمّونها حُصُوناً ذُكُورها وإناثها.

وسُئل بعض الحُكّام عن رجل جعل مالاً له في الحُصُونِ، فقال: اشتروا خيلاً واحْمِلوا عليها في سبيل الله.

قال الجوهري(3): الحِصْنُ: واحد الحُصُونِ. يقال حِصْنٌ حَصِينٌ بيِّن الحَصانَةِ.

وحَصَّنْتُ القريةَ: إذا بنيت حولَها. وتَحَصَّنَ العدوّ. وأَحْصَنَ الرجل: إذا تزوَّج، فهو مُحْصَنٌ بفتح الصاد. وأَحْصَنَتِ المرأة: عَفَّتْ. وأَحْصَنَها زوجها، فهي مُحْصَنَةٌ ومُحْصِنَةٌ، وكل امرأة متزوِّجة مُحْصَنَةٌ بالفتح لا غير، وقرئ: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ على ما لم يسمّ فاعله، أي: زُوِّجْنَ.

وحَصُنَتِ المرأة بالضم حُصْناً، أي: عفَّتْ، فهي حاصِنٌ وحَصانٌ بالفتح، وحَصْناءُ أيضاً بيِّنة الحَصانَةِ. وفرسٌ حِصانٌ بالكسر، بيِّن التَّحْصِينِ والتَّحَصُّنِ.

ويقال: إنَّه سمّي حِصاناً لأنه ضُنَّ بمائه فلم يُنْزَ إلا على كريمة. ثمَّ كثُر ذلك حتى سمَّوا كلَّ ذَكَرٍ من الخيل: حِصاناً.

---

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.

*** وقد ورد الحصن في القرآن الكريم على سبعة أوجه:**

الوجه الأول: المكان المحمي المنيع.

قال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 2]، وقال ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [الحشر: 14].

الوجه الثاني: بمعنى الزوجة.

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النِّساء: 25].

وقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النِّساء: 24].

الوجه الثالث: بمعنى صان فرجه بالعفة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: 91].

الوجه الرابع: بمعنى الحرائر.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [النِّساء: 25].. أي: الحرائر.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النِّساء: 25].

الوجه الخامس: بمعنى العفيفات والعفائف.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: 5].. أي: العفائف من الفواحش. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النُّور: 4].. أي: العفائف، وقال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النِّساء: 25].

الوجه السادس: المتزوجات.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النِّساء: 24]. . أي: المتزوجات.

الوجه السابع: بمعنى المسلمات.

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النِّساء: 25] يعني فإذا أسلمن وهن الولايد وليدة: وهي الجارية.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 2].

قال الفخر الرازي[1]: قالوا: كانت حصونهم منيعة فظنوا أنها تمنعهم من رسول الله، وفي الآية تشريف عظيم لرسول الله، فإنها تدل على أن معاملتهم مع رسول الله هي بعينها نفس المعاملة مع الله، فإن قيل: ما الفرق بين قولك: ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه، قلنا: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسماً، وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالون بأحد يطمع في منازعتهم، وهذه المعاني لا تحصل في قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم.

قال الألوسي[2]: وكانت حصونهم على ما قيل: أربعة الكتيبة والوطيح

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.

والسلالم والنطاة، وزاد بعضهم الوخدة وبعضهم شقا، والذي في «القاموس» أنه موضع بخيبر أو وادٍ به.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

قال الماوردي(1): فيه وجهان: أحدها: عفّت فامتنعت عن الفاحشة.

والثاني: أن المراد بالفَرْج فَرْجُ درعها منعت منه جبريل قبل أن تعلم أنه رسول.

قال ابن عطية(2): المعنى واذكر ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ﴾ وهي مريم بنت عمران أم عيسى، و«الفرج» فيما قال الجمهور وهو ظاهر القرآن الجارحة المعروفة وفي إحصانها هو المدح، وقالت فرقة: الفرج هنا هو فرج ثوبها الذي منه نفخ الملك وهو ضعيف.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النساء: 25].

قال الطبري(3): اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: «فإذا أَحْصَنَّ» بفتح الألف، بمعنى: إذا أسلمن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالإسلام.

وقرأه آخرون: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ بمعنى: فإذا تزوجن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالإزواج. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في أمصار الإسلام، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب

(1) النكت والعيون.
(2) المحرر الوجيز.
(3) جامع البيان.

في قراءته الصواب. فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا في ذلك غير جائز إذ كانتا مختلفتي المعنى، وإنما تجوز القراءة بالوجهين فيما اتفقت عليه المعاني فقد أغفل؛ وذلك أن معنيي ذلك وإن اختلفا فغير دافع أحدهما صاحبه، لأن الله قد أوجب على الأمة ذات الإسلام وغير ذات الإسلام على لسان رسوله ﷺ الحد، فقال ﷺ: «**إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْها كِتابَ اللهِ وَلا يُثَرّبْ عَلَيْها، ثُمَّ إنْ عادتْ فَلْيَضْرِبْها كِتابَ اللهِ وَلاَ يُثرّبْ عَلَيْها، ثُمَّ إنْ عادَتْ فَلْيَضْرِبْها كِتابَ اللهِ وَلا يُثَرّبْ عَلَيْها، ثُمَّ إنْ زنَتْ الرَّابِعَةَ فَلْيَضْرِبْها كِتابَ اللّهِ ولْيَبِعها ولَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعْرٍ**».

وقال الرسول ﷺ: «**أَقِيمُوا الحُدُودَ على ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ**» فلم يخصص بذلك ذات زوج منهنّ ولا غير ذات زوج، فالحدود واجبة على موالي الإماء إقامتها عليهنّ إذا فجرن بكتاب الله وأمر رسول الله ﷺ.

فقد بين أن الحدّ الذي وجب إقامته بسنة رسول الله ﷺ على الإماء هو ما كان قبل إحصانهنّ؛ فأما ما وجب من ذلك عليهنّ بالكتاب، فبعد إحصانهنّ؟ قيل له: قد بينا أن أحد معاني الإحصان: الإسلام، وأن الآخر منه التزويج وأن الإحصان كلمة تشتمل على معان شتى، وليس في رواية من روى عن النبيّ ﷺ أنه سئل عن الأمة تزنى قبل أن تحصن، بيان أن التي سئل عنها النبيّ ﷺ هي التي تزني قبل التزويج، فيكون ذلك حجة لمحتجّ في أن الإحصان الذي سنّ الرسول ﷺ حدّ الإماء في الزنا هو الإسلام دون التزويج، ولا أنه هو التزويج دون الإسلام. وإذ كان لا بيان في ذلك، فالصواب من القول، أن كل مملوكة زنت فواجب على مولاها إقامة الحدّ عليها، متزوّجة كانت أو غير متزوّجة، لظاهر كتاب الله والثابت من سنة رسول الله ﷺ، إلا من أخرجه من وجوب الحدّ عليه منهنّ بما يجب التسليم له.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: 24].

قال الفخر الرازي[1]: واعلم أن لفظ الإحصان جاء في القرآن على وجوه: أحدها: الحرية كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: 4] يعني: الحرائر، ألا ترى أنه لو قذف غير حر لم يجلد ثمانين، وكذلك قوله: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ [النساء: 25] يعني: الحرائر، وكذلك قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النساء: 25]، أي الحرائر.

وثانيها: العفاف، وهو قوله: ﴿مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النساء: 25] وقوله: ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [المائدة: 5]، وقوله: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [الأنبياء: 91] أي: أعفته، وثالثها الإسلام: من ذلك قوله: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ [النِّساء: 25] قيل في تفسيره: إذا أسلمن، ورابعها: كون المرأة ذات زوج يقال: امرأة محصنة إذا كانت ذات زوج، وقوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ [النِّساء: 24] يعني: ذوات الأزواج، والدليل على أن المراد ذلك أنه تعالى عطف المحصنات على المحرمات، فلا بد وأن يكون الإحصان سبباً للحرمة، ومعلوم أن الحرية والعفاف والإسلام لا تأثير له في ذلك، فوجب أن يكون المراد منه المزوجة، لأن كون المرأة ذات زوج له تأثير في كونها محرمة على الغير.

واعلم أن الوجوه الأربعة مشتركة في المعنى الأصلي اللُّغَويّ، وهو المَنْع، وذلك لأنا ذكرنا أن الإحصان عبارة عن المنع، فالحرية سبب لتحصين الإنسان من نفاذ حكم الغير فيه، والعفة أيضاً مانعة للإنسان عن الشروع فيما لا ينبغي، وكذلك الإسلام مانع من كثير مما تدعو إليه النفس والشهوة، والزوج أيضاً مانع للزوجة من كثير من الأمور، والزوجة مانعة للزوج من الوقوع في الزنا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**من تزوج فقد حصن ثلثي دينه**».

فثبت أن المرجع بكل هذه الوجوه إلى ذلك المعنى اللغوي والله أعلم. وقال الواحديّ: اختلف القُراء في ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ فقرؤا بكسر الصاد وفتحها في جميع

(1) التفسير الكبير.

القرآن إلا التي في هذه الآية فإنهم أجمعوا على الفتح فيها، فمن قرأ بالكسر جعل الفعل لهن يعني: أسلمن واخترن العفاف، وتزوجن وأحصن أنفسهن بسبب هذه الأمور. ومن قرأ بالفتح جعل الفعل لغيرهن، يعني أحصنهن أزواجهن، والله أعلم.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: 33].

قال الزمخشري(1): ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ قلت: لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن، وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرهاً ولا أمره إكراهاً. وكلمة ﴿إِنْ﴾ وإيثارها على «إذا» إيذان بأن المساعيات كنّ يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن، وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر.

قال أبو السعود(2): ليس لتخصيص النَّهي بصورة إرادتهِنَّ التَّعففَ عن الزِّنا وإخراجِ ما عداها من حُكمه، كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهنَّ الزِّنا لخصوصِ الزَّاني أو لخصوصِ الزَّمانِ أو لخصوصِ المكانِ أو لغيرِ ذلكَ من الأُمور المُصحِّحةِ للإكراه في الجُملةِ بل للمحافظةِ على عادتهم المستمرَّة حيثُ كانُوا يكرهونهنَّ على البغاء وهنَّ يُردن التَّعففَ عنه مع وفورِ شهوتهنَّ الآمرةِ بالفُجورِ وقصورهنَّ في معرفةِ الأمورِ الدَّاعيةِ إلى المحاسنِ الزَّاجرةِ عن تَعَاطي القبائحِ. فإنَّ عبدَ اللهِ بنَ أُبيَ كانت له ستُّ جوارٍ يُكرههنَّ على الزِّنا وضربَ عليهنَّ ضرائبَ فشكتِ اثنتانِ منهنَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فنزلتْ. وفيهِ من زيادةِ تقبيحِ حالهم وتشنيعهِم على ما كانُوا عليه من القبائحِ ما لا يخفى فإنَّ مَن له أدنى مروءةٍ لا يكادُ يرضى بفجور من يحويهِ حرمُه من إمائهِ فضلاً عن أمرهنَّ به أو إكراههنَّ عليه لا سيَّما عند إرادتهنَّ التَّعففَ؛ فتأمَّلْ ودَعْ عنك ما قيلَ مِن أنَّ ذلك لأنَّ الإكراه لا يتأتَّى إلا مع إرادة التَّحصُّنِ وما قيل من أنَّه إنْ جُعل شرطاً للنَّهي لا يلزم من عدمِه

(1) الكشاف. (2) إرشاد العقل السليم.

جوازُ الإكراه لجوازِ أنْ يكون ارتفاعُ النَّهي لامتناع المنهيِّ عنه فإنَّهما بمعزلٍ من التَّحقيق، وإيثار كلمةِ إنْ على إذا مع تحقُّق الإرادةِ في موردِ النَّصِّ حتماً للإيذانِ بوجوبِ الانتهاء عن الإكراه عند كونِ إرادةِ التَّحصنِ في حيِّز التَّردد والشَّكِّ فكيفَ إذا كانت مُحقَّقة الوقوع كما هو الواقعُ، وتعليلُه بأنَّ الإرادةَ المذكورة منهنَّ في حيِّز الشَّاذ النادرِ مع خُلوه عن الجَدْوى بالكُلِّية يأباهُ اعتبارُ تحقُّقِها إباءً ظاهراً.

● **قال تعالى**: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80].

قال الطبري[1]: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ فقرأ ذلك أكثر قرّاء الأمصار: «لِيُحْصِنَكُمْ» بالياء، بمعنى: ليحصنكم اللَّبوس من بأسكم، ذَكَّروه لتذكير اللَّبوس. وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاء، بمعنى: لتحصنكم الصنعة، فأنث لتأنيث الصنعة. وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النَّجود: «لِنُحْصِنَكُمْ» بالنون، بمعنى: لنحصنكم نحن من بأسكم.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالياء، لأنها القراءة التي عليها الحجة من قرّاء الأمصار، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني وذلك أن الصنعة هي اللبوس، واللَّبوس هي الصنعة، والله هو المحصن به من البأس، وهو المحصن بتصيير الله إياه كذلك. ومعنى قوله: «لِيُحْصِنَكُمْ» ليحرزَكم، وهو من قوله: قد أحصن فلان جاريته. وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل. والبأس: القتال، وعلَّمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم إذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل.

قال أبو السعود[2]: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ أي: اللبوسُ بتأويل الدرع، وقرىء بالتذكير على أن الضمير لداودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أو للّبوس، وقرىء بنون العظمة وهو بدلُ اشتمال من لكم بإعادة الجارّ مبينٌ لكيفية الاختصاصِ والمنفعةِ المستفادةِ من لام لكم.

(1) جامع البيان. (2) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: 48].

قال البغوي(1): تُحرزون وتدّخرون للبذر.

قال الزمخشري(2): تُحرزون تُخبئون.

قال الماوردي(3): فيه وجهان: أحدهما: مما تدخرون.

الثاني: مما تخزنون في الحصون. ويحتمل وجهاً ثالثاً: إلا قليلاً مما تبذرون لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات.

● **قال تعالى**: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: 5].

قال الزمخشري(4): ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصحّ نكاحهنّ بالاتفاق، وكذلك نكاح غير العفائف منهن، وأما الإماء الكتابيات، فعند أبي حنيفة: هنَّ كالمسلمات، وخالفه الشافعي، وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات، ويحتج بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: 221] ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من قولها: إن ربها عيسى. وعن عطاء: قد أكثر الله المسلمات، وإنّما رخص لهم يومئذ.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) النكت والعيون.
(4) الكشاف.

حصى

(حصى - حسب - عد)

■ **الإحصاء:** الإحاطة بحقيقة المعدود من جميع الجوانب ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجنّ: 28]. . وهذا من قدرة الله وحده أن يعلم في كل فرد من أفراد العدد كل صغيرة. . ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

■ **الحِسَابُ:** استعمال العدد والتقدير في كل شيء ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: 5]. . أي: مقادير الشيء الواحد. . فصلاة الصبح ثنتان والظهر أربع. . هذا حساب لأننا به نعرف عدد الركعات.

■ **العَدَدُ:** تركيب الآحاد ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11].

***

شرح المعاني:

هذه هي منظومة الحساب في القرآن الكريم.

حسب: لشيء غير محدود. مبلغ كبير من المال مثلاً لا تعرف كم هو تحسبه حساباً. وحسب للأشياء غير المحدودة وغير المعروفة سلفاً تحسبها لكي تعرف قدرها. وهذه بعض الشواهد القرآنية على استعمال كلمة حسب ومشتقاتها: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النِّساء: 86] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ

مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 5] ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: 39] ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 8] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: 26] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: 27] قال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: 36].

عطاء: بغير عدّ ولكنه حساب لأن عطاء الله تعالى كثير ولا يُعدّ عدًّا وإنما هو حساب ولهذا سمّى الله تعالى يوم القيامة بيوم الحساب وليس يوم العدّ لأن الله تعالى أحصى أعمال البشر جميعاً صغيرها وكبيرها وسيحاسبهم عليها يوم القيامة ولن يعدّها لهم فقط ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 16] ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 26] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 53]. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: 27].

والعدّ: للشيء المعدود هو ضمّ الأعداد بعضها إلى بعض.

والأيام المعدودات معروفة وهي ثلاثة أيام التشريق وليس غيرها، ثلاثة أيام بالعدّ. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: 80] كما قال بنو إسرائيل لأنهم ظنوا أن الله تعالى سيعاقبهم على مدة عبادتهم للعجل وهي أربعون يوماً فقط. وفي الآية الثانية قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 24] هذا ليس تكراراً وإنما هذه الآية تختلف عن الآية الأولى فهذه لفريق والأولى لفريق

آخر فريق قالوا سيعذبون أربعين يوماً فقط والآخر قال سيعذبون سبعة أيام فقط. ومعدودة أكثر من معدودات.

قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (عِدّة) اسم للمعدود. والآية معناها أن عليه أياماً بعدد ما فاته من زمان آخر غير زمان شهر رمضان. وشهر رمضان ثلاثون يوماً هذا عدّ وليس حساباً ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184] وكل كلمة (عدد) جاءت في القرآن منضبطة انضباطاً تاماً. وهذه بعض الآيات التي جاءت فيها كلمة عدّ ومشتقاتها:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 36].

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: 104] ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: 20] ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11].

إحصاء: كل معدود لا تعرف قدره يسمى حساباً وكل معدود محدود سلفاً يسمى عدًّا وكل عملية حساب أو عدّ تتناول أدق التفاصيل تسمّى إحصاء. ويستعمل التعداد والإحصاء للسكان، فالتعداد السكاني هو الذي يجري للمرة الأولى وفي المرة الثانية يسمى إحصاء فيقال: إحصاء سنة كذا وتعداد سنة كذا. والإحصاء السكاني ليس عداً للسكان وحسب وإنما هو معرفة كل إنسان وما هو عمره وعمله وعدد أفراد عائلته وكل التفاصيل الدقيقة المطلوبة. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: 94] لأن الله تعالى يعلم كل واحد من الناس عدًّا وإحصاء بالتفاصيل الكاملة. مثلاً كل منا يعرف كم صلّى ويمكن أن يعدّ عدد الصلوات والركعات ثم يحسب مجموع تلك التي صلاّها لكن الله تعالى يحصي هذه الصلوات ويعلم كم من الركعات خشعت ويعلم ثوابها وقيمتها، وكذلك في الذنوب فالله تعالى يعلم كل ذنب ومقداره وكيف كان العبد عندما أذنب وفي

الحديث القدسي عن رب العزة: «إن العبد ليعصيني فيذكرني على الذنب فلا يستغفرني فأغفر له».

حتى وهو يذنب إذا ذكر ربه وعلم أن ما يفعله ذنب سيعاقب عليه لكنه لم يستغفر الله تعالى يغفر الله له بمجرد ذكره وهذا لا يتساوى مع المذنب الذي لا يفكر بذنبه ولا بربه وهو على الذنب. ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6].

وهذه بعض الآيات التي جاءت فيها كلمة أحصى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49] ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 18] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يسٓ: 12].

وأهم ما ينبغي أن نركّز عليه هي النقاط التالية التي سيسأل عنها العبد يوم الحساب:

1 - عن عمره فيما أفناه: فإذا أفنى الإنسان ثلثي عمره في العبث فهو في خطر شديد فيجب علينا أن نعرف نسبة العبث والخطايا والذنوب من عمرنا.

2 - وعلمه فيما عمل به: هل نفع بالعلم الذي معه أم أبقاه لنفسه ولم يفد به أحداً، وهل نافق بعلمه أم كان خالصاً لوجه الله تعالى ولنتذكر الحديث الشريف عن: (**أول من تُسعّر بهم النار يوم القيامة عالم ومُنفق وشهيد**). قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175].

3 - وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه: يُسأل الإنسان عن ماله من أين اكتسبه هل هو حلال أو حرام وفيما أنفقه؟ في طاعة الله وفي الصدقات أو أنفقه على منكرات ومحرمات؟

4 - وعن جسمه فيما أبلاه: فعلى كل إنسان أن يكون دقيقاً في عمره وعلمه وماله وجسده. ولنعلم أن الله تعالى لو حاسبنا على أعمالنا وحسناتنا لما دخل أحد الجنة لأن نعمة واحدة من نِعم الله تعالى علينا تأخذ كل الحسنات وتزيد ولن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله تعالى كما جاء في الحديث الشريف.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والصّاد والحرف المعتلّ ثلاثة أُصول: الأوّل: المنع، والثّاني: العَدّ والإطاقة، والثّالث: شيء من أجزاء الأرض.

فالأوّل: الحَصْو. قال الشّيباني: هو المنع، يقال: حَصَوْتُه، أي: منعته.

والأصل الثّاني: أَحْصَيْتُ الشّيء، إذا عدَدته وأطقته. قال الله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: 20]، وقال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجَادلة: 6].

والأصل الثّالث: الحصَى، وهو معروف. يقال: أرض مَحْصَاة، إذا كانت ذات حصًى. وقد قيل: حَصِيتْ تَحْصَى.

وممّا اشتُقّ منه: الحَصاة. يقال: ما له حَصاةٌ، أي: ما له عَقْل. وهو من هذا، لأنّ في الحَصى قوّةً وشدّةً.

والحَصَاةُ: العقل، لأنّ به تماسك الرّجل وقوّة نفسه.

ويقال لكلّ قطعة من المِسْك: حصَاة، فهذا تشبيه لا قياس.

قال الخَليل[2]: الحَصى: صغار الحجارة، وثلاث حَصيات؛ والواحدة: حَصَاة. والحَصَى: العدد الكثير، شُبّه بحَصَى الحجارة لكثرتها. وحَصَاةُ الرّجل: رزانته، وحَصَاةُ اللّسان: ذرابته.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجَوهَريّ[1]: الحَصَاةُ: واحدة الحَصى، وتُجمع على حَصَيَاتٍ، مثل بقرة وبقرات. وحَصَاةُ المِسْك: قطعة صُلبَة توجد في فأرة المِسْك. وفلان ذو حَصاة، أي: ذو عقل ولُبّ. وأرض مَحْصَاةٌ: ذاتُ حَصًّى.

وأحْصَيْتُ الشّيء: عدَدته. وقولهم: نحن أكثر منهم حَصًّى، أي: عدداً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجنّ: 28].

قال الزمخشري[2]: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ أي: من القطر والرمل وورق الأشجار، وزبد البحار، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعدداً: حال، أي: وضبط كل شيء معدوداً محصوراً. أو مصدر في معنى إحصاء.

قال الفخر الرازي[3]: وأما قوله: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ فهو يدل على كونه عالماً بجميع الموجودات، فإن قيل: إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي، وقوله: ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ يدل على كونه غير متناه، فلزم وقوع التناقض في الآية، قلنا: لا شك أن إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي، فأما لفظة ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ فإنها لا تدل على كونه غير متناه، لأن الشيء عندنا هو الموجودات، والموجودات متناهية في العدد، وهذه الآية أحد ما يحتج به على أن المعدوم ليس بشيء، وذلك لأن المعدوم لو كان شيئاً، لكانت الأشياء غير متناهية، وقوله: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ يقتضي كون تلك المحصيات متناهية، فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال، فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشيء حتى يندفع هذا التناقض.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿أَحْصَىٰهُ اللَّهُ﴾ أي: أحاط بجميع أحوال تلك الأعمال من الكمية والكيفية، والزمان والمكان لأنه تعالى عالم بالجزئيات.

قال أبو السعود[2]: ﴿أَحْصَىٰهُ اللَّهُ﴾ استئنافٌ وقعَ جَواباً عمَّا نشأَ ممَّا قبلَهُ منَ السؤالِ إمَّا عنْ كيفيةِ التنبئةِ أو عنْ سببِهَا كأنَّه قيلَ كيفَ ينبئُهمْ بأعمالِهم وهيَ أعراضٌ متقضيةٌ متلاشيةٌ فقيلَ: أحصاهُ الله عدداً لمْ يفُتْهُ منْهُ شيءٌ.

● قال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: 94].

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: لقد أحصى الرحمٰن خلقه كلهم، وعدّهم عداً، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعرف عددهم، فلا يعزب عنه منهم أحد.

قال البيضاويّ[4]: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته.

قال الفخر الرازي[5]: أي: كلهم تحت أمره وتدبيره وقهره وقدرته فهو سبحانه محيط بهم، ويعلم مجمل أمورهم وتفاصيلها لا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم براء منهم.

● قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: 20].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.
(4) أنوار التنزيل.
(5) التفسير الكبير.

قال الزمخشري[1]: والمعنى: إنكم لا تقدرون عليه، والضمير في ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ لمصدر يقدّر، أي: علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية، إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط: وذلك شاق عليكم بالغ منكم.

قال القرطبي[2]: أي: لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيامَ به. وقيل: أي لن تطيقوا قيام الليل. والأوّل أصح؛ فإنّ قيام الليل ما فُرض كله قطّ. قال مقاتل وغيره: لما نزلت: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: 2-4] شقّ ذلك عليهم، وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطىء، فانتفخت أقدامهم، وانْتُقِعت ألوانهم، فرحمهم الله وخفّف عنهم؛ فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ و«أَنْ» مخفّفة من الثقيلة؛ أي: علم أنكم لن تحصوه؛ لأنكم إن زدتم ثقل عليكم، واحتجتم إلى تكليف ما ليس فرضاً، وإن نقصتم شقّ ذلك عليكم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

قال الزمخشري[3]: ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها، هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال. وأمّا التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله. وهذا هو الإحصاء.

قال البيضاويّ[4]: لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلاً عن أفرادها، فإنها غير متناهية. وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: 1].

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.
(4) أنوار التنزيل.

قال الزمخشري[1]: واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ أي: أقراءها فاحتفظوا لها واحفظوا الحقوق والأحكام التي تجب في العدة واحفظوا نفس ما تعتدون به وهو عدد الحيض، ثم جعل الإحصاء إلى الأزواج يحتمل وجهين أحدهما: أنهم هم الذين يلزمهم الحقوق والمؤن وثانيهما: ليقع تحصين الأولاد في العدة.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ [الكهف: 12].

قال الزمخشري[3]: ﴿أَحۡصَىٰ﴾ فعل ماض أي: أيهم ضبط ﴿أَمَدٗا﴾ لأوقات لبثهم.

فإن قلت: كيف جعل الله تعالى العلم بإحصاءهم المدّة غرضاً في الضرب على آذانهم؟ قلت: الله عَزَّوَجَلَّ لم يزل عالماً بذلك، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيماناً واعتباراً، ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفاره.

قال أبو حيان[4]: والتقدير ليعلم الفريق الذي هو ﴿أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ [الكهف: 12] من الذين لم يحصوا.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) البحر المحيط.

حضر

(حضر - أتى - اقترب - جاء

- دنا - أقبل - وصل - أزف - شهد)

■ **حَضَرَ:** بناءً على موعد مسبق ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف: 29].

■ **أَتى:** لاح خياله للعين من بعيد ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي﴾ [الصف: 6] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: 11].

■ **اقْتَرَبَ:** صار على مستوى النظر الواضح ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1].

■ **جَاءَ:** في المكان المقصود ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: 8].

■ **دَنَا:** إلى آخر خطوة بعد أن كان بعيداً ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 8-9].

■ **أَقْبَلَ:** بعد إعراض ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: 50].

■ **وَصَلَ:** بعد عقبات وموانع ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 51].

■ **أَزِفَ:** أضيق وقت قبل الحلول ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: 57].

■ **شَهِدَ:** حضور مع مشاهدة والاستيعاب ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [السجدة: 6].

*** * ***

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والضّاد والرّاء إيراد الشّيء، وورود ومشاهدته. وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحداً.

فالحَضَرُ: خلاف البَدْو. وسكون الحَضَر: الحِضارة.

فأمّا الحُضْر الّذي هو العَدْو فما الباب أيضاً، لأنّ الفرس وغيره يُحضِران ما عندها من ذلك. يقال: أحْضَرُ الفرس، وهو فرس مِحْضِيرٌ: سريع الحُضْر، ومِحْضَارٌ. ويقال: حاضَرْتُ الرّجل، إذا عدَوْتَ معه.

قال الخَليل[2]: الحَضَر: خلاف البَدْو، والحَاضِرَة: خلاف البادية: لأنّه أهل الحَاضِرَة حضَروا الأمصار والدّيار.

والبادية يُشبه أن يكون اشتقاق اسمه من: بَدا يَبْدُو، أي: بَرَز وظهَر، ولكنّه اسم لزم ذلك الموضع خاصّةً دوم ما سواه. والحَضْرَ: قرب الشّيء، تقول: كنتُ بحَضْرَة الدّار.

قال الجَوهَريّ[3]: حَضَرَة الرّجل: قربه وفِنائه. والحَضْر: بلد بإزاء مَسكَن. ويقال: كلّمته بحَضرَة فلان وبمَحضَر من فلان، أي: بمشهد منهم. وحكى يعقوب: كلّمته بحَضَرة فلان، بالتّحريك. والحَضَر أيضاً: خلاف البَدْو. والمَحْضَرُ: السِّجلّ، والمَحْضَرُ: المرجِع إلى المياه. وفلان حسَن المَحضَر، إذا كان ممّن يذكر الغائب بخير. يقال: فلان حسَن الحِضْر والحَضْرَةِ. وكلّمته بحَضرَة فلان وحُضْرَته وحِضْرَته.

والحُضْرُ بالضّمّ: العَدْو. يقال: أَحْضَرَ الفرس إِحْضَاراً واحْتَضَر، أي: عَدا. واسْتَحْضَرتُه: أعديته.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 133].

قال ابن عطية[1]: ومعنى الآية حضر يعقوب مقدمات الموت، وإلا فلو حضر الموت لما أمكن أن يقول شيئاً.

قال أبو حيان[2]: وفي قوله: حضر، كناية غريبة، إنه غائب لا بد أن يقدم، ولذلك يقال في الدعاء: واجعل الموت خير غائب ننتظره. وقرىء: حضر بكسر الضاد، وقد ذكرنا أن ذلك لغة، وأن مضارعها بضم الضاد شاذ، وقدم المفعول هنا على الفاعل للاعتناء. ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ [البَقَرَة: 133]، إذ: بدل من إذ في قوله: إذ حضر، فالعامل فيه إما شهداء العاملة في إذ الأولى على قول من زعم أن العامل في البدل العامل في المبدل منه، وإما شهداء مكررة على قول من زعم أن البدل على تكرار العامل. وزعم القفال أن إذ وقت للحضور، فالعامل فيه حضر، وهو يؤول إلى اتحاد الظرفين، وإن اختلف عاملهما.

● **قال تعالى**: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البَقَرَة: 180].

قال الفخر الرازي[3]: ليس المراد منه معاينة الموت، لأن في ذلك الوقت يكون عاجزاً عن الإيصاء ثم ذكروا في تفسيره وجهين الأول: وهو اختيار الأكثرين أن المراد حضور أمارة الموت، وهو المرض المخوف وذلك ظاهر في اللغة، يقال فيمن يخاف عليه الموت: إنه قد حضره الموت كما يقال لمن قارب البلد إنه قد وصل، والثاني: قول الأصم أن المراد فرض عليكم الوصية في حالة الصحة بأن تقولوا: إذا حضرنا الموت فافعلوا كذا، قال القاضي: والقول الأول أولى

(1) المحرر الوجيز.
(2) البحر المحيط.
(3) التفسير الكبير.

لوجهين أحدهما: أن الموصي وإن لم يذكر في وصيته الموت جاز والثاني: أن ما ذكرناه هو الظاهر، وإذا أمكن ذلك لم يجز حمل الكلام على غيره.

قال أبو حيان(1): والخطاب في: عليكم، للمؤمنين مقيداً بالإمكان على تقدير التجوز في حضور الموت، ولو جرى نظم الكلام على خطاب المؤمنين لكان: إذا حضركم الموت، لكنه روعيت دلالة العموم في: عليكم، من حيث المعنى، إذ المعنى: كتب على كل واحد منكم، ثم أظهر ذلك المضمر، إذ كان يكون إذا حضره الموت، فقيل: إذا حضر أحدكم، ونظير مراعاة المعنى في العموم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29].

قال الطبري(2): فلما حضر هؤلاء النفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله ﷺ.

واختلف أهل العلم في صفة حضورهم رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: حضروا رسول الله ﷺ، يتعرّفون الأمر الذي حدث من قبله ما حدث في السماء، ورسول الله ﷺ لا يشعر بمكانهم، كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبل.

فلما حضروا القرآن ورسول الله ﷺ يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا لنستمع القرآن. كما: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن عاصم، عن زِرّ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ﴾ قالوا: عن قتادة، في قوله: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ﴾ قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا.

قال أبو السعود(3): ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: القرآنَ عند تلاوتهِ أو الرسولَ عند تلاوتِه له على الالتفاتِ والأولُ هو الأظهرُ.

---

(1) البحر المحيط.
(2) جامع البيان.
(3) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 98].

قال الفخر الرازي[1]: وفيه وجهان: أحدهما: أن يحضرون عند قراءة القرآن لكي يكون متذكراً فيقل سهوه، وقال آخرون: بل استعاذ بالله من نفس حضورهم لأنه الداعي إلى وسوستهم كما يقول المرء أعوذ بالله من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك، وروي عن رسول الله ﷺ وقد اشتكى إليه رجل أرقاً يجده فقال: «**إذا أردت النوم فقل أعوذ بالله وبكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**».

قال البيضاويّ[2]: يحوموا حولي في شيء من الأحوال، وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه.

● **قال تعالى**: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

قال ابن عاشور[3]: وجملة ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ عطف على جملة ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ لما أفهمته الصلة من أنهم لم يجدوا غير ما عملوا، أي: لم يحمل عليهم شيء لم يعملوه، لأن الله لا يظلم أحداً فيؤاخذه بما لم يقترفه.

قال الألوسي[4]: ﴿حَاضِرًاۗ﴾ مسطوراً في كتاب كل منهم أو عتيداً بين أيديهم نقداً غير مؤجل، واختير المعنى الأخير وإن كان فيه ارتكاب خلاف الظاهر لأن الكلام عليه تأسيس محض.

● **قال تعالى**: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: 196].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) التحرير والتنوير.
(4) روح المعاني.

قال الطبري[1]: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا قول من قال: إن حاضري المسجد الحرام من هو حوله ممن بينه وبينه من المسافة ما لا تقصر إليه الصلوات لأن حاضر الشيء في كلام العرب هو الشاهد له بنفسه. وإذا كان ذلك كذلك، وكان لا يستحق أن يسمى غائباً إلا من كان مسافراً شاخصاً عن وطنه، وكان المسافر لا يكون مسافراً إلا بشخوصه عن وطنه إلى ما تقصر في مثله الصلاة، وكان من لم يكن كذلك لا يستحق اسم غائب عن وطنه ومنزله، كان كذلك من لم يكن من المسجد الحرام على ما تقصر إليه الصلاة غير مستحقّ أن يقال: هو من غير حاضريه إذ كان الغائب عنه هو من وصفنا صفته.

وإنما لم تكن المتعة لمن كان من حاضري المسجد الحرام من أجل أن التمتع إنما هو الاستمتاع بالإحلال من الإحرام بالعمرة إلى الحجّ مرتفقاً في ترك العود إلى المنزل والوطن بالمقام بالحرم حتى ينشىء منه الإحرام بالحجّ، وكان المعتمر متى قضى عمرته في أشهر الحجّ ثم انصرف إلى وطنه، أو شخص عن الحرم إلى ما تقصر فيه الصلاة، ثم حجّ من عامه ذلك، بطل أن يكون مستمتعاً لأنه لم يستمتع بالمرفق الذي جعل للمستمتع من ترك العود إلى الميقات والرجوع إلى الوطن بالمقام في الحرم، وكان المكيّ من حاضري المسجد الحرام لا يرتفق بذلك من أجل أنه متى قضى عمرته أقام في وطنه بالحرم، فهو غير مرتفق بشيء مما يرتفق به من لم يكن أهله من حاضري المسجد الحرام فيكون متمتعاً بالإحلال من عمرته إلى حجه.

● **قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾** [الأعراف: 163].

قال الفخر الرازي[2]: يعني قريبة من البحر وبقربه وعلى شاطئه والحضور نقيض الغيبة كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: ﴿حَاضِرَةَ﴾ يحتمل أن يريد معنى الحضور أي: البحر فيها حاضر، ويحتمل أن يريد معنى الحضارة على جهة التعظيم لها أي: هي الحاضرة في مدن البحر.

قال الزمخشري[2]: ﴿كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ قريبة منه راكبة لشاطئه.

● **قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾** [التكوير: 14].

قال الفخر الرازي[3]: ومن المعلوم أن العمل لا يمكن إحضاره، فالمراد إذن ما أحضرته في صحائفها، وما أحضرته عند المحاسبة، وعند الميزان من آثار تلك الأعمال، والمراد: ما أحضرت من استحقاق الجنة والنار.

قال أبو السعود[4]: المرادَ بها زمانٌ واحدٌ ممتدٌّ يسعَ ما في سباقها وسباقِ ما عُطفَ عليها من الخصالِ، مبدؤُه النفخةُ الأُولى ومنتهاهُ فصلُ القضاءِ بينَ الخلائقِ لكنْ لا بمعْنى أنها تعلمُ ما تعلم في كلِّ جزءٍ من أجزاءِ ذلكَ الوقتِ المديدِ، أو عند وقوعِ داهيةٍ من تلكَ الدواهِي بلْ عند نشرِ الصحفِ إلا أنَّه لما كانَ بعضُ تلك الدَّواهِي من مباديهِ وبعضُها من روادفِه نُسبَ علمُها بذلكَ إلى زمانِ وقوعِ كُلِّها تهويلاً للخطب وتفظيعاً للحال، والمرادُ بمَا أَحضرتْ أعمالُها من الخيرِ والشرِّ وبحضورِها إما حضورُ صحائِفها كما يعربُ عنه نشرُها وإما حضورُ أنفسِها على ما قالُوا من أنَّ الأعمالَ الظاهرةَ في هذه النشأةِ بصور عرضيةٍ تبرزُ في النشأة الآخرةِ بصور جوهريةٍ مناسبةٍ لها في الحسنِ والقُبحِ على كيفياتٍ مخصوصةٍ وهيئاتٍ مُعينةٍ حتى إنَّ الذنوبَ والمعاصيَ تتجسمُ هناكَ وتتصورُ بصورةِ النَّارِ. وعَلى ذلكَ حُملَ قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 49، والعنكبوت: 54] وقولُه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: 10] وكذا قولُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في حقِّ من يشربُ من آنيةِ الذهبِ والفضَّةِ:

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

«إنما يُجرجرُ في بطنِه نارَ جهنمَ» ولا بُعدَ في ذلكَ، ألا يرى أن العلمَ يظهرُ في عالمِ المثالِ على صُورةِ اللبنِ كما لا يَخْفى على مَنْ له خبرةٌ بأحوالِ الحضرات الخمس. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحةِ على صورٍ حسنةٍ وبالأعمال السيئةِ على صورٍ قبيحةٍ فتوضعُ في الميزان وأيًّا ما كانَ فإسنادُ إحضارِها إلى النفسِ مَعَ أنَّها تحضرُ بأمرِ الله تعالى كما ينطقُ به قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عِمرَان: 30]، لأنَّها لمَّا عمِلَتها في الدُّنيا فكأنَّها أحضرتْهَا في الموقفِ ومَعْنى علمِها بها حينئذٍ أنها تُشاهدُها على ما هيَ عليه في الحقيقة فإنْ كانتْ صالحةً تشاهدُها على صور أحسنَ ممَّا كانتْ تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئةً تشاهدُها على خلاف ما كانتْ تشاهدُها عليه هٰهُنا لأنها كانتْ مزينةً لها موافقةً لهواهَا.

● **قال تعالى:** ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النِّساء: 128].

قال الفخر الرازي(1): فاعلم أن الشح هو البخل، والمراد أن الشح جعل كالأمر المجاور للنفوس اللازم لها، يعني أن النفوس مطبوعة على الشح، ثم يحتمل أن يكون المراد منه أن المرأة تشح ببذل نصيبها وحقها، ويحتمل أن يكون المراد أن الزوج يشح بأنْ يقضي عمره معها مع دمامة وجهها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمجانستها.

قال الألوسي(2): المراد أحضر الله تعالى الأنفس الشح وهو البخل مع الحرص، ويجوز أن يكون القائم مقام الفاعل هو الثاني أي إن الشح جعل حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً، أو إنها جعلت حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يكاد يجود بالإنفاق وحسن المعاشرة مثلاً على التي لا يريدها، وذكر شيخ الإسلام «أن في ذلك تحقيقاً للصلح وتقريراً له

(1) التفسير الكبير. (2) روح المعاني.

بحث كل من الزوجين عليه لكن لا بالنظر إلى حال نفسه فإن ذلك يستدعي التمادي في [المماكسة و] الشقاق بل بالنظر إلى حال صاحبه، فإن شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها إليه لاستمالته، وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح» الذي هو خير.

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

قال الزمخشري[1]: أي: يوم تجد عملها محضراً وادّة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضراً، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49] يعني مكتوباً في صحفهم يقرؤونه ونحوه: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6].

قال القرطبي[2]: تقديره يوم تجد كل نفس جزاء ما عملت محضراً.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: 16].

قال الماوردي[3]: فيه خمسة تأويلات: أحدها: مدخلون.

الثاني: نازلون ومنه قوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البَقَرَة: 180، والمائدة: 106] أي نزل به.

الثالث: مقيمون.

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) النكت والعيون.

الرابع: معذبون.

الخامس: مجموعون، ومعاني هذه التأويلات متقاربة.

قال الألوسي[1]: على الدوام لا يغيبون عنه أبداً، والظاهر أن الفسقة من أهل الإيمان غير داخلين في أحد الفريقين أما عدم دخولهم في الذين كفروا وكذبوا بالآيات والبعث فظاهر وأما عدم دخولهم في ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الروم: 15] فإما لأن ذلك لا يقال في العرف إلا على المؤمنين المجتنبين للمفسقات على ما قيل، وإما لأن المؤمن الفاسق يصدق على المؤمن الذي لم يعمل شيئاً من الصالحات أصلاً فهم غير داخلين في ذلك باعتبار جميع الأفراد وحكمهم معلوم من آيات أخر فلا تغفل.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القَصَص: 61].

قال الفخر الرازي[2]: وتخصيص لفظ المحضرين بالذين أحضروا للعذاب أمر عرف من القرآن قال تعالى: ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصَّافات: 57] ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصَّافات: 127] وفي لفظه إشعار به لأن الإحضار مشعر بالتكليف والإلزام، وذلك لا يليق بمجالس اللذة إنما يليق بمجالس الضرر والمكاره.

قال أبو السعود[3]: ثم نحضرُه أو أحضرنَاه يومَ القيامةِ النَّارَ أو العذابَ. وإيثارُ الجملة الاسميَّةِ للدلالةِ على التحققِ حتماً، وفي جعله من جُملة المحضرينَ من التَّهويلِ ما لا يخفى. وثمَّ للتَّراخي في الزَّمانِ أو في الرُّتبةِ. وقُرىء ثم هْو بسكونِ الهاءِ تشبيهاً للمنفصلِ بالمتَّصلِ.

● **قال تعالى**: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: 28].

قال الفخر الرازي[4]: أي: كل شرب محتضر للقوم بأسرهم لأنه لو كان

(1) روح المعاني.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) التفسير الكبير.

ذلك لبيان كون الشرب محتضراً للقوم أو الناقة فهو معلوم لأن الماء ما كان يترك من غير حضور وإن كان لبيان أنه تحضره الناقة يوماً والقوم يوماً فلا دلالة في اللفظ عليه، وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوم في يوم وآخرون في يوم آخر، ثم لما خلقت الناقة كانت تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقين من غير نقصان، فقال: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ كم أيها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناقص تقاسموه وكل شرب كامل تقاسموه.

قال الزمخشري[1]: «محتضر» محضور لهم أو للناقة. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها.

قال البيضاوي[2]: يحضره صاحبه في نوبته أو يحضره عنه غيره.

(1) الكشاف. (2) أنوار التنزيل.

حض

(حض - حثّ - ركض - سبق - وفض - عجل - هرع)

- **الحَضُّ:** السرعة في الفعل عن طريق التحريض ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 3].
- **الحَثُّ:** السرعة بالسير عن طريق السوق ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: 54].
- **الرَّكْضُ:** السرعة القصوى في السير بالضرب بالرحيل.
- **السَّبْقُ:** زيادة السرعة عن سرعة الآخر ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: 17].
- **الإيفَاضُ:** سرعة الفرقة المسلحة التي يحمل كل منهم وفاضه أي: كنانته ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعَارج: 43]. . أي يسرعون.
- **العَجَلَةُ:** السرعة في طلب الشيء قبل أوانه ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 83].
- **الهُرُوعُ:** سرعة المتلهف الخفيفة ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ﴾ [هود: 78].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال الخَليل[1]: حَضَّ، الحِضِّيضَى والحِثِّيثَى من الحَضِّ والحَثِّ. وقد حَضَّ يَحُضُّ حَضًّا. وهو يشير إلى الفعل: حثَّ، وحَضَّ.

والحَضِيضُ: قرار الأرض عن سَفْح الجبل.

(1) العين.

قال الأزهَريّ[1]: **قال اللّيث**: حَضَّ يَحُضُّ حَضًّا، وهو الحَثّ على الخير. والحِضِّيضَى كالحثّيثى.

يقال: حَضَّضْتُ القوم على القتال تحضيضاً: إذا حرّضتهم.

قال الجَوهَريّ[2]: حضَّه على القتال حَضًّا، أي: حثّه. وحَضَّضَه، أي: حرّضَه؛ والاسم: الحِضِّيضَى. والتَّحَاضُّ: التَّحَاثُّ. والمُحَاضَّةُ: أن يحثّ كلّ واحد منهما صاحبه. وقرىء: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: 18]. والحُضُّ بالضّمّ: الاسم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 3].

قال ابن عطية[3]: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ﴾ إطعام ﴿طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، وأضاف «الطعام» إلى ﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾ من حيث له إليه نسبة ما وخصت هذه الخلة من خلال الكافر بالذكر لأنها من أضر الخلال في البشر إذا كثرت في قوم هلك مساكينهم.

قال الزمخشري[4]: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف، يعني: أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد، لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه: علم أنه مكذب، فما أشدّه من كلام، وأما أخوفه من مقام. وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدلّ بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين.

(1) تهذيب اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) المحرر الوجيز.
(4) الكشاف.

قال الألوسي[1]: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أي: ولا يبعث أحداً من أهله وغيرهم من الموسرين ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي بذل طعام المسكين وهو ما يتناول من الغذاء، والتعبير بالطعام دون الإطعام مع احتياجه لتقدير المضاف كما أشرنا إليه للإشعار بأن المسكين كأنه مالك لما يعطى له كما في قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 19] فهو بيان لشدة الاستحقاق وفيه إشارة للنهي عن الامتنان، وقيل الطعام هنا بمعنى الإطعام وكلام الراغب محتمل لذلك فلا يحتاج إلى تقدير لمضاف. وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما: (ولا يحاض) مضارع حاضضت وهذه الجملة عطف على جملة الصلة داخلة معها في حيز التعريف للمكذب فيكون سبحانه وتعالى قد جعل علامته الإقدام على إيذاء الضعيف وعدم بذل المعروف على معنى أن ذلك من شأنه ولوازم جنسه.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: 18].

قال الطبري[2]: واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه من أهل المدينة أبو جعفر وعامة قرّاء الكوفة: (بَلْ لا تُكْرِمونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ) بالتاء أيضاً وفتحها، وإثبات الألف فيها، بمعنى: ولا يحضّ بعضكم بعضاً على طعام المسكين. وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء المدينة، بالتاء وفتحها وحذف الألف: «وَلا تَحُضُّونَ» بمعنى: ولا تأمرون بإطعام المسكين. وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة: «يَحُضُّونَ» بالياء وحذف الألف، بمعنى: ولا يكرم القائلون إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ربي أكرمني، وإذا قدر عليه رزقه ربي أهانني اليتيم، «وَلا يَحُضُّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ» وكذلك يقرأ الذين ذكرنا من أهل البصرة «يُكْرِمُونَ» وسائر الحروف معها بالياء، على وجه الخبر عن الذين ذكرت. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ: «تُحاضُّونَ» بالتاء وضمها وإثبات الألف، بمعنى: ولا تحافظون.

---

(1) روح المعاني. (2) جامع البيان.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن هذه قراءات معروفات في قراءة الأمصار، أعني القراءات الثلاث صحيحات المعاني، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب.

حطب

(حطب - حصب - وقود - سجور)

■ **الحَطَبُ:** ما توقد به النار من نباتات الأرض ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجنّ: 15].

■ **الحَصَبُ:** كل ما يلقى في النار للوقود ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98].

■ **الحَاصِبُ:** الرمي بالحجارة عقاباً أو حرباً ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 68].

■ **الإِيقَادُ:** بداية إشعال النار ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ [القَصَص: 38].

■ **السَّجْرُ:** عملية الإنضاج الشديد للنار العظيمة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والطاء والباء أصلٌ واحد، وهو الوَقود، ثمّ يحمل عليه ما يشبَّه به. فالحَطَبُ معروف. يقال: حَطَبْتُ أحْطِبُ حَطْباً.

ويقال للمخلِّط في كلامِهِ: «حَاطِبُ لَيْل».

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال: مكان حَطِيبٌ: كثير الحَطَب. ويقال: ناقة مُحَاطِبَةٌ، تأكل الشَّوكَ اليابسَ.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: 4]، هي كنايةٌ عن النميمة. يقال حَطَبَ فلانٌ بفلانٍ: سَعَى به. ويقال إنَّ الأَحْطَبَ الشديدُ الهُزال وكذلك الحَطِب، كأنَّه شُبِّه بالحطب اليابس. وقوله في النميمة يشهد له.

قال الخليل[1]: الحَطَبُ معروف، حَطَبَ يَحْطُبُ حَطْباً وحطَباً مصدر، والمثقل اسم. وحَطَبْتُ القوم: إذا احْتَطَبْتُ لهم.

وحَطَبَ فلان بفلان: إذا سعى به.

والحَطَبُ في القرآن: النميمة. ويقال هو الشوك.

قال الجوهري[2]: الحَطَبُ معروف، تقول منه: حَطَبْتُ واحْتَطَبْتُ: إذا جمعته. ويقال لمن يتكلّم بالغَثِّ والسمين: حاطِبُ لَيْلٍ، لأنّه لا يبصر ما يجمع في حَبْلِهِ. وحَطَبَني فلان: إذا أتاك بالحَطب.

والحَطَّابَةُ: الذين يحتطبون. وأَحْطَبَ الكَرْمُ: حان أن يُقْطَعَ منه الحَطَبُ. وناقة مُحَاطِبَةٌ: تأكل الشوكَ اليابس. ومكانٌ حَطِيبٌ: كثير الحَطَبِ. والحَطِبُ: الرجل الشديد الهُزالِ. والأَحْطَبُ مثله.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: 4].

قال الطبري[3]: اختلف أهل التأويل، في معنى قوله: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) جامع البيان.

فقال بعضهم: كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، ليدخل في قَدمه إذا خرج إلى الصلاة.

عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه على طريق النبيّ ﷺ، ليعقره وأصحابه، ويقال: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: نقالة للحديث.

وقال آخرون: قيل لها ذلك: حمالة الحطب، لأنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة، وتعيِّر رسول الله ﷺ بالفقر.

وقال بعضهم: كانت تُعَيِّر رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تَحْطِبُ فَعُيِّرت بأنها كانت تحطب.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك.

قال الزمخشري[1]: هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة، ويقال: للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس: يحمل الحطب بينهم، أي: يوقد بينهم النائرة ويورث الشرّ.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجنّ: 15].

قال الفخر الرازي[2]: وفيه سؤالان:

الأول: لمَ ذكر عقاب القاسطين ولمْ يذكر ثواب المسلمين؟ الجواب: بل ذكر ثواب المؤمنين وهو قوله تعالى: ﴿تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا﴾ [الجنّ: 14] أي: توخوا رشداً عظيماً لا يبلغ كنهه إلا الله تعالى، ومثل هذا لا يتحقق إلا في الثواب.

السؤال الثاني: الجن مخلوقين من النار، فكيف يكونون حطباً للنار؟

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

الجواب: أنهم وإن خلقوا من النار، لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية وصاروا لحماً ودماً هكذا، قيل: وهٰهنا آخر كلام الحسن.

قال النسفي[1]: ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوداً، وفيه دليل على أن الجني الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم.

قال ابن عاشور[2]: وشبه حلول الكافرين في جهنم بحلول الحطب في النار، أي: هم لجهلهم كالحطب الذي لا يعقل كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: 24]. وإقحام فعل (كانوا) لتحقيق مصيرهم إلى النّار حتى كأنهم كانوا كذلك من زمن مضى.

(1) مدارك التنزيل. (2) التحرير والتنوير.

حطّ

(حطّ - خفض - خفف)

■ **الحَطُّ:** إنزال الشيء من علو ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: 58].

■ **الخَفْضُ:** إنزال المكانة العالية بعد أن كانت رفيعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: 1-3] أي: ترفع مكانة الذليل وتخفض مكانة العظيم والعزيز.

■ **التَّخفيف:** تحلية العمل في عيون العاملين باختصاره ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه هي مفردات مغفرة الذنوب، وهي أمل كل المؤمنين الموحّدين لله تعالى لأن طموح كل مؤمن أن يلقى الله تعالى وليس عليه ذنب.

ولدقّة القرآن الكريم فقد رتب هذه الكلمات حسب أعمال العبد. فالعبادة ليست متساوية فالصلاة مثلاً في رمضان تختلف عنها في غيره، والصلاة في أرض الرباط تختلف عنها في غير أرض، والخطيئة في مكة مثلاً تختلف عنها في غير مكة. فالذنوب تتفاوت كما تتفاوت العبادات وموقف المؤمن من ربّه هو الذي يحدد موقف الله تعالى منه. والذي كان يفعله العبد بعد وقوعه في ذنب أو خطيئة مهم، وحجم توبته إلى الله تعالى مهم أيضاً وإقلاعه عن الذنب وإصراره على عدم

العودة إليه كلها مهمّة وتُحدد موقف الله تعالى من العباد يوم القيامة ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29] فعلى وِفق موقعك من الذنب يتحدد موقف الله تعالى منك ولهذا فكل كلمة من هذه الكلمات لها دلالة مختلفة عن أختها.

تحدثنا سابقاً عن التوبة من حيث كونها فِعلاً من العبد. لكن توبة العبد تتبعها توبة من الله عَزَّوَجَلَّ وهي متوقفة على توبة العبد كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118] فكلمة تاب هنا تدخل في معناها أنها توبة من الله تعالى على عباده.

التوبة: شرع الله تعالى التوبة أولاً ثم تاب العبد ثم تاب الله تعالى عليه. إن الله تعالى توّاب من حيث شرّع التوبة لنا: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١﴾ [الفرقان: 70-71] ثم بعد ذلك يتوب العبد فيتوب الله تعالى عليه. فالله تعالى توّاب والعبد توّاب وتوبة تترتب على توبة وهذه التوبة تستدرج باقي مراحل ومرادفات هذه الكلمة.

قال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا﴾ [الفرقان: 71] هذا الذي يصبح بطلاً في التوبة هؤلاء يدخلهم الله تعالى في الصالحين ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: 9] والصالحون هم الفئة الرابعة بعد النبيين والصدّيقين والشهداء ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: 69] وهم ليسوا المؤمنين الذين عملوا الصالحات بل هم الذين صاروا أبطالاً في الصلاح.

المغفرة: المغفرة والعفو متتاليان فقد يكون العفو قبل المغفرة وقد تكون المغفرة قبل العفو. والمغفرة هي التجاوز عن الذنب في الظاهر وقد يبقى في الباطن وسيحاسب عليه يوم القيامة. فقد يغفر الله تعالى للعبد ذنوبه في الظاهر

ويحكم عليه أنه من أهل الجنة، ثم تأتي مرحلة يُسأل العبد فيها عن الرحِم والأمانة فإن كان قد أكل أمانة أحد أو قطع رحِمه يؤتى بالأغلال ويساق إلى النار. وهذا أمر مهم علينا أن ننتبه إلى موقفنا من الأمانة والرحِم. مثل هذا العبد يكون ذنبه مغفوراً في الظاهر لكن ما زال لديه ذنوب في الباطن فيُعاقب عليها. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

العفو: هو التجاوز عن الذنب ظاهراً وباطناً. والرسول ﷺ كان يُكثر من الدعاء: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» خاصة في ليلة القدر. ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22].

الصفح: بعد أن تاب العبد ثم غُفِر له ثم عُفي عنه، تأتي المرحلة الأجمل وهو أن يُصفح عنه فلا يُعيّر بذنوبه ولا يُثرّب، والتثريب هو أن تعيّر العبد بذنبه بعد أن عفوت عنه، ولذا جاء في القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام مخاطباً إخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 92] انتهى الموقف. والله تعالى يوصينا بالصفح ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 109] ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22] فالصفح من مجملات العفو من حيث أنك لا تذكر ذنب المذنب بعد ذلك ولا تُذكّره فيه ولا تعاتبه ولا تُعيّره كلما رأيته مهما كان الذنب عظيماً. والصفح يأتي بعد العفو ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13] ومن الإحسان أن تصفح عمن عفوت عنه: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85] والصفح الجميل هو الصفح بلا عتاب. ولنا في سيرة الرسول ﷺ الأسوة الحسنة فهو (على رغم شدة أذى قريش له خلال الدعوة من أبي سفيان وهند وغيرهم لم يعاتبهم بما فعلوا به أو بالمسلمين).

التكفير: تكفير الذنب عبادة تُغطّي عليه. كأن تكون أسأت إلى أحد إساءة ثم

تُغرقه بفضلك حتى تكفّر عن ذنبك ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: 193]«**أتبع الحسنة السيئة تمحُها**» ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: 114]. تكفير الذنب هو كل من فعل ذنباً فكفّره بعبادة أو استغفار، ومنها الكفّارة التي تُلغي الذنب ككفارة اليمين ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: 89] وكفارة الحلق في الحج وسائر الكفارات في القرآن الكريم.

الحطّ والوضع: حطّ: هو عدم حساب الذنب ذنباً فالحرام لم يعد موجوداً وأصل الحطّ ما قاله بنو إسرائيل: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: 58] أي: حُطّ عنا ذنوبنا وعند المسلمين (وضع). صوم رمضان ركن لكنه عند السفر لا يعود ركناً إلى أن يعود المسافر، والصلاة الرباعية في السفر حطّها الله تعالى إلى ركعتين، وهكذا الكثير من الأعمال ومنها أحدهم شارف على الهلاك وليس أمامه إلا الخمر وهو يكاد يموت حطّ الله تعالى عنه تحريم الخمر فيشرب ما يمكّنه من الإبقاء على حياته. وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ [الشرح: 2] بمعنى كأنه غير موجود.

إذن كلمة حطّ تقابلها كلمة وضع في القرآن وكلاهما بمعنى عدم اعتبار الذنب ذنباً. والحطّ والوضع كل منهما إلغاء كون المحرّم محرّماً للزمن والمكان والشخص المعيّن وهذه مِنّة من مِنَن الله تعالى العظيمة علينا. «**إذا أحبّ الله عبداً لا تضرّه الذنوب**».

حطّ ويحطّ مصطلح فقهي إسلامي ورد في الحديث الشريف: فقد ورد في الحديبية أن الرسول ﷺ قال: «**من يصعد الثنيّة فإنه يُحطّ عنه ما حُطّ عن بني إسرائيل**» وكان أول من صعدها الخزرج. وفي حديث آخر: «**من تطهّر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة**» (أخرجه مسلم 666) و«**من قال سبحان الله**

وبحمده في يوم مئة مرة **حُطّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**» والحديث: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ الله به سيئاته كما تحطّ الشجرة ورقها**» (أخرجه البخاري 5648، ومسلم 2571).

حطّ ووضع: إلغاء حُرمة المحرّمات من حيث أثرها فلا يحاسب على شيء وهذه من مِنن الله تعالى.

التجاوز والتبديل: إن الله تعالى غفور رحيم بعد المغفرة لا يكتفي بالتجاوز عن الذنب وإنما يبدّله حسنة وهذه أثر من آثار المغفرة من حيث أن كرم الله تعالى لا تدركه عقولنا. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 16] ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: 70].

أسباب المغفرة: كل حركة في يوم المسلم وليله من ساعة استيقاظه إلى ساعة نومه يمكن أن يجعلها سبباً من أسباب المغفرة، حتى ضحكه وحزنه ومرضه وطعامه وشرابه. وعند تقصّي الكتاب والسنّة وواقع الحال نكتشف أن أعظم أنواع المغفرة وأسرعها إلى مرضاة الله تعالى وأسبقها إلى ميزان الحسنات هو موقف العبد المؤمن من الآخر سواء كان هذا الآخر إنساناً أو حيواناً أو جماداً أو نباتاً. فكل موقف إيجابي يقدّمه المؤمن للآخر فإنه ينجو به. ومعظم رضى الله تعالى في الإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: 13] وفي الأحاديث النبوية أمثلة كثيرة منها: حديث البغيّ التي سقت كلباً يلهث. وإذا غرس العبد شجرة له أجر كل من انتفع بها من طير أو حيوان أو إنسان. وكذلك الذي في أرضه نبع ماء مثلاً فكل من شرب منها فإن للعبد فيه صدقة. وإذا بنى العبد بناء فله بكل من يستظل به حسنة. وإذا نحّى العبد شوكة من الطريق ليسهّله للآخرين ويمنع عنهم الأذى تكون له صدقة. وفي الحديث: «**رأيت رجلاً يتقلّب في ربض الجنة بشوكة نحّاها عن طريق المسلمين**». وكل عمل فيه مغفرة الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينها وكذلك ليلة النصف من شعبان ومن بلغ

التسعين سنة وهو مؤمن يُسمّى عتيق الرحمٰن في الأرض، كل حمدٍ على شربة أو طعام، من قعد في مصلاّه لا يقول إلا خيراً ثم صلّى ركعتين وهو ينتظر الصلاة التالية، دعاء السوق: «**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يُحيي ويميت وهو حيّ لا يموت وهو على كل شيء قدير**»، من أحرم من بيت المقدس، رجل سهل إذا باع سهل إذا اشترى، كل من جلس مجلساً وتحدّث ثم دعا بدعاء كفارة المجلس يغفر الله تعالى ما كان من لغط في مجلسه، السلام على من عرفت ومن لم تعرف «**لا تقوم الساعة حتى لا يكون السلام إلا على المعرفة**» لا يُبقي على المؤمن ذنب، وهذه عبادات أراد الله تعالى أن يحقق إرادته ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: 27].

أهم وأعظم هذه العبادات وأهم من العفو والصفح هو موقفك من الآخر. الناس كلهم يصلّون ويصومون أما موقفك من الآخر فهي حقوق الناس عليك: إذا زار العبد رجلاً مريضاً دون مجاملة أو حاجة له عنده إنما زاره لوجه الله تعالى لا يبقى عليه ذنب، رجل أدخل السرور على آخر كأن يكون عنده دين فيوفّيه عنه أو يواسيه في حزنه ويعوده في مرضه ويطعمه إذا جاع لا يُبقي الله تعالى عليه ذنباً. وفي الأثر أن الله تعالى يخلق من هذا السرور ملكاً جميلاً يرافق العبد حتى يدخل الجنة، وفي الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتزاورين فيّ».

مجالس يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ، حضور حلقات الذكر، الدعاء لأخيك بظهر الغيب فكل من تدعو له في ظهر الغيب تقول الملائكة ولك مثل ذلك، أن تموت في أرض غريبة ليست أرضك، أن تكون أميناً على أموال الدولة.

والله تعالى عفو غفار، ومن دواعي كرمه وعطائه أن يغفر لعباده عند التوبة: «**لله أفرح بتوبة عبده من صاحب الراحلة**». وإن تتبعنا أسماء الله الحسنى من الناحية العقلية لعرفنا أن الله تعالى من شأنه أن يغفر للمذنبين ولو لم نُذنب لذهب بنا الله وجاء بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون فيغفر الله تعالى لهم.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الحاء والطّاء أصل واحد، وهو إنزال الشّيء من علوّ. يقال: حَطَطْتُ الشّيءَ أحُطُّه حَطًّا.

قال الخَليل(2): الحَطُّ: وضع الأحمال عن الدّوابّ. والحَطُّ: الحَدْر من العلوّ. وحَطَّتِ النّجيبة وانْحَطَّت في سيرها من السّرعة.

وحَطَّ عن ذنَوبه.

والحَطاطة: بَثْرَة تخرج في الوجه صغيرة تُقبّح اللّون ولا تُقرّح.

قال الفَرّاء(3): حَطَّ السِّعر وانْحَطَّ حُطُوطاً وكسَر وانكسَر: يريد فتَر، سِعر مقطوط وقد قُطّ السِّعر وقَطّ السّعر، وقطَّ الله السّعر، إذا غلا.

قال الجَوهَريّ(4): حَطَّ الرَّحْلَ والسّرج والقوس.

وحَطّ، أي: نزل. والمَحَطّ: المنزل.

وانحَطّ السِّعر وغيره.

وتقول: استَحَطَّني فلان من الثّمن شيئاً، والحَطِيطَةُ كذا وكذا من الثّمن.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58].

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) معاني القرآن.
(4) الصحاح في اللغة.

قال القرطبي(1): يحتمل أن يكونوا تعبّدوا بهذا اللفظ بعينه، وهو الظاهر من الحديث. روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قيل لبني إسرائيل ٱدخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطّةٌ يُغفر لكم خطاياكم (فبدّلوا) فدخلوا الباب يَزْحَفُون على أستاههم وقالوا حَبّةٌ في شَعرة**» وأخرجه البخاري وقال: «**فبدلوا وقالوا حِطَّةَ حبّةٌ في شعرة**» في غير الصحيحين: «حنطة في شَعَر» وقيل: هِطّا سُمْهاثا. وهي لفظة عبرانية، تفسيرها: حنطة حمراء؛ حكاها ابن قتيبة، وحكاه الهروِي عن السدّي ومجاهد. وكان قصدهم خلاف ما أمرهم الله به فعصوا وتمرّدوا وٱستهزءوا؛ فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب.

قال البيضاويّ(2): ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي مسألتنا، أو أمرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة، وقرىء بالنصب على الأصل بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة، أو على أنه مفعول ﴿قُولُوا﴾ أي قولوا هذه الكلمة. وقيل معناه أمرنا حطة أي: أن نحط في هذه القرية ونقيم بها.

● **قال تعالى**: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161].

قال الفخر الرازي(3): وفي سورة الأعراف على العكس منه، فالمراد التنبيه على أنه يحسن تقديم كل واحد من هذين الذكرين على الآخر، إلا أنه لما كان المقصود منهما تعظيم الله تعالى، وإظهار الخضوع والخشوع لم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير.

قال الزمخشري(4): فإن قلت: كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة؟ قلت: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض. ولا تناقض بين قوله، اسكنوا هذه القرية وكلوا منها، وبين قوله: فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.

سكناهم للأكل منها، فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها، وسواء قدّموا الحطة على دخول الباب أو أخروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهم، وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته.

حطم

(حطم - بسّ - جذ - قصم - هشم)

- **الحَطْمُ:** تكسير الشيء بغيظ شديد ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النّمل: 18].
- **البَسُّ:** تكسير الشيء إلى فتات ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: 5].
- **الجَذُّ:** تكسير الشيء قطعاً ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: 58].
- **القَصْمُ:** تكسير الشيء نصفين ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبيَاء: 11].
- **الهَشْمُ:** تكسير الشيء الرخو إلى أجزاء لا تعد ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القَمَر: 31].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والطاء والميم أصلٌ واحد، وهو كَسْر الشيء. يقال: حَطَمْتُ الشيءَ حَطْماً كسرتُه. ويقال للمتكسَّر في نفسه: حَطِم. ويقال للفرس إذا تهدَّم لطول عمره: حَطِمٌ. ويقال بل الحَطَمُ داءٌ يصيب الدابّة في قوائمها أو ضَعْفٌ. وهو فرسٌ حَطِمٌ. والحُطْمة السنة الشديدة؛ لأنها تَحْطِمُ كلّ شيء. والحُطَمُ السوَّاق يَعنف، يَحْطِم بعضَ الإبل ببعض.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل(1): الحَطْمُ: كَسرُكَ الشّيء اليابس كالعِظام ونحوها، حَطَمْتُه فانْحَطَم؛ والحُطَامُ: ما تَحَطَّم منه.

وقِشْر البَيْض: حُطَامٌ.

والحَطْمَ: السّنة الشّديدة.

وحَطْمَة الأسد في المال: عَيْنُه وفَرْسُه.

والحُطَمَ: النّار. وقيل: الحُطَمَ: باب من جهنّم.

والحَطِيمُ: حِجْر مكّة.

قال الأزهَريّ(2): حِجْر مكّة يقال له: الحَطِيمُ ممّا يلي الميزاب.

وحَطِمَ فلاناً أهلَه: إذا كَبِر فيهم، كأنّهم صيّروه شيخاً مَحطُوماً بطُول الصُّحبة.

قال الجَوهَريّ(3): وحَطْمَة السّيل مثل طَحْمَتُه، وهي دَفْعَتُه. والحَطِمُ: المتكسِّر في نفسه. ويقال للفرس إذا تهدّم لطول عمره: حَطِمٌ. ويقال: حَطِمَت الدّابّة بالكسر، أي: أسنّت. وحطَمَتْ السِّنّ بالفتح حَطْماً.

ويقال للعَكَرة من الإبل: حُطَمَة، لأنّها تَحطِم كلّ شيء. والحُطَامُ: ما تكسَّر من اليَبيس.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: 18].

(1) العين.

(2) تهذيب اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

قال الألوسي[1]: والحطم الكسر والمراد به الإهلاك. والنهي في الظاهر لسليمان عليه السلام وجنوده وهو في الحقيقة نهى على طريق الكناية للنمل عن التوقف حتى تحطم لأن الحطم غير مقدور لها نحو قولك: لا أرينك هٰهنا، فإنه في الظاهر نهي للمتكلم عن رؤية المخاطب والمقصود نهي المخاطب عن الكون بحيث يراه المتكلم. وأرادت النملة على ما في «الكشاف» لا يحطمنكم جنود سليمان فجاءت بما هو أبلغ. حيث أراد عجبت من إشفاق نفسي فجاء بما هو أبلغ للإجمال والتفصيل. وتعقب ذلك في «البحر» بأن فيه القول بزيادة الأسماء وهي لا تجوز بل الظاهر إسناد الحطم إليه عليه السلام وإلى جنوده والكلام على حذف مضاف أي: خيل سليمان وجنوده أو نحو ذلك مما يصح تقديره وللبحث فيه مجال وجملة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من مجموع المتعاطفين والضمير لهما. وجوز أن تكون حالاً من الجنود والضمير لهم، وأياً ما كان ففي تقييد الحطم بعدم الشعور بمكانهم المشعر بأنه لو شعروا بذلك لم يحطموا ما يشعر بغاية أدب النملة مع سليمان عليه السلام وجنوده، وليت من طعن في أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم تأسى بها فكف عن ذلك وأحسن الأدب، وروي أن سليمان عليه السلام لما سمع قول النملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ الخ قال: ائتوني بها فأتوا بها فقال: لم حذرت النمل ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل فلم قلت: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ فقالت: أما سمعت قولي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ومع ذلك أني لم أرد حطم النفوس وإنما أردت حطم القلوب خشيت أن يروا ما أنعم الله تعالى به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا في كفران النعم فلا أقل من أن يشتغلوا بالنظر إليك عن التسبيح.

● **قال تعالى**: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: 65].

قال الفخر الرازي[2]: الحطم كما أن الفتات والجذاذ من الفت والجذ

(1) روح المعاني. (2) التفسير الكبير.

والفعال في أكثر الأمر يدل على مكروه أو منكر، أما في المعاني: فكالسبات والفواق والزكام والدوار والصداع لأمراض وآفات في الناس والنبات. وأما في الأعيان: فكالجذاذ والحطام والفتات وكذا إذا لحقته الهاء كالبرادة والسحالة.

قال الماوردي[1]: والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به، فنبه بذلك على أمرين:

أحدهما: ما أولاهم من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه.

الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا.

● **قال تعالى**: ﴿كَلَّآ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾ [الهمزة: 4-5].

قال القرطبي[2]: ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ وهي نار الله؛ سُمّيت بذلك لأنها تكسر كل ما يُلْقى فيها وتحطمه وتَهْشمُه.

وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم. وقيل: «الحُطَمة» الدَّرَكة الثانية من درك النار. قيل: وهي الدرك الرابع. وهي: اسم من أسماء جهنم. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ على التعظيم لشأنها، والتفخيم لأمرها. ثم فسرها ما هي فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهُمَزة: 6].

قال الفخر الرازي[3]: فإنما ذكره بلفظ النبذ الدال على الإهانة، لأن الكافر كان يعتقد أنه من أهل الكرامة، وقرىء (لينبذان) أي هو وماله و(لينبذن) بضم الذال أي هو وأنصاره، وأما: ﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾ فقال المبرد: إنها النار التي تحطم كل من وقع فيها ورجل حطمة أي: شديد الأكل يأتي على زاد القوم، وأصل الحطم في اللغة الكسر، ويقال: شر الرعاء الحطمة، يقال: راع حطمة وحطم بغير هاء

---

(1) النكت والعيون.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.

كأنه يحطم الماشية أي: يكسرها عند سوقها لعنفه، قال المفسرون: الحطمة اسم من أسماء النار وهي الدركة الثانية من دركات النار، وقال مقاتل: هي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الملك ليأخذ الكافر فيكسره على صلبه كما توضع الخشبة على الركبة فتكسر ثم يرمي به في النار**».

واعلم أن الفائدة في ذكر جهنم بهذا الاسم هٰهنا وجوه: أحدها: الاتحاد في الصورة كأنه تعالى يقول: إن كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة، والثاني: أن الهامز بكسر عين ليضع قدره فيلقيه في الحضيض فيقول تعالى: وراءك الحطمة، وفي الحطم كسر فالحطمة تكسرك وتلقيك في حضيض جهنم لكن الهمزة ليس إلا الكسر بالحاجب، أما الحطمة فإنها تكسر كسراً لا تبقي ولا تذر، الثالث: أن الهماز اللماز يأكل لحم الناس والحطمة أيضاً اسم للنار من حيث إنها تأكل الجلد واللحم، ويمكن أن يقال: ذكر وصفين الهمز واللمز، ثم قابلهما باسم واحد وقال: خذ واحداً مني بالاثنين منك فإنه يفي ويكفي، فكأن السائل يقول: كيف يفي الواحد بالاثنين؟ فقال: إنما تقول: هذا لأنك لا تعرف هذا الواحد فلذلك قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾.

حظر

(حظر - حرم - منع - حجر)

■ **الحَظْرُ:** الممنوع بأمر السلطة ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسرَاء: 20].

■ **الحَرَامُ:** الممنوع بأمر الشرع ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المَائدة: 3].

■ **المَنْعُ:** منع التصرف بالشيء بأمر مالك الشيء ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ [الحَشر: 2].

■ **الحَجْرُ:** منع مالك الشيء من التصرف به قضاء ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفُرقان: 22].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الحاء والظّاء والرّاء أصل واحد يدلّ على المنع. يقال: حَظَرت الشّيء أَحْظُرُه حَظْراً، فأنا حَاظِرٌ والشّيء مَحْظُورٌ.

قال الخَليل[2]: الحِظَارُ: حائط الحَظِيرَة، والحَظِيرَة تُتّخذ من خشَب أو قصَب. والمُحْتَظِرُ: متّخذها لنفسه، فإذا لم تخصّه بها فهو مُحْظِرٌ، ويقال: حَاظِرٌ مَن حَظَر، خفيف.

قال ابن دُرَيْد[3]: حَظَرْتُ الشّيء أَحْظُرُه حَظْراً فهو مَحْظُورٌ: إذا حُزته.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.

قال الجَوهَريّ[1]: الحَظْرُ: الحَجْر، وهو خلاف الإباحة.

والمَحْظُور: المحرّم.

والحِظَارُ: الحظيرة تُعمَل الإبل من شجر، لتقيها الرّيح والبرد.

والمُحْتَظِرُ: الّذي يعمل الحَظِيرة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20].

قال ابن عطية[2]: أي إن رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر، وقلما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي التي توبقه، و« المحظور» الممنوع.

قال أبو السعود[3]: ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً ممن يريده بل هو فائضٌ على مَن قُدّر له بموجب المشيئةِ المبنيةِ على الحكمة وإن وُجد منه ما يقتضي الحظرَ كالكافر وهو في معنى التعليل لشمول الأمدادِ للفريقين، والتعرضُ لعنوان الربوبية في الموضعين للإشعار بمبدئيتها لما ذُكر من الإمداد وعدم الحظر.

قال الطبري[4]: يقول: وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعاً عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك، وقد آتاه الله إياه.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: 31].

---

(1) الصحاح في اللغة.

(2) المحرر الوجيز.

(3) إرشاد العقل السليم.

(4) جامع البيان.

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء، وحسنهم قبل بوارهم كيَبِس الشجر الذي حظرته بحظير حظرته بعد حُسن نباته، وخُضرة ورقه قبل يُبسه.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك: العظام المحترقة، وكأنهم وجَّهوا معناه إلى أنه مَثَّلَ هؤلاء القوم بعد هلاكهم وبلائهم بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرته.

وقال آخرون: بل عنى بذلك التراب. الذي يتناثر من الحائط.

وقال آخرون: بل هو حظيرة الراعي للغنم.

وقال آخرون: بل هو الورق الذي يتناثر من خشب الحطب.

قال الفخر الرازي[2]: لماذا شبههم به؟ قلنا: يحتمل أن يكون التشبيه بكونهم يابسين كالحشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان وكأنه يقول: سمعوا الصيحة فكانوا كأنهم ماتوا من أيام، ويحتمل أن يكون لأنهم انضموا بعضهم إلى بعض كما ينضم الرفقاء عند الخوف داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كحطب الحاطب الذي يصفه شيئاً فوق شيء منتظراً حضور من يشتري منه شيئاً فإن الحطاب الذي عنده الحطب الكثير يجعل منه كالحظيرة، ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم أي: كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد فهو محقق لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [**الأنبياء: 98**] وقوله تعالى: ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [**الجن: 15**] وقوله: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [**نوح: 25**] كذلك ماتوا فصاروا كالحطب الذي لا يكون إلا للإحراق لأن الهشيم لا يصلح للبناء.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.

حظ

(حظ - نصيب - كفل - سهم)

■ **الحَظُّ:** السهم المقدر ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النِّساء: 11].

■ **النَّصِيبُ:** السهم الرفيع غير المقدر ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النِّساء: 53].

■ **الكِفْلُ:** السهم السيء ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ﴾ [النِّساء: 85].

■ **السَّهْمُ:** النصيب والحظ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصَّافات: 141].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والظاء أصل واحد، وهو النَّصيب والْجَدّ. يقال: فلان أَحَظُّ من فلانٍ، وهو مَحْظُوظٌ. وجمع الحَظِّ أَحَاظٍ على غير قياس.

قال أبو زيد[2]: رجلٌ حَظِيظٌ جديد، إذا كان ذا حَظٍّ من الرزق. ويقال: حَظِظْتُ في الأمر أَحَظُّ. قال: وجمع الحَظّ أَحُظٌّ.

قال الخليل[3]: الحَظُّ: النصيب من الفضل والخير والجميع الحُظُوظ، وفلان حَظِيظٌ، ولم نسمع منه فعلاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) أبو زيد.
(3) العين.

قال الجوهري(1): الحَظُّ: النصيبُ والجَدُّ، وجمع القلّة أَحُظٌّ، والكثير حُظوظٌ وأَحَاظٍ على غير قياس، كأنَّه جمع أَحْظٍ.

تقول منه: ما كنتَ ذا حَظٍّ، ولقد حَظِظْتَ تَحَظُّ فأنت حظٌّ وحظيظٌ ومَحْظوظٌ، أي: جديدٌ ذو حَظٍّ من الرزق. وأنت أَحَظُّ من فلان. والحُظُظُ والحُظَظُ: لغةٌ في الحُضَضُ، وهو دواءٌ.

*** وقد ورد الحظ في القرآن على وجهين:**

الوجه الأول: النصيب: قال تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النِّساء: 176].

الوجه الثاني: الجدّ والسعادة: قال تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القَصَص: 79].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المَائدة: 13].

قال القرطبي(2): أي نسوا عهد الله الذي أخذه الأنبياء عليهم من الإيمان بمحمد ﷺ، وبيان نعته.

قال أبو حيان(3): وهذا الحظ من الميثاق المأخوذ عليهم. وقيل: لما غيروا ما غيّروا من التوراة استمروا على تلاوة ما غيروه، فنسوا حظاً مما في التوراة قاله

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) البحر المحيط.

مجاهد. وقيل: أنساهم نصيباً من الكتاب بسبب معاصيهم، وعن ابن مسعود: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية، وتلا هذه الآية.

وقيل: تركوا نصيبهم مما أمروا به من الإيمان ب الرسول وبيان نعته.

قال الماوردي[1]: يعني نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم.

● **قال تعالى**: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء: 11].

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: هلا قيل: للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر؛ قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله، كما ضوعف حظه لذلك، ولأنّ قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ قصد إلى بيان فضل الذكر. وقولك: للأنثيين مثل حظ الذكر، قصد إلى بيان نقص الأنثى، وما كان قصداً إلى بيان فضله، كان أدلّ على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه: ولأنهم كانوا يورّثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية، فقيل: كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث، فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به.

فإن قلت: فإن حظ الأنثيين الثلثان، فكأنّه قيل للذكر الثلثان. قلت: أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان، كما أن لهما سهمين. وأما في حال الانفراد، فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين. والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع، أنه أتبعه حكم الانفراد، وهو قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ [النساء: 11] والمعنى للذكر منهم، أي من أولادكم، فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم، كقولهم: السمن منوان بدرهم.

---

(1) النكت والعيون.	(2) الكشاف.

قال أبو حيان[1]: لما أبهم في قوله: ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النِّساء: 7] في المقدار والأقربين، بيّن في هذه الآية المقادير ومن يرث من الأقربين، وبدأ بالأولاد وإرثهم من والديهم، كما بدأ في قوله: للرّجال نصيب مما ترك الوالدان بهم. وفي قوله: يوصيكم الله في أولادكم إجمال أيضاً بينه بعد. وبدأ بقوله: للذكر، وتبين ما له دلالة على فضله. وكان تقديم الذكر أدل على فضله من ذكر بيان نقص الأنثى عنه، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث، فكفاهم إن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يحرمن إذ هن يدلين بما يدلون به من الولدية.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35].

قال الماوردي[2]: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: ذو جد عظيم. الثاني: ذو نصيب [وافر] من الخير. الثالث: أن الحظ العظيم الجنة. والله ما عظم حظ قط دون الجنة. ويحتمل رابعاً: أنه ذو الخلق الحسن.

قال ابن عطية[3]: من الجنة وثواب الآخرة.

قال الطبري[4]: ذو نصيب وجدّ. له سابق في المبرات عظيم.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: 79].

قال الزمخشري[5]: والحظ: الجدّ، وهو البخت والدولة: وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت، يقال: فلان ذو حظ، وحظيظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاظ وجدود.

---

(1) البحر المحيط.
(2) النكت والعيون.
(3) المحرر الوجيز.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.

قال الطبري[1]: لذو نصيب من الدنيا.

قال الألوسي[2]: كثير من الدنيا، والحظ البخت والسعد، ويقال: فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ.

(1) جامع البيان.

(2) روح المعاني.

حفد

(حفيد - سبط - ذرية)

■ **الحَفِيدُ:** ولد الولد ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النّحل: 72].

■ **السِّبْطُ:** تكاثر الأحفاد حتى صاروا قبيلة ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: 160].

■ **الذُّرِيَّةُ:** النسل الممتد ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عِمران: 34].

* * *

شرح المعاني:

كلمة حَفَد هي الكلمة الوحيدة بهذا اللفظ في القرآن في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

الأحفاد: هم أولاد الأولاد وهم في الحقيقة يسمون بنون، فهناك ابن وأبناء وهناك فرق بينهما فالأبناء هم الأحفاد إذا كانوا كباراً أما إذا كانوا صغاراً فيقال لهم بنون كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46] ما داموا صغاراً فلو قال تعالى: المال والأبناء لما كانت الآية منطبقة على الواقع لأنه من الأبناء من هم فتنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن: 14-15] وفي الحديث الشريف: «**لا تقوم الساعة حتى يكون الابن غيظ أبيه وأمه**».

فـالآيـة: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46] المقصود فيها الأطفال لأنهم ماداموا أطفالاً فهم زينة الحياة الدنيا وقُرة عين أهليهم وأُنس الحياة وبهجتها، أما إذا كبر الطفل فتكثر مشاكله وقد يعاني أبواه منه معاناة عظيمة.

البنون: تُطلق على الأطفال الصغار سواء كانوا أبناءك أو أبناء الأبناء.

الأحفاد: تُطلق على الصغار سواء كانوا من أبنائك المباشرين أو أبناء الأبناء فكلّهم بنون. وأبناء الأبناء فريقان: فريق يبقون مع أجدادهم في بيوتهم وفي خدمتهم وتقرّ عيون أجدادهم بهم هذا فقط يسمى حفيداً. فالحفيد إذن هو ابن الابن الذي يعيش مع جده.

أما الذين يعيشون بعيدين عن أجدادهم فلا يسمون حفدة وإنما يبقى اسمهم بنين إذا كانوا صغاراً فإذا كبروا يسمون أبناءً.

والحفد جمع حافد وهو الخادم المتطوع بخدمته المتقن لحرفته ينفذها بسرعة «إنما نحفد للعبادة» أي: نسرع بها.

الأسباط: أبناء البنات هذا في عموم اللغة لكن هناك استثناء واحد وهو أن الأحفاد سواء كانوا أبناء بنين أو أبناء بنات من الأنبياء يسمون أسباطاً والحسن والحسين هما سبطا رسول الله ﷺ وهما أولاد فاطمة رضي الله عنها، وأولاد يعقوب سُموا أسباطاً مع أنهم أبناء بنين. فبالنسبة للأنبياء الأسباط هم ذرية الأنبياء أما ذرية غير الأنبياء فهم الحفدة (أبناء الأبناء) وأسباط (أبناء البنات).

الذرية: هؤلاء وهؤلاء أي: الأسباط والحفدة جميعاً إذا كثروا كثرة غير اعتيادية وتفرعوا يسمون ذرية إما من الذرأ أو من الذّر. فكلمة ذرية تشتق من أصلين:

الذرّ وهو التفريق أي: الذرية تنقسم إلى عائلة ثم أسرة ثم فصيل ثم عشيرة ثم قبيلة ثم شعب.

وإما من الذرأ: أي الإيجاد بكثرة وكلاهما يُشتق منها ذرية للدلالة على الكثرة والانتشار الواسع في محيط الجدّين.

النسل: هو الولد لكونه ناسلاً عن أبيه قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8].

السلالة: سلّ الولد من أبيه بعد جده ومنه قيل للوليد سليل قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12].

فالابن امتداد لك سواء قريباً كان أم بعيداً فيقال: فلان ابن فلان ابن فلان إلى أجداد عدة كما في سورة الكهف الجد في الآية هو الأب السادس امتدحه الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 82]. وحب الجد لأبنائه وأبنائهم لأنهم امتداده بالنَسب والعمل والطاعة ففي الحديث الشريف: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ذكر منها: ولد صالح يدعو له**». وما أعظم أن تربي طفلاً فينشأ نشأة صالحة ويستمر الصلاح في نسله وذريته ومن هنا فخر الآباء والأجداد بالأبناء.

امتداد الذرية والأحفاد والأسباط امتداد بالنسب وبالعبادة ومن أعظم عبادات الأبوين همّ العِيال وقد جاء في الحديث الشريف: «**إن من الذنوب ذنوباً لا يغفره إلا همّ العيال**» وفي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى يكون الابن غيظ أبيه وأمه**» فإذا لم يكن غيظهم فهو محل همّهم فيأتي هذا الهمّ يوم القيامة وليس على الأبوين ذنب واحد وبالمقابل بر الأبناء بالآباء والأحاديث في هذا كثيرة منها حديث ثلاثة لا ينفع معها عمل وذكر منها عقوق الوالدين. وهمّ الوالدين متعدد وهو واجب فرض والتفريط فيه لا يقل جرماً عن عقوق الآباء. ونحن قلما نسمع عن عقوق الأبوين لندرته ولكنا كثيراً ما نسمع عن عقوق الأبناء ولهذا ركّز القرآن الكريم على بر الوالدين لأن الفطرة تقتضي أن يبرّ الآباء بأبنائهم.

واجبات الأبوين تربية الجسم بالتغذية والعقل بالتربية والعقائد والتوجيه. علّمنا الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24] فالعلاقة علاقة صِغر وهذه التربية تأخذ جميع أنواع الحياة نفسية وجسدية وعقلية وحرفية وعلمية والتبصر فيها «**كفى المرء إثماً أن يضيع من يعول**». فينبغي أن لا نذهل عن الاستعانة بالله لتربية وصلاح الأبناء.

ومن دقة لغة العرب أن جعلوا لكل مرحلة من مراحل نمو الأبناء اسماً:

طفل (في بطن أمه وهو جنين) - وليد (ساعة يولد) - رضيع (بعد ثمانية أيام) - فطيم (إذا بلغ سن الفطام) - جحوش (إذا استغنى عن الحليب) - دارج (إذا بدأ بالمشي) - خماس (إذا بلغ الخامسة من عمره) - مترعرع (إذا بلغ عشر سنوات) - بالغ (إذا بلغ خمس عشرة سنة) - فتى (إذا بلغ ثماني عشرة سنة).

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والفاء والدال أصلٌ يدلُّ على الخِفَّة في العمل، والتجمُّع. فالحفَدة: الأعوان؛ لأنّه يجتمع فيهم التجمّع والتخفُّف، واحدُهم حَافِدُ.

والسُّرْعة إلى الطاعة حَفْدٌ، ولذلك يقال في دعاء القنوت: «إليك نسعى ونَحْفِدُ». قال: ويقال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: 72]، إنّهم الأعوان - وهو الصحيح - ويقال: الأَختَانُ، ويقال: الحَفدةُ ولدُ الوَلَدَ. والمِحْفَد: مكيالٌ يكال به. ويقال في باب السرعة والخفّة. سيفٌ محتفِد، أي: سريع القطع. والحفَدانُ: تدارُك السَّير.

قال الخليل[2]: الحَفْدُ: الخفة في العمل والخدمة. والاحْتِفَادُ: السرعة في

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

كل شيء. والمِحْفَدُ: شيء يُعلف فيه. والحَفَدَانُ: فوق المشي كالخبب. والمَحَافِدُ: وشي الثّوب.

قال الجوهري[1]: الحَفْدُ: السُّرْعَةُ. تقول: حَفَدَ البعير والظَّليمُ حَفْداً وحَفَداناً، وهو تدارُك السَّيْرِ. وبَعيرٌ حَفَّادٌ. وفي الدعاء: وإليكَ نَسعى ونحفِدُ. وأَحْفَدْتُه: حَمَلْتُه على الحَفْد والإسراع. والحَفَدَةُ: الأعوان والخَدَم، وقيل ولَد الوَلد؛ واحدهم حافِدٌ. ورجل مَحْفُودٌ: أي مخدوم. وسيف مُحْتَفِد: سريع القَطْع. والمِحْفَد بالكسر: قَدَحٌ يكيلون به. ومَحْفِدُ الرجل بفتح الميم: مَحْتِدُهُ، وأصله؛ وقال ابن الأعرابيّ: المَحْفِد: أصل السَنام. ومَحْفِدُ الثوب أيضاً: وَشْيُهُ؛ والجمع محافِدُ.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

قال ابن عطية[2]: واختلف الناس في قوله: ﴿وَحَفَدَةٗ﴾ فقال ابن عباس: «الحفدة» أولاد البنين، وقال الحسن: هم بنوك وبنو بنيك، وقال ابن مسعود وأبو الضحى وإبراهيم وسعيد بن جبير: «الحفدة» الأصهار وهم قرابة الزوجة، وقال مجاهد: «الحفدة» الأنصار والأعوان والخدم، وحكى الزجاج أن الحفدة البنات في قول بعضهم، قال الزهراوي لأنهن خدم الأبوين لأن لفظة البنين لا تدل عليهن، ألا ترى أنهن ليس في قول الله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾

(1) الصحاح في اللغة. (2) المحرر الوجيز.

[الكهف: 46] وإنما الزينة في الذكور، وقال ابن عباس أيضاً: «الحفدة» أولاد زوجة الرجل من غيره، ولا خلاف أن معنى الحفد الخدمة والبر والمشي مسرعاً في الطاعة ومنه في القنوت: وإليك نسعى ونحفد، والحفدان خبب فوق المشي.

وهذه الفروق التي ذكرت أقوالها إنما بنيت على أن كل أحد جعل له من زوجه بنون وحفدة، وهذا إنما هو في الغالب وعظم الناس، ويحتمل عندي أن قوله: ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ إنما هو على العموم والاشتراك، أي: من أزواج البشر جعل الله لهم البنين، ومنهم جعل الخدمة فمن لم تكن له قط زوجة فقد جعل الله له حفدة، وحصل تحت النعمة، وأولئك الحفدة هم من الأزواج، وهكذا تترتب النعمة التي تشمل جميع العالم، وتستقيم لفظة «الحفدة» على مجراها في اللغة، إذ البشر بجملتهم لا يستغني أحد منهم عن حفدة، وقالت فرقة: «الحفدة» هم البنون.

قال القرطبي(1): ذكر الله هنا نعمتين بسبب الزوجية.

الأولى: ظاهر في تعديد النعمة في الأبناء، ووجود الأبناء يكون منهما معاً؛ ولكنه لما كان خلق المولود فيها وانفصاله عنها أضيف إليها، ولذلك تبعها في الرّق والحرية وصار مثلها في المالية. قال ابن العربيّ: سمعت إمام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء علي بن عقيل يقول: إنما تبع الولد الأم في المالية وصار بحكمها في الرق والحرية؛ لأنه انفصل عن الأب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة، وإنما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلأجل ذلك تبعها. كما لو أكل رجل تمراً في أرض رجل وسقطت منه نواة في الأرض من يد الآكل فصارت نخلة فإنها ملك صاحب الأرض دون الآكل بإجماع من الأمة لأنها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها.

الثانية - قوله تعالى: ﴿وَحَفَدَةً﴾ روى ابن القاسم عن مالك قال وسألته عن

(1) الجامع لأحكام القرآن.

قوله تعالى: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ قال: الحَفَدة الخدم والأعوان في رأيي. وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَحَفَدَةً﴾ قال هم الأعوان، من أعانك فقد حفدك. قيل له: فهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم وتقوله! أي أسرعوا. وقال ابن عرفة: الحفدة عند العرب الأعوان، فكل من عمل عملاً أطاع فيه وسارع فهو حافد، قال: ومنه قولهم: «إليك نسعى ونحفِد»، والحَفَدان السرعة. قال أبو عبيد: الحفد العمل والخدمة. وقال الخليل بن أحمد: الحَفَدة عند العرب الخدم، وقاله مجاهد. وقال الأزهري: قيل الحفدة أولاد الأولاد.

حفر

(حفرة - أخدود - سرب - نفق - كهف)

■ **الحُفْرَة:** المكان المحفور الذي أخرج منه الحفر (أي التراب) ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: 103].

■ **الأُخْدُودُ:** الشق في الأرض مستطيل غائص ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البُرُوج: 4].

■ **السَّرْبُ:** الطريق المنحدر غير النافذ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61].

■ **النَّفَقُ:** الطريق المنحدر النافذ في الأرض ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعَام: 35].

■ **الكَهْفُ:** مكان محفور في الكهف يتسع لكثيرين ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والفاء والراء أصلان: أحدهُما: حَفْر الشّيء، وهو قلعه سُفْلاً؛ والآخَر: أوّل الأمر. فالأوّل حَفَرْتُ الأرض حَفْراً.

وحافِرُ الفَرسِ من ذلك، كأنّه يَحْفِرُ به الأرض. ومن الباب: الحَفَرَ في الفَم،

(1) معجم مقاييس اللغة.

وهو تآكل الأسنان. يقال: حَفَرَ فُوه يَحْفِرُ حَفْراً. والحَفَر: التُّراب المستخرَج من الحُفْرَة، كالهَدَم؛ ويقال: هو اسمُ المكان الذي حُفِر. قال: ويقال: أحفَرَ المُهْرُ للإثْناء والإرباع، إذا سقَطَ بعضُ أسنانه لنَباتِ ما بَعدَه. ويقال: ما مِن حاملٍ إلاّ والحمل يَحْفِرها، إلاّ الناقة فإنّها تسمَن عليه. فمعنى يحفِرها: يُهْزِلها. والأصل الثاني: الحافرة، في قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: 10]، يقال: إنه الأمر الأوَّل، أي: أنحْيا بعدما نموت. ويقال الحَافِرةُ من قولهم: رجع فلانٌ على حَافِرَتِه، إذا رجع على الطريق الذي أخَذَ فيه، ورجع الشَّيْخُ على حَافِرَتِه إذا هَرِم وخَرِف. وقولهم: «النَّقْد عند الحافِرِ» أي: لا يزُول حَافِرُ الفرس حتَّى تَنْقُدني ثمنَه. وكانت لكرامتها عندَهم لا تُباع نَسَاءً. ثم كثُر ذلك حتَّى قيل في غير الخيل أيضاً.

قال الجوهري[1]: حَفَرْتُ الأرض واحْتَفَرْتُها. والحُفْرَةُ واحدة الحُفَرِ.

واسْتَحْفَرَ النهرُ: حان له أن يُحفَر. والحَفَرُ، بالتحريك: التراب يُستخرج من الحُفْرَة. وهو مثل الهَدَم. ويقال: هو المكان الذي حُفِرَ. والحافِرُ واحدة حَوافِرِ الدابَّة. وقولهم في المثل: النقد عند الحافِرَةِ قال يعقوب: أي عند أوّلِ كلمة.

ويقال: التقى القومُ فاقتتلوا عند الحَافِرَةِ، أي: عند أوّلِ ما التقوا.

وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: في أول أمرنا.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

(1) الصحاح في اللغة.

قال الطبري[1]: وكنتم يا معشر المؤمنين من الأوس والخزرج على حرف حفرة من النار، وإنما ذلك مثل لكفرهم الذي كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام، يقول تعالى ذكره: وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه، قبل أن ينعم الله عليكم بالإسلام، فتصيروا بائتلافكم عليه إخواناً، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفركم، فتكونوا من الخالدين فيها، فأنقذكم الله منها بالإيمان الذي هداكم له.

قال الفخر الرازي[2]: المعنى أنكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم، لأن جهنم مشبهة بالحفرة التي فيها النار فجعل استحقاقهم للنار بكفرهم كالإشراف منهم على النار، والمصير منهم إلى حفرتها، فبيّن تعالى أنه أنقذهم من هذه الحفرة، وقد قربوا من الوقوع فيها.

قال ابن عاشور[3]: ﴿حُفْرَةٍ﴾ إذ ليست جهنّم حفرة بل هي عالم عظيم للعذاب. وورد في الحديث: «**فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان**» لكن ذلك رؤيا جاءت على وجه التمثيل وإلا فهي لا يحيط بها النّظر.

● **قال تعالى**: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: 10].

قال الزمخشري[4]: في الحالة الأولى، يعنون: الحياة بعد الموت.

فإن قلت: ما حقيقة هذه الكلمة؟ قلت: يقال: رجع فلان في حافرته، أي: في طريقه التي جاء فيها فحفرها، أي: أثر فيها بمشيه فيها: جعل أثر قدميه حفراً، كما قيل: حفرت أسنانه حفراً: إذا أثر الأكال في أسناخها. والخط المحفور في الصخر. وقيل: حافرة، كما قيل: عيشة راضية، أي: منسوبة إلى الحفر والرضا، أو كقولهم: نهارك صائم، ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته، أي طريقته وحالته الأولى.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) التحرير والتنوير.
(4) الكشاف.

يريد: أرجوعاً إلى حافرة؟ وقيل: النقد عند الحافرة، يريدون عند الحالة الأولى: وهي الصفقة وقرأ أبو حيوة «في الحفرة» والحفرة بمعنى: المحفورة. يقال: حفرت أسنانه فحفرت حفراً، وهي حفرة؛ وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة.

قال ابن عطية[1]: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ الأرض فاعلة بمعنى محفورة، وقيل بل هو على النسب أي: ذات حفر، والمراد: القبور لأنها حفرت للموتى، فالمعنى ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ أحياء في قبورنا، وقال زيد بن أسلم: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ في النار، وقرأ أبو حيوة «في الحفرة» بغير ألف، فقيل: هو بمعنى ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾، وقيل هي الأرض المنتنة المتغيرة بأجساد موتاها من قولهم حفرت أسنانه إذا تأكلت وتغير ريحها، و«الناخرة»: المصوتة بالريح المجوفة.

(1) المحرر الوجيز.

حفظ

(حفظ - حرس - رصد - راقب - خزن)

■ **الحَافِظُ:** يكون داخل الشيء يديمه ويحميه ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطّارق: 4].

■ **الحَارِسُ:** يقف خارج الشيء ليحميه ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجنّ: 8].

■ **الرَّقِيبُ:** الحارس الذي يقف في مكان مرتفع يجيد النظر فيما حوله يحصي كل حركة ﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

■ **الرَّاصِدُ:** الراصد الذي لا يراه أحد ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجنّ: 9].

■ **الخَازِنُ:** الذي يحمي الشيء من الفقدان حماية الشيء من الضياع بالخروج ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزُّمَر: 71].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه الكلمات كلها تدخل في معنى الحماية وكل منها يعبّر عن وظيفة معيّنة.

الحارس: هو الذي يحمي المحروس من الخارج فقط وليس له علاقة بالداخل، كالحارس الذي يقف خارج مبنى ما كالمعسكرات والسجون والمباني الحكومية والشركات وظيفته حماية هذا المبنى من الخارج فقط. وفي السماء

ملائكة لا يعرفون ما يجري في الأعلى، والحرس من الملائكة هم الذين يحرسون السماء من الشياطين والشهب والخلل كما في قوله تعالى في سورة الجنّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: 8].

ووظيفة الحارس أيضاً عدم السماح لأحد بالدخول إلا بإذن. قال رسول الله ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار عين حرست في سبيل الله**» الحديث.

الحافظ: من كان يعمل داخل المبنى فهو حافظ. والحافظ يتصرف من الداخل ويحمي المحفوظ من الداخل وينمّيه ويرقّيه ويطوّره ويحضر الأجهزة ونحوها. والحفظ هو العمل الدؤوب من الداخل وهو مباشرة المحفوظ من الداخل ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطّارق: 4] فالحافظ داخلك يمنعك من الانحراف والسلوك الرديء. والملائكة الحفظة تعمل داخل الإنسان، أما الحُرّاس فخارجه ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61].

والحفظ هو رعاية المحفوظ رعاية كاملة من داخله.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: 55].

فسيدنا يوسف عليه السلام لم يكن يحرس وإنما كان يطوّر اقتصاداً ويقوم بمشاريع ويُنمّي الاقتصاد.

وقوله تعالى في سوة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: 9] سخّر تعالى أناساً يعملون على حفظ القرآن ويعملون من داخله شرحاً وتفسيراً وبيان إعجازه وعلومه العديدة.

والحفيظ تكون بمعنى الحفظ والتحفّظ وهناك حفظ سلبي: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشّورى: 6]. كأن أتحفّظ على المجرم حتى لا يهرب.

وحفظ إيجابي ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هُود: 57].

فالحفظ هو التربية الإلٰهية المباشرة بدون أسباب من داخل الإنسان وهذا هو الحفظ من الله تعالى بأمره الملائكة الحفظة بحفظ العباد كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الرعد: 11]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: 5].

فالحافظون فروجهم لا تعني فقط عدم الزنا، فقد لا يزني المؤمن ولكنه ينظر إلى المحرمات ونحوه، لكن الذي يحفظ فرجه أو تحفظ فرجها هم الذين لا يقربون مقدمات الزنا ولا يفعلون أي شيء لا يليق بالمؤمن من الخضوع بالقول أو النظر أو غيره.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 9].

وهناك فرق بين قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: 23] و«على صلاتهم يحافظون وقائمون» فإقامة الصلاة تأديتها، (والدائمون) على صلاتهم تعني في أماكن الدوام الرسمي وهي صلاة الجماعة في المساجد أما (يحافظون) فهي تعني الحفاظ عليها من حيث تطويرها أولاً كالخشوع فيها والنوافل، والمحافظة عليها من أن تُحبط ثانياً وهذا هو الأهم. ومحبطات الصلاة كثيرة كما في الحديث الشريف: «**اثنان لا تُرفع صلاتهما فوق رأسيهما شبراً أخوان مُتصارمان وعاقّ لوالديه**».

فالمُصلّي الذي يُصلي صلاة عظيمة متكاملة لكنه عاقّ لوالديه تُحبط صلاته لأنه لم يحافظ عليها. في الحديث الشريف: «**ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والتولّي يوم الزحف**».

وفي الحديث الشريف أيضاً: «**ثلاثة لن تُقبل لهم صلاة: من تقدّم قوماً وهم له كارهون ورجل يأتي الصلاة دباراً ورجل صلّى على جنازة ولو يؤمر**».

والذي يأتي الصلاة دباراً أي: الذي يتعمّد أداء الصلاة بعد انقضاء وقتها وبدون عذر، ورجل صلّى جنازة لم يُؤمر ومن السنة أن يختار أهل الميت

ويوافقون على من يؤم صلاة الجنازة فإن صلى بهم من غير موافقتهم أُحبطت صلاته. وممن تُحبط صلاته امرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه.

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النِّساء: 34].

هناك فرق بين أن لا تزني المرأة وبين أن تكون حافظة لفرجها. ولهذا وضع تعالى لكل شيء حدوداً وحمىً «ألا إن حِمى الله محارمه».

فالقانتات هنّ الخاشعات في الصلاة المطيلات الدعاء فيها، والصالحات الحافظات هن اللواتي يحفظن أزواجهن بالغيب فلا يخرجن إلا بإذنه ولا يخضعن بالقول مع الرجال ولا يتبسطن بالحديث.

وقد فهم الكثيرون هذه الآية على ما تقتضيه ظروف كل عصر وقالوا فيها ما قالوا لصالح الرجال، ولكن الآية واضحة فالله تعالى يقول: بما فضّل الله به بعضهم على بعض أي أن الله تعالى فضّل الرجال بشيء وفضّل النساء بشيء أيضاً. وفي التاريخ الإسلامي كان يوجد في المدينة أكثر من ثمانين مجتهدة، والسيدة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما كانتا أتقى من بعض الصحابة. والرسول ﷺ قال في الحديث: «**النساء شقائق الرجال**». والرجل مفضّل على المرأة بقوته الجسدية وملائمته؛ لتحمل مصاعب الحياة ومشاقّها، والمرأة مفضّلة بصبرها وقوة تحملها ورعايتها لبيتها وزوجها وأولادها وصبرها على الحمل والولادة وعلى الزوج السيّئ وعلى الولد الشقي وغيره. والتفضيل للرجال بما أنفقوا لأن الرجل مطالب بالإنفاق على بيته وزوجه، وليست المرأة مطالبة بذلك إلا إذا أنفقت من طيب نفسها وبلا إكراه فإن أكرهها زوجها على الإنفاق تسقط قوامته عليها. فالمرأة تنفق في بيت زوجها تطوعاً والرجل ينفق على بيته إلزاماً.

وحفظ المرأة يكون من داخلها بطهارة القلب.

قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: 4].

ومن هذه الكلمة نستطيع أن نتصور أن هذا الكتاب عاقل وكأنه جهاز الحاسوب.

الخازن: حماية شيء مُهمّ في مكان واحد وعدم السماح له بالخروج إلا بأمر المالِك سواء كان المخزون مالاً أو أناساً أو كنزاً. يكون الشيء عادة في مخزن أو مستودع أو بئر ولا يُسمح لأحد أن يأخذه أو يدخل إليه ويقال: خازن بيت المال، فلا يسمح للمال بأن يخرج من بيت المال إلا بأمر من الملك، وخازن السجن لا يسمح للسجين بالخروج أو الدخول إلا بإذن، وكذلك خازن النار لا يسمح لأحد بالخروج من النار إلا بإذن الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزُّمَر: 71]. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [المُلك: 8] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: 49].

الراصد: يحمي المرصود من شيء واحد متوقع كأن يأتي بلاغ بأنه سيكون هناك انفجار أو هجوم على مكان ما، الحارس لا يعرف عنه شيئاً فتُحضر الأجهزة المختصة فريقاً مدرباً يسمى الراصد يكون في مكان لا يراه أحد وهو خبير بدفع الشر عن المرصود. ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [الجن: 9] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: 27]. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: 14].

وما من شيء أقسى على المؤمن يوم القيامة من جحد الأمانة وقطع الأرحام. يقول أبو حمزة الشيباني: المؤمن لدى الحق أسير، إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يؤمن اضطرابه حتى يخلّف جهنم خلفه. فرب محكوم له بالجنة ثم توقفه على الصراط الأمانة أو الرحم أو النعمة فيذهب به إلى النار.

وقيل: إن القرآن قلب عن كثير من الشهوات، فالقرآن دليل والخوف محجّة والشوق مطيّة والصلاة كهف والصوم جُنّة والصدقة فكاك المؤمن والصِدق أمير المؤمن والحياء وزيره وربه عَزَّوَجَلَّ من وراء ذلك بالمرصاد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ تدل على أن التصفية النهائية للعبد لآخر خطوة من خطوات العبد باتجاه الجنة أن يعلم الله تعالى أن العمل كان خالصاً لوجه الله تعالى.

الرقيب: هو الذي يحمي مصالح الأمة وهي من وظائف الملك أو رئيس الدولة أو من ينوب عنه وهو الذي يرعى مصالحها ويتابع حُسن أداء الدولة ويطوّرها ويسهر على تربية شعبه (رقابة)، والرقيب مُخوّل من الملك أو هو الملك نفسه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93].

وقد جعل الله تعالى بعض الملائكة تتابع حُسن أداء العبد في الحياة وارتباطه بالله تعالى. قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: 52].

فهو تبارك وتعالى يتولى بنفسه مراقبة حسن أداء العباد.

وكل ملك من ملوك المسلمين كان لديه أحد من أهل الصلاح يتابع حُسن الأداء في الدوائر ويكون اتصاله بالملك مباشراً ولا أحد يمنعه من الدخول ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] الملائكة في البيت أنواع: حفظة، رقباء، مستغفرون.

وقد يغادر الملائكة في بعض الأحيان مثلاً حياءً عندما يأتي الرجل زوجه أو عند وجود صورة أو كلب في البيت.

أما الرقباء فلا يغادرون أبداً ويراقبون حسن الأداء.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والفاء والظاء أصلٌ واحد يدلُّ على مراعاةِ الشيء. يقال: حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظاً. والغَضَبُ: الحَفِيظَة؛ وذلك أنّ تلك الحالَ تدعو إلى مراعاة الشيء. يقال للغَضَب: الإِحْفَاظُ؛ يقال: أحفَظَنِي أي: أغضَبَني. والتَّحَفُّظُ. قلّة الغَفلة. والحِفَاظُ: المحافَظة على الأمور.

قال الجوهري[2]: حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظاً، أي: حَرَسْتُه. وحَفِظْتُهُ أيضاً بمعنى استظهرته. والحَفَظَةُ الملائكةُ الذين يكتُبونَ أعمالَ بني آدم. والمُحافَظَةُ: المراقبةُ. ويقال: إنَّه لَذو حِفَاظٍ وذو مُحافظَةٍ، إذا كانت له أنفةٌ. والحَفِيظُ: المُحَافِظُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: 104]. يقال: احْتَفِظْ بهذا الشيء، أي احْفَظْهُ. والتَحَفُّظُ: التَيَقُّظُ وقِلَّةُ الغفلةِ. وتَحَفَّظْتُ الكتابَ، أي: استظهرته شيئاً بعد شيء. وحَفَّظْتُهُ الكتابَ، أي: حملته على حِفْظِهِ. واسْتَحْفَظْتُهُ: سألته أن يَحْفَظَهُ. والحَفيظَةُ: الغضبُ والحميَّةُ، وكذلك الحِفْظَةُ بالكسر. وقد أَحْفَظْتُهُ فاحْتَفَظَ، أي: أغضبته فغضب.

قال الفيروزآبادي[3]: حَفِظَه، كعَلِمَه: حَرَسَه، وحَفِظَ القرآنَ: اسْتَظْهَرَه، وحَفِظَ المالَ: رَعاهُ، فهو حَفيظٌ وحافِظٌ، من حُفَّاظٍ وحَفَظَةٍ. ورجُلٌ حافِظُ العينِ: لا يَغْلِبُه النَّوْمُ. والحَفِيظُ: المُوَكَّلُ بالشيءِ، كالحَافِظِ، وحَفِظَ في الأسْماءِ الحُسْنَى: الذي لا يَعْزُبُ عنه شيءٌ في السَّمٰواتِ ولا في الأرضِ، تعالى شأنُه. والحَافِظُ: الطريقُ البَيِّنُ المُسْتقيمُ. والحَفَظَةُ، محركةً: الذينَ يُحْصون أعمالَ العِباد من الملائكةِ، وهُمُ الحَافِظُونَ. والحِفْظَةُ، بالكسر، والحَفِيظَةُ: الحَمِيَّةُ، والغَضَبُ. وأحْفَظَه: أغْضَبه فاحْتَفَظَ، أو لا يكونُ إلاَّ بِكلامٍ قَبيحٍ. والمُحافَظَةُ:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

المُواظَبةُ، والذَّبُّ عن المَحارِم، كالحِفاظِ، والاسْمُ: الحَفيظَةُ. واحْتَفَظَه لنفسِه: خَصَّها به. والتَّحَفُّظُ: الاحْتِرازُ. والحِفْظُ: قِلَّةُ الغَفْلَةِ. واسْتَحْفَظَه إيَّاه: سأَلَه أنْ يَحْفَظَه. واحفاظَّتِ الحَيَّةُ: انْتَفَختْ، أو الصوابُ بالجيم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ﴾ [النساء: 34].

قال الطبري(1): حافظات لأنفسهنّ عند غيبة أزواجهنّ عنهنّ في فروجهن وأموالهم، وللواجب عليهنّ من حقّ الله في ذلك وغيره.

قال الزمخشري(2): الغيب خلاف الشهادة. أي: حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهنّ حفظهن ما يجب عليهنّ حفظه في حال الغيبة. من الفروج والبيوت والأموال. وعن النبي ﷺ: «**خير النساء امرأة إن نظرتَ إليها سرّتك، وإن أمرْتها أطاعتك وإذا غبتَ عنها حفظتك في مالها ونفسها**»، وتلا الآية وقيل: ﴿لِّلْغَيْبِ﴾ لأسرارهم ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بما حفظهنّ الله حين أوصى بهنّ الأزواج في كتابه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال: «**استوصوا بالنساء خيراً**» أو بما حفظهنّ الله وعصمهنّ ووفقهنّ لحفظ الغيب، أو بما حفظهنّ حين وعدهنّ الثواب العظيم على حفظ الغيب، وأوعدهنّ بالعذاب الشديد على الخيانة.

و(ما) مصدرية. وقرىء «بما حفظَ اللهَ» بالنصب على أنْ ما موصولة، أي: حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله، وهو التعفف والتحصن

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

والشفقة على الرجال والنصيحة لهم. وقرأ ابن مسعود: «**فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهنّ**». نشوزها ونشوصها: أن تعصي زوجها، ولا تطمئن إليه وأصله الانزعاج ﴿فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: 34] في المراقد. أي: لا تدخلوهن تحت اللحد أو هي كناية عن الجماع.

● **قال تعالى**: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: 17].

قال ابن عطية[1]: «**حفظ السماء**» هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح. قال رسول الله ﷺ: «**إن الشياطين تقرب من السماء أفواجاً**»، قال: فينفرد المارد منها، فيعلو فيسمع، فيرمى بالشهاب. فيقول لأصحابه - وهو يلتهب - إنه من الأمر كذا وكذا - فيزيد الشياطين في ذلك ويلقون إلى الكهنة، فيزيدون مع الكلمة مائة ونحو هذا... الحديث. وقال ابن عباس: إن الشهب تجرح وتؤذي ولا تقتل، وقال الحسن: تقتل.

قال الفخر الرازي[2]: فإن قيل: ما معنى وحفظناها من كل شيطان رجيم، والشيطان لا قدرة له على هدم السماء فأي حاجة إلى حفظ السماء منه.

قلنا: لما منعه من القرب منها، فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فحفظ الله السماء منهم كما قد يحفظ منازلنا عن متجسس يخشى منه الفساد.

● **قال تعالى**: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30].

قال البيضاوي[3]: ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ إلا على أزواجهن أو ما ملكت أيمانهم، ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض، وقيل حفظ الفروج ها هنا خاصة سترها.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) أنوار التنزيل.

قال الفخر الرازي[1]: فالمراد به عما لا يحل، وعن أبي العالية أنه قال: كل ما في القرآن من قوله: ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾، ويحفظن فروجهن، من الزنا إلا التي في النور: ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 31] أن لا ينظر إليها أحد، وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير دلالة، والذي يقتضيه الظاهر أن يكون المعنى حفظها عن سائر ما حرم الله عليه من الزنا والمس والنظر، وعلى أنه إن كان المراد حظر النظر فالمس والوطء أيضاً مرادان بالآية، إذ هما أغلظ من النظر، فلو نص الله تعالى على النظر لكان في مفهوم الخطاب ما يوجب حظر الوطء والمس، كما أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسرَاء: 23] اقتضى حظر ما فوق ذلك من السب والضرب.

● **قال تعالى**: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرّعد: 11].

قال ابن عطية[2]: وقوله: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنى يحرسونه، ويذبون عنه: فالضمير محمول ليحفظ.

والمعنى الثاني أن يكون بمعنى حفظ الأقوال وتحصيلها، ففي اللفظة حينئذ حذف مضاف تقديره: يحفظون أعماله، ويكون هذا حينئذ من باب ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يُوسُف: 82] وهذا قول ابن جريج.

وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ من جعل ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ بمعنى يحرسونه كان معنى قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ يراد به «المعقبات»، فيكون في الآية تقديم وتأخير، أي «له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه، ومن خلفه» قال أبو الفتح: فـ ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ في موضع رفع لأنه صفة لمرفوع وهي «المعقبات».

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل هذا التأويل في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ مع

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.

التأويل الأول في ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ ومن تأول الضمير في ﴿لَهُ﴾ عائد على العبد، وجعل» المعقبات» الحرس، وجعل الآية في رؤساء الكافرين - جعل قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ بمعنى يحفظونه بزعمه من قدر الله، ويدفعونه في ظنه، عنه، ذلك لجهالته بالله تعالى.

● **قال تعالى:** ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطّارق: 4].

قال الزمخشري(1): حافظ مهيمن عليها رقيب، وهو الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: 52]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: 85]، وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر. وروي عن النبي الرسول ﷺ: «**وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب. ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين**».

قال الماوردي(2): فيه وجهان:

أحدهما: حافظ من الله يحفظ عليه أجله ورزقه. الثاني: من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أو شر.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون الحافظ الذي عليه عقله، لأنه يرشده إلى مصالحه، ويكفّه عن مضاره.

● **قال تعالى:** ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

قال ابن عطية(3): «حفظ الفرج» هو: من الزنا وشبهه وتدخل مع ذلك الصيانة من جميع ما يؤدي إلى الزنا أو هو في طريقه.

قال ابن كثير(4): أي: عن المحارم والمآثم، إلا عن المباح؛ كما

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) المحرر الوجيز.
(4) تفسير ابن كثير.

قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: 5-7].

قال الماوردي[1]: فيه وجهان:

أحدهما: عن الفواحش.

الثاني: أنه أراد منافذ الجسد كلها فيحفظون أسماعهم عن اللغو والخنا، وأفواههم عن قول الزور وأكل الحرام. وفروجهم عن الفواحش.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: 9].

قال الطبري[2]: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه. والهاء في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ من ذكر الذكر.

وقيل: الهاء في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من ذكر محمد ﷺ بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه.

قال الزمخشري[3]: وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة؛ فإنه لم يتول حفظها. وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه. فإن قلت: فحين كان قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحِجر: 9] رداً لإنكارهم واستهزائهم، فكيف اتصل به قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾؟ قلت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية؛ لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه. وقيل: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ لرسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ [المَائدة: 67].

---

(1) النكت والعيون.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [المطففين: 33].

قال الزمخشري(1): ﴿حَٰفِظِينَ﴾ موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم، ويهيمنون على أعمالهم، ويشهدون برشدهم وضلالهم؛ وهذا تهكم بهم. أو هو من جملة قول الكفار، وإنهم إذا رأوا المسلين قالوا: إنّ هؤلاء لضالون؛ وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكاراً لصدّهم إياهم عن الشرك، ودعائهم إلى الإسلام وجدّهم في ذلك.

قال الطبري(2): يقول جلّ ثناؤه: وما بُعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين إن هؤلاء لضالون، حافظين عليهم أعمالهم يقول: إنما كُلِّفوا الإيمان بالله، والعمل بطاعته، ولم يُجعلوا رُقباء على غيرهم يحفظون عليهم، أعمالهم ويتفقدونها.

● **قال تعالى**: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [البروج: 21-22].

قال الفخر الرازي(3): قال هٰهنا: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾ [الواقعة: 77-78] فيحتمل أن يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحداً ثم كونه محفوظاً يحتمل أن يكون المراد كونه محفوظاً عن أن يمسه إلا المطهرون، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقِعَة: 79] ويحتمل أن يكون المراد كونه محفوظاً من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين ويحتمل أن يكون المراد أن لا يجري عليه تغيير وتبديل.

قال القرطبي(4): أي مكتوب في لوح. وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه. وقيل: هو أمّ الكتاب؛ ومنه انتُسخ القرآن والكتب. وروى

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

الضحاك عن ابن عباس قال: اللوح من ياقوتة حمراء، أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر مَلَك يقال له (ما طِرْيون)، كتابه نور، وقلمه نور، ينظر الله عزوجل فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة؛ ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء؛ يرفع وضيعاً، ويضع رفيعاً، ويغني فقيراً، ويفقر غنياً؛ يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء؛ لا إلٰه إلا هو. وقال أنس بن مالك ومجاهد: إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة إسرافيل. وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وقيل: اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخليقة، وبيان أمورهم، وذكر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، والأقضية النافذة فيهم، ومآل عواقب أمورهم؛ وهو أم الكتاب. وقال ابن عباس: «أوّل شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا، محمد رسولي، مِن استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، كتبته صدِّيقاً وبعثته مع الصدّيقين، ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبِر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليتخذ إلٰهاً سواي» وكتب الحجاج إلى محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يتوعده؛ فكتب إليه ابن الحنفية: «بلغني أن لله تعالى في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ، يُعِز ويذلّ، ويبتلي ويُفْرح، ويفعل ما يريد؛ فلعل نظرة منها تشغلك بنفسك، فتشتغل بها ولا تتفرغ».

● **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 32].

قال الفخر الرازي(1): في المحفوظ قولان: أحدهما: أن محفوظ من الوقوع والسقوط الذين يجري مثلهما على سائر السقوف كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: 65] وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ

(1) التفسير الكبير.

بِأَمْرِهِۦٓۚ﴾ [الروم: 25] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: 41] وقال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: 255].

الثاني: محفوظاً من الشياطين قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: 17] ثم هٰهنا قولان: أحدهما: أنه محفوظ بالملائكة من الشياطين. والثاني: أنه محفوظ بالنجوم من الشياطين، والقول الأول أقوى لأن حمل الآيات عليه مما يزيد هذه النعمة عظماً لأنه سبحانه كالمتكفل بحفظه وسقوطه على المكلفين بخلاف القول الثاني لأنه لا يخاف على السماء من استراق سمع الجن.

ويحتمل رابعاً: محفوظاً من الشرك والمعاصي.

قال البيضاويّ(1): عن الوقوع بقدرته أو الفساد والإخلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته، أو استراق السمع بالشهب.

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61].

قال الزمخشري(2): ﴿حَفَظَةً﴾ ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون. وعن أبي حاتم السجستاني أنه كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم، حتى قال فيه: أنت شبيه الحفظة، تكتب لغط اللفظة: فقال أبو حاتم: وهذا أيضاً مما يكتب. فإن قلت: الله تعالى غنيّ بعلمه عن كتبة الملائكة، فما فائدتها؟ قلت: فيها لطف للعباد، لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء.

قال الفخر الرازي(3): قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ فالمراد أن من

---

(1) أنوار التنزيل.

(2) الكشاف.

(3) التفسير الكبير.

جملة قهره لعباده إرسال الحفظة عليهم وهؤلاء الحفظة هم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: 11] وقوله: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ١١﴾ [الانفطار: 10-11] واتفقوا على أن المقصود من حضور هؤلاء الحفظة ضبط الأعمال. ثم اختلفوا فمنهم من يقول: إنهم يكتبون الطاعات والمعاصي والمباحات بأسرها بدليل قوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: 49].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن مع كل إنسان ملكين: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها من على اليمين، وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره لعله يتوب منها، فإن لم يتب كتب عليه. والقول الأول: أقوى لأن قوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ يفيد حفظة الكل من غير تخصيص.

● **قال تعالى:** ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: 104].

قال الطبري(1): يقول: وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أُرسلت به إليكم، والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

قال القرطبي(2): أي لم أومر بحفظكم على أن تهلكوا أنفسكم. وقيل: أي لا أحفظكم من عذاب الله. وقيل: «بِحَفِيظٍ» برقيب؛ أحصِي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلّغكم رسالات ربّي، وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: 86].

قال الطبري(1): يقول: وما أنا عليكم أيها الناس برقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم، وإنما عليّ أن أبلغكم رسالة ربي فقد أبلغتكموها.

قال ابن الجوزي(2): قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: ما أُمِرْتُ بقتالكم وإكراهكم على الإيمان.

والثاني: ما أُمرتُ بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا.

والثالث: ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].

قال الزمخشري(3): أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف، وصفاً لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه، وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أنّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا. وعن النبي ﷺ: «**رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة**» فإن قلت: كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر ويكون تبعاً له وتحت أمره وطاعته؟ قلت: روى مجاهد أنه كان قد أسلم: وعن قتادة. هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، وقد كان السلف

(1) جامع البيان.
(2) زاد المسير.
(3) الكشاف.

يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق. فله أن يستظهر به. وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع.

● **قال تعالى:** ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سَبَإ: 21].

قال ابن كثير[1]: أي: ومع حفظه، ضل من ضل من أتباع إبليس، وبحفظه وكلاءته، سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل.

قال الفخر الرازي[2]: يحقق ذلك أي الله تعالى قادر على منع إبليس عنهم عالم بما سيقع، فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة، إذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز.

● **قال تعالى:** ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [قٓ: 4].

قال البغوي[3]: محفوظ من الشياطين ومن أن يدس ويتغير وهو اللوح المحفوظ، وقيل: حفيظ أي: حافظ لعدتهم وأسمائهم.

قال القشيري[4]: وهو اللَّوحُ المحفوظ؛ أَثْبَتنا فيه تفصيل أحوالِ الخَلْقِ من غير نسيانٍ، وبيَّنَّا فيه كلَّ ما يحتاج العبدُ إلى تَذكُّره.

● **قال تعالى:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

قال الزمخشري[5]: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ إلا نذيراً، لا حفيظاً ومهيمناً عليهم تحفظ

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) التفسير الكبير.
(3) معالم التنزيل.
(4) لطائف الإشارات.
(5) الكشاف.

عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم، كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الأنعَام: 107].

قال ابن عطية[1]: ﴿حَفِيظًا﴾ يحتمل معنيين، أي: ليحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه، أو ليحفظ مساوئهم وذنوبهم ويحسبها عليهم، وهذه الآية تقتضي الإعراض عن من تولى والترك له، وهي قبل نزول القتال وإنما كانت توطئة ورفقاً من الله تعالى حتى يستحكم أمر الإسلام.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المعَارج: 34].

قال البيضاويّ[2]: فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتهما على غيرها وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى.

قال الزمخشري[3]: على صلاتهم يحافظون قلت: معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، كما روي عن النبي ﷺ: «**أفضل العمل أدومه وإن قلّ**» وقول عائشة: كان عمله ديمة. ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسنتها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم، فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها.

● **قال تعالى**: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: 238].

قال البغوي[4]: أي: واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها وإتمام أركانها.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) أنوار التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) معالم التنزيل.

قال القشيري[1]: المحافظة على الصلاة أن يدخلها بالهيبة، ويخرج بالتعظيم، ويستديم بدوام الشهود بنعت الأدب، والصلاة الواسطى أبهم ذكرها على البيت لتراعي الجميع اعتقاداً منك لكل واحدة أنها هي لئلا يقع منك تقصير في شيء منها.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 44].

قال أبو السعود[2]: وإنما الربانيون والأحبارُ خلفاءُ ونوابٌ لهم في ذلك كما يُنبىء عنه قوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ أي بالذي استُحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة، حيث سألوهم أن يحفَظُوها من التغيير والتبديل على الإطلاق، ولا ريب في أن ذلك منهم ﷺ استخلافٌ لهم في إجراء أحكامِها من غير إخلالٍ بشيء منها، وفي إبهامها أولاً ثم بيانِها ثانياً بقوله تعالى: ﴿مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ من تفخيمها وإجلالِها ذاتاً وإضافةً، وتأكيدِ إيجاب حفظِها والعملِ بما فيها ما لا يَخْفى، وإيرادُها بعنوان الكتاب للإيماء إلى إيجاب حفظِها عن التغييرِ من جهة الكتابة.

قال الفخر الرازي[3]: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: حفظ كتاب الله على وجهين: الأول: أن يحفظ فلا ينسى. الثاني: أن يحفظ فلا يضيع، وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين: أحدهما: أن يحفظون في صدورهم ويدرسوه بألسنتهم، والثاني: أن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه.

المسألة الثانية: الباء في قوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان: الأول: أن يكون صلة الأحبار على معنى العلماء بما استحفظوا. الثاني: أن يكون المعنى يحكمون بما استحفظوا، وهو قول الزجاج.

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التفسير الكبير.

حف

(حف - حصر- حوط - حاق - سور - طوق)

■ **الحَفُّ:** مجموعة واسعة ذات قيمة من الأشخاص أو الأشياء تتحلق حول شيء له مهابة وتقف على حافة موقعه لتحيته ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزُّمر: 75].

■ **الحِصَارُ:** مجموعة ضيقة من الأشداء تضيق الخناق على شيء لعقابه ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التّوبة: 5].

■ **الإحَاطَةُ:** قوة الاستيلاء على الشيء من كل جانب ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفَتْح: 21].

■ **الحَيْقُ:** ما يشتمل على الناس من مكروه فعلهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8].

■ **السُّورُ:** المانع القوي حول المدينة يمنع من الدخول والخروج إلّا من مكان معين ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحَديد: 13].

■ **الطَّوْقُ:** المانع من الحركة بضغط الرقبة ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: 180].

* * *

شرح المعاني:

حفّ وحصر: إنسان واقف وحوله دائرة واسعة تقف على حافة محيطه تدل على المهابة له كالرئيس والوجيه يُستقبل استقبالاً رسمياً ويقف الناس على حافّة موقعه و﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: 32]. ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 5].

فالحصار إذن عقاب بالتضييق أما الحفّ فهو حفاوة من بعيد ولا يقترب من المحتفى به لمهابته ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 75]. .

حاق وطاف: حاق بمعنى أحاط بشيء بثبات فلا يتحرك ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: 26]. ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء: 41]، ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43].

أما طاف فمتحرك مثل الطواف حول الكعبة ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: 125].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات: 45] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم: 19] ومنه استعير الطائف من الجنّ والخيال وغيرها كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] وهو الذي يدور على الإنسان من الشيطان يريد اقتناصه. دار ودال: الدائرة للهزيمة أو الضيق ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [التوبة: 98] ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: 6] ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: 52].

والدولة للمجد ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: 140] ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: 7] طوّق ولفّ: كل من يُلقى عليهم القبض يطوّقون إذا تمكنت منهم وضعت الطوق في أعناقهم ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آل عمران: 180] والمرحلة الثانية أن تضع القيد في أعناقهم وهو اللفّ ﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ [الإسراء: 104].

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: 29] ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾ [النبأ: 16].

فالتطويق أولاً واللفّ ثانياً.

أحاط: السيطرة على كل شيء من جميع الجهات قد يكون بمعرفة العلم من جميع جوانبه ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: 39] والإحاطة بالخبر هي عندما تعرف حقيقة الخبر بالكامل وليس مجزّءاً ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ

بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22] ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا﴾ [الكهف: 91]، والإحاطة بالمطلوب سواء كان جيشاً أو فرداً ثم يستسلم استسلاماً كاملاً ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [يوسف: 66].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: 110].

﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾ [الفتح: 21] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 42].

﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 81].

تسوّر: هذه الكلمة وردت في كلمة جدار وحائط وتأتي هنا بمعنى دائرة ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص: 21].

كل طوق حول شيء لا تخرج كلماته عن هذه الكلمات وكل كلمة منها استعملت استعمالاً دقيقاً خاصاً في القرآن.

نعود لكلمة حفّ الرئيسية: قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 75] الملائكة تقف من بعيد على شكل دائرة حول العرش يحفّون به وتسمى هذه حفاوة. وفي الحديث: «**ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتدارسون إلا حفّت بهم الملائكة**» من بعيد يستمعون ويدعون لهم بمنتهى الاحترام والإجلال. والملائكة لا حصر لهم وهم بقدر البشرية من عهد آدم إلى أن تقوم الساعة أضعافاً مضاعفة. ونحن مأمورون بالإيمان بالملائكة إيماناً كاملاً ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

والإيمان بهم حقٌ سواء تصورتهم أم لم تتصورهم ولا يمكن لنا أن ندرك حقيقتهم والرسول ﷺ رأى جبريل مرة واحدة على هيئته الحقيقية أما في باقي المرات فكان يتمثّل بصورة إنسان وعلينا أن نؤمن بالملائكة إيماناً غيبياً.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والفاء ثلاثة أصول: الأول ضربٌ من الصَّوت، والثاني أن يُطيفَ الشيءُ بالشيء، والثالث شِدَّةٌ في العيش. تفسير ذلك: الأول الحَفِيفُ: حَفِيفُ الشجرِ ونحوِه، وكذلك حَفِيفُ جَناح الطائر. والثاني: قولهم حفّ القوم بفلانٍ: إذا أطافُوا به. قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: 75]. ومن ذلك حِفافا كلِّ شيءٍ: جانباه.

ومن هذا الباب: هو على حَفَفِ أمْرٍ أي: ناحيةٍ منه، وكلُّ ناحيةِ شيءٍ فإنها تُطِيف به. ومن هذا الباب قولهم: «فلان يَحُفُّنا ويَرُفُّنا» كأنّه يشتمل علينا فيُعْطينا ويَمِيرُنا. والثالث: الحُفُوفُ والحَفَفُ، وهو شدّة العيش ويُبْسُه. قال أبو زيد: حَفَّتْ أرضُنا وقَفَّتْ: إذا يبسَ بَقْلُها. وهو كالشَّظَف. ويقال: هم في حَفَفٍ من العَيش، أي: ضيق ومحْلٍ، ثم يُجْرَى هذا حتى يقال: رأسُ فلانٍ مَحْفُوفٌ وحَافٌّ: إذا بَعُد عهدُه بالدُّهن، ثم يقال حَفَّت المرأةُ وجْهها من الشّعر. واحتَفَفْتُ النبتَ: إذا جَزَزْتَه.

قال الجوهري[2]: الحَفَّةُ: المِنوالُ ولا يقال له حَفٌّ، وإنما الحَفُّ المِنْسَجُ.

والحَفَّانُ: فِراخُ النَعامِ، الواحدة حَفّانَةٌ، الذكر والأنثى فيه سواء.

والحَفَّانُ أيضاً: الخَدَمُ. وإناءٌ حَفَّانٌ: بلغ الكيلُ حفافَيْهِ. وحَفَّتِ المرأة

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

وجهها من الشعر تَحُفُّهُ حَفًّا وحِفَافاً، واحْتَفّتْ أيضاً. قال الأصمعي: الحَفَفُ: عيشُ سوءٍ وقلّةُ مالٍ. يقال: ما رُئِي عليهم حَفَفٌ ولا ضَفَفٌ، أي: أثرُ عَوَزٍ.

والاحْتِفافُ: أكلُ جميع ما في القدر. والمِحَفَّةُ، بالكسر: مَرْكَبٌ من مراكب النساء كالهودج، إلا أنها لا تُقَبَّبُ كما تُقَبَّبُ الهوادج. وحَفُّوا حوله يَحُفُّوا حَفًّا، أي: أطافوا به واستداروا. وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾. وحَفَّهُ بالشيء يَحُفَّهُ كما يُحَفُّ الهودجُ بالثياب.

وكذلك التَّحْفيفُ. ويقال: مَنْ حَفَّنَا أو رَفَّنَا فليقتصدْ، أي: من خَدَمنا أو تعطّف علينا وحاطنا. وما لفلان حافٌّ ولا رافٌّ، وذهَبَ من كان يَحُفُّهُ وَيَرُفُّهُ.

وحَفَّتْهُمُ الحاجةُ تَحُفُّهُمْ: إذا كانوا محاويجَ. وهم قومٌ مَحْفُوفُونَ.

وحَفَّ رأسهُ يَحفُّ بالكسر حُفُوفاً، أي: بَعُدَ عهده بالدُّهْنِ.

وأَحْفَفْتُهُ أنا.

حَفَّ الفرسُ أيضاً يَحِفُّ حَفيفاً، وأَحْفَفْتُهُ أنا: إذا حملتَه على أن يكون له حَفيفٌ، وهو دويٌّ جَرْيِهِ. وكذلك حَفيفُ جناح الطائر. وحَفَّ شاربَه ورأسَه يَحُفُّ حَفًّا، أي: أَحْفاهُ. وحِفَافَا الشيءِ: جانِباه. ويقال: بقي من شَعره حِفَافٌ، وذلك إذ صَلِع فبقيتْ من شعره طُرَّةٌ حولَ رأسه؛ والجمع أَحِفَّةٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: 32].

قال الزمخشري(1): وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين، وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم: أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة. يقال: حفوه، إذا أطافوا به:

(1) الكشاف.

وحففته بهم. أي: جعلتهم حافين حوله، وهو متعدّ إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً، كقولك: غشيه، وغشيته به.

قال الفخر الرازي[1]: أي: وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين نظيره قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: 75] أي: واقفين حول العرش محيطين به، والحفاف جانب الشيء والأحفة جمع فمعنى قول القائل حف به القوم أي: صاروا في أحفته وهي جوانبه.

قال ابن عطية[2]: ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا﴾ بمعنى وجعلنا ذلك لها من كل جهة، تقول حفك الله بخير: أي عمك به من جهاتك، و«الحفاف» الجانب من السرير والفدان ونحوه، وظاهر هذا المثل أنه بأمر وقع وكان موجوداً، وعلى ذلك فسره أكثر أهل هذا التأويل، ويحتمل أن يكون مضروباً بمن هذه صفته وإن لم يقع ذلك في وجود قط، والأول أظهر.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: 75].

قال القرطبي[3]: والحافون أخذ من حافات الشيء ونواحيه. قال الأخفش: واحدهم حاف. وقال الفرّاء: لا واحد له إذ لا يقع لهم الاسم إلا مجتمعين.

قال البغوي[4]: أي: محدقين محيطين بالعرش، مطيفين بحوافيه أي: بجوانبه.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) معالم التنزيل.

حفي

(حفيّ - بَرّ - لطيف)

شرح المعاني:

حفيّ: هي من المشترك ولها أكثر من معنى لكن في النهاية تتجذر لمعنى واحد وهو الزيادة والمغالاة في الإكرام أو في السؤال أو التمحيص. حفي به حفاوة فهو حفيّ وحافٍ، وإذا احتفيت بشيء فأنت حفيّ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: 47].

حفي به واحتفى أي: بالغ في إكرامه وأظهر السرور له والفرح وهذا غير الكرم، فالكريم يُكرم الجميع لكنه لا يستدعي أن يُظهر السرور لكل شخص يُكرمه، أما المحتفي فهو يعطي المحتفى به خصوصية معينة لشرف أو مكانة فيزيد في إكرامه زيادة ملحوظة ويُبدي فرحاً وسروراً. فالحفاوة شيء آخر غير الكرم فالله تعالى احتفى بإبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾، فجعله خليلاً وأنقذ ابنه من الذبح وجعله من الصالحين وجعله أمّة وجعل أمته هي المقياس ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: 130].

وجعله جدّ سيدنا محمد ﷺ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: 78].

واستجاب دعاءه ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 128-129].

فبالغ في إكرامه واستجاب له استجابة خاصة أن قدّم التزكية على العلم والتعليم، فالمسلم زاكٍ بـ (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) هذه تكفي لأن يكون المسلم موحّداً بلا أي شرك. فكل هذه الإكرامات من الحفاوة بإبراهيم عليه السلام. والله تعالى أكرم كل الأنبياء لكنه احتفى بإبراهيم عليه السلام حفاوة خاصة.

ومن معاني حفيّ أيضاً كثر السؤال عن حالك فإذا كان صديقك أو جارك يُكثر من سؤالك عن حالك فهو حفيّ. فكل من أكثر السؤال عن شيء أو شخص يقال له حفيّ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187].

كان الرسول ﷺ كثير السؤال عن الساعة وهناك أحاديث عديدة حولها «**لا تقوم الساعة حتى....**» فهو ﷺ حفيّ عنها كثير السؤال عنها من شدة تذكّره لها فأكثر من تنبيه الأمة بالساعة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: 18]. وكان ﷺ يسأل جبريل عنها وعن أشراطها وأعراضها ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

وقد أراه الله تعالى أشراط الساعة وهي علم عظيم في إيمان المؤمن.

والحفي هو كل من يسأل عن شيء ويُلحّ في طلبه يقال له حفيّ. قال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [محمد: 37].

يكرر السؤال عليكم بالإنفاق. كثرة طلب المال من مالكه أمر يولّد البغضاء للسائل فالمال عزيز على صاحبه والله تعالى يقول: ما كنت حفيّاً أن أسألكم، والزكاة فقط هي المفروضة أما الباقي فصدقات والله تعالى يطلب من عباده الحدّ

الأدنى بحيث لا يؤثر على ملكية المالك فالزكاة هي فقط 2.5% فرب العالمين ما كان حفياً أن يسألنا أموالنا.

والحفيّ هو العالم المتعلم المتحقق للمسائل الذي جاءه خبر أو مسألة فكرر التمحيص فيها يُسمّى حفياً ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: 187].

وعلم الساعة في السُنّة علم عظيم أُلّفت فيه كتب عديدة وأسفار كثيرة في علامات الساعة من شدة رعاية الإسلام لها وحثّ النبي ﷺ على تتبع أخبارها. في اللغة العربية يسمى قاضي التحقيق الحفيّ لأنه يسأل أسئلة كثيرة ولا يقدم المتهم إلى المحاكمة إلا بعد أن يسأل مئات وآلاف الأسئلة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47]. يفرح به تعالى فرحاً عظيماً ويستجيب دعاءه ويعطيه ولو أقسم على الله لأبرّه والمحتفى بهم يوم القيامة شرائح متعددة وزُمر متعددة.

البَرّ: هو المتوسع في فعل الخير ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32] من ناحية الفتوى ومن ناحية القضاء فالحد الأدنى أن تكون باراً بوالديك هو أن تعطيهم وجبة غذاء وأن تلبسهم وتأخذهم إلى الطبيب إذا مرضوا لكن الكل يكرم والديه أكثر من هذا بكثير. ولا تكون من المحتفى بهم يوم القيامة إلا أن تكون بارًّا بوالديك وليس كافلاً لوالديك ككافل اليتيم يكفي أن تعطيه ما يحتاجه أما الوالدان فلا بد من أن يكون الإنسان بارًّا بهما يغرقهما في العطاء ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35] هذا المزيد لأنه بَرّ. والأحاديث في فضل بر الوالدين كثيرة منها حديث ثلاثة لا يضر معها ذنب وذكر منها بر الوالدين. يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: 28] لشدة الخشية من عذاب الله تعالى فمنّ الله تعالى علينا بإدخالنا الجنة فكان بارًّا فلو حاسبنا ثم أدخلنا الجنة يكون هذا من عطاء الله تعالى وسخائه أما أن يدخلنا الجنة بغير حساب فهذا هو البَرّ.

والبَرّ والبِرّ من أسباب الوجاهة يوم القيامة.

اللطيف: هو التدبير الخفي الذي يوصل حاجتك لبيتك. أنت في محنة فيدبّر الله تعالى لك تدبيراً خفياً ويرتب الأسباب فتأتيك حاجتك بدون عناء وهذا التدبير الخفي هو اللطف. سيدنا يوسف عليه السلام مرّ بمحن كثيرة منذ صغره فرتب له تعالى الأسباب في كل مراحل حياته وجاء في القرآن على لسان يوسف ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100].

وكلمة لطيف قد تتعدى بالباء ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19] أي: يغفر لهم ذنوبهم بصيامهم وصلاتهم ودعائهم وصدقاتهم بأسباب من عند العبد أما عندما تتعدى كلمة لطيف باللام فتعني أنها جاءت مباشرة من الله تعالى بلا أسباب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والفاء وما بعدهما معتلٌّ ثلاثةُ أصول: المنع، واستقصاء السُّؤال، والحَفَاء خِلافُ الانتِعال. فالأوّل: قولُهم: حفَوْتُ الرّجُلَ من كل شيءٍ: إذا منعتَه. وأمّا الأصل الثاني: فقولهم: حَفِيتُ إليه في الوصيّة: بالغْت. وتَحَفَّيْتُ به: بالغت في إكرامه، وأَحْفَيْتُ. والحَفِيُّ: المستقصِي في السّؤال.

والحَفِيُّ: العالم بالشيء. والأصل الثالث: الحَفَا مقصور، مصدر الحافي.

ويقال حَفِيَ الفرسُ: انسحجَ حافرُه. وأَحْفَى الرَّجُل: حفِيَتْ دابّتُه. قال الكسائيّ: حَافٍ بيِّن الحِفْية والحِفَاية. وقد حَفِي يَحْفَى، وهو الذي لا خُفّ في رجليه ولا نَعل. فأَمّا الذي حَفِيَ مِن كثرة المشي فإنّه حَفٍ بيِّن الحَفاء، مقصور.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فأمّا المهموز فالحفأ مقصور، وهو أصل البَرديّ الأبيض الرّطب؛ وهو يؤكل.

وفُسِّر على ذلك قوْله ﷺ: «**ما لم تحتفِئُوا بها فشأنكم بها**». ويقال: احتفأته، إذا اقتلعتَه.

قال الخليل(1): والحِفْوَةُ والحَفَا: مصدر الحَافي. يقال: حَفِيَ يَحْفَى حَفاً: إذا كان بغير خفّ ولا نَعْل، وإذا انْسَحَجَتِ القدم أَو فِرْسِنُ البعير أَو الحافرُ من المَشْيِ حتى رَقَّت قيل حَفِيَ يَحْفَى حَفاً، فهو حَفٍ.

قال الجوهري(2): حَفِيَ يَحْفَى حَفاءً، وهو أن يمشي بلا خُف ولا نعلٍ. فأمَّا الذي حَفِيَ من كثرة المشْي، أي: رَقَّتْ قدمه أو حافره، فإنه حَفٍ بَيِّنُ الحَفَى مقصورٌ. وأَحْفَاهُ غيره. والحَفَاوَةُ بالفتح: المبالغة في السؤال عن الرجل والعنايةِ في أمره. وفي المثل: مَأْرُبَةٌ لا حَفاوَةٌ. تقول منه: حَفِيتُ به بالكسر حَفاوَةً وتَحَفَّيتُ به، أي: بالغتُ في إكرامه وإلطافه. وحَفيَ الفرسُ: انْسَحَجَ حافره. وأَحْفَى الرجلُ، أي: حَفِيَتْ دابّته. والحَفِيُّ أيضاً: المستقصي في السؤال.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187].

قال البغوي(3): أي: عالم بها من قولهم أحفيت في المسألة، أي: بالغت فيها، معناه: كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) معالم التنزيل.

قال الزمخشري[1]: كأنك عالم بها. وحقيقته: كأنك بليغ في السؤال عنها، لأنّ من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه، استحكم فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة. ومنه إحفاء الشارب. احتفاء البقل: استئصاله. وأحفى في المسألة، إذا ألحف، وحفي بفلان وتحفى به: بالغ في البرّ به. وعن مجاهد: استحفيت عنها السؤال حتى علمت. وقرأ ابن مسعود: «كأنك حفيّ بها» أي عالم بها بليغ في العلم بها. وقيل: (عنها) متعلق بيسئلونك: أي يسئلونك عنها كأنك حفيّ أي عالم بها.

وقيل: إن قريشاً قالوا له إن بيننا وبينك قرابة، فقل لنا متى الساعة؟ فقيل: يسألونك عنها كأنك حفيّ تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم، ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في إخبارك به، لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص، كسائر ما أوحي إليك. وقيل: كأنك حفيّ بالسؤال عنها تحبه وتؤثره، يعني أنك تكره السؤال عنها لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحداً من خلقه.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: 47].

قال القرطبي[2]: الحفي: المبالغ في البرّ والإلطاف؛ يقال: حَفِي به وتَحفَّى: إذا بَرَّه. وقال الكسائي يقال: حَفِي بي حِفَاوة وحِفْوة. وقال الفراء: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ أي: عالماً لطيفاً يجيبني إذا دعوته.

قال الفخر الرازي[3]: أي: لطيفاً رفيقاً يقال: أحفى فلان في المسألة بفلان إذا لطف به وبالغ في الرفق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ﴾ [محمد: 37].

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: «الحفي» المبتهل المتلطف وهذا شكر من إبراهيم لنعم الله تعالى عليه.

● **قال تعالى**: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾ [محمَّد: 37].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ للإشارة إلى أن الإحفاء يتبع السؤال بياناً لشح الأنفس، وذلك لأن العطف بالواو قد يكون للمثلين وبالفاء لا يكون إلا للمتعاقبين أو متعلقين أحدهما بالآخر فكأنه تعالى بيّن أن الإحفاء يقع عقيب السؤال لأن الإنسان بمجرد السؤال لا يعطي شيئاً.

قال الزمخشري[3]: أي: يجهدكم ويطلبه كله، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء، يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح. وأحفى شاربه: إذا استأصله.

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.

حقب

(حقب - أمد - سرمد - أبد - فترة)

■ **الحِقْبَةُ**/ بالكسر: مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23].

■ **الأَبَدُ:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 84].

■ **الأَمَدُ:** الزمن الممتد وله آخر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

■ **السَّرْمَدُ:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: 71].

■ **الفَتْرَةُ:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 19].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

منظومة الزمن هي منظومة مكونة من إحدى عشرة كلمة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وهي: الأبد والأمد والسرمد والدهر والزمن والوقت والحقبة والقرن والأمّة والعمر والحين.

الزمن هو أعظم وأكرم وأشرف ما يملكه الإنسان على هذه الأرض، ولذلك

فإن نصف ساعة قد تساوي عمر الكرة الأرضية كلها، تأمل لو أن رجلاً كان مشركاً أو عصى الله مائة عام ثم تاب إلى الله تعالى نصف يوم أو نصف ساعة ثم مات بعد ذلك فإن هذه النصف ساعة ستسبب له الخلود في الجنة ذلك الخلود اللانهائي وحينئذ ما هي قيمة تلك الساعة، كذلك لو كان هناك رجلٌ من الناس يملك الكرة الأرضية كلها ومن الملوك من حكم الكرة الأرضية كلها ثم احتُضر قبل الموت ونحن نعلم أن الاحتضار عالم آخر تلك الدقائق التي يُنتزع فيها الغطاء عن الإنسان فيرى كل شيء في تلك الدقائق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99-100]، حينئذ يتذكر هذا المحتضرأن دقيقة من عمره تساوي كل ما كان يملكه من الدهر حتى لو ملك الأرض كلها ألف عام. هكذا هو الزمن ولذلك فإن أعظم ما في هذا الإنسان عندما استخلفه الله لعمارة هذه الأرض ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: 30] هي العقل والزمن والهدف. هذا الزمن ما نتحدث عنه الآن من حيث كلمة أحقاب ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23] والحُقبة والحِقبة جزء من أجزاء أو نوع من أنواع هذا الزمن العظيم.

الأبد: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ﴾ [المائدة: 119] زمن ممتد طويل ليس له أي فرجة أو فرصة أو فترة استراحة، قد يحكم مثلاً على الإنسان بالسجن خمسين عاماً أو عشرين عاماً متواصلاً بدون انقطاع لا يخرج ولا يوم واحد من السجن فيقال حكم مؤبد.

الأمد: هناك فرق بين الأبد والأمد فإذا كان الأبد الممتد الطويل فإن الأمد بداية النهاية، فإذا وصلنا إلى قرب نهايته يسمى أمداً ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ۖ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] فالأمد إذن بداية النهاية، ونضرب مثلاً لذلك: طالب في كلية الطب مثلاً زمنها ست سنوات، السنة السادسة تسمى الأمد، من بداية السنة أنت في مرحلة الأمد من زمن الكلية، لأنها بداية النهاية، ونهايتها آخر

شهر في السنة السادسة تسمى المدى، وإن كانت المدى لم تأت في القرآن فالفرق بين الأمد والمدى أن الأمد بداية النهاية والمدى آخر المطاف.

وكذلك لو دخل واحد سباق ألف متر عندما يصل قبل مترين أو ثلاثة من هذا الشوط يقال: بلغ الأمد وعندما يصل لآخر نقطة نقول: بلغ المدى.

السرمد: الزمن الذي يختص بنوع واحد، يعني لو عشت ألف سنة ملكاً أو ألف سنة سجيناً أو ألف سنة في ليل دائم ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ **[القصص: 71]**.

عندما يصبح الزمن موحداً على نسق واحد يسمى هذا (السرمد) الذي لا نهاية له وعكسه (الأزل) فالسرمد هو المستقبل المطلق.

والأزل هو الماضي المطلق الذي لا بداية له فالله سرمدي أزلي، أزلي في الماضي وسرمدي في المستقبل.

الدهر: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ **[الجاثية: 24]**.

الدهر هو زمن الدنيا منذ أن خلقها الله عَزَّوَجَلَّ إلى أن تقوم الساعة من حيث أن الآخرة ليس فيها زمن مطلقاً وإنما الزمن من قوانين هذه الدنيا، حتى البرزخ ليس فيه زمن، ولذلك فإن الذي مات قبل مليون سنة والذي سيموت قبل القيامة بدقيقتين لهما شعور واحد ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ **[المؤمنون: 112-113]**.

فالدهر إذن زمن الدنيا وفي بعض استعمالات اللغة يقال أن كل إنسان له دهره وأنت لك عمرك ودهرك وكان من العرب من يقول: أنا الدهر ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ **[الإنسان: 1]**.

نحن قلنا: الأبد الاستمرار المتصل والأمد بداية النهاية والمدى نهاية النهاية.

الزمن: كلمة الزمن تعني البداية والنهاية وكل الوقت الذي يمر عليك من بدايته إلى نهايته فهو زمن.

الوقت: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾ [الحجر: 37-38]، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103].

فالوقت هو الزمن المخصص لفعل معين، مثلاً وقت الأكل وقت الصلاة وقت الأذان وقت الدرس، كل عمل أو حدث يخصص له زمن محدد يسمى ذلك الزمن وقتاً.

الحقبة: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23].

وسواء كانت حُقبة أو حِقبة كلاهما تجمع على أحقاب عند بعض الروايات، وفي بعضها إذا كانت حُقبة تجمع أحقاب وحِقبة تجمع أحقب لكن الصحيح أنها في الحالتين سواء، الحقبة بالكسر سنة واحدة يقول: عشت حِقبة يعني سنة واحدة أما الحُقبة فهي ثمانون سنة فهي عمر متكامل ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾.

القرن: كما نعلم فإن القرن مائة عام وفي اللغة العربية تطلق القرون على الجيل بمعنى أن الجيل ينتهي تماماً بالقرن فالقرن والقرون الأولى يعني الأجيال الكاملة، ونحن نقول السنة اثنا عشر شهراً والعقد عشر سنوات فكل عشرة عقود تصير قرناً وكل عشرة قرون تصير دهراً وهذا أحد التفاسير كما رواها صاحب كتاب تاج العروس يقول: أن العرب يسمون الدهر يعني ألف سنة ولكن في الحقيقة أن الرأي الأصح من هذا عند بقية اللغويين أن الدهر هو الدهر الكامل الذي يبدأ ببداية هذا الكون.

الأُمـــة: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8] فالأمة هي مجموعة السنين التي يكون فيها حدث معين يدل عليها كعام الفيل وعام الرمادة وسنة الحرب العالمية وسنة القحط الفلاني.

العمر: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16]، ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: 45].

العمر يطلق على مرحلة الشباب، فالأربعون شباب ومن بلغ الأربعين ولم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار من حيث أنه بداية النصف الثاني من العمر وأول الشيخوخة، وأن الشباب هو الذي من خمسة عشر حتى الأربعين فالعمر إذا ذكر أو أطلقت مرحلة الشباب من حيث أن الله عَزَّوَجَلَّ والناس والتاريخ والواقع يسندون إلى الشباب من الفضل والإنتاج ما لا يسندونه إلى غيرهم كقول النبي ﷺ: «**الخير كله في الشباب**» وكما في القرآن الكريم: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12].

وكثير من التاريخ قام به شباب عظام فالذي فتح الهند والصين محمد بن القاسم كان عمره ثماني عشرة سنة، أسامة بن زيد قاد الجيوش وذهب إلى مقارعة هرقل وعمره واحد وعشرون عاماً، وهكذا معظم الصحابة ولهذا جاء في الحديث: «**لا تزول قدم عبد حتى يسأل عن شبابه ماذا عمل به أو شبابه فيما أفناه وعن علمه ماذا فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**» وهكذا فالعمر إذا أطلق ﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ [يونس: 16] يعني أيام شبابي. والأنبياء ينبؤون بالأربعين إذا ما عاشوا شبابهم بين قومهم ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ [يونس: 16] وتعرفون بأني لا أكذب.

الحين: هو وقت حصول الشيء، فحين وحدها لامعنى لها إلّا أن تضاف إلى دقة الفعل الذي تجري فيه، أقول: حين أضع قلمي، حين أصوم، حين آكل، حين تمسون وحين تصبحون، وإذا أطلقت كلمة الحين فهو مطلق ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [صٓ: 88] أي لابد أن يحدث حدث عظيم حيث يضاف ذلك الحين إليه،

كلما أطلقت كلمة الحين في القرآن يعني معرفتكم بهذا الشيء الذي تريدون معرفته سوف يتم عندما يحدث حدث عظيم يقال: حين حدث كذا وهكذا.

الزمن مخلوق والأصل في الكون عدم الزمن وهو الأزل ورب العالمين هو الوجود المطلق لا يمر عليه الزمن، من أجل هذا لا يمكن للعقل البشري أن يدركه لأن العقل البشري خُلق على هذه الأرض واستخلفه الله عز وجل من حيث قال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61] هذا هو الهدف، والكون لكي يعمر يجب أن يكون فيه عقل وفيه علم، وميز الله آدم على سائر مخلوقاته بعقله الاستنباطي ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: 31-33] فالله خلق للإنسان عقلاً استنباطياً وهذا عقل لا يملكه إلّا الإنسان، ولهذا استحق خلافة الأرض والهدف قال: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ فعلينا أن نعمرها وإعمار هذه الأرض حضارة ومدنية هو الهدف من خلق هذا الإنسان وهذا لا يكون إلّا بالزمن ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ [يونس: 5] وكلنا نعرف اليوم أن السنين والحساب وهي علم الرياضيات هو أساس كل هذه الحضارة والمدنية التي وجدت وسوف توجد أكثر على وجه الأرض، كل ما في الكون الآن من هذا الإبداع وهذه الاختراعات التي تمر على مدار الساعة أساسها الرياضيات.

نأتي للفرق في استعمال القرآن لهذه الكلمات بهذه الدقة المعجزة وما استعمل الكلمة إلّا بشكل لا تغني عنه الكلمة الأخرى، فلا تغني كلمة الدهر عن الأبد أو الوقت أو ما شاكل ذلك. وأن كل كلمة في مكانها ترسم زاوية في الصورة لا ترسمها أي كلمة أخرى غيرها، إذن هذا هو الزمن وهذه هي قيمة أن دقيقة واحدة في آخر أيامك تساوي ألف عام بل ملايين الأعوام لأن عليها يتوقف ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: 10-11]، إذن رب العالمين جعل لكل جزء من هذا الزمن وظيفة معينة كما في ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل: 1-4] كما أن للذكورة وظيفة وللأنوثة وظيفة فإن للنهار حركة ووظيفة ولليل سكون ووظيفة وأن الله تعالى أطلق في القرآن على كُل جزء من هذا الزمن اسماً صباح مساء ضحى عشية عتمة فجر سحر غسق، إذن كل ذلك يدل على أن هذا الزمن تبذيره أشد حرمة من تبذير المال ففي الحديث: (**من تساوى يوماه فهو مغبون**) وحديث آخر: (**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**) والكلام في شرف الوقت عظيم كما في الحديث: (**الليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة**) ولا يغترن أحد بحلم الله إياكم والتسويف فإن الموت يأتي بغتة.

وإذا عرفت أن امرأة صالحة تقية دخلت النار في هرة حبستها في بيتها فما تقول في إنسان يحبس إنساناً له أهدافه وغاياته ووظائفه ومن حيث أن الله جعل له هدفاً ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس: 5] فأنت حينئذ عطلت هذا الجهد الذي خلقه الله وذلك من أعظم الجرائم يوم القيامة، فما بالك بمن يسرق أزمنة أمة، من خلال عملية الاستيلاء والاستحواذ والاستعمار والاحتلال لأمم العالم وشعوبهم وثرواتهم وأزمنتهم وتعويقهم عن الحضارة وإشغالهم بالفتن والقتال والانقسامات وتضييع الفرص على أزمنتهم للتقدم.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والقاف والباء أصلٌ واحد، وهو يدلّ على

(1) معجم مقاييس اللغة.

الحبْس. يقال: حَقِب العام: إذا احتبس مطرُه. وحَقِب البعيرُ: إذا احتبسَ بولُه. ومن الباب الحَقَبُ: حبلٌ يُشَدّ به الرحْلُ إلى بطْن البعير، كي لا يجتذبه التَّصدير. فأمّا الأَحْقَبُ، وهو حِمار الوحش، فاختُلِف في معناه، فقال قوم: سمِّي بذلك لبياض حِقْوَيْه. وقال آخرون: لدقّة حِقوَيه. والأنثى حَقْبَاءُ. فإنْ كان هذا من الباب فلأنه مكانٌ يشد بحِقَابٍ، وهو حبلٌ. ويقال للأنثى حَقباء. قال: ومن الباب الحَقِيبَةُ، وهي معروفة. ومنه احْتَقَبَ فلانٌ الإثم، كأنه جمعَه في حقيبةٍ.

واحْتَقَبَه من خَلفه: ارتدفَه. والمُحْقَبُ: المُرْدَفِ. فأمّا الزمان فهو حِقْبَةٌ والجمع حِقَبٌ. والحُقْبُ ثمانون عاماً، والجمع أَحْقَابٌ، وذلك لما يجتمع فيه من السّنين والشّهورِ. ويقال: إنَّ الحِقابَ جبلٌ.

قال ابن منظور(1): الحَقَبُ، بالتحريك: الحِزامُ الذي يَلِي حَقْوَ البَعِير.

وقيل: هو حَبْلٌ يُشَدُّ به الرَّحْلُ في بَطْنِ البَعِير مما يلي ثِيلَه، لِئَلاَّ يُؤْذِيَه التَّصْديرُ، أَو يَجْتَذِبَه التَّصْديرُ، فَيُقَدِّمَه؛ تقول منه: أَحْقَبْتُ البَعِيرَ.

وحَقِبَ، بالكسر، حَقَباً فهو حَقِبٌ: تَعَسَّرَ عليه البَوْلُ مِن وُقُوعِ الحَقَبِ على ثِيلِه؛ ولا يقال: ناقةٌ حَقِبةٌ لأَنَّ الناقة لَيس لها ثِيلٌ.

قال الجوهري(2): الحُقْبُ بالضم: ثمانون سنة، ويقال أكثر من ذلك، والجمع حِقابٌ. والحِقْبَةُ واحدة الحِقَبِ وهي السِنونَ. والحُقُبُ الدهر. والأَحْقَابُ: الدهور، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60]. بالتحريك: حَبْلٌ يُشَدُّ به الرَحْلَ إلى بطن البعير مما يلي ثيلَهُ كي لا يجتذبَه التصدير. تقول منه: أَحْقَبْتُ البعيرَ. وحَقِبَ البعيرُ بالكسر: إذا أصاب حَقَبُهُ ثيلَهُ فاحتبس بَوْلُهُ.

---

(1) اللسان. (2) الصحاح في اللغة.

ويقال أيضاً: حَقِبَ العامُ: إذا احتبس مطرُهُ. والأَحْقَبُ حمار الوحش، سُمِّيَ بذلك لبياضٍ في حَقْوَيْهِ، والأنثى حَقْبَاءُ. والحَقِيبَة واحدة الحَقَائِب.

واحتقبه واستحقبه بمعنىً، أي احتمله.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60].

قال الطبري(1): يقول: أو أسير زماناً ودهراً، وهو واحد، ويجمع كثيره وقليله: أحقاب. وقد تقول العرب: كنت عنده حقبة من الدهر، ويجمعونها حُقباً. وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ : أي لا أزول.

وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب، أن الحقب في لغة قيس: سنة. فأما أهل التأويل فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره، وهو أنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو ثمانون سنة.

قال الفخر الرازي(2): أي: أسير زماناً طويلاً، وقيل الحقب: ثمانون سنة وحاصل الكلام أن الله عَزَّوَجَلَّ كان أعلم موسى حال هذا العالم، وما أعلمه موضعه بعينه، فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا أزال أمضي حتى يجتمع البحران فيصيرا بحراً واحداً أو أمضي دهراً طويلاً حتى أجد هذا العالم، وهذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك.

---

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ [النبأ: 23].

قال الطبري[1]: وأما الأحقاب فجمع حُقْب، والحِقَب: جمع حِقْبة، فهذه جمعها حِقَب، ومن الأحقاب التي جمعها حُقُب قول الله: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60] فهذا واحد الأحقاب.

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ مدة الحُقُب، فقال بعضهم: مدة ثلاثمائة سنة.

وقال آخرون: بل مدة الحُقْب الواحد: ثمانون سنة.

ورُوي عن خالد بن معدان في هذه الآية، أنها في أهل القِبلة.

فإن قال: فما للكفار عند الله عذابٌ إلاَّ أحقاباً قيل: إن الربيع وقتادة قد قالا: إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع. وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: لابثين فيها أحقاباً، في هذا النوع من العذاب، هو أنهم: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ۝٢٥﴾ [النبأ: 24-25] فإذا انقضت تلك الأحقاب، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك، كما قال جلّ ثناؤه في كتابه: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: 55-58] وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية. وقد رُوي عن مقاتل بن حيان في ذلك ما: حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقيّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سَلَمة، قال: سألت أبا معاذ الخراسانيّ، عن قول الله: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ فأخبرنا عن مقاتل بن حيَان، قال: منسوخة، نسختها: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النّبَإِ: 30]

ولا معنى لهذا القول، لأن قوله: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي.

---

(1) جامع البيان.

قال ابن الجوزي[1]: الأحقاب فجمع حقب، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60]. فإن قيل: ما معنى ذكر الأحقاب، وخلودهم في النار لا نفاد له؟ فعنه جوابان. أحدهما: أن هذا لا يدل على غاية، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب.

ولو أنه قال: «لابثين فيها عشرة أحقاب أو خمسة» دل على غاية، هذا قول ابن قتيبة، والجمهور. وبيانه أن زمان أهل الجنة والنار يُتَصَوَّرُ دخوله تحت العدد، وإن لم يكن لها نهاية.

والثاني: أن المعنى: أنهم يلبثون فيها أحقاباً ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ في الأحقاب ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ فأما خلودهم في النار فدائم. هذا قول الزجاج. وبيانه أن الأحقاب حَدٌّ لعذابهم بالحميم والغَسّاق، فإذا انقضت الأحقاب عُذِّبوا بغير ذلك من العذاب.

---

(1) زاد المسير.

حقف

(حقف - ترب - طين - ثرى - صعيد)

■ **الحِقْفُ:** التراب المتلبد المائل في سفوح التلال ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

■ **التُّرَابُ:** وجه الأرض الهش الصالح للزراعة ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: 20].

■ **الطِّينُ:** التراب مع الماء، الطين اللازج شديد الجمود والقوة، والطين الصلصال الجاف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].

■ **الثَّرَى:** حقف التراب المشتمل على الشيء النفيس من معادن ونحوهما ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6].

■ **الصَّعِيدُ:** التراب الطاهر ذو الغبار ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء: 43].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والقاف والفاء أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على مَيَل الشيء وعِوَجه: يقال احْقَوْقَفَ الشيءُ: إذا مال، فهو مُحْقَوْقِفٌ وحَاقِفٌ.

ومن ذلك الحديث: «أنه مرَّ بظبيٍ حاقِفٍ في ظلِّ شجرة» فهو الذي قد انحنى وتثنَّى في نَوْمِه. ولهذا قيل للرَّمل المنحني حِقْفٌ، والجمع أَحْقَافٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

الحِقْفُ: المعوج من الرمل، والجمع: أَحْقَافٌ وحِقَافٌ وحُقُوفٌ وحِقَفَةٌ، وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

قال ابن عرفة: قوم عاد كانت منازلهم في الرمال وهي الأحقاف، ويقال للرمل إذا عظم واستدار: حِقْفٌ، وقال الأزهري: هي رمال مستطيلة بناحية الشِّحْرِ[1].

قال الجوهري[2]: الحقْفُ: المعوجُّ من الرمل، والجمع حِقَافُ وأَحْقَافٌ.

واحْقَوْقَفَ الرملُ والهلالُ، أي: اعوجَّ.

قال الفيروزآبادي[3]: الحِقْفُ، بالكسرِ: المُعْوَجُّ من الرَّمْلِ، أحْقافٌ وحِقافٌ وحُقوفٌ، وجج: حَقائِفُ وحِقَفَةٌ، أو الرَّمْلُ العَظيمُ المُسْتَديرُ، أو المُسْتَطيلُ المُشْرِفُ، أو هي رِمالٌ مُسْتَطيلَةٌ بِناحِيَةِ الشِّحْرِ، وأصْلُ الرَّمْلِ، وأصْلُ الجَبَلِ، وأصْلُ الحائِطِ. وجَمَلٌ أحْقَفُ: خَميصٌ. والجَبَلُ المُحيطُ بالدُّنيا: قاف، لاَ الأَحْقافُ كما ذَكَرَهُ الليْثُ. وظَبْيٌ حاقِفٌ: رابِضٌ في حِقْفٍ من الرَّمْلِ، أو يكونُ مُنْطوِياً، كالحِقْفِ، وقَدِ انْحَنَى وتَثَنَّى في نَوْمِهِ، وهو بَيِّنُ الحُقُوفِ. وكمِنْبَرٍ: من لا يَأْكُلُ ولا يَشْرَب. واحْقَوْقَفَ الرَّمْلُ، والظَّهْرُ، والهِلالُ: طالَ واعْوَجَّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

قال الطبري[4]: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة. قال ابن زيد،

(1) الزاجر.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.
(4) جامع البيان.

في قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ قال: الأحقاف: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف، ولا يكون أحقافاً إلا من الرمل، قال: وأخو عاد هود. وجائز أن يكون ذلك جبلاً بالشام. وجائز أن يكون وادياً بين عمان وحضرموت. وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوماً منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة.

قال الزمخشري(1): الأحقاف: جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن. وقيل: بين عمان ومهرة.

(1) الكشاف.

حق

(حق - سواء - صدق - عدل - يقين)

■ **الحَقُّ:** الموجود الثابت الذي يراك بالبصر والبصيرة ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 33].

■ **السَّوَاءُ:** الحق المتفق عليه عند الكل ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 64].

■ **الصِّدْقُ:** هو حسن التعامل مع الحق ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يُونس: 2].

■ **العَدْلُ:** تساوي الأجزاء بلا رجحان في إحقاق الحق ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النّحل: 76].

■ **اليَقِينُ:** هو الحق في الخبر ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النِّساء: 157].

❋ ❋ ❋

في النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشّيء وصحّته. فالحَقُّ: نقيض الباطل، ثمّ يرجع كلّ فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التّلفيق. ويقال: حَقَّ الشّيء: وَجَب. ويقال: حَاقَّ فلان فلاناً: إذا ادّعى كلّ واحد منهما. فإذا غلبه على الحَقِّ قيل: حَقَّهُ وأَحَقَّهُ. واحْتَقَّ النّاس في الدّين: إذا

(1) معجم مقاييس اللغة.

ادّعى كلّ واحد الحَقّ ويقال: طعنة مُحْتَقَّة: إذا وصلت إلى الجوف لشدّتها، ويقال: هي الّتي تطعن في حُقِّ الورك.

قال الخليل[1]: الحَقُّ: نقيض الباطل، حَقَّ الشّيء يَحِقُّ حَقًّا، أي: وجب وجوباً. وتقول: يَحِقُّ عليك أن تفعل كذا، وأنت حَقِيقٌ على أن تفعله. وحَقِيق «فعيل» في موضع «مفعول». والحَقَّةُ: من الحَقّ، كأنّها أوجب وأخصّ. تقول: هذه حَقَّتِي، أي: حَقِّي. والحَقِيقَةُ: ما يصير إليه حَقّ الأمر ووجوبه. وبلغت حَقِيقَة هذا، أي: يقين شأنه.

قال الجوهريّ[2]: الحَقُّ: خلاف الباطل. والحَقُّ واحد الحُقُوقِ، والحَقَّةُ أخصّ منه. يقال: هذه حَقَّتي، أي: حقّي. والحَقَّةُ أيضاً: حَقِيقَةُ الأمر، يقال: لمّا عرف الحَقَّةَ منّي هرب. وقولهم: «لحقُّ لا آتيك» هو يمين للعرب يرفعونها بغير تنوين إذا جاءت بعد اللّام، وإذا أزالوا عنها اللّام قالوا: حقًّا لآتيك. وقولهم: كان ذاك عند حَقِّ لقاحها وحِقِّ لِقاحها أيضاً بالكسر، أي: حين ثبت ذلك فيها. والحُقَّةُ بالضمّ: معروفة، والجمع: حُقٌّ وحُقَقٌ وحِقَاقٌ. والحِقُّ بالكسر: ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرّابعة؛ والأُنثى: حِقَّةٌ وحِقٌّ أيضاً، سمّي بذلك لاسْتِحْقَاقِه أن يُحمل عليه وأن ينتفع به. تقول: هو حِقٌّ بَيِّن الحِقَّةِ. وهو مصدر. وجمع الحِقَاقِ: حُقُقٌ، مثال كتاب وكتب. وربمّا جمع على حَقَائِقَ، مثل إفال وأفائل.

*** وردت كلمة الحق في القرآن الكريم على عشرين وجهاً:**

1 - الثابت الصحيح: قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يُونس: 53].

2 - العدل: قال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: 112].

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

3 - الله جلّ جلاله: قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [المؤمنون: 71].

4 - ما وجب لغيرهم ويتقاضاه بالمال: قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذّاريات: 19].

5 - العلم الصحيح: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النّجم: 28].

6 - التوحيد: قال تعالى: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القَصص: 75].

7 - كتب الله وما فيها من الشرائع والعقائد: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرّعد: 1].

8 - القرآن: قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البَقَرَة: 91].

9 - الصدق: قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المَائدة: 27].

10 - الحكمة: قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفَال: 5].

11 - التام الكامل: قال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرقان: 26].

12 - البيان الواضح: قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البَقَرَة: 71].

13 - انقضاء الأجل: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التّوبَة: 33].

14 - بمعنى وجب: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السَّجدَة: 13].

15 - الحق بعينه الذي ليس بباطل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحَجّ: 62].

16 - بمعنى أولى: قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البَقَرَة: 247].

17 - الجزم: قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البَقَرَة: 61].

18 - أمر الكعبة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ [البَقَرَة: 146].

19 - المسوغ بحسب الواقع: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعَام: 151].

20 - بمعنى على أكمل وجه: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: 121].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعرَاف: 30].

قال ابن عاشور[1]: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ ثبتت لهم الضّلالة ولزموها. ولم يقلعوا عنها، وذلك أنّ المخاطبين كانوا مشركين كلّهم، فلمّا أمروا بأن يعبدوا الله مخلصين افترقوا فريقين: فريقاً هداه الله إلى التّوحيد، وفريقاً لازم الشّرك والضّلالة، فلم يطرأ عليهم حال جديد. وبذلك يظهر حسن موقع لفظ: ﴿حَقَّ﴾ هنا دون أن يقال أضلّه الله، لأنّ ضلالهم قديم مستمر اكتسبوه لأنفسهم، كما قال تعالى: في نظيره: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النّحل: 36] - ثمّ قال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النّحل: 37]، فليس تغيير الأسلوب بين: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وبين ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ تحاشياً عن إسناد الإضلال إلى الله، كما توهمه صاحب «الكشاف»، لأنّه قد أسند الإضلال إلى الله في نظير هذه الآية كما علمت وفي آيات كثيرة، ولكنّ اختلاف الأسلوب لاختلاف الأحوال.

والمعنى أنّ هذا الفريق، الذي حَقت عليهم الضّلالة، لمّا سمعوا الدّعوة إلى التّوحيد والإسلام، لم يطلبوا النّجاة ولم يتفكّروا في ضلال الشّرك البيّن، ولكنّهم

(1) التحرير والتنوير.

استوحوا شياطينهم، وطابت نفوسهم بوسوستهم، وائتمروا بأمرهم، واتّخذوهم أولياء، فلا جرم أن يدوموا على ضلالهم لأجل اتّخاذهم الشّياطين أولياء من دون الله.

● قال تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16].

قال الفخر الرازي[1]: يريد: استوجبت العذاب، وهذا كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: 59] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: 131] فلما حكم تعالى في هذه الآيات أنه تعالى لا يهلك قرية حتى يخالفوا أمر الله، فلا جرم ذكر أنه ها هنا يأمرهم فإذا خالفوا الأمر، فعند ذلك استوجبوا الإهلاك المعبر عنه بقوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾.

قال الطبري[2]: يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج.

● قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 33].

قال الزمخشري[3]: أي كما حق وثبت أنّ الحق بعده الضلال، أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق، فكذلك حقّت كلمة ربك.

قال القشيري[4]: سَبَق لهم الحُكْمُ، وصَدَقَ فيهم القولُ؛ فلا لِحُكْمِه تحويل ولا لقوله تبديل، فإنَّ العلَلَ لا تُغَيِّر الأزل.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) لطائف الإشارات.

● **قال تعالى:** ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢﴾ [الانشقاق: 1-2].

قال الماوردي(1): ﴿وَحُقَّتۡ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أطاعت.

الثاني: معناه حق لها أن تفعل ذلك.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها جمعت، مأخوذ من اجتماع الحق على نافيه وحكى ابن الانباري أن ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ جواب القسم، والواو زائدة.

قال الفخر الرازي(2): ﴿وَحُقَّتۡ﴾ فهو من قولك هو محقوق بكذا، وحقيق به. يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع وذلك لأنه جسم، وكل جسم فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فإن الوجود والعدم بالنسبة إليه على السوية، وكل ما كان كذلك، كان ترجيح وجوده على عدمه أو ترجيح عدمه على وجوده، لا بد وأن يكون بتأثير واجب الوجود وترجيحه فيكون تأثير قدرته في إيجاده، وإعدامه، نافذاً سارياً من غير ممانعة أصلاً، وأما الممكن فليس له إلا القبول والاستعداد، ومثل هذا الشيء حقيق به أن يكون قابلاً للوجود تارة، وللعدم أخرى من واجب الوجود.

● **قال تعالى:** ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾ [البقرة: 228].

قال الزمخشري(3): فإن قلت: كيف جُعلوا أحق بالرجعة، كأن للنساء حقاً فيها؟ قلت: المعنى أنّ الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها، إلا أن لها حقاً في الرجعة.

---

(1) النكت والعيون.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: ما فائدة قوله: ﴿أَحَقُّ﴾ مع أنه لا حق لغير الزوج في ذلك.

الجواب من وجهين الأول: أنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البقرة: 228] كان تقدير الكلام: فإنهن إن كتمن لأجل أن يتزوج بهن زوج آخر، فإذا فعلن ذلك كان الزوج الأول أحق بردهن، وذلك لأنه ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر، فبين أن الزوج الأول أحق منه، وكذا إذا ادعت انقضاء أقرائها ثم علم خلافه فالزوج الأول أحق من الزوج الآخر في العدة، الثاني: إذا كانت معتدة فلها في مضي العدة حق انقطاع النكاح فلما كان لهن هذا الحق الذي يتضمن إبطال حق الزوج جاز أن يقول: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾ من حيث إن لهم أن يبطلوا بسبب الرجعة ما هن عليه من العدة.

● **قال تعالى**: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 105].

قال الزمخشري[2]: فيه أربع قراآت، المشهورة: «وحقيق عليّ أن لا أقول»، وهي قراءة نافع: «وحقيق أن لا أقول» وهي قراءة عبد الله: «وحقيق بأن لا أقول» وهي قراءة أبيّ وفي المشهورة إشكال، ولا تخلو من وجوه، أحدها: أن تكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس.

الأول «وحقيق عليّ أن لا أقول» وهي قراءة نافع. والثاني: أنّ ما لزمك فقد لزمته، فلما كان قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق، أي: لازماً له. والثالث: أن يضمن ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى حريص، كما ضمن «هيجني» معنى ذكرني في بيت الكتاب. والرابع: - وهو الأوجه - الأدخل في نكت القرآن: أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روى أنّ عدو الله فرعون قال له - لما قال: ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 104] كذبت،

(1) التفسير الكبير. (2) الكشاف.

فيقول: أنا حقيق عليّ قول الحق أي: واجب عليّ قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به، ولا يرضى إلاّ بمثلي ناطقاً به.

● **قال تعالى:** ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 53].

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك: أحقّ ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا؟ قل لهم يا محمد: إي وربي إنه لحقّ لا شكّ فيه، وما أنتم بمعجزي الله إذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع، بل أنتم في قبضته وسلطانه وملكه، إذ أراد فعل ذلك بكم، فاتقوا الله في أنفسكم.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: 95].

قال القرطبي(2): أي: هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه. وجاز إضافة الحقّ إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما. قال المبرِّد: هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين؛ فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين حقّ الأمر اليقين أو الخبر اليقين.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: 24].

قال الفخر الرازي(3): اختلفوا في الحق المعلوم: فقال ابن عباس والحسن وابن سيرين، إنه الزكاة المفروضة، قال ابن عباس: من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق قالوا: والدليل على أن المراد به الزكاة المفروضة وجهان: الأول: أن الحق المعلوم المقدر هو الزكاة، أما الصدقة فهي غير مقدرة، الثاني: وهو أنه تعالى ذكر هذا على سبيل الاستثناء ممن ذمه، فدل على أن الذي لا يعطى

---

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.

هذا الحق يكون مذموماً، ولا حق على هذه الصفة إلا الزكاة، وقال آخرون: هذا الحق سوى الزكاة، وهو يكون على طريق الندب والاستحباب، وهذا قول مجاهد وعطاء والنخعي.

● قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61].

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره؟ قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا. وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، فلو سئلو وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهاً يستحقون به القتل عندهم.

● قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 108].

قال ابن عاشور[2]: والباء في قوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للملابسة، وهي ملابسة الإخبار للمخبَر عنه، أي: لما في نفس الأمر والواقع، فهذه الآيات بيّنت عقائد أهل الكتاب وفصّلت أحوالهم في الدنيا والآخرة.

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62].

قال الماوردي[3]: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ هنا يحتمل ثلاثة أوجه: أحدهما: أن الحق هو من أسمائه تعالى.

والثاني: لأنه مستحق الرد عليه. والثالث: لحُكْمِهِ فيهم بالرد.

(1) الكشاف.
(2) التحرير والتنوير.
(3) النكت والعيون.

قال القرطبي[1]: أي: خالقهم ورازقهم وباعثهم ومالكهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32].

قال البيضاويّ[2]: والمعنى إن كان هذا حقاً منزلاً فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره، أو ائتنا بعذاب أليم سواه، والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً. وقرىء (الحَقّ) بالرفع على أن (هُوَ) مبتدأ غير فصل، وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقاً بالوجه الذي يدعيه النبي ﷺ وهو تنزيله لا الحق مطلقاً لتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير منزل كأساطير الأولين.

● **قال تعالى**: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120].

قال الفخر الرازي[3]: إنه تعالى بين أنه جاء في هذه السورة أمور ثلاثة الحق والموعظة والذكرى.

أما الحق: فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة.

وأما الذكرى: فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة.

وأما الموعظة: فهي إشارة إلى التنفير من الدنيا وتقبيح أحوالها في الدار الآخرة، والمذكرة لما هنالك من السعادة والشقاوة، وذلك لأن الروح إنما جاء من ذلك العالم إلا أنه لاستغراقه في محبة الجسد في هذا العالم نسي أحوال ذلك العالم فالكلام الإلهي يذكره أحوال ذلك العالم، فلهذا السبب صح إطلاق لفظ الذكر عليه.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) التفسير الكبير.

● **قال تعالى**: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرّعد: 14].

قال الماوردي(1): فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أن دعوة الحق لا إله إلا الله، الثاني: أنه الله تعالى هو الحق، فدعاؤه دعوة الحق. الثالث: أن الإخلاص في الدعاء هي دعوة الحق، ويحتمل قولاً رابعاً: أن دعوة الحق دعاؤه عند الخوف لأنه لا يدعى فيه إلا إياه، كما قال تعالى: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ﴾ [الإسراء: 67] هو أشبه بسياق الآية لأنه قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام والأوثان.

● **قال تعالى**: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: 180].

قال الطبري(2): ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: 180]، يعني بذلك: فرض عليكم هذا وأوجبه، وجعله حقًّا واجباً على من اتقى الله فأطاعه أن يعمل به.

فإن قال قائل: أَوَ فرض على الرجل ذي المال أن يوصي لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه؟ قيل: نعم. فإن قال: فإن هو فرّط في ذلك فلم يوص لهم أيكون مضيعاً فرضاً يحرج بتضييعه؟ قيل: نعم. فإن قال: وما الدلالة على ذلك؟ قيل: قول الله تعالى ذكره: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ فاعلم أنه قد كتبه علينا وفرضه، كما قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ولا خلاف بين الجميع أن تارك الصيام وهو عليه قادر مضيع بتركه فرضاً لله عليه، فكذلك هو بترك الوصية لوالديه وأقربيه وله ما يوصي لهم فيه، مضيعٌ فرض الله عَزَّ وَجَلَّ.

● **قال تعالى**: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: 151].

---

(1) النكت والعيون.
(2) جامع البيان.

قال الطبري[1]: أيها الناس هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلودَ في ناري حقًّا، فاستيقنوا ذلك، ولا يشكككنكم في أمرهم انتحالهم الكذب ودعواهم أنهم يقرّون بما زعموا أنهم به مقرون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادّعوا من ذلك كذَبةٌ. وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدّق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مُصّدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن فأما من صدق ببعض ذلك وكذّب ببعض، فهو لنبوّة من كذّب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوّة نبيّ فهو به مكذّب. وهؤلاء الذين جحدوا نبوّة بعض الأنبياء وزعموا أنهم مصدّقون ببعض، مكذّبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدّقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذّبون كافرون، فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوّة أنبيائه، حقّ الجحود المكذّبون بذلك حقّ التكذيب، فاحذروا أن تغترّوا بهم وببدعتهم، فإنا قد أعتدنا لهم عذاباً مهيناً.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يُونس: 103].

قال الفخر الرازي[2]: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف»: أي مثل ذلك الإنجاء ننصر المؤمنين ونهلك المشركين وحقاً علينا اعتراض، يعني حق ذلك علينا حقاً.

المسألة الثانية: قال القاضي قوله: ﴿حَقًّا عَلَيۡنَا﴾ المراد به الوجوب، لأن تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب إلى الثواب واجب ولولاه لما حسن من الله تعالى أن يلزمهم الأفعال الشاقة وإذا ثبت وجوبه لهذا السبب جرى مجرى قضاء الدين للسبب المتقدم.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.

والجواب: أنا نقول إنه حق بسبب الوعد والحكم، ولا نقول إنه حق بسبب الاستحقاق، لما ثبت أن العبد لا يستحق على خالقه شيئاً.

● قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141].

قال الطبري[1]: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحبّ.

وقال آخرون: بل ذلك حقّ أوجبه الله في أموال أهل الأموال، غير الصدقة المفروضة.

وقال آخرون: كان هذا شيئاً أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة، ثم نسخته الصدقة المعلومة، فلا فرض في مال كائناً ما كان زرعاً كان أو غرساً، إلا الصدقة التي فرضها الله فيه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: كان ذلك فرضاً فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة، والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدياس والتنقية والتذرية، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف. فإذا كان ذلك كذلك، وكان قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ ينبىء عن أنه أمر من الله جلّ ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده، وكان يوم حصاده هو يوم جدّه وقطعه والحبّ لا شكّ أنه في ذلك اليوم في سنبله، والثمر وإن كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه، وكانت الصدقة من الحبّ إنما تؤخذ بعد دياسه وتذريته وتنقيته كيلاً، والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلاً عُلم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حصده غير الذي يجب إيتاؤه المساكين يوم حصاده.

---

(1) جامع البيان.

● قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26].

قال الزمخشري[1]: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ﴾ وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما، وأن يؤتوا حقهم: وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد، وفقراء عاجزين عن الكسب، وكان الرجل موسراً: أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة. والشافعي لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب. وإن كانوا مياسير، أو لم يكونوا محارم: كأبناء العمّ، فحقهم صلتهم بالمودّة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك.

● قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞﴾ [الأنفال: 7-8].

قال الزمخشري[2]: بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك، ما فعله إلا لهما. وهو إثبات الإسلام وإظهاره، وإبطال الكفر ومحقه. فإن قلت: أليس هذا تكريراً؟ قلت: لا، لأنّ المعنيين متباينان، وذلك أنّ الأوّل تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض. ويجب أن يقدّر المحذوف متأخراً حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى: وقيل: قد تعلق بيقطع.

● قال تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 107].

---

(1) الكشاف.
(2) الكشاف.

قال الزمخشري[1]: ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ [المائدة: 107] أي: فعلا ما أوجب إثماً، واستوجباً أن يقال: إنهما لمن الآثمين.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة: 1-3].

قال الماوردي[2]: فيه قولان: أحدهما: أنه ما حقّ من الوعد والوعيد بحلوله.

الثاني: أنه القيامة التي يستحق فيها الوعد والوعيد، وفي تسميتها بالحاقة ثلاثة أقاويل: أحدها: ما ذكرنا من استحقاق الوعد والوعيد بالجزاء على الطاعات والمعاصي.

الثاني: لأن فيها حقائق الأمور، الثالث: لأن حقاً على المؤمن أن يخافها. وقوله: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تفخيماً لأمرها وتعظيماً لشأنها.

قال الألوسي[3]: أي الساعة أو الحالة التي يحق ويجب وقوعها أو التي تحقق وتثبت فيها الأمور الحقة من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه إذا عرف حقيقته.

---

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) روح المعاني.

حَكَمَ - أحكم

(أحكم - أبرم - أتقن - رصّ - ثقف)

- **الإحْكَامُ:** قوة المقاومة من خارج الشيء فلا يخترق ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحَجّ: 52].
- **الإبْرَامُ:** قوة التكوين من الداخل فلا يفسد ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 79].
- **الإتْقَانُ:** يجعل الشيء المتقن كاملاً لا يعاب ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النّمل: 88].
- **الرَّصُّ:** تساند الأشياء حتى تبدو شيئاً واحداً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4].
- **الثَّقَفُ:** الحذق المتميز في إدراك الشيء وفعله، ومنه المثاقفة، أي الملاعبة بالسلاح ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفَال: 57].

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات تتناول المسألة القضائية في المحاكم وخارجها والتسلسل المنطقي يفرض علينا أن نبدأ بكلمة قضى ولو كانت كلمة حَكَم هي الكلمة الرئيسية. وهذه الكلمات ليست بمعنى واحد كما يقول بعض المفسرين وإنما كل كلمة منها تعني مرحلة من مراحل الإنسان الذي يقوم بعملية القضاء.

القضاء: هو فصل خصومة بين متخاصمين والقاضي هو الذي يُنجز عمله على أتمّ وجه وأكمله بحيث يقطع النزاع واللجاجة فيه. اثنان اختصما على أمر ما مال أو بيت أو غيره وقضى القاضي بينهما قضاءً شاملاً تاماً أفرغ فيه وسعه من حيث الدليل والحيثيات والإقناع بحيث اقتنع الطرفان ولم يعد بينهما لجاجة ولا اختلاف على الموضوع وكل منهما رضي بذلك فهذا هو القاضي. وبهذه الكلمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 93] كلمة يقضي تدل على أن القاضي هذا وصل الغاية في الإتقان والإبداع في إقناع الطرفين لشدة ما عند القاضي من حكمة ودراية وقام بكل ما ينبغي للقاضي من جهد.

الحَكَم: كلمة القاضي لا تعني أن له سلطة ملزِمة فإذا كان للقاضي سلطة مُلزِمة صار حاكماً فالحاكم إذن هو القاضي الذي له سلطة ونفوذ بحيث يُلزِم الطرفين المتخاصمين بالحكم إلزاماً وكل حاكم قاضٍ لكن ليس كل قاضٍ حاكماً. والقاضي هو الذي لا يُنقض حكمه من نقص فإذا كان القاضي بالإبداع الذي ذكرناه سُمي قاضياً فإن كان له سلطة ونفوذ سمي حاكماً كما في هذا العصر فالقاضي الآن على بابه شرطة وله نفوذ ولهذا سُمي الحاكم السياسي حاكماً لأن له سلطة في تنفيذ أوامره. ونلاحظ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: 56]، ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: 69]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17]، وقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: 176].

الفصل: ورب العالمين سبحانه عندما يجلس بين المؤمنين والكافرين وبين المتخاصمين من مذاهب مختلفة يفصل تعالى بينهم في العقائد والأفكار، فالقضاء والحكم لتحقيق العدل والفصل لتحقيق الحق من الباطل. إذن القضاء يميّز العدل من الظلم والفصل يميّز الحق من الباطل ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[الدخان: 40] ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ [النبأ: 17]، ﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: 21] لأن الجدل يقوم حول أفكار وفلسفات.

الإفتاء: هو حكمٌ لسائل يسأل عن قضية تحتمل أكثر من رأي أو حكم ويستفتيك صاحبها فتفتيه بالوجه الصحيح وتعطيه الحكم الصحيح لهذه المسألة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ﴾ [النساء: 176]، ﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43] رأى رؤيا تحتمل عدة أوجه ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ [الصافات: 11]، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الصافات: 149].

وضح الفرق بين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 93] أي ينجز الأمر على أتم ما يكون و﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141] بالتنفيذ و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17] بالعقائد والأفكار وهذه هي منظومة القضاء في كتاب الله عزّ وجلّ.

حكم: مأخوذة من حُكَمة وهي حديدة توضع في فم الدابة كالحصان والبعير والبغل والحمار تمنعه من الجماح يلجمها الراكب فينتظم سير الدابة. والحاكم يمنع جماح المجرمين والظالمين والأشرار والمعتدين واللصوص بالحكم الذي يصدره (ولكم في القصاص حياة) لو لم يكن هناك حاكم لفسدت الأرض فكأن قرارات الحاكم هي التي تمنع الناس وتجعلهم منضبطين ولذلك سمي حاكماً.

والحاكم مهنة ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 26] داوود (عُيّن حاكماً وقاضياً وهو ملك يمكن أن يفرض أحكامه لأن له سلطة. ومنه الحَكَم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: 35]

والحَكَم صفة محمودة بالرجل يُعرف بها عند الناس فأهل الزراعة مثلاً يعرفون أن فلاناً خبير بأمور الزراعة فيحتكمون إليه في أمور الزراعة وهكذا في غير الزراعة أيضاً. ففي كل أسرة يوجد رجل حكيم عادل منصف فيكون حَكَماً وهي صفة في الإنسان من خبرة ودراية وكفاءة وهي ليست وظيفته، أما الحاكم فوظيفة يليها الإنسان بتعيين من الدولة.

والتحكيم غير الحُكم فالحاكم أمره مُلزِم أما الحَكَم فليس ملزِماً.

آيات محكمات: عندنا آيات متشابهات وهي التي فيها آراء مختلفة ويحصل فيها التأويل أما المحكمات فهي التي ليس لها إلا معنى واحداً كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 43] وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: 3] لم يقل أحد أن الميتة حلال وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ [النساء: 23] وهي آيات مُلزِمة لا تحتمل التأويل أو الانحراف وإنما لها معنى واحد: واجب التطبيق.

والحِكمة هي إصابة العقل بالحق والعلم.

فالقضاء يلزمك تعبّداً ولكن الحكم يلزمك تنفيذاً. في قصة داوود (في سورة صٓ): ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: 21-24].

والقصة أن داوود (لما صار ملكاً خطب في قومه خطاب العرش فأقسم أن يعدل بين الرعية وقال: (والله لأعدلنّ بينكم) ولم يقل إن شاء الله أو بإذن الله فبعث الله تعالى له ملكين في اليوم الذي كان يتعبد فيه لأنه كان يقضي يوماً ويتعبد يوماً فدخل الملكان عليه على هيئة بشر وهو في صومعته، ففزع منهما كيف دخلا وكان

أحدهما على هيئة رجل ضخم متكبر والآخر ضعيف مسكين فقال المسكين: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ [صٓ: 23] فلم يسأل داوود الطرف الآخر عن قوله فيما يدّعيه أخوه وتعاطف مع الضعيف المسكين فقال له: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ثم غادر الملكان فعرف داوود أنهما ملكان وإن هذا اختبار من الله تعالى فخرّ راكعاً وأناب. فحكمه كان خطأ لأنه قضى وهو في حالة خوف أولاً ثم لم يسمع الخصم الآخر وإنما اكتفى بسماع أحدهما.

والله تعالى جعل الميزان شعار القضاء لا يدخل فيه العواطف وإنما يجب أن تكون الكفتان متساويتين (كيلو مقابل كيلو) ولشدة القضاء ولشدة خطورته يوم القيامة فقد أهاب الرسول ﷺ بنا أن نُحسن اختيار القاضي بعد الكثير من التحذير من القضاء: «**من كان قاضياً فقضى بالجهل كان في النار وقاضٍ قضى بالجور في النار والقاضي العادل يسأل الله الكفاف**» «**من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء وُكِّل إلى نفسه**» أي قاضي يتوسط ليعيّنوه قاضياً فالله تعالى يكله إلى نفسه ولا يعينه. ولا يجب أن يتقدم إلى القضاء إلا من هو قادر عليه إذا لم يكن هناك غيره قادر على القضاء. أما يوسف (مثلاً فكان واثقاً من نفسه لما طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض ونجح في مهمته أيّما نجاح في أن يعبر المصريون في حينها تلك المحنة الهائلة). فإذا كنت عالماً ورأيت القضاة ظالمين وأن وزير العدل أو الدولة لم يحسنوا اختيار القضاة ولا تجد غيرك في المجال فعليك أن تتقدم للقضاء.

ينبغي على أولي الأمر أن يحسنوا اختيار القاضي وعلى الذي يختار أن يتحمل النتائج سلباً إن كان ظالماً فيكون له نصيب من الأجر وإن كان ظالماً كان له نصيب من الإثم. «**ليأتينّ على القاضي العدل ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة**».

وقانون المحاماة مستحدث ولا يمنعه الإسلام ولا يعارضه لأنه يطالب بحق المظلوم ويحقق العدل للمظلومين ويدافعون عنهم والإنسان المظلوم عليه أن يرفع

صوته لأن رفع الصوت له تساهم في تحقيق العدل ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 148].

ولاية القضاء على نحو من الخطورة وفي الحديث: «**ما من حاكم يحكم بين الناس إلا جاءه ملك آخذ بقفاه يرفع رأسه إلى السماء فإن قال ألقه ألقاه فهو في مهواه أربعين خريفاً**» وفي رواية فكّه العدل أو أسلمه الجور. وبقدر ما للقاضي العادل من مغانم فإن القاضي الجائر يحاسب حساباً دقيقاً «**أول من يكرّم يوم القيامة إمام عادل**» و«**ساعة من ساعات إمام عادل تساوي صلاة وصيام أربعين عاماً**» والعكس صحيح. فالقاضي بين شقيّ الرحى.

وإذا تكلمنا عن وقائع المسلمين في دقة القضاء وجدنا عجباً: (دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق فسلّم عليه فلم يرد فخرج عمر وفي طريقه التقى بعبد الرحمٰن بن عوف فأخبره ما حصل، ثم بعد فترة لقي عبد الرحمٰن بن عوف أبا بكر الصديق فسأله لماذا لم يرد على عمر فقال أبو بكر: أتاني وبين يدي خصمان قد فرّغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعمّا قالا وعمّا قلت). فعلى القاضي إذن أن يسخّر كل سمعه وعقله وبصره للقضاء ولو قرأنا شروط القاضي في كتب القضاء لرأينا عجباً والقاضي العادل والحاكم العادل والفاصل العادل يكون له بعض الأعداء فعليه أن يكون قوياً، وكان عمر بن الخطاب يقول: ما ترك الحق صديقاً لعمر. فالقاضي عليه أن لا يقبل هدية أو هبة أو عطية من أحد وله هيبة وحرس ويكون من الأنفة والعظمة وحسن الشخصية بحيث لا يجرؤ أحد على أن يعطيه هدية. هذا هو القاضي المسلم العادل وإذا كان القاضي صالحاً فالأمة صالحة والله تعالى من أسمائه العدل وبدون عدل لا تنفع العبادة والأُمة العادلة ينصرها الله تعالى ولو كانت كافرة والأمة غير العادلة يهلكها الله تعالى وإن كانت مسلمة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117]. وعلى الرغم من تدخل السياسة بالقضاء في بعض البلاد إلا أنه في معظم الدول الإسلامية القاضي مستقل عن الدولة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأوّل ذلك الحُكْمُ، وهو المنع من الظّلم، وسمّيت حَكَمَةُ الدابّة لأنّها تمنعها، يقال: حَكَمْتُ الدابّة وأَحْكَمْتُهَا. ويقال: حَكَمْتُ السّفيه وأَحْكَمْتُه: إذا أخذت على يديه.

قال الخليل[2]: الحِكْمَةُ: مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، ويقال: أَحْكَمَتْهُ التّجارب: إذا كان حكيماً. وأَحْكَمَ فلان عنّي كذا، أي: منعه. واسْتَحْكَمَ الأمر: وثُقَ. واحْتَكَمَ في ماله: إذا جاز فيه حكمه. والاسم: الأُحْكُومَة والحُكُومَة. والتَّحْكِيمُ: قول «الحَرورية»: «**لا حكم إلا لله**». وحَكَّمْنَا فلاناً أمرنا، أي: يحكم بيننا. وحَاكَمْنَاه إلى الله: دعوناه إلى حكم الله.

قال الأزهريّ[3]: من صفات الله: الحَكَمُ والحَكِيمُ والحَاكِمُ، وهو أَحْكَمُ الحَاكِمِين. ومعاني هذه الأسماء متقاربة، والله أعلم بما أراد بها، وعلينا الإيمان بأنّها من أسمائه. والحَكِيمُ يجوز أن يكون بمعنى حَاكِمٌ، مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم.

قال الجوهريّ[4]: الحُكْمُ: مصدر قولك: حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ. أي: قضى. وحَكَمَ له وحَكَمَ عليه. والحُكْمُ أيضاً: الحِكْمَةُ من العلم. والحَكِيمُ: العالم، وصاحب الحِكْمَة. والحَكِيمُ: المُتقن للأمور. وقد حَكُمَ بضم الكاف، أي: صار حَكِيماً. وأَحْكَمْتُ الشّيء فاسْتَحْكَمَ، أي: صار مُحْكَماً. والحَكَمُ، بالتّحريك: الحَاكِمُ. وفي المثل: «في بيته يُؤتى الحَكَمُ» وحَكَمٌ أيضاً: أبوحيّ من اليمن. وحَكَمَةُ الشّاة: ذقنتها.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.

*** وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم على ستة أوجه:**

1 - بمعنى المواعظ التي في القرآن من الأمر والنهي: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [البَقَرَة: 231].

2 - الفقة والمعرفة أو الفهم والعقل: قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريَم: 12].

3 - النبوة والرسالة: قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: 20].

4 - تفسير القرآن: قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: 269].

5 - القرآن: قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النّحل: 125].

6 - الصواب من القول: قال تعالى: ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عِمرَان: 81].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البَقَرَة: 113].**

قال الطبري[1]: يعني بذلك جل ثناءه: فالله يقضي فيفصل بين هؤلاء المختلفين القائل بعضهم لبعض: لستم على شيء من دينكم يوم قيام الخلق لربهم من قبورهم، فيتبين المحقّ منهم من المبطل بإثابته المحقّ ما وعد أهل طاعته على أعماله الصالحة ومجازاته المبطل منهم بما أوعد أهل الكفر به على

(1) جامع البيان.

كفرهم به فيما كانوا فيه يختلفون من أديانهم ومللهم في دار الدنيا.

قال أبو السعود[1]: أي: بين اليهود والنصارى، فإن مساقَ النظمِ لبيان حالِهم، وإنما التعرُّضُ لمقالة غيرِهم لإظهار كمالِ بطلانِ مقالهم ولأن المُحاجَّةَ المُحوِجَةَ إلى الحكم إنما وقعت بينهم.

● **قال تعالى**: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: 213].

قال الطبري[2]: يعني بذلك ليحكم الكتاب وهو التوراة بين الناس فيما اختلف المختلفون فيه فأضاف جل ثناؤه الحكم إلى الكتاب، وأنه الذي يحكم بين الناس دون النبيين والمرسلين، إذ كان من حكم من النبيين والمرسلين بحكم، إنما يحكم بما دلهم عليه الكتاب الذي أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، فكان الكتاب بدلالته على ما دل وصفه على صحته من الحكم حاكماً بين الناس، وإن كان الذي يفصل القضاء بينهم غيره.

قال القرطبي[3]: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ مسند إلى الكتاب في قول الجمهور؛ وهو نصب بإضمار أن، أي لأن يحكم، وهو مجاز مثل ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: 29]. وقيل: أي: ليحكم كل نبيّ بكتابه، وإذا حكم بالكتاب فكأنما حكَم الكتابُ. وقراءة عاصم الجَحْدريّ «ليُحكَم بين الناس» على ما لم يسمّ فاعله، وهي قراءة شاذة؛ لأنه قد تقدّم ذكر الكتاب. وقيل: المعنى ليحكم الله.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المَائدة: 1].

قال ابن عطية[4]: تقوية لهذه الأحكام الشرعية المخالفة لمعهود أحكام العرب، أي: فأنت أيها السامع لنسخ تلك العهود التي عهدت تنبه فإن الله الذي

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) المحرر الوجيز.

هو مالك الكل يحكم ما يريد لا معقب لحكمه. وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة ألفاظها لكل ذي بصر بالكلام ولمن عنده أدنى إبصار فإنها تضمنت خمسة أحكام: الأمر بالوفاء بالعقود وتحليل بهيمة الأنعام واستثناء ما تلي بعد واستثناء حال الإحرام فيما يصاد وما يقتضيه معنى الآية من إباحة الصيد لمن ليس بمحرم، وحكى النقاش أن أصحاب الكندي قالوا للكندي: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر عليه ولا يطيق هذا أحد إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد أمر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلاً عاماً ثم استثنى استثناء ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يستطيع أن يأتي أحد بهذا إلا في أجلاد.

● **قال تعالى:** ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 47].

قال البغوي(1): أمر الله الربانيين والأحبار أن يحكموا بما في التوراة، وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، الخارجون عن أمر الله تعالى.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: 3].

قال الزمخشري(2): والمعنى: أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم.

---

(1) معالم التنزيل. (2) الكشاف.

واختلافهم: أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون، وأولئك يعادونهم ويلعنونهم، وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى. وقيل: كان المسلمون إذا قالوا لهم: من خلق السماوات والأرض، أقرّوا وقالوا: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى؛ فالضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ عائد إليهم وإلى المسلمين. والمعنى: أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين.

● **قال تعالى**: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 78-79].

قال الزمخشري(1): حكم داود بالغنم لصاحب الحارث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرفق بالفريقين، فعزم عليه ليحكمنّ، فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد، ثم يترادّان. فقال: القضاء ما قضيت، وأمضى الحكم بذلك. فإن قلت: أحكما بوحي أم باجتهاد؟ قلت: حكما جميعاً بالوحي، إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان. وقيل: اجتهدا جميعاً، فجاء اجتهاد سليمان عليه السلام أشبه بالصواب. فإن قلت: ما وجه كل واحدة من الحكومتين؟ قلت: أمّا وجه حكومة داود عليه السلام، فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها إلى المجني عليه، كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه في العبد إذ جنى على النفس: يدفعه المولى بذلك أو يفديه، وعند الشافعي رضي الله عنه: يبيعه في ذلك أو يفديه. ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان

(1) الكشاف.

في الحرث. ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث، من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحارث حتى يزول الضرر والنقصان، مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً فأبق من يده: أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوّته الغاصب من منافع العبد، فإذا ظهر ترادّا، فإن قلت: فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها؟ قلت: أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه ضماناً بالليل أو بالنهار؛ إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل. وفي قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ دليل على أنّ الأصوب كان مع سليمان عليه السلام. وفي قوله ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دليل على أنهما جميعاً كانا على الصواب.

● **قال تعالى**: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: 59].

قال الطبري(1): يقول: ألا ساء الحكم الذي يحكم هؤلاء المشركون وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرّهم شركاً فيما رزقهم الله، وعبدوا من خلقهم وأنعم عليهم.

قال أبو السعود(2): حيث يجعلون ما هذا شأنُه عندهم من الهُون والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة والولد، والحالُ أنهم يتحاشَون عنه ويختارون لأنفسهم البنين، فمدارُ الخطأ جعلُهم ذلك لله سبحانه مع إبائهم إياه لا جعلُهم البنين لأنفسهم ولا عدمُ جعلهم له سبحانه، ويجوز أن يكون مدارُه التعكيس لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النّجم: 22].

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: 4].

---

(1) جامع البيان.

(2) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي[1]: يعني حكمهم بأنهم يعصون ويخالفون أمر الله ولا يعاقبون حكم سيء فإن الحكم الحسن لا يكون إلا حكم العقل أو حكم الشرع والعقل لا يحكم على الله بذلك فإن الله له أن يفعل ما يريد والشرع حكمه بخلاف ما قالوه، فحكمهم حكم في غاية السوء والرداءة.

● **قال تعالى**: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 46].

قال الألوسي[2]: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ للحصر أي: أنت تحكم وحدك بين العباد فيما استمر اختلافهم فيه حكماً يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي أو الأخروي، والمقصود من الحكم بين العباد الحكم بينه عليه الصلاة والسلام وبين هؤلاء الكفرة.

● **قال تعالى**: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: 35].

قال القرطبي[3]: ﴿تَحْكُمُونَ﴾ أي: لأنفسكم وتقضون بهذا الباطل الصراح، تعبدون آلهة لا تغني عن أنفسها شيئاً إلا أن يُفعل بها، والله يفعل ما يشاء فتتركون عبادته؛ فموضع «كيف» نصب بـ «تحكمون».

● **قال تعالى**: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصَّافات: 154].

قال النسفي[4]: هذا الحكم الفاسد.

قال البيضاويّ[5]: بما لايرتضيه العقل.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) مدارك التنزيل.
(5) أنوار التنزيل.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: 58].

قال الفخر الرازي(1): أجمعوا على أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ والتقدير: إن الله يأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النّحل: 90] وقال: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ [الأنعام: 152]. وقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [صٓ: 26] وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت وإذا حكمت عدلت وإذا استرحمت رحمت**» وعن الحسن قال: إن الله أخذ على الحكام ثلاثاً: أن لا يتبعوا الهوى، وأن يخشوه ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً.

ثم قرأ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [صٓ: 26]، وقرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: 44] إلى قوله: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ [المائدة: 44].

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة: 48].

قال الطبري(2): وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل، بكتابه الذي أنزله إليه، وهو القرآن الذي خصه بشريعته. يقول تعالى ذكره: احكم يا محمد بين أهل الكتاب والمشركين بما أنزل إليك من كتابي وأحكامي، في كلّ ما احتمكوا فيه إليك من

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.

الحدود والجروح والقود والنفوس، فارجم الزاني المحصن، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظلماً، وافقأ العين بالعين، واجدع الأنف بالأنف، فإن أنزلت إليك القرآن مصدّقاً في ذلك ما بين يديه من الكتب.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87].

قال الزمخشري(1): أي بين الفريقين، بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم. وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم، كقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: 52] أو هو عظة للمؤمنين وحثّ على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم. ويجوز أن يكون خطاباً للفريقين، أي: ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم، حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنّ حكمه حق وعدل، لا يخاف فيه الحيف.

قال الفخر الرازي(2): يعني أنه حاكم منزه عن الجور والميل والحيف، فلا بد وأن يخص المؤمن التقي بالدرجات العالية، والكافر الشقي بأنواع العقوبات، ونظيره قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: 28].

● **قال تعالى:** ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِىۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: 80].

قال الفخر الرازي(3): أي فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الانصراف إليه أو يحكم الله لي بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخي أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب وهو خير الحاكمين، لأنه لا يحكم إلا بالعدل

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) التفسير الكبير.

والحق، وبالجملة فالمراد ظهور عذر يزول معه حياؤه وخجله من أبيه أو غيره قاله انقطاعاً إلى الله تعالى في إظهار عذره بوجه من الوجوه.

● **قال تعالى**: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هُود: 45].

قال الشوكاني(1): أي: أتقن المتقنين لما يكون به الحكم، فلا يتطرق إلى حكمك نقض، وقيل: أراد بـ ﴿أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم: أي: أنت أكثر علماً وعدلاً من ذوي الحكم. وقيل: إن الحاكم بمعنى: ذي الحكمة كدارع.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التِّين: 8].

قال القرطبي(2): أي أتقن الحاكمين صنعاً في كل ما خلق. وقيل: ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التِّين: 8] قضاء بالحق، وعدلاً بين الخلق. وفيه تقدير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم. وألف الاستفهام إذا دخلت على النفي وفي الكلام معنى التوقيف صار إيجاباً.

وقيل: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: 7-8]: منسوخة بآية السيف. وقيل: هي ثابتة؛ لأنه لا تنافي بينهما. وكان ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التِّين: 8] قالا: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين؛ فيختار ذلك. والله أعلم. ورواه الترمذي عن أبي هريرة قال: من قرأ سورة «والتين والزيتون» فقرأ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التِّين: 8] فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. والله أعلم.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 220].

قال الطبري(3): يعني تعالى ذكره بذلك: إن الله عزيز في سلطانه لا يمنعه

(1) فتح القدير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.

مانع مما أحلّ بكم من عقوبة، لو أعنتكم بما يجهدكم القيام به من فرائضه، فقصرتم في القيام به، ولا يقدر دافع أن يدفعه عن ذلك ولا عن غيره مما يفعله بكم وبغيركم من ذلك لو فعله هو، لكنه بفضل رحمته منّ عليكم بترك تكليفه إياكم ذلك، وهو حكيم في ذلك لو فعله بكم، وفي غيره من أحكامه وتدبيره لا يدخل أفعاله خلل ولا نقص ولا وهي ولا عيب، لأنه فعل ذي الحكمة الذي لا يجهل عواقب الأمور، فيدخل تدبيره مذمة عاقبة، كما يدخل ذلك أفعال الخلق لجهلهم بعواقب الأمور، لسوء اختيارهم فيها ابتداء.

● **قال تعالى:** ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

قال الفخر الرازي(1): والعزيز: هو القادر الذي لا يغلب، والحكيم هو العالم الذي لا يجهل شيئاً، وإذا كان عالماً قادراً كان ما يفعله صواباً ومبرأ عن العبث والسفه، ولولا كونه كذلك لما صح منه إجابة الدعاء ولا بعثة الرسل، ولا إنزال الكتاب، واعلم أن العزيز من صفات الذات إذا أريد اقتداره على الأشياء وامتناعه من الهضم والذلة، لأنه إذا كان منزهاً عن الحاجات لم تلحقه ذلة المحتاج، ولا يجوز أن يمنع من مراده حتى يلحقه اهتضام، فهو عزيز لا محالة، وأما الحكيم فإذا أريد به معنى العليم فهو من صفات الذات، فإذا أريد بالعزة كمال العزة وهو الامتناع من استيلاء الغير عليه، وأريد بالحكمة أفعال الحكمة لم يكن العزيز والحكيم من صفات الذات بل من صفات الفعل، واحتج النظام على أنه تعالى غير قادر على القبيح بأن قال: الإلٰه يجب أن يكون حكيماً لذاته، وإذا كان حكيماً لذاته لم يكن القبيح مقدوراً، والحكمة لذاتها تنافي فعل القبيح، فالإلٰه يستحيل منه فعل القبيح، وما كان محال لم يكن مقدوراً، إنما قلنا: الإلٰه يجب أن يكون حكيماً لأنه لو لم يجب ذلك لجاز تبدله بنقيضه، فحينئذ يلزم أن يكون الإلٰه

(1) التفسير الكبير.

إلٰهاً مع عدم الحكمة وذلك بالاتفاق محال، وأما أن الحكمة تنافي فعل السفه فذلك أيضاً معلوم بالبديهة، وأما أن مستلزم المنافي مناف فمعلوم بالبديهة، فإذن الإلٰهية لا يمكن تقريرها مع فعل السفه، وأما أن المحال غير مقدور فبين، فثبت أن الإلٰه لا يقدر على فعل القبيح. والجواب عنه: أما على مذهبنا فليس شيء من الأفعال سفهاً منه فزال السؤال، والله أعلم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [غافر: 8].

قال البيضاويّ[1]: ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد.

قال الألوسي[2]: ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جملتها إدخال من طلب إدخالهم الجنات فالجملة تعليل لما قبلها.

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 84].

قال الماوردي[3]: يحتمل وجهين: أحدهما: أنه يذكر ذلك صفة لتعظيمه.

الثاني: أنه يذكره تعليلاً لإلٰهيته لأنه حكيم عليم وليس في الأصنام حكيم عليم.

● **قال تعالى**: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النِّساء: 26].

قال الألوسي[4]: ﴿حَكِيمٞ﴾ مراع في جميع أفعاله الحكمة والمصلحة فيبين لمن يشاء ويهدي من يشاء ويتوب على من يشاء، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) روح المعاني.
(3) النكت والعيون.
(4) روح المعاني.

● قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

قال الزمخشري(1): أحكمها حكيم وفصلها: أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور.

● قال تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يسٓ: 2].

قال الشوكاني(2): ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ بالجرّ على أنه مقسم به ابتداء. وقيل: هو معطوف على يسٓ على تقدير كونه مجروراً بإضمار القسم. قال النقاش: لم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلاّ لمحمد ﷺ تعظيماً له وتمجيداً، والحكيم المحكم الذي لا يتناقض، ولا يتخالف، أو الحكيم قائله، وجواب القسم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يسٓ: 3].

● قال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء: 35].

قال الطبري(3): وأما قوله: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المخاطبين بهذه الآية من المأمور ببعثة الحكمين، فقال بعضهم: المأمور بذلك: السلطان الذي يرفع ذلك إليه.

وقال آخرون: بل المأمور بذلك الرجل والمرأة.

ثم اختلف أهل التأويل فيما يبعث له الحكمان، وما الذي يجوز للحكمين من الحكم بينهما، وكيف وجه بعثهما بينهما؟ فقال بعضهم: يبعثهما الزوجان بتوكيل

(1) الكشاف.
(2) فتح القدير.
(3) جامع البيان.

منهما إياهما بالنظر بينهما، وليس لهما أن يعملا شيئاً في أمرهما إلا ما وكلاهما به، أو وكله كل واحد منهما بما إليه، فيعملان بما وكلهما به من وكلهما من الرجل والمرأة فيما يجوز توكيلهما فيه، أو توكيل من وكل منهما في ذلك.

وقال آخرون: إن الذي يبعث الحكمين هو السلطان، غير أنه إنما يبعثهما ليعرفا الظالم من المظلوم منهما، ليحملهما على الواجب لكلّ واحد منهما قِبَل صاحبه لا التفريق بينهما.

وقال آخرون: بل إنما يبعث الحكمين السلطان على أن حكمهما ماض على الزوجين في الجمع والتفريق.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

قال الفخر الرازي[1]: من صفات الرسول ﷺ قوله: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: ويعلمهم الحكمة. واعلم أن الحكمة هي: الإصابة في القول والعمل، ولا يسمى حكيماً إلا من اجتمع له الأمران وقيل: أصلها من أحكمت الشيء أي: رددته، فكأن الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطأ، وذلك إنما يكون بما ذكرنا من الإصابة في القول والفعل، ووضع كل شيء موضعه.

وعبر بعض الفلاسفة عن الحكمة بأنها التشبه بالإله بقدر الطاقة البشرية. واختلف المفسرون في المراد بالحكمة هٰهنا على وجوه. أحدها: قال ابن وهب قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: معرفة الدين، والفقه فيه، والاتباع له. وثانيها: قال الشافعي رضي الله عنه: الحكمة سنة رسول الله ﷺ. وهو قول قتادة، قال أصحاب الشافعي رضي الله عنه: والدليل عليه أنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب أولاً وتعليمه ثانياً ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئاً خارجاً عن الكتاب، وليس ذلك إلا سنة الرسول عليه السلام. فإن قيل: لم لا يجوز حمله على تعليم الدلائل

(1) التفسير الكبير.

العقلية على التوحيد والعدل والنبوة؟ قلنا: لأن العقول مستقبلة بذلك فحمل هذا اللفظ على ما لا يستفاد من الشرع أولى. وثالثها: الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل، وهو مصدر بمعنى الحكم، كالقعدة والجلسة. والمعنى: يعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم، وفصل أقضيتك وأحكامك التي تعلمه إياها، ومثال هذا: الخبر والخبرة، والعذر والعذرة، والغل والغلة، والذل والذلة. ورابعها: ويعلمهم الكتاب أراد به الآيات المحكمة. (والحكمة) أراد بها الآيات المتشابهات. وخامسها: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي يعلمهم ما فيه من الأحكام. (والحكمة) أراد بها أنه يعلمهم حكمة تلك الشرائع وما فيها من وجوه المصالح والمنافع، ومن الناس من قال: الكل صفات الكتاب كأنه تعالى وصفه بأنه آيات، وبأنه كتاب، وبأنه حكمة.

● **قال تعالى:** ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

قال البيضاوي(1): ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالمقالة المحكمة، وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة.

قال الفخر الرازي(2): معناه ادع الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالحكمة، وهي البراهين القطعية اليقينية وعوام الخلق بالموعظة الحسنة، وهي الدلائل اليقينية الإقناعية الظنية، والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل.

ومن لطائف هذه الآية أنه قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة.

● **قال تعالى:** ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 43].

---

(1) أنوار التنزيل.

(2) التفسير الكبير.

قال ابن عطية[1]: ثم ذكر الله تعالى بعد تحكيمهم للنبي ﷺ بالإخلاص منهم ويبين بالقياس الصحيح أنهم لا يحكمونه إلا رغبة في ميله في هواهم وانحطاطه في شهواتهم، وذلك أنه قال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ بنية صادقة وهم قد خالفوا حكم الكتاب الذي يصدقون به وبنبوة الآتي به وتولوا عن حكم الله فيها؟ فأنت الذي لا يؤمنون بك ولا يصدقونك أحرى بأن يخالفوا حكمك، وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ أي من بعد حكم الله في التوراة في الرجم وما أشبهه من الأمور التي خالفوا فيها أمر الله تعالى.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67].

قال الطبري[2]: يقول: ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء، فإنه يحكم في خلقه بما يشاء، فينفذ فيهم حكمه، ويقضي فيهم ولا يُردّ قضاؤه.

قال المراغي[3]: أي ما الحكم في تدبير العالم ونظم الأسباب والمسببات إلا لله وحده.

● **قال تعالى**: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 83].

قال الفخر الرازي[4]: وفيه مطالب: أحدها: من الحكم ما هو كمال القوة النظرية، وذلك بإدراك الحق ومن قوله: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ كمال القوة العملية، وذلك بأن يكون عاملاً بالخير فإن كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وإنما قدم قوله: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾ على قوله: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لما أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف وبالذات.

المطلب الثاني: لما ثبت أن المراد من الحكم العلم، ثبت أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من الله أن يعطيه العلم بالله تعالى وبصفاته، وهذا يدل على أن معرفة الله تعالى لا

(1) المحرر الوجيز.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير المراغي.
(4) التفسير الكبير.

تحصل في قلب العبد إلا بخلق الله تعالى، وقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يدل على أن كون العبد صالحاً ليس إلا بخلق الله تعالى وحمل هذه الأشياء على الألطاف بعيد، لأن عند الخصم كل ما في قدرة الله تعالى من الألطاف فقد فعله فلو صرفنا الدعاء إليه لكان ذلك طلباً لتحصيل الحاصل وهو فاسد.

● قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

قال الطبري[1]: قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ فإنه يعني من الكتاب آيات، يعني بالآيات آيات القرآن. وأما المحكمات: فإنهنّ اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك. ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهنّ هنّ أمّ الكتاب، يعني بذلك أنهنّ أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم.

فتأويل الكلام إذاً: إن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هنّ أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين، وإليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام، وآيات أخر هنّ متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعاني.

(1) جامع البيان.

حلف

(حلف - آلى - أقسم - إيلاء)

- **الحَلْفُ:** اليمين التي تؤكد شيئاً مضى ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: 56].
- **آلى:** حلف غاضباً ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: 226].
- **القَسَمُ:** اليمين التي تؤكد أمراً مستقبلاً ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: 17].
- **الإيلاء:** حلف على القطع المعروف ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: 22].

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات تتناول لوازم الوفاء ومستلزماته إلزاماً والتزاماً وما يُلزِم الإنسان نفسه به من أجل عهد أو عقد أو وعد أو قسم أو نذر أو حلف بالله تعالى أو بصفة من صفاته أو اسم من أسمائه. وهو فعل أو وعد أو عهد بالماضي أو بالمستقبل يُلزم الإنسان نفسه به ويؤكد هذا الالتزام بأن تذكر اسم الله تعالى عليه أو صفة من صفاته. ولقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمات على عادته من دقة البلاغة من حيث عدم الترادف قطعاً هناك فرق بين القول: أحلف بالله أو أقسم بالله أو يمين الله أو أعاهد الله، وكل كلمة ترسم حالة لا تنطبق على الكلمة الأخرى التي ترسم حالة مغايرة.

الحلف: شيء وقع في الماضي تنفيه أو تؤكده باسم من أسماء

الله عَزَّوَجَلَّ (أحلف أني ما ذهبت) أو (والله ذهبت) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ [التوبة: 74] أي كل شيء مضى ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 62] شيء مضى.

القسم: هو عكس الحلف وهو في المستقبل كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 53] وقد وردت كلمة القسم في القرآن للدلالة على أمر سيحصل في المستقبل إلا في حالة واحدة وهي الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: 55] استخدم كلمة القسم مكان كلمة الحلف في الظاهر ولكن عند التأمل في الآية يظهر غير ذلك ونعلم أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون إلا من عند الله تعالى. فكيف استعمل كلمة القسم مع الماضي مع أن القرآن عادة يستعمل كلمة الحلف مع الماضي والقسم في الحاضر والمستقبل؟ تفسير ذلك أن الآية تتحدث في البرزخ الذي ليس فيه زمن وقلنا سابقاً أن الزمن مخلوق في الدنيا ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [التوبة: 36] وكذلك الوقت وقلنا أن الزمن وعاء الحركة وفي البرزخ ليس هناك زمن وإلا فكيف بقي طعام وشراب العزير بحالة جيدة أما حماره فأصبح عظاماً؟ لا بد أن الطعام والشراب كانا خارج الزمن ودخلا في عالم الأمر وهو الكون الأصلي، أما عالم المشاهدة فهو جزء وفرع يسير من العالم الأصلي العظيم ولا يساوي مقارنة به حلقة ملقاة في فلاة. فالآية إذن جاءت تعبيراً عن قسم على عهد ليس فيه زمن مطلقاً فتساوى الحاضر والماضي والمستقبل ونفهم أن الله تعالى لا يحدّه زمن. وكل العالم الآخر لا يحده زمن ولذلك هذا الخلود في المستقبل والسرمدية في الماضي هي خارج الزمن. ولو قال القرآن: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لقلنا من أين

يمكن للرسول أن يعلم أن الزمن يختلف نسبياً وهذا أمر ثبت علمياً ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]، فالآية ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: 55] من معجزات القرآن فما إن يموت الإنسان ويدخل عالم الأمر لا يوجد زمن محدود وإنما هو زمن مطلق ولذلك فهو خالد إلى ما لا نهاية.

الإيلاء: إلزام النفس بعدم فعل معروف لشخص معين في المستقبل ويكون عقداً بيني وبين نفسي. وكل شيء تلزم نفسك به تحت غطاء اسم من أسماء الله يسمى إيلاء. عندما يقسم الزوج أن لا يقرب زوجه في فراشها ومرت أربعة أشهر ولم يقربها تصبح الزوجة في حِلّ من الزواج بدون أن يطلقها إذا مضى عليها أربعة أشهر ومن الفقهاء من يقول أن لها الحق أن تطلّقه ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 226]، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22]، في حادثة الإفك آلى أبو بكر على نفسه ألا يعطي شيئاً في المستقبل لرجل اسمه مسطح (والله لا أعطيه بعد اليوم) كان يعطيه كثيراً ثم بعد أن وقعت حادثة الإفك وطعن مسطح في عرض السيدة عائشة رضي الله عنها فنزلت الآية توجيهاً بالاستمرار في العطاء. فالإيلاء هو أن تلزم نفسك بأن لا تفعل شيئاً كنت تعودت على فعله أما لو ألزمت نفسك أن تفعل فذلك قسم.

اليمين: هو كل ما ذكرناه سابقاً من الحلف أو القسم أو العقد أو الإيلاء كل هذا يسمى يميناً وأُخذ الاسم من أن الناس كانوا إذا تعاقدوا أو حلفوا يضع أحدهم يمينه بيمين الآخر فصارت هذه اليمين في المعاملات والمبايعات. ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 225] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: 89]، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: 94].

أصل تسمية الحلف والقسم؟

الحلف مأخوذ من السيف الحليف أي: القاطع الصارم وعندما أحلف على شيء مضى يعني أني قطعت الأمر.

أما القسم فهو من قِسمة الشيء (والله سأفعل كذا) فإني ألزمت نفسي بأن أعطيك قسماً من ما أملكه وهكذا مسألة النذر إذا حقق الله تعالى لك شيئاً تربطه بفعل من أفعال العبادة فإذا أعطاني الله تعالى نعمة من نعمه أقوم بعبادة أو طاعة ما. ويجب الوفاء بالنذر لله تعالى إذا حقق لك هذه النعمة.

هذه هي المنظومة وهي عظيمة كريمة تبيّن مدى أخلاقية الإنسان وحفظه لعهد الله تعالى ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: 89] لم يقل حلفكم أو وعدكم أو غيرها من كلمات المنظومة وإنما قال أيمانكم لأنها تشمل كل شيء.

وعندما يتحدث تعالى عن هذه المنظومة في القرآن الكريم ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النحل: 91] فالكلام في خطورة هذه الأيمان على اختلافها سواء كانت حلفاً أو عهداً أو وعداً أو قسماً أو ميثاقاً أو إيلاءً وهذه المنظومة هي أول نتاجات حسن الخُلُق من حيث أن تفي بيمينك ووعدك وعهدك وميثاقك. والرسول ﷺ رأى طفلاً هارباً من أمه وهي تناديه: تعال أعطك فسألها: «**ماذا كنت ستعطيه**» فقالت: تمراً قال: «**أما لو لم تكوني ستعطيه شيئاً لكتبت عليك في صحيفتك كذبة**». ومن الأحاديث: «**أن آية المنافق إنه إذا وعد أخلف**» وهذه قمة أخلاقيات الناس والشعوب والدول. ومن الأحاديث: «**لا تقوم الساعة حتى يقال أن في بني فلان أميناً**».

الأيمان: من الأيمان ما هو خفيف ولا يؤاخذ الإنسان عنه كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 225]، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ [المائدة: 89] والفقهاء الأوائل قالوا في هذا كلاماً كثيراً من باب التيسير

على الناس ومن هذا اللغو في الأيمان ذكروا أن يحلف الإنسان وهو ناسي أو حلف على معصية أو الحلف بأمور عادية أو في الكلام اليومي.

وهناك أيمان مهلكة وهي أبغض الأيمان وهي اليمين الغموس التي تحلف بها تقتطع مالاً أو أرضاً ليس لها شفاعة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 13] فكيف يكذب الإنسان بعد أن حلف بالله تعالى والإنسان في حياته يحلف بعظيم أو بعزيز أو بابنه مثلاً ثم يخاف أن يحنث حتى لا يصيب هذا العزيز الذي حلف به شيء! فمن أبغض الأيمان من أقسم كاذباً أن أرضاً هي له فهو في النار وإن صلّى وإن صام. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**خمس ليس لهن كفارة: الشرك بالله، قتل النفس بغير حق، بهت المؤمن، الفرار يوم الزحف، أو يمين صابرة تقتطع بها مالاً أو أرضاً بغير حق**» ومن اغتصب شبر أرض طوّق به يوم القيامة. ومن شدة اليمين الكاذبة وخطورتها ذكرها ﷺ في الحديث مقرونة بالشرك بالله وقتل النفس بغير حق.

ومن المهلكات أيضاً اليمين التي تنفق فيها السلعة كذباً.

وأن تحلف بغير الله تعالى كأن تقول: (وحياة أبي أو وشرفي) أو نحوه فهذه ماحقة يوم القيامة. عن رسول الله ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت**» وعن عبد الله بن عمر: «كل يمين يحلف بها دون الله شِرك» فعلينا أن نعوّد ألسنتنا على الحلف بالله تعالى فقط، وعن عبد الله بن مسعود قال: لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إلي من أن أحلف بغيره صادقاً.

ومن المهلكات من الأيمان الغليظة أن تعمد الكذب على شخص خداعاً له ففي الحديث: «**كفاك إثماً أن تحدّث أخاك وهو لك مصدّق وأنت كاذب**».

ومنها الحلف أمام المنبر النبوي كما في الحديث: «**لا يحلف عند هذا المنبر عبد ولا أمة على يمين كاذبة ولو على سواك رطب إلا وجبت له النار**».

أن تقول: والله إن حصل كذا فأنا بريء من الإسلام «**من حلف فهو على ما**

حلف» كل من يحلف كاذباً على حق من الحقوق فيصبح بها هكذا. فمن حلف أنه بريء من الإسلام فهو كذلك.

كثرة الحلف من الأمور الخطيرة يوم القيامة وقد ذمّ تعالى هذا في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: 10] كل حلاّف فهو مهين لأنه لا يحترم الله تعالى بكثرة حلفه والناس في حياتهم اليومية لا يكثرون الحلف بشخص عظيم أو بحاكم احتراماً له وتقديراً! وكثرة الحلف عند الناس تؤدي إلى التهلكة.

الأيمان التي لا ينبغي أن يفعلها وليس لها كفارة:

من حلف على معصية ليس له كفارة، أو حلف بقطيعة رحم يُلغي يمينه بدون كفارة، وإن كان هناك أمران جائزان فحلفت على أحدهما ورأيت غيره أفضل منه فكفّر عن الأول وأوفي بالآخر كما فعل الرسول ﷺ قال: «**والله لا أعطيكم**» ثم كفّر عن يمينه وأعطاهم. كأن تقول: بلى والله، نعم والله وغيره، أو الحلف وهو غضبان كما قال ابن عباس: لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان. أو أن تحرّم ما أحل الله تعالى لك كقولك مثلاً: والله لن آكل الفاكهة بعد اليوم فلا شيء عليك في ذلك كما في قوله تعالى للرسول ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم: 1-2] . ومن لغو اليمين أن الرجل يحلف على شيء ثم ينساه.

الحلف بغير يمين:

من جمال اللغة العربية وبهائها أن فيها أيماناً عظيمة بدون يمين وهي الصيغ اللغوية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: 4] يمكن أن أقول: إنك لصادق كأني أقسمت على صدقك لكن بدون يمين.

أنت ناجح (خبر)، إنك ناجح (سؤال مستفهم)، إنك لناجح (جواب تأكيد وإلغاء الإنكار)، وإنك لناجح (واو القسم) هذه الواو مع اللام وإن صيغة كاملة بلاغية للقسم وهي من أعظم الصيغ البلاغية وهي تغني عن القسم حتى لا يقع

الإنسان في حرج أن يُقسم بشيء وهو آثم أو حانث. وهذه اللغة لغة مباركة شرّفها الله تعالى بالقرآن وما من لغة أخرى تضاهيها في البلاغة والبراعة.

الله تعالى يوفي بوعده ولا يوفي بإيعاده فإذا قال سأعطيك الجنة سيعطيك إياها أما إذا أوعد بالنار فهو سبحانه قد يغفر من كرمه ورحمته ولا يفي بإيعاده. ومن لم يعص الله تعالى وقاراً له فهو في الجنة.

ومن أجمل الدعاء: «**اللهم اغفر لي ذنوباً جرّأني عليها طمعي في رحمتك ومغفرتك**». وقال تعالى في الحديث القدسي: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ثم جاء بقوم يذنبون**».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء واللام والفاء أصلٌ واحد، وهو الملازمة. يقال حَالَفَ فلانٌ فلاناً، إذا لازَمَه. ومن الباب الحَلِفُ؛ يقال: حَلَفَ يَحْلِفُ حَلِفاً؛ وذلك أنّ الإنسان يلزمه الثّبات عليها. ومصدره الحَلِفُ والمَحْلُوفُ أيضاً. ويقال: هذا شيء مُحْلِفٌ: إذا كان يُشَكُّ فيه فيُتَحالف عليه.

ومما شذّ عن الباب قولهم: هو حَلِيفُ اللِّسان: إذا كانَ حَديدَهُ. ومن الشاذّ الحَلْفَاءُ، نبت، الواحدة حَلْفَاءَة.

قال ابن منظور[2]: الحِلْفُ والحَلِفُ: القَسَمُ لغتان، حَلَفَ أَي: أَقْسَم، يَحْلِفُ حَلْفاً وحِلْفاً وحَلِفاً ومَحْلُوفاً، وهو أَحد ما جاء من المصادر على مَفْعُولٍ مثل المَجْلُودِ والمَعْقُولِ والمَعْسُور والمَيْسُورِ، والواحدة حَلْفةٌ.

قال الجوهري[3]: حَلَفَ أي: أقسم، يَحْلِفُ حَلْفاً وحَلِفاً ومَحْلوفاً. وأَحْلَفْتُهُ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) اللسان.
(3) الصحاح في اللغة.

أنا وحَلّفْتُهُ واسْتَحْلَفْتُهُ، كلُّه بمعنىً. والحِلْفُ بالكسر: العهدُ يكون بين القوم، وقد حالَفَهُ، أي: عاهده. وتَحالَفُوا، أي: تَعاهدوا. وفي الحديث: أنّه ﷺ حالَفَ قريش والأنصار، يعني آخَى بينهم؛ لأنَّه لا حِلْفَ في الإسلام. والحَليفُ: المُحالِفُ. ورجلٌ حَلِيفُ اللسان: إذا كان حديدَ اللسان فصيحاً. وقولهم: حَضارِ والوزنُ مُحْلِفانِ، وهما نجمانِ يطلُعان قبل سهيلٍ فيظنُّ الناس بكلِّ واحدٍ منهما أنّه سُهيلٌ، فيحلف واحدٌ أنه سهيل ويحلف آخرُ أنَّه ليس به. ومنه قولهم: كُمَيْتٌ مُحْلِفَةٌ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89].

قال الفخر الرازي(1): ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ فيه دقيقة وهي التنبيه على أن تقديم الكفارة قبل اليمين لا يجوز، وأما بعد اليمين وقبل الحنث فإنه يجوز.

قال الزمخشري(2): ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم. فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأنّ الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف، لا بنفس الحلف، والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث.

---

(1) التفسير الكبير. (2) الكشاف.

قال البغوي[1]: وحنثتم، فإن الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث.

● **قال تعالى**: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 42].

قال الطبري[2]: وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك في ترك الخروج معك اعتذاراً منهم إليك بالباطل، لتقبل منهم عذرهم، وتأذن لهم في التخلف عنك بالله كاذبين.

قال الفخر الرازي[3]: هذه الآية نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ومعنى الكلام أنه لو كانت المنافع قريبة والسفر قريباً لاتبعوك طمعاً منهم في الفوز بتلك المنافع، ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة، بسبب أنهم كانوا يستعظمون غزو الروم، فلهذا السبب تخلفوا. ثم أخبر الله تعالى أنه إذا رجع من الجهاد يجدهم يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ إما عندما يعاتبهم بسبب التخلف، وإما ابتداء على طريقة إقامة العذر في التخلف، ثم بين تعالى أنهم يهلكون أنفسهم بسبب ذلك الكذب والنفاق. وهذا يدل على أن الأيمان الكاذبة توجب الهلاك، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**اليمين الغموس تدع الديار بلاقع**».

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القَلَم: 10].

قال الزمخشري[4]: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 224].

---

(1) معالم التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.

قال الألوسي[1]: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى بهذا مزجرة لمن اعتاد الحلف لأنه جعل فاتحة المثالب وأساس الباقي وهو يدل على عدم استشعار عظمة الله عز وجل وهو أم كل شر عقداً وعملاً. وذكر بعضهم أن كثرة الحلف مذمومة ولو في الحق لما فيها من الجرأة على اسمه جل شأنه. وهذا النهي للتهييج والإلهاب أيضاً أي: دم على ما أنت عليه من عدم طاعة كل حلاف.

(1) روح المعاني.

حلق

(حلق - قصر - قطع)

■ **الحَلْقُ:** أخذ الشعر كله من أصوله ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفَتْح: 27].

■ **التَّقْصِيرُ:** أخذ الشعر جزيئاً من أصوله ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفَتْح: 27].

■ **القَطْعُ:** أخذ البعض القليل دون البعض الكثير ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [آل عِمرَان: 127].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء واللّام والقاف أصول ثلاثة: فالأوّل: تنحية الشّعر عن الرّأس، ثمّ يُحمل عليه غيره. والثّاني: يدلّ على شيء من اللالات مستدير. والثّالث: يدلّ على العُلّو. فالأوّل: حَلَقْتُ رأسي أَحْلُقُه حَلْقاً. ويقال للأكسية الخشنة الّتي تحلق الشّعر من خشونتها: مَحَالِقُ.

قال الخليل[2]: الحَلْقُ: مساغ الطّعام والشّراب، ومخرج النّفس من الحُلْقُوم، وموضع المذبح من الحَلْقِ أيضاً: ويجمع على: حُلُوق. وحَلَقَ فلان فلاناً: ضربه فأصاب حَلْقَه. والحَلَقُ: نبات لورقه حموضة، يُخلط بالوسمة للخضاب؛ الواحدة: بالهاء. والحَلْقَةُ: من القوم؛ وتجمع على: حَلَق. ومنهم من

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

يُثقل، فيقول: حَلَقَة لا يبالي. والحِلْقُ: الخاتم من فضة بلا قصّ. والحَالِقُ: الجبل المنيف المشرف. والحَالِقُ من الكرم والشّري ونحوهما: ما التوى منه وتعلق بالقضبان، لم يعرفوه.

قال الجوهريّ(1): الحَلْقَةُ بالتّسكين: الدروع، وكذلك حَلْقَةُ الباب، وحَلْقَةُ القوم؛ والجمع: الحَلَقُ، على غير قياس. والحَلْقُ: الحُلقُوم؛والجمع: الحُلُوقُ. والحِلْقُ بالكسر: خاتم الملك. والحِلْقُ أيضاً: المال الكثير. يقال: جاء فلان بالحِلْقِ والإحراف. وتَحْلِيقُ الطّائر: ارتفاعه في طيرانه. وإبل مُحَلَّقَةٌ: وسمُها الحَلَقُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ﴾ [البقرة: 196].

قال الطبري(2): يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أحصرتم فأردتم الإحلال من إحرامكم، فعليكم ما استيسر من الهدي، ولا تحلوا من إحرامكم إذا أحصرتم حتى يبلغ الهدي الذي أوجبته عليكم لإحلالكم من إحرامكم الذي أحصرتم فيه قبل تمامه وانقضاء مشاعره ومناسكه محله وذلك أن حلق الرأس إحلال من الإحرام الذي كان المحرم قد أوجبه على نفسه، فنهاه الله عن الإحلال من إحرامه بحلاقه، حتى يبلغ الهدي الذي أباح الله له الإحلال جل ثناؤه بإهدائه محله.

قال الألوسي(3): أن حلق الرأس كناية عن الحلّ الذي يحصل بالتقصير بالنسبة للنساء، والخطاب للمحصرين لأنه أقرب مذكور.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) جامع البيان.
(3) روح المعاني.

قال ابن عطية[1]: الخطاب لجميع الأمة محصراً ومخلّى، من العلماء: من يراها للمحصرين خاصة.

● **قال تعالى**: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: 27].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ حال الداخلين والداخل لا يكون الآن محرماً، والمحرم لا يكون محلقاً، فقوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ ينبىء عن الدوام فيه إلى الحلق فكأنه قال: تدخلونها آمنين متمكنين من أن تتموا الحج محلقين.

قال القرطبي[3]: والتحليق والتقصير جميعاً للرجال، ولذلك غلب المذكر على المؤنث. والحلق أفضل، وليس للنساء إلا التقصير.

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

حلقم

(حلقوم - حنجرة - حلق)

■ **الحُلْقُومُ:** مجرى الطعام والهواء إلى المعدة ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: 83].

■ **الحُنْجُرَةُ:** رأس الغلصمة من الخارج ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10].

■ **الحَلْقُ:** ما بعد الفم مباشرة من الداخل.

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1] **الحَلْقَمَةُ**: قطع الحُلْقُوم، والجميع: الحَلاَقِمُ.

قال ابن دريد[2]: يقال: حَلْقَمْتُ الرجل، إذا ضربت حُلْقُومَه.

قال الأزهري[3]: الحُلْقُومُ وهي الحنجور، وهو مخرج النفس، لا يجري فيه الطعام والشراب، والذي يجري منه الشراب والطعام يقال له المريء.

قال الجوهري[4]: الحُلْقُومُ: الحَلْقُ. وحَلْقَمَهُ، أي: قَطع حُلْقومَه.

قال الفيروزآبادي[5]: حَلْقَمَهُ: قَطَعَ حُلْقُومَه، أَحَلْقَه. ورُطَبٌ مُحَلْقِمٌ، بكسر القافِ: بَدا فيه النُّضْجُ من قِبَلِ قِمَعِها. ورُطَبةٌ حِلْقامَةٌ. واحْلَنْقَمَ: تَرَكَ الطَّعامَ.

---

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقِعَة: 83]

قال الطّبريّ[1]: يقول تعالى ذكره: فهلّا إذا بلغت النّفوس عند خروجها من أجسادكم أيّها النّاس حلاقيمكم؟

قال ابن عطيّة[2]: والحلقوم: مجرى الطّعام، وهذه الحال هي نزاع المرء للموت.

قال النسفي[3]: ممرّ الطعام والشراب.

---

(1) جامع البيان.

(2) المحرر الوجيز.

(3) مدارك التنزيل.

حلّ

(حلّ - تبوّأ - لبث - مكث - ثوى - أقام)

■ **الحُلُولُ:** النزول الإجباري ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرّعد: 31].

■ **التَّبَوُّءُ:** النزول في مكان مختار لميزة فيه ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يُونس: 93].

■ **اللَّبْثُ:** النزول الطويل ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [العَنكبوت: 14].

■ **المَكْثُ:** نزول مع انتظار شيء أو قضاء حاجة ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النّمل: 22].

■ **الثَّوَاءُ:** نزول مع الإقامة والاستقرار الدائمين ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر: 72].

■ **المَقَامُ:** النزول الوجيه النهائي ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريَم: 73].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء واللّام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلّها عندي فتح الشّيء، لا يشذّ عنه شيء. يقال: حَلَلْتُ العقدة أَحُلُّهَا، ويقال: «ياعاقد اذكر حَلًّا». والحَلَالُ ضدّ الحرام، وهو من الأصل الّذي ذكرناه، كأنّه من حَلَلْتُ الشّيء: إذا أبحته وأوسعته لأمر فيه.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: المَحَلُّ: نقيض المُرْتَحَل. والمَحَلُّ: مصدر كالحُلُول. والحَلُّ والحِلَالُ والحُلُول والحِلل: جماعة الحَالّ النّازل. والمَحَلَّةُ: منزل القوم. وأرض مِحْلَال، إذا أكثر القوم الحُلول بها. والحِلَّةُ قوم نزولٌ. وتقول: حَلَلْتُ العقدة أَحُلُّهَا حَلًّا، إذا فتحتها فانْحَلَّتْ.

قال الجوهريّ[2]: حَلَلْتُ العقدة أَحُلُّهَا حَلًّا: فتحتها، فانْحَلَّت. يقال: «ياعاقد اذكر حَلًّا». وحَلَّ بالمكان حَلًّا وحُلُولاً ومَحَلًّا. والمَحَلُّ أيضاً: المكان الّذي تَحُلُّهُ. وحَلَلْتُ القوم وحَلَلْتُ بهم بمعنىً. والحَلُّ: دهن السّمسم. والحِلُّ بالكسر: الحَلَالُ، وهو ضدّ الحرام.

*** وردت كلمة الحلّ في القرآن على سبعة أوجه:**

1 - فك العقدة: قال تعالى: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ [طه: 27].

2 - النزول في المكان: قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرّعد: 31].

3 - بمعنى خرج منه: قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المَائدة: 2].

4 - الإباحة: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البَقَرَة: 228].

5 - نزول العذاب والغضب: قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هُود: 39].

6 - الحليلة بمعنى الزوجة: قال تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النِّساء: 23].

7 - تحلة اليمين بمعنى ما يزال به إثم اليمين: قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التّحْريم: 2].

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [المَائدة: 1].

قال الفخر الرازيّ(1): ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [المَائدة: 1] مجمل؛ لأن الإحلال إنما يضاف إلى الأفعال، وهاهنا أضيف إلى الذات فتعذر إجراؤه على ظاهره فلا بدّ من إضمار فعل، وليس إضمار بعض الأفعال أولى من بعض، فيحتمل أن يكون المراد إحلال الانتفاع بجلدها أو عظمها أو صوفها أو لحمها، أو المراد إحلال الانتفاع بالأكل، ولا شك أن اللفظ محتمل للكل فصارت الآية مجملة، إلاّ أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5]، دل على أن المراد بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ إباحة الانتفاع بها من كل هذه الوجوه.

● قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ﴾ [المَائدة: 1].

قال الطّبريّ(2): معنى ذلك: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد وأنتم حرم، فقد أحلت لكم بهيمة الأنعام في حال إحرامكم أو غيرها من أحوالكم، إلا ما يتلى عليكم تحريمه من الميتة منها والدم وما أهلّ لغير الله به. وذلك أن قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ لو كان معناه: إلا الصيد، لقيل: إلا ما يتلى عليكم من الصيد غير محليه، وفي ترك الله وصْل قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بما ذكرت، وإظهار ذكر الصيد في قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ أوضح الدليل على أن قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ خبر متناهيةٌ قصته، وأن معنى قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ منفصل منه.

وكذلك لو كان قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ مقصوداً به قصد الوحش،

---

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

لم يكن أيضاً لإعادة ذكر الصيد في قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ وجه وقد مضى ذكره قبل، ولقيل: أحلت لكم بهيمة الأنعام، إلا ما يتلى عليكم، غير محليه وأنتم حرم. وفي إظهاره ذكر الصيد في قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ أبين الدلالة على صحة ما قلنا في معنى ذلك.

فإن قال قائل: فإن العرب ربما أظهرت ذكر الشيء باسمه وقد جرى ذكره باسمه؟ قيل: ذلك من فعلها ضرورة شعر، وليس ذلك بالفصيح المستعمل من كلامهم، وتوجيه كلام الله إلى الأفصح من لغات من نزل كلامه بلغته أولى ما وجد إلى ذلك سبيل من صرفه إلى غير ذلك. فمعنى الكلام إذن: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بعقود الله التي عقد عليكم، مما حرّم وأحلّ، لا محلين الصيد في حَرمكم، ففيما أحلّ لكم من بهيمة الأنعام المذكّاة دون ميتتها متسع لكم ومستغنى عن الصيد في حال إحرامكم.

● **قال تعالى**: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: 81].

قال الطّبريّ(1): فينزل عليكم عقوبتي.

وقد حذّر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم إياه إن هم عصوه، وخوّفهم وجوبه لهم، فسواء قرىء ذلك بالوقوع أو بالوجوب، لأنهم كانوا قد خوّفوا المعنيين كليهما.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ﴾ [المُمتَحنَة: 10].

قال القرطبيّ(2): أي لم يحل الله مؤمنة لكافر، ولا نكاح مؤمن لمشركة.

(1) جامع البيان. (2) الجامع لأحكام القرآن.

وهذا أدَلّ دليل على أن الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها إسلامُها لا هجرتها. وقال أبو حنيفة: الذي فرّق بينهما هو اختلاف الدارين، وإليه إشارة في مذهب مالك بل عبارة.

والصحيح الأول، لأن الله تعالى قال: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فبيّن أن العلة عدم الحِلّ بالإسلام وليس باختلاف الدار. والله أعلم. وقال أبو عمر: لا فرق بين الدارين لا في الكتاب ولا في السنة ولا في القياس، وإنما المراعاة في ذلك الدينان، فباختلافهما يقع الحكم وباجتماعهما، لا بالدار. والله المستعان.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 2].

قال الزّمخشريّ[1]: أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد؛ واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم. عن شرحبيل: يحرّمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله ﷺ، وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله ﷺ بالقسم ببلده، على أنّ الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد؛ واعترض بأن وعده فتح مكة تتميماً للتسلية والتنفيس عنه. فقال: وأنت حلّ بهذا البلد، يعني: وأنت حلّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر. وذلك أنّ الله فتح عليه مكة وأحلّها له، وما فتحت على أحد قبله ولا أحلّت له فأحلّ ما شاء وحرّم ما شاء. قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة. ومقيس بن صبابة وغيرهما، وحرّم دار أبي سفيان، ثم قال: «**إنّ الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم**

---

(1) الكشاف.

الساعة، لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلاّ ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها، ولا يختلي خلاها، ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلاّ لمنشد» فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا؛ فقال ﷺ: **«إلاّ الإذخر»**.

فإن قلت: أين نظير قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ في معنى الاستقبال؟ قلت: قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: 30]، ومثله واسع في كلام العباد، تقول لمن تعده الإكرام والحباء: أنت مكرم محبو، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة. وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال محال: أن السورة بالاتفاق مكية، وأين الهجرة عن وقت نزولها، فما بال الفتح.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البَقَرَة: 168]،

قال القرطبيّ[1]: (حلالاً) حال، وقيل مفعول. وسُمِّيَ الحلال حلالاً لانحلال عقدة الحَظْر عنه. قال سهل بن عبد اللّه: النّجاة في ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض، والاقتداء بالنبيّ ﷺ. وقال أبو عبد الله الساجي واسمه سعيد بن يزيد: خمس خصال بها تمام العلم، وهي: معرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق وإخلاص العمل لله، والعمل على السُّنة، وأكل الحلال؛ فإن فُقدت واحدة لم يُرْفع العمل. قال سهل: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم، ولا يكون المال حلالاً حتى يصفُوَ من ستّ خصال: الربا والحرام والسُّحْت - وهو اسم مجمل - والغُلول والمكروه والشُّبهة.

● **قال تعالى:** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ

(1) الجامع لأحكام القرآن.

وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ [النساء: 23].

قال الطّبريّ(1): وأزواج أبنائكم الّذين من أصلابكم، وهي جمع حليلة، وهي امرأته.

وقيل: سميت امرأة الرجل حليلته، لأنها تحلّ معه في فراش واحد. ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن حليلته ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح، دخل بها أو لم يدخل بها.

فإن قال قائل: فما أنت قائل في حلائل الأبناء من الرضاع، فإن الله تعالى إنما حرّم حلائل أبنائنا من أصلابنا؟ قيل: إن حلائل الأبناء من الرضاع، وحلائل الأبناء من الأصلاب سواء في التحريم، وإنما قال: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النّساء: 23] لأن معناه: وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتوهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ﴾ [البقرة: 196].

قال الطّبريّ(2): ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ﴾ كل محصر في إحرام بعمرة كان إحرام المحصر أو بحجّ، وجعل محل هديه الموضع الذي أحصر فيه، وجعل له الإحلال من إحرامه ببلوغ هديه محله. وتأول بالمحل المنحر أو المذبح، وذلك حين حلّ نحرُه أو ذبحُه في حرم كان أو في حلّ، وألزمه قضاء ما حلّ منه من إحرامه قبل إتمامه إذا وجد إليه سبيلاً، وذلك

---

(1) جامع البيان. (2) جامع البيان.

لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه صدّ عام الحديبية عن البيت وهو محرم وأصحابه بعمرة، فنحر هو وأصحابه بأمره الهديَ، وحلوا من إحرامهم قبل وصولهم إلى البيت، ثم قضوا إحرامهم الذي حلوا منه في العام الذي بعده. ولم يدّع أحد من أهل العلم بالسير ولا غيرهم أن رسول الله ﷺ ولا أحداً من أصحابه أقام على إحرامه انتظارا للوصول إلى البيت والإحلال بالطواف به وبالسعي بين الصفا والمروة، ولا يَخفَى وصول هديه إلى الحرم.

فأولى الأفعال أن يقتدى به، فعل رسول الله ﷺ، إذ لم يأت بحظره خبر، ولم تقم بالمنع منه حجة. فإذ كان ذلك كذلك، وكان أهل العلم مختلفين فيما اخترنا من القول في ذلك، فمن متأوّل معنى الآية تأويلنا، ومن مخالف ذلك، ثم كان ثابتاً بما قلنا عن رسول الله ﷺ النقل كان الذي نقل عنه أولى الأمور بتأويل الآية، إذ كانت هذه الآية لا يتدافع أهل العلم أنها يومئذٍ نزلت وفي حكم صدّ المشركين إياه عن البيت أوحيت.

حلم

(حلم - رؤيا - منام)

■ **الحُلْمُ:** أضغاث يراها في نومه لا تعني شيئاً ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يُوسُف: 44].

■ **الرُّؤْيَا:** حقائق يبثها الله لعبد من عباده على الدماغ مباشرة ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الفَتْح: 27].

■ **المَنَامُ:** وعاء النوم وهو عالم الرؤيا ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصَّافات: 102].

❊ ❊ ❊

حلم

(حلم - كظم - صبر)

■ **الحِلْمُ:** حبس الغضب في السرّ والعلن ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هُود: 75].

■ **الكَظْمُ:** حبس الغضب في العلن فقط ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 134].

■ **الصَّبْرُ:** حبس الألم مما يؤلم ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البَقَرَة: 177].

❊ ❊ ❊

الحلم

(الحلم - الرؤيا - المنام)

شرح المعاني:

هذه الكلمات تتناول منظومة ما وراء النوم وهو من عالم الأمر الذي فيه الإلهامات والإشراقات ونحن عبارة عن شاشة في هذا العالم اللامتناهي وفيه من الإعجاز واللامعقول الشيء الكثير.

المنام: هو ما تراه في نومك، والنوم وعاء المنام ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: 23] والنوم هو حالة السبات وهو إبطال حركة الحواس عن العمل وهو الوفاة كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42]. والوفاة هي المرحلة الأولى التي تسبق الموت يكون النَّفس لا يزال في صدرك ولكنك لا تشعر بمن حولك ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 83-85]. تصبح في عالم خارج الحواس والبث يكون مباشراً إلى الدماغ. وأنت نائم ترى أشياء كثيرة منها مفرح ومنها مخيف حسب ظرف النائم وحسب حالته وثقافته واهتماماته ودينه، وما يراه النائم في المنام يتكيّف مع معتقداته الدينية فالعقل الباطن هو الذي يفرز.

الحلم: هو ما لم يكن له قيمة كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ﴾ [يوسف: 44]. والضغث هو مجموعة النبات

الطري الذي لا وزن له ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44] فقد ترى في منامك أشياء لا ارتباط لها هذا يسمى حلماً.

الرؤيا: إن كان لما تراه في المنام معنى مرتّب ويقوم على أسس عالية فهو الرؤيا. والتميّز في الرؤيا يعود إلى ما في النفس من استقامة ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: 62-64].

وعندما سُئل رسول الله ﷺ عن البشرى في الدنيا قال: (**هي الرؤيا الصالحة**). من حيث أن الرؤى تتفق ونسبة عقلانية الشخص ومدى إيمانه ومدى انسجامه مع قوانين الله تعالى. وكما يقال أن العقل السليم في الجسم السليم نقول: أن الرؤيا السليمة في العقل السليم المنضبط مع قواعد الكون الموحى بها والمستكشفة من قِبل البشر. والرؤيا شيء مقدّس لهذا حذّر رسول الله ﷺ من شخص يقول رأيت وهو لم ير ومن أوّل رؤيا وهو لا يعلم بها فهذا أمر خطير. فقال: «**لعن الله من تريًّا ولم ير**».

ومن كان صادقاً في حياته كان صادقاً في رؤياه، ويوسف عليه السلام وهو النبي ابن النبي دليل على هذا ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [يوسف: 100]. حتى الرجل العادل وإن لم يكن مسلماً كرؤيا الملك في قصة يوسف ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43] كان ملكاً صالحاً عادلاً. والمعتقدات الدينية لها تأثير كبير في الرؤيا والذي يعبّر الرؤيا يجب أن يفعل ذلك من الكتاب والسنة وتعبير الرؤيا تختلف من شخص إلى آخر بحسب دينه ومعتقداته وحالته.

الرؤيا والأحلام قانون بشري فقط وهذه النعمة دليل عمل وكلنا رأينا في حياتنا رؤى كانت دليلاً على شيء في الحياة، والرؤى هي من أعظم أسباب

الهداية والدلالة. يقول ابن القيّم: من طابت يقظته طاب منامه ومن ساءت يقظته ساء منامه. وفي عهد الرسول ﷺ جاءته امرأة تخبره أنها رأت في منامها كأن الجنة فُتحت وعددت 12 اسماً من الصحابة وضعوا في نهر فرجعوا كأنهم أقمار، وفي اليوم الثاني جاءت الأخبار للرسول ﷺ أنه استشهد 12 رجلاً من المسلمين كانوا في سريّة وأسماؤهم كما ذكرت المرأة في رؤياها.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة في الرؤيا: «**لا تقوم الساعة حتى لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب**». وكأن الله عَزَّوَجَلَّ يوجه المؤمن في منامه عندما يصبح المؤمن غريباً في أهله.

الحِلم

(الحِلم - الكظم - الصبر - الصفح - الصفح الجميل - العفو)

هذه الكلمات تتناول منظومة حُسن الخُلُق. قمة ما يتمناه العبد يوم القيامة أن يُبعث في زمرة حسن الخلق. وما من شيء أثقل في ميزان العبد من الخُلُق الحسن، وصاحب الخلق الحسن ليبلغ بحسن خُلقه درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر. وفي الحديث الشريف: «**الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السيىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**». وما مدح الله تعالى نبيّاً كما مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. والحِلم بكسر الحاء قمة حسن الخلق. إذا بلغ العبد مرحلة أن يكون حليماً فقد جمعت له كل عناصر حسن الخلق، وهي عديدة وإذا بلغ مرحلة حسن الخلق فقد بلغ مرحلة كمال الخلق الحسن وقد قال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الحِلم سيد الأخلاق). وعلى الإنسان أن يتصف بصفات وأوصاف يتدرج فيها صعوداً إلى أن يصير حليماً ولهذا مدح الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: 75] بل إن الله تعالى وصف نفسه بأنه غني حليم، عليم حليم، وشكور حليم، وكل واحدة من هذه الصفات تعني مفصلاً معيناً.

الصبر: أول مراحل حسن الخلق الصبر ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: 155-156] والصبر هو حبس النفس عند المصيبة من موت أو مرض أو قتل ونحو ذلك، ويتدرج الصبر في كثير من القضايا، حينئذ نقول أن الصبر هو أول مراحل الصعود إلى حسن الخلق الكامل الذي هو الحِلم. والكلام عن الصبر يطول ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43].

كظم الغيظ: بعد الصبر العام وبعد كون الإنسان صابراً يتدرج لأن يكون كاظماً لغيظه. أن تصبر على رجل أساء إليك وتبدي غضبك فهذا أمر مقبول مع مجرد الصبر والأعلى من مجرد الصبر أن تكظم غيظك ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: 134]. اعتدى عليك أحدهم بالشتم أو السب أو الطعن في العرض فغضبت غضباً شديداً حتى صار غيظاً لكنك كظمته كما تكظم فم القِربة حتى لا يسيل الماء منها، فهذا أعلى من الصبر لأن الصبر قد يصاحبه إبداء للغضب أو شكوى من الذي أغاظك، أما كاظم الغيظ فهو لا يبدي غضبه أبداً.

الحِلم: الحِلم هو أن لا تغضب في نفسك أو في العَلَن. الحليم لا يكون في نفسه أي غضب على من أساء إليه وهذه قمة الإنسانية ولا نجد الكثيرين من هؤلاء ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]. والكل يعلم حِلم رسول الله ﷺ الذي ظهر جلياً في فتح مكة حين قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» وليس في قلبه شيء من الغضب على أهل مكة الذين أخرجوه وعذبوه هو وأصحابه. وممن عُرف بالحِلم علي بن أبي طالب والأحنف ابن قيس وعمر بن عبد العزيز. والحليم لا يغضبه شيء إلا الاعتداء على حرمات الله تعالى ولا يكون الحليم حليماً إلا وقد مرّ بعدة صفات ومواصفات من منظومة حسن الخلق، فكل حليم صابر كاظم لغيظه عفو يصفح عن الناس لكن قد يكون الإنسان صابراً ولا يكون حليماً، فالحِلم جماع الخلق الحسن ومن بلغ مرحلة الحِلم فقد فاز، ولهذا قال الإمام علي بن أبي طالب: (الحِلم سيد الأخلاق). والحِلم لا يكون إلا مع القدرة لأن غير القادر إذا حلم فحلمه يسمى جبناً. والله تعالى هو الغني الحليم والعليم الحليم. قد يكون الإنسان حليماً على غيره لكنه جاهل بوقائع الأمور ومدى تعدي المجرم فيسكت لكن الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومع هذا فهو حليم على عباده فالرجل الذي قتل مئة

نفس؛ الله تعالى وحده يعلم مدى جرم هذا الإنسان ومع هذا ومن حلمه سبحانه وتعالى غفر للقاتل بمجرد أن تاب واستغفر ربه فتاب الله تعالى عليه. وملوك الأرض عندما يكونون على حلم تنقاد لهم شعوبهم طواعية، عندما سُئل الأحنف ابن قيس: لم أنت حليم هكذا؟ قال: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وشدة الحلم أعظم درس في التربية.

حِلم الله تعالى: رب العالمين القوي الجبار المتكبر يستر ذنوب عباده مهما بلغت ويأخذ عبده المذنب يوم القيامة في كنفه فيسأله: ألم تفعل كذا في الدنيا وسترتها عليك؟ فيقول العبد: أجل يا رب، فيقول سبحانه: وأسترها عليك وأغفرها لك اليوم. وهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فكم يذنب المرء وكم تحدثه نفسه بالمعاصي والشهوات ومع علم الله تعالى بكل هذه الأحاديث لا يحاسب عليها إلا أن يفعلها الإنسان وحتى لو فعلها ثم تاب واستغفر ربه يغفر الله تعالى له.

ومن حلم الله تعالى حلمه على فرعون الذي ادعى أنه الإلٰه ومع هذا أرسل الله تعالى له نبيين وأوصاهما بأن يقولا له قولاً ليناً.

ومن حلمه تعالى أنه لو بلغت ذنوب العبد ما بلغت يغفرها الله تعالى له كما جاء في الحديث القدسي: «عبدي لو جئتني بقراب الأرض خطايا جئتك بقرابها مغفرة» فبمجرد أن يكون الإنسان موحداً يغفر الله تعالى له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 48]. والمشرك هو الذي يخرج نفسه من دائرة الإنسانية فكل المخلوقات التي خلقها الله تعالى تسبح له والإنسان الذي أسجد تعالى له ملائكته وأعطاه عقلاً استنباطياً فكفر بالله تعالى يكون من العدل أن لا يغفر الله تعالى له لأنه أخرج نفسه من دائرة الإنسانية التي كرّمه تعالى بها.

ومن حلمه سبحانه وتعالى أنه يبدل السيئات حسنات فإذا تاب المذنب بدل الله تعالى سيئاته حسنات: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: 70].

ومن ستر الله تعالى على العباد أنه لو فضح كل ذنب لما سلّم أحدنا على الآخر ولما صلّى أحد على جنازة أحد، فالله تعالى يحب الستر ويحب الستارين الذين يسترون على عباده ويكره الذين يتتبعون عورات الناس ويفضحونهم فهؤلاء يتتبع الله تعالى عوراتهم ويفضحهم يوم القيامة.

كل اسم من أسماء الله الحسنى له سرٌ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: **180**] ادعوه بها بمعنى: اعبدوه بها، وقد ثبت أن كل إنسان يفتح الله تعالى عليه باسم من أسمائه الحسنى حسب الحالة وعلينا أن نداوم على ذكر الله تعالى باسم من أسمائه كل حين ونرى أي الأسماء هي التي يفتح الله تعالى على كل منا بها. وقال العلماء: أنه من اتخذ وِرده الحليم (يا حليم يا حليم) زيّنه الله تعالى بالحلم وإذا اتخذه رئيس القوم اتصف بالحلم. ومن ذكر الله تعالى بهذا الاسم عند جبّار وقت غضبه سكن غضبه وإذا كان يعاني من مرض نفسي أو متاعب يزول ما به من حدة وشدة وهمّ. ويقول العلماء أن ذكر الله تعالى بالحليم الرؤوف المنّان ما ذكره خائف إلا أمِن.

الخطوات التي توصل إلى الحِلم:

أن تكون طلق الوجه.

أن تعود نفسك على أن تسلّم على الناس.

أن تكون رفيقاً.

أن تيسّر على الناس كما قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثتم ميسرين لا معسرين**».

أن تكون هيناً ليناً سهلاً ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: **159**].

عدم التهاجر فلا يكون حليماً من يهجر أحداً.

أن لا تروّع أحداً في حياتك «**من أخاف مسلماً أخافه الله تعالى يوم القيامة**».

أن لا تغتاب أحداً.

أن تكون سخياً معطاء جواداً.

قالوا في الحِلم:

(مَنْ حَلِمَ سَادَ). سئل الأحنف بن قيس: بم سدت قومك؟ قال: بحلمي عليهم.

لا سؤدد مع الانتقام فمن انتقم فقد شفي غيظه فلا يجب حمده.

من حلِم ساد ومن عفا عظم ومن تجاوز استمال القلوب إليه.

شدة الحلم تزيد في العمر استناداً لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: 17] فالحليم يطول عمره لأن الغليان والحقد يقصر العمر، أما الحليم فيبقى صحيح الجسم ويطول عمره.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء واللّام والميم، أُصول ثلاثة: الأوّل: ترك العجلة، والثّاني: تثقب الشّيء، والثّالث: رؤية الشّيء في المنام. وهي متباينة جدًّا، تدلّ على أنّ بعض اللّغة ليس قياساً، وإن كان أكثره مُنقاساً. فالأوّل: الحِلْمُ: خلاف الطّيش. يقال: حَلُمْتُ عنه أَحْلَمُ فأنا حَلِيمٌ. والأصل الثّاني: قولهم: حَلِمَ الأديم: إذا تثّقب وفسد؛ وذلك أن يقع فيه دوابّ تفسده. والثّالث: قد حَلَمَ في نومه حُلُماً وحُلْماً. والحَلَمُ: صغار القردان. والحَلَمَةُ: دويبة.

قال الخليل[2]: الحُلُمُ: الرّؤيا. يقال: حَلَمَ يَحْلُمُ، إذا رأى في المنام. وفي الحديث: «**من تَحَلَّمَ ما لم يَحْلَمْ**» أي: تكلف حُلْماً لم يره. والحُلُمُ: الاحتلام؛

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ويُجمع على الأَحْلَام، والفاعل حَالِمٌ ومُحْتَلِمٌ. والحِلْمُ: الأناة ؛ ويجمع على الأَحْلَام. والحُلَامُ: الجدي. وأَحْلَامُ القوم: حُلَمَاؤُهُم؛ والواحد: حَلِيمٌ. وقد حَلُمَ الرّجل يَحْلَمُ فهو حَلِيمٌ. والحَلِيمُ في صفة الله تعالى معناه الصّبور. ومن أسماء الرّجال مُحَلِّمٌ، وهو الّذي يُعلِّم غيره الحِلْمَ. وأَحْلَمَتِ المرأة: ولدت الحُلَمَاءُ. والأَحْلَامُ: الأجسام. والحَلَمَةُ - والجميع: الحَلَم - ما عظم من القُراد. وأديمٌ حَلِمٌ: قد أفسده الحَلَمُ قبل أن يُسلخ، وقد حَلِمَ حَلَماً.

قال الجوهريّ[1]: الحُلُمُ بالضمّ: ما يراه النائم. تقول منه: حَلَمَ بالفتح واحْتَلَمَ. وتقول: حَلَمْتُ بكذا وحَلَمْتُهُ أيضاً. والحِلْمُ بالكسر: الأناة. تقول منه: حَلُمَ الرّجل بالضم، وتَحَلَّمَ: تكلّف الحِلْمَ. وتَحَالَمَ: أرى من نفسه ذلك وليس به. والحَلَمُ بالتّحريك: أن يفسد الإهاب في الغمل، ويقع فيه دود فيتثقّب. تقول منه: حَلِمَ الأديم، بالكسر. والحَلَمَةُ: رأس الثدّي، وهما حَلَمَتَانِ. والحَلَمَةُ أيضاً: ضرب من النّبت.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يُوسُف: 44].

قال الزّمخشريّ[2]: تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة الشيطان. فإن قلت: ما هو إلا حلم واحد، فلم قالوا: أضغاث أحلام فجمعوا. قلت: هو كما تقول: فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز، لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة، تزيّداً في الوصف، فهؤلاء أيضاً

(1) الصحاح في اللغة. (2) الكشاف.

تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان، فجعلوه أضغاث أحلام. ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: 44] إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة، فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل، فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير.

قال ابن عطيّة[1]: فإنما نفوا عن أنفسهم عبر الأحلام لا عبر الرؤيا على الإطلاق، وقد قال النبي ﷺ: «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**». وقال للذي كان يرى رأسه يقطع ثم يرده فيرجع: «**إذا لعب الشيطان بأحدكم في النوم فلا يحدث بذلك**».

فالأحلام وحِدثان النفس ملغاة، والرؤيا هي التي تعبر ويلتمس علمها. والباء في قولهم ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾ للتأكيد، وفي قولهم: ﴿بِتَأْوِيلِ﴾ للتعدية وهي متعلقة بقولهم ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾.

و﴿ٱلْأَحْلَٰمِ﴾ جمع حلم، يقال: حلَم الرجل - بفتح اللام - يحلم: إذا خيل إليه في منامه، والأحلام مما أثبتته الشريعة، وقال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا من الله وهي المبشرة والحلم المحزن من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليتفل على يساره ثلاث مرات وليقل: أعوذ بالله من شر ما رأيت، فإنها لا تضره**» وما كان عن حديث النفس في اليقظة فإنه لا يلتفت إليه.

● **قال تعالى**: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 225].

قال الماورديّ[2]: غفور لعباده فيما لغوا من أيمانهم، حليم في تركه مقابلة أهل حسنته بالعقوبة على معاصيهم.

---

(1) المحرر الوجيز. (2) النكت والعيون.

قال الفخر الرّازيّ[1]: ومعنى (الحليم) في صفة الله الّذي لا يعجل بالعقوبة، بل يؤخّر عقوبة الكفّار والفجّار.

● **قال تعالى**: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 263].

قال الطّبريّ[2]: حليم حين لا يعجل بالعقوبة على من يمنّ بصدقته منكم، ويؤذي فيها من يتصدّق بها عليه.

قال الزّمخشريّ[3]: عن معالجته بالعقوبة، وهذا سخط منه ووعيد له.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هُود: 87].

قال الزّمخشريّ[4]: وأرادوا بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هُود: 87] نسبته إلى غاية السفه والغيّ، فعكسوا ليتهكموا به، كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبضّ حجره، فيقال له: لو أبصرك حاتم لسجد لك. وقيل: معناه إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك، يعنون أنّ ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به.

قال ابن عطيّة[5]: واختلف في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هُود: 87] فقيل: إنما كانت ألفاظهم: إنك لأنت الجاهل السفيه، فكنى الله عن ذلك وقيل: بل هذا لفظهم بعينه، إلا أنهم قالوه على جهة الاستهزاء - قاله ابن جريج وابن زيد - وقيل المعنى: إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك. وقيل: بل قالوه على جهة الحقيقة وأنه اعتقادهم فيه، فكأنهم فندوه، أي: أنه حليم رشيد فلا ينبغي لك أن تأمرنا بهذه الأوامر، ويشبه هذا المعنى قول اليهود من بني قريظة،

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) الكشاف.
(5) المحرر الوجيز.

حين قال لهم رسول الله ﷺ: «**يا إخوة القردة**»، يا محمد ما علمناك جهولاً.

والشبه بين الأمرين إنما هو المناسبة بين كلام شعيب وتلطفه، وبين ما بادر به محمد عليه السلام بني قريظة.

حلي

(حلي - زينة - زخرف - صبغة - رئية)

- **الحِلْيَةُ:** ما تلبسه المرأة من أشياء جميلة تذهل المشاهد بجمالها عما قد يكون في المرأة من قبح ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزّخرُف: 18].
- **الزِّينَةُ:** كل شيء يذهب قبح الشيء ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: 7].
- **الزُّخْرُفُ:** ما يزين البناء والثياب ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الإسرَاء: 93].
- **الصِّبْغَةُ:** ما يغير لون الشيء إلى الأفضل ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البَقَرَة: 138].
- **الرِّئْيَةُ:** التزيّن بالشارات العالية كالتاج والوسام ونحو ذلك ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريَم: 74].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه الكلمات تتناول منظومة التجمّل للإنسان أو الأشياء وكل كلمة تعطي أسلوباً مغايراً في التجمّل لا تشتمل عليه الكلمة الأخرى.

الحِلية: هي جميلة في حد ذاتها لكنها لا تزيل القبح بل تلفت الأنظار إليها

حتى يذهل الناظر عن قبح من يحملها. فالمرأة البشعة تعلّق مثلاً عقداً من اللؤلؤ في غاية الجمال يستولي على أنظار الناس فيعجبهم فيذهلون عن قبح هذه المرأة. قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18] ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 148].

الزينة: كل شيء يُذهِب الشين والقبيح ويحوله إلى زين أو حسن. الشيء إما زين أو شين، حسنٌ أو قبيح قبحاً مادياً أو معنوياً والزينة هي كل شيء يطغى على قبيح فيصبح جميلاً أو يقلب الشين زيناً. صولة أحد الجُبناء زينة له إذا قلبت رأي الناس فيه من جبان إلى شجاع. قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7]، فالأرض بجبالها وأنهارها قبيحة والله تعالى زيّنها بالحدائق والمروج وبدون هذه الزينة فالأرض في غاية القبح. وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾ [فصلت: 12] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: 6] فماذا لو كانت السماء كلها ظلمة؟ الأصل الظلمة الدامسة لكن الله تعالى زيّن السماء الموحشة السوداء المظلمة بمصابيح أزالت قبح ظلام السماء.

الصِّبغة: التلوين الذي يضفي على الشيء أو الشخص جمالاً فريداً متميزاً فإذا كان التلوين جميلاً كان ما تحته جميلاً. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾. والله تعالى يقول ما من وجه أجمل من وجه الدين من حيث أنه جعل الاختلاف أساساً في الكون ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118] واختلاف ألسنتهم وألوانهم والثمرات والجُدد والزهور فماذا لو جعل الله تعالى الزهور لوناً واحداً أو كانت كل الألوان بيضاء؟ والاختلاف أساس الحياة والاختلاف في الدين الواحد أساس له واختلاف المفسرين فِطرة فطر الله تعالى الناس عليها ولو كان هناك تفسيرٌ واحدٌ لجمد الناس عليه. وزينة الاختلاف أن ترضى بالآخر وأن توافقه إلى حد ما دام ليس منكراً. ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136] هذه صبغة الله تعالى. هل أن المسلم مختار أو يحق له أن يُنكر عيسى وموسى أو دينهم. إن ثلثي أسماء المسلمين هم أسماء أنبياء بني إسرائيل داوود وسليمان وموسى وعيسى فمن من أبناء الديانات الأخرى سمّى ابنه محمداً أو أحمداً أو عبد الله؟ الإسلام هو المتفوق الأول على كل فلسفات الدنيا من حيث شرعية الاختلاف وتعامله مع المختلفين معه من حيث الموضوعية والكرامة والرقي.

الصبغة التي صبغ الله تعالى بها وجه الإسلام هي في غاية الجمال بحيث لا يفرّق بين إنسان وإنسان فأول آية في القرآن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] وآخر آية ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 1]. اختص الإسلام بهذه الصفة الجميلة ولا نجدها عند غير المسلمين.

الرِّئْي: التزيين بالشارات كالتاج مثلاً. رُبَّ ملك قبيح ما إن تضع على رأسه التاج حتى يلفت الأنظار إليه فيبهر الرائي به نظراً لجماله. وفي قصة ملكة سبأ قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23] هذا رئي تزينت به. والأوسمة والشارات إذا كانت تختص بقوم معينين لهم مقام رفيع يسمى رئيا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: 74] فالرئي هو التجمل بالنياشين وهو الجمال والبهاء والجلال الذي يأتس من ملابس معينة وأوسمة وشارات وتيجان ونياشين تزيّن صاحبها وتجمّله. وقديماً كانت العمائم تميّز العلماء.

ومن الرئي أُخذ الرياء فالذي يرائي بعمله أو ملابسه كالذي كان يلبس الملابس الطويلة في الجاهلية في غاية الخيلاء، لهذا شرّع الإسلام قِصر الثوب فلما زال الخيلاء ولم يعد الثوب الطويل دليل الخيلاء عاد الأمر إلى ما كان عليه.

الزينة والتزين ينطبق عليها الأحكام الخمسة وهي: (حرام- واجب - مندوب - مكروه - مستحب):

حرام: ما رآه أجنبي: قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

﴿فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا﴾ [النور: 31] أي: العينان مع الكحل واليدين بدون خواتم.

وما عدا ذلك فإن تزين المرأة لزوجها واجب، وتزين الرجل عند دخول المسجد واجب (زينة في ملبسه ومشيته ورائحته) وزينة في الكلام والهمس ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31] وفي المأكل والملبس والطهارة والرائحة.

المندوب: المسلم نظيف جميل رقيق والطيب من سنن الأنبياء وعلى المسلم أن يكون نظيفاً وملابسه نظيفة ومطالب أن يكون طاهراً. «**إن الله يحب المتبذّلين**» جميل متناسق ولو كان رخيصاً.

والزينة المحرمة هي كل ما يلفت نظر الأجنبي ويستهويه..

والزينة أنواع:

زينة نفسية كالعلم والإحسان والحِلم والرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه وأن تكون مبتسماً.

وزينة بدنية كالقوة التي تستعمل في طاعة الله تعالى وسلامة الحواس والطول ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةٗ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ﴾ [البقرة: 247]. ومن زينة الإنسان أن يكون عقله وحواسه سليمة (واجعله الوارث منا).

وهناك زينة اجتماعية أن تكون جميلاً محبوباً متميزاً والأموال والبنون والنفوذ وحُسن النسَب وحُسن الذكر ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: 50] والكثير من الجماليات الاجتماعية التي توفر لصاحبها زينة مادية بحيث يقبل الناس عليهم بمودة ومحبة.

قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: 17] يمنّ الله تعالى على المسلمين أنه حبب إليهم الإيمان والإيمان يقبله الجميع لأنهم أحبوه وجعله تعالى زينة في قلوبهم وألغى كل الشين عنه. ومن جمال الدين أنه يوضح أهداف الحياة وما بعد

الموت وأزال القلق وأورث الطمأنينة وأزال الاضطراب وأورث الأمن وأزال الخوف وأزال النجاسة وأحلّ الطهارة وأزال الوساطة وأحلّ الزكاة وأزال القوة وأحلّ الرحمة وأزال الشحناء وأحلّ المحبة وأزال البخل وأحل السخاء وأزال الربا وأحلّ اليقين وأزال البغضاء وأحلّ المحبة. ومِنن الله تعالى على الأمة هي التي أدّت إلى أن نحب الإيمان ونحمد الله تعالى عليه ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: 17]. وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7] فحدّث ولا حرج فالإيمان زين محبب في القلوب ومن جمالياته ذكر الله تعالى (ما من ساعة ألذّ وأبهى من أن تناجي الله تعالى) وقال تعالى في الحديث القدسي: (أنا جليس من ذكرني). فإذا ذكرت الله سترى كم هو جميل هذا الإيمان.

السماء زينت بالكواكب وزينة الإنسان الثياب وزينة الصلاة الخشوع وزينة النفس الزكاة وزينة الصوم الصمت وزينة الحج التسامح وزينة العلم الحِلم (فالعالم حليم لا يغضب) وزينة الحاكم العدل وزينة التاجر الأمانة وزينة المجالس الشعر وزينة المساجد الآذان وزينة الوليمة حسن الترحيب وزينة الضيف غض البصر وزينة الخروج الهيبة والسخاء وزينة الزوجة التذلل (الكلام الطيب والمعاملة الجيدة «كوني له أمَة يكن لك عبداً») وزينة العمل الصالح الدوام وزينة الصداقة التغاضي وزينة الجوار التواصل وزينة الغنى التواضع وزينة التعامل الرفق وزينة الشهوات الحياء والعفّة (زين للناس حب الشهوات) وزينة الحساب يوم القيامة الصلاة قال ﷺ في الحديث الشريف: «**تزينوا ليوم العرض**» وزينة القبيلة الفروسية وزينة الجاه الشفاعة وزينة الليل البكاء من خشية الله وزينة النعمة الشكر ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

فكلما أعطاك الله تعالى نعمة اشكره عليها وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 7] وزينة المصيبة قول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

الزخرف: هي الزينة المزوّقة ﴿وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 35] ومنه قيل للذهب زخرف ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 93]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112] أي: المزوقات من الكلام.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء واللّام وما بعدها معتلّ، ثلاثة أصول... ويقال: حَلِيَ بعيني يَحْلَى. وتَحالَتِ المرأة: إذا أظهرت حلاوة، كما يقال: تباكى وتعالى، وهو إبداؤه للشّيء لا يخفى مثله.

قال الخليل(2): والحَلْيُ: كلّ حِلْيَةٍ حَلَّيْتَ به امرأة أو سيف أو نحوه؛ والجميع: حُلِيّ. وحَلِيَتِ المرأة - لغة - أي: لَبسته. والحَلْيُ للمرأة وما سواها، فلا يقال إلاّ حِلْيَةٌ للسّيف ونحوه. والحِلّيَةُ: تَحْلِيَتُكَ وجه الرّجل إذا وصفته. ويقال: حَلِيَ منه بخير يَحْلَى مقصور، إذا أصاب خيراً.

قال الأزهريّ(3): ويقال: تَحَلَّتِ المرأة: إذا اتخذت حُلِيًّا أو لبسته.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

وحَلَّيْتُها، أي: ألبستها، واتخذته لها. والحَلِيُّ: نبْتٌ بعينه، وهو من مرتع للنّعم والخيل، إذا ظهرت ثمرته أشبه الزّرع إذا أسبل.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ﴾ [الرّعد: 17].

قال الطّبريّ(1): ومثل آخر للحقّ والباطل، مثل فضّة أو ذهب يوقد عليها النّاس في النّار، طلب حلية يتّخذونها.

قال البغويّ(2): أي: أطلب زينة، وأراد الذّهب والفضّة، لأنّ الحلية تطلب منهما.

قال الزّمخشريّ(3): فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ﴾ [الرعد: 17] قلت: الفائدة فيه كالفائدة في قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ لأنّ المعنى: وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب، وهو الحلية والمتاع. وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾ عبارة جامعة لأنواع الفلز، مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك، نحو ما جاء في ذكر الآجر: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: 38].

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ [الأعراف: 148]

قال الزّمخشريّ[1]: والحلي: اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة. فإن قلت: لم قال: من حليهم، ولم يكن الحليّ لهم، إنما كانت عوارى في أيديهم؟ قلت: الإضافة تكون بأدنى ملابسة، وكونها عوارى في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم. ألا ترى إلى قوله عزّ وعلا: ﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: 57-59].

قال أبو حيّان[2]: وإضافة الحلى إليهم إما لكونهم ملكوه من ما كان على قوم فرعون حين غرقوا ولفظهم البحر فكان كالغنيمة ولذلك أمر هارون بجمعه حتى ينظر موسى إذا رجع في أمره أو ملكوه إذ كان من أموالهم التي اغتصبها القبط بالجزية التي كانوا وضعوها عليهم فتحيل بنو إسرائيل عل استرجاعها إليهم بالعارية وإما لكونهم لم يملكوه لكن تصرفت أيديهم فيه بالعارية فصحت الإضافة إليهم لأنها تكون بأدنى ملابسة.

روى يحيى بن سلام عن الحسن: أنهم استعاروا الحلي من القبط لعرس، وقيل: اليوم زينة ولما هلك فرعون وقومه بقي الحلي معهم وكان حراماً عليهم وأخذ بنو إسرائيل في بيعه وتمحيقه، فقال السامريّ لهارون: إنه عارية وليس لنا فأمر هارون منادياً بردّ العارية ليرى فيها موسى رأيه إذا جاء فجمعه وأودعه هارون عند السامري وكان صائغاً فصاغ لهم صورة عجل من الحلي، وقيل: منعهم من ردّ العارية خوفهم أن يطلع القبط على سُراهم إذ كان تعالى أمر موسى أن يسري بهم.

---

(1) الكشاف.

(2) البحر المحيط.

حمأ

(حمأ - حميم - صديد - غساق)

■ **الحَمَأُ:** الطين الأسود الحار المنتن ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86].

■ **الحَمِيمُ:** الماء الشديد الحرارة ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

■ **الصَّدِيدُ:** ما حال بين اللحم والجلد من السائل النتن ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16].

■ **الغَسَّاقُ:** ما يقطر من جلود أهل النار ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: 24، 25].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الحَمْوُ: أبو الزّوج، وأخو الزّوج، وكلّ من ولي الزّوج من ذي قرابته، فهم أَحْمَاءُ المرأة. وأُم زوجها: حَمَاتُهَا. وفي الحَمْوِ ثلاث لغات: حَمَاهَا مثل عصاها، وحَمُوهَا مثل أبوها، وحَمُؤُهَا مقصور مهموز مثل كمْؤها. ويقول العرب: حمأة حامية وكنّة كاوية. وتقول: هذا حَمُوك ومررت بحَمِيكَ ورأيت حَمَاكِ مخفّف بلا همز. والهمز لغة رديئة. وأمّا بالهمز فتقول: هذا حَمْؤُكَ، ورأيت حَمَاك. ومررت بحَمِيك، مخفّف مهموز. والحَمَاةُ: لحمة مُنتبرة في باطن السّاق. والحَمَأُ: الطين الأسود المُنتن.

(1) العين.

قال الجوهري(1): الحَمَأُ: الطين الأسود، قال تعالى: ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: 26]. وكذلك الحَمْأَةُ بالتّسكين، تقول منه: حَمَأْتُ البئر حَمْأً بالتّسكين: إذا نزعت حَمْأَتَها. والحَمْءُ: كلّ من كان من قبل الزّوج، مثل الأخ والأب، وفيه أربع لغات: حَمْءٌ بالهمز. وحَماً مثل قفاً، وحَمُو مثل أبو، وحَمٌ مثل أبٍ؛ والجمع: الأَحْمَاءُ.

قال الزمخْشريّ(2): عين حَمِئَةٌ: كثيرة الحَمْأَةِ، وقد حَمِئَتْ. وحَمَأْتُ البئر: نزعت حَمَأَهَا. وأَحْمَأْتُهَا: ألقيته فيها، ونظيره: قذيت العين وأقذيتها، ونظير الحَمْأَةِ والحَمَإِ: الحلقة والحلق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: 33].

قال الطّبريّ(3): جمع حمأة، هو الطّين المتغيّر إلى السّواد.

قال الزّمخشريّ(4): الطّين الأسود المتغيّر... (من حمأ) صفة لـ (صلصال)، أي: خلقه من صلصال كائن من حمإ.

قال أبو حيّان(5): والحمأ: طين أسود منتن؛ واحده: حمأة بتحريك الميم.

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ﴾ [الكهف: 86].

(1) الصحاح في اللغة.
(2) أساس البلاغة.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) البحر المحيط.

قال الطّبريّ[1]: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة: ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ بمعنى: أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة، وقرأته جماعة من قراء المدينة، وعامّة قرّاء الكوفة: «في عَيْنٍ حَامِيَةٍ» يعني أنها تغرب في عين ماء حارّة.

واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القرّاء في قراءته. . . وقال آخرون: بل هي تغيب في عين حارّة.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولكلّ واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارّة ذات حمأة وطين، فيكون القارىء في عين حامية وصفها بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارىء في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين.

قال ابن عطيّة[2]: ومن قرأ (حامئة)، وجّهها إلى الحرارة. . . فهذا يدل على أن العين هنالك حارة، و«حامية» هي قراءة طلحة بن عبيد الله، وعمرو بن العاص وابنه، وابن عمر، وذهب الطبري إلى الجمع بين الأمرين: فيقال يحتمل أن تكون العين حارة، ذات حمأة فكل قراءة وصف بصفة من أحوالها، وذهب بعض البغداديين إلى أن (في) بمنزلة عند، كأنها مسامتة من الأرض فيما يرى الرائي لـ ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وقال بعضهم: قوله: ﴿فِى عَيْنٍ﴾ إنما المراد أن ذا القرنين كان فيها، أي هي آخر الأرض.

وظاهر هذه الأقوال تخيل والله أعلم، قال أبو حاتم: وقد يمكن أن تكون «حاميئة» مهموزة، بمعنى ذات حمأة، فتكون القراءتان بمعنى واحد.

---

(1) جامع البيان. (2) المحرر الوجيز.

حمد

(حمد - ثنى - شكر)

- **الحَمْدُ:** ذكر محامد وفضائل من أنعم عليك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: 39].
- **الثناء:** ذكر المحامد والفضائل العامّة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: 87].
- **الشكر:** إظهار النعمة والتحدث بها لمكافأتها ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

هذه الكلمات تمثل منظومة التسبيح وهي تتعلق بذات الله تعالى حمداً وشكراً. والتسبيح يشمل كل هذه الكلمات، فالتسبيح هو أن تشكر الله تعالى وتحمده وتوقره وتثني عليه وتكبره وتعظمه وكل هذا نوع من أنواع التسبيح. وكلمات هذه المنظومة هي الكلمات التي يتعامل بها العبد مع الله عَزَّوَجَلَّ وما من أحد أحب إليه المدح من الله عَزَّوَجَلَّ ، والحمد لله تملأ الميزان كما في الحديث الصحيح. الفروق بين الكلمات في كتاب الله تعالى هي فروق لا يتوصل إليها إلا أصحاب الحس الرفيع المرهف في هذه اللغة العظيمة ومن عظمتها وبلاغتها أن الله تعالى جعلها لغة أهل الجنة وستكون متعة المتع أن يتخاطب بها الناس في الجنة في غاية الإتقان لبلاغتها وفصاحتها وجمالها وروعة نسجها.

الحمد والشكر: الحمد على الصَّنعة والصنيع والشكر على النعم والأنعام. إذا رأيت رجلاً يصنع شيئاً دقيقاً جميلاً أو عظيماً فإنك تحمده على ذلك فهذه صنعة، فإن أسدى إليك فعلاً يسعدك كأن يعفو عنك أو يتوسل لك أو يتجاوز عن هفواتك وعثراتك فهو صنيع. والصنائع هي الأفعال المحبوبة كما جاء في الحديث: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**» وهي الكرم والسخاء والحِلم والضيافة وقضاء حوائج الناس والشفاعة لهم. والصنعة جمعها صناعات والصنيعة جمعها صنائع، فإذا أسدى أحدهم معروفاً أو صنيعاً استوجب حمدك له على هذا الصنيع. أما الشكر فيكون على النعمة كأن يعطيك أحدهم هدية أو زوجك ابنته فهذا عطاء مادي تلمسه فهو يستحق الشكر وأن تستعمل هذه النعمة استعمالاً يُسرّ المنعم عليك بها. وعندما يصنع لك أحد صنيعاً تحمده لتشعره بمدى إعجابك بما صنعه ويستحق الحمد عليه؛ وهذا هو الفرق الدقيق بين الحمد والشكر. أن تحمد الله تعالى على الصنعة والصنيع وأن تشكره على النعمة التي تصل إليك مادياً. الله تعالى أعطانا سمعاً وبصراً وأولاداً وسخّر الشمس والقمر والنجوم هذا يستحق أن نشكره عليه ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] ولم يقل ولئن حمدتم فإن حمدته على خلق السمٰوات والأرض فكيف يزيد لك في ذلك هل يخلق سماء وأرضاً أخرى؟.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1] هذه كلها صنائع نحمده على الصنعة والصنيع ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: 28] ونشكره على النعم. ما من باب يمكن أن تحمد الله وتشكره كأن تفعل ذلك من خلال أسمائه الحسنى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180] عندما تحصي هذه الأسماء وسبق أن فصلنا أن الإحصاء غير العدّ، فالعدّ هو أن تقول الله

الرحمٰن الرحيم، أما الإحصاء فهو ماذا يعني كل اسم وكيف تستعمله وكيف تعبده بهذا الاسم كالرحمٰن والرحيم والمتكبر. لكي تحمد الله حق حمده وتعبده حق عبادته عليك أن تفعل ذلك من خلال تلمّس حسن صنعه وصنيعه وتمام نعمته عليك من خلال أسمائه الحسنى، وهذا باب على المسلمين أن يتعلموا هذه الأسماء الحسنى وفي الحديث: «**إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» ولم يقل من عدّها. والإحصاء شغل المفكرين والعارفين والإحصاء أن تدرك جوانب هذا الاسم وعلاقته بالأسماء الأخرى وكل عبد من عباد الله تعالى سوف يكتشف أن هناك اسماً معيناً يحتاج في العلاقة بينه وبين ربه.

الثناء: هو نفس الحمد بفارق أن الثناء ذكر الجميل تكراراً على ما يتجدد من فضل، وقد أمرنا بالتأمل في خلق الله تعالى في أواخر سورة آل عمران: «**ويل لمن قرأ الأواخر من آل عمران ولم يتفكر بها**». إذا تكرر الحمد لتكرار الصنعة والصنيع فهو الثناء لذا قال تعالى: (مثاني) كل يوم تكتشف في هذا القرآن بشائر عظيمة وصنيعة جديدة وصنعة جديدة فهذا الذي يقتضي حمداً متكرراً وهو الثناء. تَثني على فعل مرة واحدة هذا حمد وعندما تكتشف أن هذا الأمر يستدعي حمداً جديداً فهذا هو الثناء. وفي الحديث القدسي في سورة الفاتحة: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين) كم مرحمة يرحم الله تعالى بها عباده ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: 34] وكذلك رحمته لا تحصى فعليك أن تحمد الله تعالى حمداً جديداً فتُثني عليه وكذلك كتاب الله مثاني إلى يوم القيامة سيكتشف الناس فيه صنيعة عجيبة مما يستدعي تجديد الحمد له تعالى وهذا التجديد هو الثناء. فكل من يستدعي فعله أن تحمده كثيراً وتكرر الحمد لتجدد أفضاله وفضائله فهذا هو الثناء.

مجّد: نفس المعنى بفارق واحد أنك هنا تحمد الله تعالى على صنعه وصنيعه معك. أعطاك عينين جميلتين هذا خلق الله، وصنائعه كثيرة سترك وعافاك ووقاك السوء، ولو يعلم كل عبد كيف يدبر الله تعالى أمره لذاب في الله عشقاً. الله تعالى

هيّأ لك الأمور ويدبرها. المجد تذكره بالجميل لا على صنعه وصنائعه ولا نعمه وإنما على مُلكه وهيمنته فهذا هو التمجيد.

الحميد المجيد صيغة مبالغة أي: كثير الحمد وكثير التمجيد (مجدني عبدي) في حديث سورة الفاتحة. ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] ملك لا تحيط به العقول، وعندما تمجّد الملك لملكه وسعة نفوذه وجبروته وقوته وفتوحاته وعندما تذكر هذا فقد مجّدته أي: أعطيته مجداً، مَجَد يمجد فهو مجيد ومَجُد فهو ماجد. المجد هو الرفعة العليا رفعة القوة والنفوذ والكلمة (إن ربي حميد مجيد).

عظّم: فيها جزء من ما مضى بإضافة شيء واحد هو تضخم الشيء كمًّا وأثراً وتأثيراً. قد يكون هناك ملك مجيد لكن تأثيره على شعبه قليل مثل ملك بريطانيا مثلاً هذا لا يطلق عليه ملك عظيم لأنه لا يملك التأثير على شعبه ولا يحكم. الملك الذي يملك ويحكم هو العظيم. وفي رسائل الرسول ﷺ إلى المقوقس قال فيها: إلى عظيم الروم، لأنه كان ملكاً يحكم وله تأثير على شعبه.

التعظيم هو التضخيم في الأثر. يقال: ذنب عظيم أي: تأثيره قوي في أعمالك فيمحقها محقاً، ويقال: فوز عظيم أي: ليس بعده خسارة. كل عظيم متضخم كمًّا وكيفاً وتأثيراً بحيث يكون تأثيره ضخماً في كل نتائجه.

الوقر: فيها كل المعاني السابقة بزيادة أنك بمجلسه تكون ساكناً، جوارحك ساكنة لا ترفع صوتك في حضرته ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 9]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: 2-3]، ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾

[المجادلة: 12] تدخل بهدوء، حركاتك موزونة، تخفض صوتك. الرسول ﷺ قال: «**لو أوشكت الصلاة على النهاية لا تستعجل وإنما تأتي إلى الصلاة وعليك السكينة والوقار**».

السكينة: تكون في القلب من خوف أو اضطراب ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 4] والوقار يكون في الجوارح أي: حركاته موزونة، يقال: رجل وقور يتكلم بهدوء بكلام موزون تهابه، والتوقير للعين رجل يذكركم الله وجهه ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 13] عندما يذكر الله تعالى تخشع وتكون هادئاً ولا تصخب ولا يرتفع صوتك ولا تكون حركاتك صاخبة «**تعلموا العلم وتعلموا له الوقار**» كبار الصالحين تجلس أمامهم في غاية الهدوء والتوقير والسكون.

كبّر: الكبير الذي لا أحد فوقه يأمره وإنما يأمر كل من تحته ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: 111].

سبّح: التسبيح بكل ذلك عندما تحمد الله أو تشكره أو تثني عليه أو تحمده أو تعظمه أو توقره أو تكبره فإنك تسبحه. والتسبيح هو سرعة التأثر ترى طفلاً جميلاً أعجبت بجماله فلا تملك إلا أن تقول: سبحان الله. والسباحة هي الجري السريع في الهواء، واستعملت في الماء وكل شيء سريع الحركة يسمى سباحة فعندما ترى شيئاً من عجائب صنع الله فأنت تحمده وهذا تسبيح سبحان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1] كل صنعة أو نعمة من نعم الله تعالى تثير إعجابك لا بد أن تحدث واحداً من كلمات هذه المنظومة حمداً أو تكبيراً أو توقيراً أو تعظيماً أو ثناء. فهذا تسبيح أي: أسرعت بحركتك كي تحمد الله أو تثني عليه أو تكبره أو توقره سبحان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [الأنبياء: 33]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] كل صنعة أو صنيعة أو نعمة تقتضي تسبيحاً ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: 17]، سبحان ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: 1]، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 42]. كل هذه المنظومة التي تحمد الله وتشكره وتوقره تسمى تسبيحاً.

خلاصة: الحمد على حسن الصنعة والصنيع، والشكر على تمام النعمة والثناء على تعدد الفضل المتجدد في كل حال والتمجيد على المُلك والهيبة والتعظيم على ضخامة الشيء وتأثيره وأثره والتوقير على الهيبة والتكبير على التفرّد وكل هذا يسمى تسبيحاً.

لو عددنا صنائع الله تعالى ومصنوعاته التي تثير العجب الشديد، سبح بحمد ربك أي: أسرع بحمد ربك عندما ترى نعمة بالغة تسبح الله عَزَّوَجَلَّ بحمد وشكر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: 1] لو تعلم مدى إتقانه هذه صنعة جعل الله تعالى فيها شفاء من مرض وإخبار كوني ومعنى متجدد إلى يوم القيامة وفيه إشارة لكل شيء في الدنيا وعلى الرغم من الاكتشافات لم يجد أحداً متناقضاً واحداً في القرآن ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: 28] لا يتناقض مع أي حقيقة علمية.

الصنائع الحميدة كثيرة من الله تعالى تستحق الحمد، والله تعالى:

1 - فضّل الإنسان على سائر المخلوقات، أرسل الرسل لهداية الإنسان إلى توحيده وهي أعظم صنيعة وما من صنيعة على الإنسان أعظم من أن يرشده الله تعالى إلى توحيده ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: 17]، قمة الوصول إلى الله تعالى والتحضر الإنساني الذي سينشلك من عالم الحيوان هو التوحيد.

2 - جعل الأديان كلها ديناً واحداً يعترف بعضها ببعض.

3 - جعل هذه الأمة وحدها تؤمن بهذه الحقيقة إيماناً كاملاً لا توجد أمة تؤمن بباقي الرسل ولا تفرق بين أحد من الرسل مثل هذه الأمة.

4 - جعل العدل من حق الناس على اختلاف أديانهم ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن

تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58] لا فرق بين مؤمن وغير مؤمن.

5 - جعل إقامة العدل لكل حكومة مانعاً من موانع الإهلاك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

6 - من حُسن صنيعه شرّع التوبة التي تغفر الذنوب جميعاً.

7 - جعل الحسنات مضاعفة والسيئات مفردة.

8 - جعل الاختلاف بين الأمم سبباً من أسباب حماية الحياة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40].

9 - جعل كل ما تكرهه نفسك عبادة تكفّر الذنوب جميعاً من بلاء وهمّ ومرض وغمّ.

10 - رفع المسؤولية عن الإنسان عند الخطأ والنسيان وما استُكره عليه.

11 - جعل كل ما يذهب من ماله العام صدقة له.

12 - سخّر للإنسان كل شيء قبل أن يُخلق.

13 - لم يؤاخذ على الذنب إذا تبعه الاستغفار.

14 - جعل كل ظلم يصيب الإنسان مكفّراً لذنوبه.

15 - ينزل الله تعالى في كل ليلة يبسط يده ليتوب المسيء ويستجيب لمن يدعوه.

16 - جعل في الدنيا رحمة واحدة وادّخر تسعاً وتسعين رحمة ليوم القيامة (لا يدخل النار إلا شقي).

17 - شرّع الشفاعة للأنبياء والصّدّيقين والشهداء والعلماء المخلصين العاملين.

الأسماء الحسنى: من نور صنائع رب العالمين مع العبد أن شرّع الأسماء الحسنى ولو أحصيناها فعلاً لرأينا كيف رسم الله تعالى بهذه الأسماء منهجاً بحيث

لا يتحيّر العبد في عبادة لها قيمة. وحتى نستفيد من أسماء الله الحسنى علينا أن نحصيها قبل أن نعدّها. وعلى سبيل المثال:

الله: الاسم الأول تعداده 1، وإحصاؤه أن تقول أنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلٰهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، ولا يطلق هذا الاسم على غير الله لا حقيقة ولا مجازاً. حظّر العبد من هذا الاسم التألّه أن تتخذ الله إلٰهاً وليس رباً. الرب رب الكافرين والمؤمنين والله إلٰه موسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم، والله إلٰه المؤمنين به وحدهم وليس إلٰه المشركين به. الله تكررها وتفهمها على هذا النسق فإنك توحده توحيداً خالصاً ولا يمكن لعقلك أن يشذ عنها وأن تكون خالص القلب ولا تلتفت لمن سواه ولا تخاف إلا هو سبحانه فهو مركز التوحيد ومداه ومداره الحق.

الرحمن: تعداده 2، وإحصاؤه قريب من الاسم الأعظم الله بدليل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110] هو قاضي حاجات العبد في الآخرة. كم عندك من الحاجات في الآخرة فالله تعالى بصفة الرحمٰن يقضيها لك وإذا ثابرت على ذكر الرحمٰن الرحمٰن الرحمٰن سوف تصل في النهاية أن الله تعالى بسرّ هذا الاسم سيقضي كل حاجاتك يوم القيامة. والرحمٰن اسم لقاضي الحاجات لمن يستحق ولمن لا يستحق، إن الله لا يُسأل عما يفعل فقد يكون الإنسان عاصياً أو فاجراً لكن بذكرك لهذا الاسم وعبادتك لله تعالى من خلاله تنالك الرحمة فتقضى حاجاتك وإن لم تكن تستحق ذلك.

الرحيم: تعداده 3، وإحصاؤه قاضي حاجات العبد في الدنيا على الوجه العام الذي ذكرناه لمن يستحق ومن لا يستحق، فالشمس والعمر والصحة والأولاد والرزق وكل النعم التي تراها. من حيث كونه رحيماً أعطاها لمن يستحق ومن لا يستحق في الدنيا وفي الآخرة أيضاً من حيث كونه رحماناً إلا من استثناه قطعاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: 48] إذا قلت: أنت ربي ومهما كانت نياتك فأنت مرشح لأن ينالك هذا الاسم العظيم.

الملك: تعداده 4، وإحصاؤه هو الذي لا يستغني عنه شيء في شيء فكل شيء يستمد وجوده منه أو مما هو منه فهو مستغنٍ عن كل شيء وهذا هو الملك المطلق. والملك من ملوك الأرض هو الذي يستغني عن كل شيء سوى الله وتلك هي رتبة الأنبياء استغنوا في الهداية عن كل أحد إلا الله تعالى واحتاج إليهم كل أحد ويليهم العلماء ورثة الأنبياء وبهذه الصفات يقرب العبد من الملائكة بالصفات ويتوب إليه بها. قال بعضهم: أوصني قال: كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة، قال: كيف؟ قال: اقطع شهوتك وطمعك عن الدنيا تكن ملكاً في الدنيا والآخرة فإن الملك في الحرية والاستغناء.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والميم والدّال كلمة واحدة وأصل واحد، يدلّ على خلاف الذّم. يقال: حَمِدْتُ فلاناً أَحْمَدُه. ورجل مَحْمُودٌ ومُحَمَّدٌ: إذا كثرت خصاله المَحْمُودَة غير المذمومة.

قال الخليل[2]: الحَمْدُ: نقيض الذّمّ. يقال: بلوته فأَحْمَدْتُه، أي: وجدته حَميداً مَحْمُودَ الفعال. وحَمِدْتُه على ذلك، ومنه المَحْمَدَةُ. وحُمَادَاكَ أن تفعل كذا، أي: حَمْدُكَ، وحُمَادَاكَ أن تنجو من فلان رأساً برأس. والتَّحْمِيدُ: كثرة حَمْدِ الله بحسن المَحَامِدِ. وأَحْمَدَ الرّجل: أي فعل فعلاً يُحْمَدُ عليه والحَمْدُ: الثّناء.

قال الأزهريّ[3]: الشّكر لايكون إلّا ثَناء ليَدٍ أُوليتها، والحَمْدُ قد يكون شكراً للصّنيعة ويكون ابتداء للثّناء على الرّجل، فحَمْدُ الله: الثّناء عليه، ويكون شكراً لنعمه الّتي شملت الكلّ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

قال الجوهريّ[1]: الحَمْدُ: نقيض الذّمّ. تقول: حَمِدْتُ الرّجل أَحْمَدُهُ حَمْداً ومَحْمَدَةً، فهو حَمِيدٌ ومَحْمُودٌ. والتَّحْمِيدُ أبلغ من الحَمْدِ، والحَمْدُ أعمّ من الشّكر. والمُحَمَّدُ: الّذي كثرت خصاله المَحْمُودَة. والمَحْمَدَةُ: خلاف المذّمة. وأَحْمَدَ: صار أمره إلى الحَمْدِ. وأَحْمَدْتَهُ: وجدته.

*** قد وردت كلمة الحمد في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:**

1 - الثناء عليه بالجميل: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التّوبة: **112**].

2 - الصلاة: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الرُّوم: **18**].

3 - الحميد في صفات الله معناه المحمود: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: **267**].

4 - الأمر بالتحميد والتعظيم: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: **98**].

5 - الشكر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبَإ: **1**].

6 - المنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: **74**].

7 - بمعنى الأكثر حمداً: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: **6**].

8 - بمعنى كثرت خصائله المحمودة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾ [آل عِمرَان: **144**].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ

(1) الصحاح في اللغة.

﴿ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112].

قال الفخر الرّازيّ(1): ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾ وهم الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً ودنيا ويجعلون إظهار ذلك عادة لهم، وقد ذكرنا التسبيح والتهليل والتحميد صفة الذين كانوا يعبدون الله قبل خلق الدنيا، وهم الملائكة، لأنه تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا قبل خلق آدم: ونحن نسبح بحمدك، وهو صفة الذين يعبدون الله بعد خراب الدنيا. لأنه تعالى أخبر عن أهل الجنة بأنهم يحمدون الله تعالى، وهو: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10]، وهم المرادون بقوله: ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾.

قال الألوسيّ(2): أي الذين يحمدون الله تعالى على كل حال كما روي عن غير واحد من السلف، فالحمد بمعنى الوصف بالجميل مطلقاً، وقيل: هو بمعنى الشكر فيكون في مقابلة النعمة أي: الحامدون لنعمائه تعالى وأنت تعلم أن الحمد في كل حال أولى وفيه تأس برسول الله ﷺ. وجاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات** وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: **الحمد لله على كل حال**».

● **قال تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79].

قال الطّبريّ(3): أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضاً فرضته عليك، لعلّ ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاماً تقوم فيه محموداً تحمده، وتغبط فيه.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه الرسول ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم.

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي، قال: ثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79] قال: يُجْلسه معه على عرشه. وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله ﷺ.

● قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267].

قال الطّبريّ(1): إنّه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه وبسط لهم من فضله.

قال الألوسيّ(2): أي مستحقّ للحمد على نعمه، ومن جملة الحمد اللائق بحلاله تحرّي إنفاق الطّيّب ممّا أنعم به.

وقيل: حامد بقبول الجيّد والإثابة عليه.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصّف: 6].

قال القرطبيّ(3): «أحمد» اسم نبيّنا ﷺ. وهو اسم عَلَم منقول من صفة لا من فعل؛ فتلك الصفة أفعل التي يراد بها التفضيل. فمعنى «أحمد» أي: أَحْمَدُ

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

الحامدين لربّه. والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبيُّنا أحمد أكثرهم حمداً. وأما محمد فمنقول من صفة أيضاً، وهي في معنى محمود؛ ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار. فالمحمَّد هو الذي حُمِد مَرّةً بعد مرةً. كما أن المُكَرَّم من الكرم مرة بعد مرة. وكذلك الممدَّح ونحو ذلك. فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سمّاه قبل أن يُسَمِّيَ به نفسه. فهذا عَلَمٌ من أعلام نبوّته، إذ كان اسمه صادقاً عليه؛ فهو محمود في الدنيا لما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة. وهو محمود في الآخرة بالشفاعة. فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ. ثم إنه لم يكن مُحَمَّداً حتى كان أحمدَ، حَمِد ربَّه فَنَبّأه وشرّفه؛ فلذلك تقدّم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال: «اسمُهُ أَحمَدُ». وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللَّهُمَّ اجعلني من أمة أحمد. فبأحمد ذَكره قبل أن يذكره بمحمد، لأن حَمْدَه لربّه كان قبل حمد الناس له. فلما وُجد وبُعث كان محمداً بالفعل. وكذلك في الشفاعة يحمد ربّه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته.

● **قال تعالى:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: 2]

قال الطّبريّ[1]: معنى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعْبَد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم. فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً.

قال الزّمخشريّ[2]: الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

من نعمة وغيرها. تقول: حمدت الرجل على إنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته. وأمّا الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح. والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شعب الشكر، ومنه قوله عليه[الصلاة و] السلام: «**الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده**» وإنما جعله رأس الشكر؛ لأنّ ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها، أشيع لها وأدلّ على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب، وما في عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كلّ خفي ويجلي كل مشتبه. والحمد نقيضه الذمّ، والشكر نقيضه الكفران.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سَبَإ: 1].

قال الزّمخشريّ(1): ما في السماوات والأرض كله نعمة من الله، وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله، ولما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفَاتِحَة: 2] ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، كان معناه: أنه المحمود على نعم الدنيا، كما تقول: أحمد أخاك الذي كساك وحملك، تريد: أحمده على كسوته وحملانه. ولما قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ [سبأ: 1] علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب. فإن قلت: ما الفرق بين الحمدين؟ قلت: أمّا الحمد في الدنيا فواجب، لأنه على نعمة متفضل بها، وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب. وأمّا الحمد في الآخرة فليس بواجب، لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها، وإنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم: يلتذون به كما يلتذ [من به] العطاش بالماء البارد.

---

(1) الكشاف.

حَمَرَ

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والميم والرّاء أصل واحد عندي، وهو من الّذي يعرف بالحُمْرة. وقد يجوز أن يُجعل أصلين: أحدهما: هذا، والآخر جنس من الدّوابّ. فالأوّل: الحُمْرَةُ في الألوان، وهي معروفة. وأمّا الأصل الثّاني: فالحِمَارُ معروف، يقال: حِمَارٌ وحَمِيرٌ وحُمُرٌ وحُمُرات، كما يقال: صعيد وصُعد وصُعدات.

قال الخليل[2]: الحُمْرَةُ: لون الأَحْمَر. تقول: قد احْمَرَّ الشّيء احْمِراراً: إذا لزم لونه فلم يتغيّر من حال إلى حال، واحْمَارَّ يَحْمَارُّ احْمِيراراً، إذا كان عرضاً حادثاً لا يثبت، كقولك: جعل يَحْمَارُّ مرّة ويَصْفَارُّ مرّة. والحَمَرُ: داء يعتري الدابّة من كثرة الشّعير، تقول حَمِرَ يَحْمَرُ حَمَراً، وبرذون حَمِر. والحُمْرَةُ: داء يعتري النّاس فيحْمَرُّ مواضعها، يُعالج بالرّقية. والحِمَارُ: العيْر الأهلي والوحشيّ، والعدد: أَحْمِرَةٌ؛ والجميع: الحَمِيرُ والحُمُرَاتُ؛ والأُنثى: حِمَارَةٌ وأَتَانٌ. والحَمِيرَةُ: الأُشْكُزُّ: مُعرب وليس بعربيّ.

قال الجوهريّ[3]: الحُمْرَةُ: لون الأَحْمَر، وقد احْمَرَّ الشّيء واحْمَارَّ بمعنىً. وإنّما جاز إدغام احْمَارَّ، لأنّه ليس بملحق، ولو كان له في الرّباعيّ مثال لما جاز إدغامه، كما لا يجوز إدغام اقْعنسس لمّا كان ملحقاً باحْرَنْجم. ورجل أَحْمَرُ: والجمع الأَحَامِرُ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: 259].

قال الطّبريّ(1): اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك وانظر إلى إحيائي حمارك، وإلى عظامه كيف أنشزها، ثمّ أكسوها لحماً.

ثمّ اختلف متأولو ذلك في هذا التأويل، فقال بعضهم: قال الله تعالى ذكره ذلك له، بعد أن أحياه خلقاً سويًّا، ثّم أراد أن يحيي حماره، تعريفاً منه تعالى ذكره له كيفيّة إحيائه القرية الّتي رآها خاوية على عروشها، فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، مستنكراً إحياء الله إيّاها.

قال ابن عاشور(2): قيل: كان حماره قد بلي فلم تبق إلاّ عظامه فأحياه الله أمامه. ولم يؤت مع قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ بذكر الحالة التي هي محل الاعتبار لأنّ مجرد النظر إليه كاف، فإنه رآه عظاماً ثم رآه حيا، ولعلّه هلك فبقي بتلك الساحة التي كان فيها حزقيال بعيداً عن العُمران، وقد جمع الله له أنواع الإحياء إذْ أحيى جسده بنفخ الروح - عن غير إعادة - وأحيى طعامه بحفظه من التغيّر وأحيى حماره بالإعادة فكان آية عظيمة للناس الموقنين بذلك، ولعلّ الله أطْلَع على ذلك الإحياءِ بعض الأحياء من أصفيائه.

قال الألوسيّ(3): وكون المراد: انظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته، حفظناه بلا ماء وعلف حفظنا الطّعام والشّراب، ليس بشيء ولا يساعده المأثور.

---

(1) جامع البيان.
(2) التحرير والتنوير.
(3) روح المعاني.

● قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجُمُعَة: 5].

قال الطّبريّ[1]: مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذّبوا بمحمد ﷺ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها.

قال الزّمخشريّ[2]: شبه اليهود - في أنهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفاظ ما فيها، ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أنّ فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به ولم يؤمنوا به - بالحمار حمل أسفاراً، أي: كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب. وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وبئس المثل.

---

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

حمل

(حمل - ثقل - وسق - وقر)

■ **الحَمْلُ:** ما تحمله الدواب من أمتعة في الظاهر بكسر الحاء، وما تحمله الأمهات في الباطن بفتح الحاء.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 7] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ﴾ [فاطر: 11].

■ **الثِّقْلُ:** ما يسوّي أحد كفتي الميزان بالأرض ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: 6].

■ **الوَسَقُ:** الحمل المتفرق، وهو ما يحمل في الظلام من أشياء مختلفة ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: 17].

■ **الوِقْرُ:** بالكسر - الثقل على حمار أو بغل أو بعير. بالفتح - الثقل في الأذى. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ [الأنعام: 25].

* * *

شرح المعاني:

كل شيء في هذه الأرض وكل شخص لا بد أن يكون حاملاً يوماً ومحمولاً يوماً آخر أو حاملاً ساعة ومحمولاً ساعة أخرى. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: 286] محمول علينا ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن

قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: 286] وهكذا في كل حالة وحركة هناك حامل ومحمول والحامل يكون محمولاً والمحمول يكون حاملاً في تفاوت الزمان والمكان. وفي القرآن الكريم أسماء في غاية الدقة لهذه العملية.

الحَمْل والحِمْل: الفرق في حركة الحاء: حَمل بفتح الحاء هو الحمل في البطن ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: 2]، ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: 22] أما الحِمل بكسر الحاء فيكون على الرأس أو الظهر أو الكتف ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ﴾ [فاطر: 18] كل تغيّر في بنية الكلمة يغير المعنى تغييراً نسبيًّا وهذه دلالة على أن هذه اللغة هي في غاية الدقة والدلالة.

الثقل: إذا كان هذا الحمل له شأن خطير في مقداره وقدره وثمنه وأهميته وعظيم قدره يسمى ثقلاً. وهناك فرق بين من يحمل شوالاً من القش أو الحطب أو من يحمل شوالاً من الذهب أو أي شيء له ثمن. كل حمل له قدر وقيمة أو قدر ومقدار يسمى ثقلاً ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 7] هذه الإبل التي كانت تخرج من مكة والمدينة إلى الشام مرة وإلى اليمن مرة كانت تنقل المؤونة والميرة والثياب والمعادن والبضائع الغالية وإلى يومنا هذا حركة النقل البعيدة لا تكون إلا بالأشياء والبضائع الثمينة والبواخر والطائرات تنقل البضائع الضرورية غالية الثمن. (وتحمل أثقالكم). والثقل يقال لكل شيء ثمين وخطير وذي معنى عميق وقيمة عالية «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي**» أمران خطيران من حيث أثرهما على فقه المسلمين في الكتاب ووحدتهم في آل بيت النبي ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] هذا الكتاب وكم فيه عمق يتجدد كل يوم بحيث لا تنقضي عجائبه.

الوسق: هذا الحِمل إذا كان متنوعاً من أشياء مجموعة في حمل واحد يسمّى وسقاً. يقال: أوسقت الناقة أي: حمّلتها حملها لأن حمل الناقة محدود من حيث

أنه بضائع متعددة مجموعة مع بعضها. قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: 17] في الليل آيات عجيبة وكل ما فيه من الأعاجيب نظراً للسكون الذي فيه الذي يتيح لصاحب الليل الساهر نوعاً من التأمل العظيم والمناجاة والبكاء والألم والشعر وتهيج المصائب وكل شيء يتعاظم ويتضخم في الليل. ففي الليل يقول الشاعر شعراً والمصلي يتهجد واللص يبتكر الأساليب وحراس الليل ساهرون.

الوقر: الحمل إذا كان متكاملاً على الحمار أو غيره يسمى وقراً. يقال: أوقرت الحمار كاملاً.

الوِزر: هو الحمل الذي يُرتّب عليك مسؤولية خطيرة يؤدي الإخلال بها جزئياً إلى الهلاك ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: 164] فالحمل مسؤولية ولهذا سمي الوزير وزيراً لأنه يحمل وزراً أمام الملك إذا أخلّ به هلك ويحاسب عليه حساباً عظيماً ولهذا يحاسب الأولياء والعلماء والصالحون حساباً عظيماً لقربهم إلى الله تعالى ولولا أن الله تعالى تفضّل فرفع الوزر عن رسوله لكان الأمر خطيراً ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ [الشرح: 2] تكفّل تعالى بأن لا يسأل الرسول عن أي خطأ بل إذا أخطأ قدّم العفو والصفح وعاتبه عتاباً ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14]. ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: 43].

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ [النحل: 25] خطاب على الأئمة أئمة الكفر (وقاتلوا أئمة الكفر) لينين مثلاً شيء وأفراد الشيوعية من الناس البسطاء شيء آخر والأئمة أضلوا كثيراً من الشعوب عن أديانهم فحسابهم غير الآخرين فكما أن للجنة درجات فإن للنار دركات. قال تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [العنكبوت: 13] وقال: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: 25] الأثقال من شدة الخطورة أما الأوزار فمن قوة المسؤولية بيدهم الأمر والنهي.

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الحَمَلُ: الخروف؛ والجميع: الحُملان. والحمل: برجٌ من البروج الاثني عشر. والفعل: حَمَلَ يَحْمِلُ حَمْلاً وحُمْلَاناً. ويكون الحُمْلَانُ أجراً لما يُحْمَلُ. والحُمْلَانُ: ما يُحْمَلُ عليه من الدّوابّ في الهبة خاصة. وتَحَامَلْتُ في الشّيء: إذا تكلفته على مشقة. واسْتَحْمَلْتُ فلاناً نفسي، أي: حَمَّلْتُه أُموري وحوائجي. وحَمَلْتُ عنه، أي: حلمتُ عنه. والحَمْلُ: مافي البطن، والحِمْلُ: ما على الظّهر. وأمّا حَمْلُ الشّجر فيقال: ما ظهر فهو حِمْلٌ، وما بطن فهو حَمْلٌ.

قال ابن دريد[2]: الحَمَلُ من الضّأن معروف، وهو الجذع فما دونه؛ والجمع: حُمْلَان وأَحْمَال. وبه سميّت الأَحْمَال من بني تميم، وهي بطون. والحَمَلُ: السّحاب الكثير الماء. وإنّما سمّي حَمَلاً لكثرة حملة الماء. والحَمْلُ: ما كان في البطن، والحِمْل: ما على الظّهر، فلذلك اختلفوا في حِمْلُ النخّلة فكسر بعضهم وفتح بعضهم.

قال الجوهريّ[3]: حَمَلْتُ الشّيء على ظهري أَحْمِلُهُ حَمْلاً، وحَمَلَتِ المرأة والشّجرة حَمْلاً. فإذا حَمَلَتْ شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حَامِلَةٌ لا غير، لأنّ الهاء إنمّا تلحق للفرق، فأمّا ما لا يكون للمذّكر فقد استغني فيه عن علامة التّأنيث، فإن أتى لها فإنّما هو على الأصل.

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

قال الفخر الرّازيّ[1]: كيف حملها الإنسان ولم تحملها هذه الأشياء؟ فيه جوابان أحدهما: بسبب جهله بما فيها وعلمهن، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. والثاني: أن الأشياء نظرت إلى أنفسهن فرأين ضعفهن فامتنعن، والإنسان نظر إلى جانب المكلف، وقال المودع عالم قادر لا يعرض الأمانة إلا على أهلها وإذا أودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: 5]. وقوله تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إشارة إلى أن فيه مشقة بخلاف ما لو قال فأبين أن يقبلنها وقبلها الإنسان، ومن قال لغيره افعل هذا الفعل فإن لم يكن في الفعل تعب يقابل بأجرة فإذا فعله لا يستحق أجرة فقال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا﴾ إشارة إلى أنه مما يستحق الأجر عليه أي على مجرد حمل الأمانة، وإما على رعايتها حق الرعاية فيستحق الزيادة فإن قيل فالكل حملوها، غاية ما في الباب أن الكافر لم يأت بشيء زائد على الحمل فينبغي أن يستحق الأجر على الحمل فنقول الفعل إذا كان على وفق الإذن من المالك الآمر يستحق الفاعل الأجرة، ألا ترى أنه لو قال احمل هذا إلى الضيعة التي على الشمال فحمل ونقلها إلى الضيعة التي على الجنوب لا يستحق الأجرة ويلزمه ردها إلى الموضع الذي كان فيه كذلك الكافر حملها على غير وجه الإذن فغرم وزالت حسناته التي عملها بسببه.

● **قال تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ﴾ [الأنعام: 146].

---

(1) التفسير الكبير.

قال الطّبريّ[1]: يعني: إلّا شحوم الجنب، وما علق بالظّهر، فإنّها لم تحرم عليهم.

قال الزّمخشريّ[2]: يعني إلّا ما اشتمل على الظّهور والجنوب من السّخفة.

قال ابن عطيّة[3]: يريد ما اختلط باللّحم في الظّهر والأجناب ونحوه. فهي في موضع نصب عطفاً على المنصوب بالاستثناء.

● **قال تعالى**: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريَم: **22**].

قال الزّمخشريّ[4]: وقيل: حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة، حين زالت الشّمس من يومها. وقالوا: ما من مولود إلاّ يستهلّ غيره.

قال الفخر الرّازيّ[5]: اختلفوا في كيفيّة ذلك النّفخ على أقوال:

إذا عرفت هذا ظهر أنّ في الكلام حذفاً، وهو: وكان أمراً مقضياً فنفخ فيها فحملته. وليس في القرآن ما يدلّ على شيء من هذه الأحوال.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البَقَرَة: **286**].

قال الفخر الرّازيّ[6]: ذكر أهل التفسير فيه وجهين الأول: لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود.

والقول الثاني: لا تحمل علينا عهداً وميثاقاً يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: **286**] اعلم أن هذا هو النوع الثالث من دعاء المؤمنين.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.
(6) التفسير الكبير.

أي يشق فعله مشقة عظيمة وهو كما يقول الرجل: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان إذا كان مستثقلاً له.

قال أبو السّعود[1]: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ عطفٌ على ما قبله واستعفاءٌ عن العقوبات التي لا تُطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي إليه التفريطُ فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد مَنْ كُلِّفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل: لا تكلِّفْنا تلك التكاليفَ ولا تعاقِبْنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكونُ التعبيرُ عن إنزال العقوباتِ بالتحميل باعتبار ما يؤدي إليها، وقيل: هو تكريرٌ للأول وتصويرٌ للإصر بصورةِ ما لا يُستطاع مبالغة، وقيل: هو استعفاءٌ عن التكليف بما لا تفي به الطاقةُ البشرية حقيقة، فيكون دليلاً على جوازه عقلاً وإلا لما سُئل التخلصُ عنه، والتشديد هاهنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثانٍ.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: 70].

قال الطّبريّ[2]: ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: على ظهور الدّوابّ والمراكب، وفي ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ في الفلك الّتي سخّرناها لهم.

قال ابن عطيّة[3]: وحملهم ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، مما لا يصلح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يحمل بإرادته وقصده وتدبيره.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

قال الطّبريّ[4]: وقيل: حملناكم، فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحاً وولده، لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملاً لذرّيتهم على ما قد بيّنا من نظائر ذلك في أماكن كثيرة من كتابنا هذا.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) المحرر الوجيز.
(4) جامع البيان.

قال الماورديّ[1]: في قوله: ﴿حَمَلۡنَكُمۡ﴾ وجهان:

أحدهما: حملنا آباءكم الّذين أنتم من ذرّيتهم.

الثّاني: أنّهم في ظهور آبائهم المحمولين، فصاروا معهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الحَاقَّة: 14].

قال ابن عطيّة[2]: قرأ القرّاء (وحملت) بتخفيف الميم، بمعنى حملتها الرّياح والقدرة. وقرأ ابن عبّاس فيما روي عنه (وحمّلت) بشدّ الميم، وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما أنّها حاملة حملت قدرة وعنفاً وشدّة نفثها، فهي محمّلة حاملة، والآخر أن يكون محمولة حملت ملائكة أو قدرة.

قال الفخر الرّازيّ[3]: رفعت الأرض والجبال، أمّا بالزلزّلة الّتي تكون يوم القيامة، وإمّا بريح بلغت من قوة عصفها أنّها تحمل الأرض والجبال، أو بملك من الملائكة، أو بقدرة الله بدون سبب.

● **قال تعالى**: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجُمُعَة: 5].

قال الفخر الرّازيّ[4]: اعلم أنه تعالى لما أثبت التوحيد والنبوة، وبين في النبوة أنه عليه السلام بعث إلى الأميين واليهود لما أوردوا تلك الشبهة، وهي أنه عليه السلام بعث إلى العرب خاصة، ولم يبعث إليهم بمفهوم الآية أتبعه الله تعالى بضرب المثل للذين أعرضوا عن العمل بالتوراة، والإيمان بالنبي عليه السلام، والمقصود منه أنهم لما لم يعملوا بما في التوراة شبهوا بالحمار، لأنهم لو عملوا بمقتضاها لانتفعوا بها، ولم يوردوا تلك الشبهة، وذلك لأن فيها نعت الرسول عليه السلام،

(1) النكت والعيون.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) التفسير الكبير.

والبشارة بمقدمه، والدخول في دينه، وقوله: ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ أي: حملوا العمل بما فيها، وكلفوا القيام بها، وحملوا وقرىء: بالتخفيف والتثقيل، وقال صاحب «النظم»: ليس هو من الحمل على الظهر، وإنما هو من الحمالة بمعنى الكفالة والضمان، ومنه قيل للكفيل: الحميل، والمعنى: ضمنوا أحكام التوراة ثم لم يضمنوها ولم يعملوا بما فيها. قال الأصمعي: الحميل، الكفيل، وقال الكسائي: حملت له حمالة. أي كفلت به.

● **قـال تـعـالـى:** ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعَام: 31].

قال أبو السّعود[1]: ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [الأنعَام: 31] حال من فاعل (قالوا) فائدتُه الإيذان بأن عذابَهم ليس مقصوراً على ما ذكِر من الحسرة على ما فات وزال، بل يقاسون مع ذلك تحمُّلَ الأوزار الثِقال، والإيماءُ إلى أن تلك الحسرةَ من الشدة بحيث لا تزول ولا تُنسئ بما يكابدونه من فنون العقوبات. والسرُّ في ذلك أن العذابَ الروحانيَّ أشدُّ من الجُسمانيِّ نعوذُ برحمة الله عز وجل منهما، والوِزر في الأصل الحِملُ الثقيل سُمِّي به الإثمُ والذنبُ لغاية ثِقَلِه على صاحبه، وذكرُ الظهور كذكر الأيدي في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشّورى: 30]، فإن المعتاد حملُ الأثقالِ على الظهور كما أن المألوفَ هو الكسبُ بالأيدي، والمعنى أنهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات، والحال أنهم يحمِلون أوزارَ ما عملوا من السيئات.

قال الألوسيّ[2]: وفي ذلك أيضاً إشارة إلى مزيد ثقل المحمول، وجعل الذنوب والآثام محمولة على الظهر من باب الاستعارة التمثيلية، والمراد بيان سوء حالهم وشدة ما يجدونه من المشقة والآلام والعقوبات العظيمة بسبب الذنوب، وقيل: حملها على الظهر حقيقة وإنها تجسم.

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) روح المعاني.

● قال تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ﴾ [البَقَرَة: 248].

قال الطّبريّ[1]: اختلف أهل التأويل في صفة حمل الملائكة ذلك التّابوت، فقال بعضهم: معنى ذلك: تحمله بين السّماء والأرض، حتّى تضعه بين أظهرهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: تسوق الملائكة الدّوابّ الّتي تحمله.

وأولى القولين في ذلك الصّواب قول من قال: حملت الملائكة حتّى وضعته في دار طالوت بين أظهر بني إسرائيل، وذلك أنّ الله تعالى ذكره، قال: ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ﴾ [البَقَرَة: 248] ولم يقل: تأتي به الملائكة. وما جرّته البقر على عجل، وإن كانت الملائكة قهي سائقتها، فهي غير حاملتها، لأنّ الحمل المعروف هو مباشرة الحامل بنفسه حمل ما حمل.

● قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَـٰيَـٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنۡ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [العَنكبوت: 12].

قال الطّبريّ[2]: يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ [العَنكبوت: 12] يقول: قالوا: كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَـٰيَـٰكُمۡ﴾ [العَنكبوت: 12] يقول: قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذٍ.

وقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنۡ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [العَنكبوت: 12] وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ

(1) جامع البيان. (2) جامع البيان.

خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [العَنكبوت: 12] يقول جلّ ثناؤه: وكذبوا في قيلهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فَاطِر: 18].

قال الألوسيّ(1): ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي نفس أثقلتها الأوزار ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ الذي أثقلها ووزرها الذي بهضها ليحمل شيء منه ويخفف عنها، وقيل: أي إلى حمل حملها ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ لم تجب بحمل شيء منه.

والظاهر أن ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ الخ نفي للحمل الاختياري تكرماً من نفس الحامل رداً لقول المضلين: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [العنكبوت: 12]، ويؤيده سبب النزول.

● **قال تعالى:** ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: 80].

قال الزّمخشريّ(2): وعلى الأنعام وحدها لا تحملون، ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر. فإن قلت: هلا قيل: وفي الفلك، كما قال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: 40]، قلت: معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء: كلاهما مستقيم؛ لأنّ الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها، فلما صحّ المعنيان صحت العبارتان. وأيضاً فليطابق قوله: (وعليها) ويزاوجه.

قال أبو السّعود(3): لعلَّ المرادَ به حملُ النساءِ والولدانِ عليها بالهودجِ، وهو السرُّ في فصلِه عن الركوبِ. والجمعُ بينَها وبينَ الفلكِ في الحملِ لما بينَهمَا من المناسبةِ التامَّةِ حتى سُميتْ سفائنَ البرِّ وقيلَ: هي الأزواجُ الثمانيةُ فمعنى الركوبِ والأكلِ منها تعلقُهمَا بالكلِّ لكنْ لا على أنَّ كلاًّ منهُمَا تعلقُه بما تعلقَ به الآخرُ بل

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.

على أنَّ بعضَها يتعلقُ به كلاهُما كالإبلِ والبقرِ، والمنافعُ تعمُّ الكلَّ، وبلوغُ الحاجةِ عليها يعمُّ البقرَ.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [الذّاريات: 2].

قال الطّبريّ[1]: يقول: فالسّحاب الّتي تحمل وقرها من الماء.

قال الماورديّ[2]: فيها قولان: أحدهما أنّها السّحب يحملن وقراً بالمطر.

الثاني أنها الرياح [يحملن] وِقْراً بالسحاب، فتكون الريح الأولى مقدمة السحاب لأن أمام كل سحابة ريحاً، والريح الثانية حاملة السحاب. لأن السحاب لا يستقل ولا يسير إلا بريح. وتكون الريح الثانية تابعة للريح الأولى من غير توسط، قاله ابن بحر. ويجري فيه احتمال قول ثالث: أنهن الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: 1-2].

قال الطّبريّ[3]: يقول: وتسقط كلّ حامل من شدّة كرب ذلك حملها.

قال البغويّ[4]: أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم.

و هذا يدلّ على أنّ هذه الزلزلة تكون في الدّنيا، لأنّ بعد البعث لا يكون هناك حمل. ومن قال: تكون في القيامة قال: هذا على وجه التعظيم الأمر لا على حقيقته، كقولهم: أصابنا أمر يشيب منه الوليد، يريد به: شدّته.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) معالم التنزيل.

وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النُّور: 54].

قال الطّبريّ[1]: فإنما عليه فعل ما أُمِر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم، على ما كلَّفه من التبليغ. ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النُّور: 54] يقول: وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله ﷺ والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم.

قال الزّمخشريّ[2]: فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإنّ الرسول ليس عليه إلاّ ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدّى فقد خرج عن عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرَّضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه، وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى، فالنفع والضرر عائدان إليكم، وما الرسول إلاّ ناصح وهادٍ، وما عليه إلاّ أن يبلغ ما له نفع في قبولكم، ولا عليه ضرر في توليكم.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 87].

قال الفخر الرّازيّ[3]: ومن قرأ بالتشديد ففيه وجوه: أحدها: أن موسى عليه السلام حملهم على ذلك أي أمرهم باستعارة الحلي والخروج بها فكأنه ألزمهم ذلك. وثانيها: جعلنا كالضامن لها إلى أن نؤديها إلى حيث يأمرنا الله. وثالثها: أن الله تعالى حملهم ذلك على معنى أنه ألزمهم فيه حكم المغنم.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 112].

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

قال الطّبريّ[1]: فقد تحمّل.

قال ابن عطيّة[2]: تشبيه، إذ الذّنوب ثقل ووزر، فهي كالمحمولات.

قال الفخر الرّازيّ[3]: إشارة إلى ما يلحقه من الذّمّ العظيم في الدّنيا.

(1) جامع البيان.

(2) المحرر الوجيز.

(3) التفسير الكبير.

حمم

(حميم - حمأ - صديد - غساق)

■ **الحَمِيمُ:** الماء الشديد الحرارة ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمّد: 15].

■ **الحَمَأُ:** الطين الأسود الحار المنتن ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86].

■ **الصَّدِيدُ:** ما حال بين اللحم والجلد من السائل النتن ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16].

■ **الغَسَّاقُ:** ما يقطر من جلود أهل النار ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: 24، 25].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والميم فيه تفاوت، لأنّه متشعب الأبواب جدًّا. فأحد أصوله اسوِداد، والآخر الحرارة، والثّالث الدّنوّ والحضور، والرّابع جنس من الصّوت، والخامس القصد. فأما السّواد فالحُمَمُ: الفحم. ومنه اليَحْمُوم، وهو الدّخان. والحِمْحِمُ: نبت أسود، وكلّ أسود حِمْحِمٌ. ويقال: حَمَّمْتَهُ: إذا سخّمت وجهه بالسُّخام، وهو الفحم.

قال الخليل(2): حُمّ الأمر: قُضي، قد تقول: احتممت الأمر: اهتممت، قال: كأنّه من اهتمام بحميم وقريب. والحِمَامُ: قضاء الموت. والحَمِيمُ: الماء

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

الحارُّ. وتقول: أَحَمّني الأمر. والحَامَّةُ: خاصّة الرّجل من أهله وولده وذوي قرابته. والحمَّامُ: أُخذ من «الحَمِيم» تُذَكِّره العرب. وأَحَمَّتِ الأرض، أي: صارت ذات حمى كثيرة. وحُمَّ الرّجل فهو مَحْمُومٌ، وأحمه الله.

قال الجوهريّ[1]: الحَمُّ: ما يبقى من الأَلْيَة بعد الذّوب؛ الواحدة: حَمَّةٌ. والحَمُّ: ما أُذيب منها. وحَمَمْتُ الألية، أي: أذبتها. والحَمَّةُ: العين الحارّة يستشفي بها الأعلاّء والمرضى، وفي الحديث: «العالم كالحَمَّة» وحَمَمْتُ حَمَّكَ، أي: قصدت قصدك. وحَمَمْتُ الماء، أي: سخّنته، أحُمُّ بالضّمّ في جميع ذلك. وحُمَّ أيضاً بمعنى قُدِّرَ. وحُمَّ الشّيء وأُحِمَّ، أي: قُدّر، فهو مَحْمُومٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام: 70].

قال الطّبريّ[2]: والحميم: هو الحارّ في كلام العرب، وإنما هو محموم صُرف إلى فعيل، ومنه قيل للحمَّام: حمام، لإسخانه الجسم، وإنما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية شراباً من حميم، لأن الحارّ من الماء لا يُروِي من عطش، فأخبر أنهم إذا عطشوا في جهنم لم يغاثوا بماء يرويهم، ولكن بما يزيدون به عطشاً على ما بهم من العطش.

قال البيضاويّ[3]: والمعنى: ما بين ماء مغليّ يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) جامع البيان.
(3) أنوار التنزيل.

● **قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصَّافات: 67].

قال الماورديّ(1): والحميم الحار الداني من الإحراق. ومنه سمي القريب حميماً لقربه من القلب، وسمي المحموم لقرب حرارته من الإحراق. فيمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعذابهم وتشديداً لبلائهم.

قال ابن عطيّة(2): الحميم: السّخن جدّاً من الماء ونحوه، فيريد به ها هنا: شرابهم الّذي هو طينة الخبال صديدهم وما يمانع منهم. هذا قول جماعة من المفسّرين.

● **قال الله تعالى:** ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: 42-43].

قال الطّبريّ(3): يقول تعالى ذكره، وظلّ من دخان شديد السّواد، والعرب تقول لكلّ شيء وصفته بشدّة السّواد: أسود يحموم.

قال الزّمخشريّ(4): من دخان أسود بهيم.

قال ابن عطيّة(5): اليحموم: الأسود، وهو بناء مبالغة.

---

(1) النكت والعيون.
(2) المحرر الوجيز.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) المحرر الوجيز.

حمى

(حمى - أج - أوقد - أشعل - ألهب - سعر - وري)

■ **الإحماء:** البلوغ بالنار غاية الحرارة ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾ [الغَاشِيَة: 4].

■ **التَّأْجِيجُ:** النفخ في النار حتى يرتفع اللهب ويصبح له حفيف وضجيج ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ [الأنبياء: 96].

■ **الإيقَادُ:** بداية إشعال النار بالزناد ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ [البُرُوج: 5].

■ **الإشْعَالُ:** نشر النار بعد الإيقاد ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريَم: 4].

■ **الإلْهَابُ:** تنشيط النار عندما تخبو ﴿نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [المَسَد: 3].

■ **التَّسْعِيرُ:** سكب نوع من الزيت الذي يزيد حركة النار وسعارها ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ [التكوير: 12].

■ **الوَرِيُّ:** بداية إيقاد النار بشرارة ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقِعَة: 71].

* * *

شرح المعاني:

تكلمنا سابقاً عن النار من حيث ما تفعله بأهلها (تشوي، تصهر، تكوي تحرق) وتكلمنا أيضاً عن النار من حيث مادتها (وقود، حطب، حصب، ناس حجارة) والآن نتكلم عن النار من حيث ما تفعله ملائكة النار بالنار عندما تتهيأ للعمل يوم القيامة.

الوري: يوري: هو قدح النار بالزناد أو بالثقاب ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾.

والنار خلقها الله تعالى قبل آلاف السنين وأول خطوة عندما تُهيّأ النار توقد الثقاب أو الزناد أو الشعلة قدحاً ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: 2] كل شيء يجعل النار تبتدئ يسمى مري (وري يوري ورياً).

الإيقاد: بعد أن أشعلت الثقاب أو قدحت الزناد أو مادة النار تأخذ النار هذا يسمى إيقاداً فهو إذن تقبّل مادة النار من حصب أو حطب لهذا القدح فتشتعل النار يسمى وقداً. ساعة اشتعال الوقود بالثقاب وبداية تماس الوقود مع الحطب ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: 6]﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ﴾ [القصص: 38] كل ما يتقبل الثقاب أو الزناد أو الشعلة يسمى وقداً.

الإضرام: هذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم. عندما تأتي بالثقاب ثم تمس به الحطب وقد يكون الحطب عسيراً أو لا يكون الاشتعال شديداً تأتي بالقشّ أو مادة سريعة الاشتعال الذي يساعد على إلهاب النار يسمى: ضراماً أي: أسرع في إيقادها. فالقش الذي يساعد على إيقاد النار يسمى ضراماً.

السّجر: ملأ النار بالوقود الجديد حتى امتلأت. عندك تنور أو حفرة فيها قطع صغيرة أو قدتها ثم أضرمتها ثم سجّرتها أي: ملأت المكان كله حطباً فصار المكان كله ناراً.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6] أي كل البحار بدون استثناء لم يبق منها موضع إلا اشتعلت فيه النار. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 72] أي: يملأون النار ملأً كاملاً هذا الامتلاء هو التسجير. سجّر التنور أي: ملأه ملأً كاملاً.

الاشتعال: اشتعلت النار: أي وصلت إلى جميع مادتها ليس هناك جزء منها لم تصله النار مثل الغابات لما تشتعل. إذا اشتعل جزء فقط يقال: احترقت أما إذا عمّت النار جميع الغابة بحيث لم يبق شجرة إلا وطالتها النار يقال: اشتعلت. الاشتعال إذن أن تنبثق النار من عدة أماكن حتى تلتئم وتلتحم ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4] أي لم يبق فيه سواد.

ألهب: قد تخبو النار قليلاً وتضعف وهناك آلة تبحث فيها في النار وتضيف لها مادة جديدة إما من ضرام أو قش أو بترول أو أي من مواد الاشتعال فتلتهب النار من جديد فهذا هو الإلهاب ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: 3]، ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات: 31] أي هُيّجت النار بمادة جديدة.

التأجيج: هذا الإلهاب عندما يتصاعد حتى يصبح له حفيف ودويّ وضجيج يسمى أجيجاً كما في الحديث: «**ألا إن للنار ضجيجاً**» والضجيج والأجيج له معنى متقارب. اسم (يأجوج ومأجوج) أُطلق لأن لهم غوغاء وضوضاء تصمّ الآذان وفي غاية الإزعاج.

السّعر: السعير وصول النار إلى غاية الحماوة. السعير والتسعير هو الوصول بالنار إلى قمة حماوتها بحيث لا يكون بعدها حماوة ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: 12] أي: وصلت جهنم إلى قمة حرارتها فتسمى سعيراً.

السّعار في كل شيء هو السرعة والعنف يقال: كلب مسعور فهو سريع ويعمل حركات في غاية العنف. ويقال: سعار المال وسعار الطعام وسعار النار.

الحمي: عندما تصبح النار مسعّرة تتحرك ويُسمع لها تغيظ وزفير وصوت وحفيف ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12] هنا تقول النار ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: 30] فيضع الله تعالى قدمه فيها فتقول: قطّ قطّ قطّ. وعندما تصبح النار مسعّرة تسمى حامية ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: 4] أي: وصلت حماوتها إلى النهاية.

هذه هي منظومة مراحل تكوين النار وتهيأتها للعمل يوم القيامة، والسعير هو آخر المراحل التي تصبح النار فيها ناضجة وتتقطع نهباً إلى مادتها. والنار يوم القيامة سوداء أُوقد عليها ألف سنة حتى احمرّت ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة. ولا شك أن الدخول في السواد من أشد العذاب ولهذا كثير من السجون في ظلام دامس حتى يتضاعف العذاب والمسجون يأتيه العذاب والضرب من حيث لا يدري وهو في

ظلمة السجن. ونار جهنم سوداء ليست كنار الدنيا حمراء. والنار يوم القيامة نوعان صلي وحرق.

الصلي: هو أن تشمل الإنسان كله وهذه لا تكون إلا للملحدين ولا تطال الموحدين. أهل القبلة تتفاوت عنهم النار حسب ذنوبهم فمنهم من تبلغ قدمه ومنهم ركبتيه ومنهم خصره ومنهم صدره ومنهم رقبته لكنها لا تغشى وجوه الموحدين كما جاء في الحديث: «**كل من يعبد الله تعالى عبادة بعد توحيده** (الصلاة التي هي أساس الدين) **لا تصلاه النار ولا تغشى وجهه**»، وقبل العذاب بالنار ذاتها هناك العذاب الذي يتفاوت من حيث الرائحة فمنهم من يشم رائحة النار فقط وهي في غاية النتانة يؤتى بأسعد رجل في الدنيا فيُشم رائحة النار فيقال له: هل رأيت نعيماً قط فيقول: لا، على رغم من كل النعيم الذي رآه على الأرض. قال تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: 15] فيها نفي صريح قاطع أن شمول النار لكل الإنسان من فوقه إلى تحته لا تكون إلا للمشركين خاصة.

*** الذنوب التي توجب النار لا محالة إلا أن يتغمد الله عباده برحمته:**

كل عصر له ذنوب معينة وله فتنته، وهناك ذنوب تساهلنا فيها ولم نوفها حظها في الشرح والجلاء ولهذا فهي بعيدة عن خواطرنا. في خاطرنا ذنوباً معينة كالزنا والقتل والربا وغيرها لكن هناك ذنوباً أعظم من هذه الذنوب في هذا الزمان تحيط بنا من كل جانب. وأخطر الذنوب ما يتعلق بالدماء والأموال والأخلاق.

الذنوب المتعلقة بالدماء: القتل ومقدماته من جرح أو تخويف: «**في آخر الزمان تقع فتن كثيرة حتى يكثر الهرج** قالوا: ما الهرج يا رسول الله؟ قال: **القتل القتل القتل حتى لا يدري القاتل لِمَ قَتل والمقتول فيمَ قُتِل**» وكأن الأحاديث تشير إلى الحروب الأهلية أو الحروب المحلية والعرقية والمذهبية والطائفية فتسيل دماء المسلمين أنهاراً، في الحديث: «**إذا التقى مسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار**» ويقول ﷺ: «**سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته ألا يُهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته ألا يُهلِك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل**

بأسهم بينهم فمنعنيها» فقتل المسلون بعضهم البعض. **«من أعان على قتل مسلم ولو بشق كلمة بُعث يوم القيامة مكتوب على جبينه آيس من رحمة الله»** وقذف التهم على المسلمين كلها تعين على القتل فلم يعد لدم المسلم حرمة، فإذا كنت مسلماً وأعنت على ذلك ولو بكلمة تُبعث يوم القيامة مكتوب على جبينك: آيس من رحمة الله قال ﷺ: في الحديث: **«ألا إنها ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي إليها فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كان له غنم فليلحق بها ومن كان له أرض فليلحق بأرضه،** قالوا: يا رسول الله وإن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال: **يعمد إلى سيفه فيدقّ على حده بحجر ثم لينجو إن استطاع اللهم هل بلّغت» «فإن خفت أن يظهرك شعاع السيف فألقِ بثوبك على رأسك يبوء بإثمك وإثمه»**. والكلام على الدماء كثير ولهذا علينا أن نحذر أن لا نقول كلمة تساعد على القتل أو تؤدي إليه **«لا تقوم الساعة حتى تكون فتن الكلمة فيها أمضى من السيف»** قتل المسلم بأي حال لا يكون إلا عن طريق محاكمة أو مرجع سياسي معترف به أو دولة لكن قتله بدون مرجع أو محاكمة أو قانون جريمة تُقحِم صاحبها في النار.

الذنوب المتعلقة بالأموال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله استخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون فاتقوا النار» «لا أخشى عليكم الفقر ولكن أخشى عليكم أن تُفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» همُّ الناس أن تجمع الأموال من أي طريق كان وهذه فتنة العصر وأخطر أنواع العبث بالمال الغلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 161] وهو السطو أو التلاعب بأموال الدولة أو المال العام، وهي من أعظم الجرائم يوم القيامة: **«إن الغلول نار وعار يوم القيامة» «كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به»**.

ومن أخطر الجرائم رفع الأمانة **«لا تقوم الساعة حتى ترفع الأمانة من صدور الرجال حتى يقال إن في بني فلان أمين»** سيصبح عرفاً قلة الأمانة. **«أهل النار**

خمسة: الخائن الذي لا يقوى عليه طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك مالك والبخيل والكذاب والشنظير الفاحش» والشنظير هو الشاتم بالعرض والناموس، والشنظرة هي الشتم المقذع بالأعراض. **«أول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلّط وذو ثروة لا يعطي حق ماله والمتخوض في مال الله»** والمتخوض في مال الله الذي يتلاعب بمال أعطاه إياه أحدهم ليوزعه في مصارفه فتلاعب به ووزعه في غير مكانه. والغنى الموجود الآن لم يكن موجوداً سابقاً فالغنى الآن من علامات الساعة، وعلى الأغنياء أن يؤدوا زكاة أموالهم وإلا فمصيبتهم كبيرة يوم القيامة وعليهم أن تكون في نيتهم أن كل ما ينفقونه طوال العام هو من زكاة مالهم.

الذنوب المتعلقة بالأخلاق: «من أثنى المسلمون عليه شراً فهو في النار» «ألسنة الخلق أقلام العقل» «من شهد له أربعون بالخير دخل الجنة» «النار تقول يا رب ما لي لا يدخلني إلا الجبارون المتكبرون» «إن أهل النار كل جعظري جوّاظ متكبر» الجعظري هو: الشحيح الشره على أموال الناس، والجوّاظ هو: الضخم المختال كثير الكلام.

ومن الذنوب المتعلقة بالأخلاق حب الشهرة (للعلماء فقط) كل من يفعل الخير للشهرة **«أول من تسعر بهم النار عالم ومنفق وشهيد»**. ومن الخطورة أيضاً المرأة التي تنكر زوجها وقد قام بحقها هي من أهل النار (أي إن ماتت على ذلك فهي إما تصبر أو تطلب الطلاق) إذا منع الرجل زوجته من زيارة أهلها فهو قاطع رحم وهذه جريمة عظيمة **«وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ولا قاطع رحم»**. ومن الخطورة مسؤولية الكلمة عظيمة يوم القيامة **«إن الرجل ليقول الكلمة لا يدري ما تبلغ يوم القيامة من سخط الله»** فعليك بالصمت. سُئل رسول الله ﷺ: أو نحن محاسبون على ما نقول يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **«وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»** ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

وكذلك كتم العلم من الذنوب، إذا سئلت عن علم فلم تجب فهذه مصيبة «**من تعلم علماً فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**».

من الذنوب أيضاً القضاء بالجهل «**إن الرجل ليقول الكلمة لا يرى حيث بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفاً**» «**من قضى في الناس على جهل فهو في النار**» ليس له علم بالقضية ومع هذا قضى بها.

ومن الذنوب الخطيرة «**من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار**» يجب عدم التلصص والتجسس على الآخرين.

«**أكثر أهل النار النمامون**» هذه الفتنة.

«**من طلب العلم ليجاري به العلماء فهو في النار**» فئة تطلب العلم لا لترشد الناس وإنما ليباهي به العلماء فهو في النار.

«**من هجر أخاه فوق ثلاث**» متخاصم له حق ثلاثة أيام لو مات قبل أن يتصالح مع أخيه فهو في النار.

علينا أن لا نحتقر ذنباً عظيماً، والمؤمن يرى ذنبه فوق رأسه كالجبال، والبعض يُظهر الإسلام ويعمل ضده وهؤلاء هم المنافقون فهم في النار. قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17] استوقدها أي: أوقدها غيره، فلما أضاءت ما حوله: الضوء ذاتي والنور انعكاس، فالدين لما أضاء الدنيا وقضى على الظلم والشرك والوثنية ذهب الله تعالى بنورهم ولم يقل تعالى: أذهب نورهم لأنها تعني أن النور ذهب وبقي الله تعالى معهم لكنه تعالى قال: ذهب الله بنورهم أي: أخذ النور من قلوبهم وألسنتهم وحولهم وذهب عنهم وتركهم وحدهم في ظلمات القلق والتردد والنفاق وظلمة الكون والشعور بالذنب والتفاهة والتبعية لا يبصرون، وهذه كلها ظلمات ﴿ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: 40].

هذه هي النار وهذه هي مراحل إيقادها وإشعالها وتسجيرها وحميها، وكذلك

تحدثنا عن الذنوب التي تساهلنا فيها وهي من أخطر ما نفعل. «**إن الشيطان يئس أن يُعبد في جزيرة العرب ولكنه رضي بما تحقرون من أعمالكم**» هذه المهلكات يوم القيامة ما تحقرونه من أعمالكم. وعرفنا ميزة المصلي أن لا يصلى النار وإنما قد تحرقه، وهناك فرق بين الصلي والحرق، والصلي هو أن تشكل النار جسد المعذّب بالكامل وهذا العذاب الأليم، ومن فضل الله تعالى أن الصلي ممنوع على أهل القبلة. وما من خسارة أعظم من أن تلقى الله تعالى وأنت لا تصلي لأن أول ما يُسأل العبد عنه يوم القيامة الصلاة، فالصلاة والوضوء تلقي على النفس راحة نفسية هائلة وإياكم والتسويف فإن الموت يأتي بغتة ولا يغترّن أحدكم بحِلم الله تعالى.

أجمع المسلمون على أن قتل المسلم بأية طريقة كانت جريمة بشعة إلا إن كان حكم القتل قد تم عن طريق محكمة أو حاكم أو إن هاجمك أحد وإن استطعت أن تلقي عليه القبض وتسلمه للشرطة دون أن تقتله فهذا أفضل ويمكنك أن تدفعه عنك بضرب رجله مثلاً أو ما شابه. والدليل شيء واصطناع الدليل والهوى شيء آخر ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: 108]. وهذا الهرج الذي بدأ في العالم الإسلامي منذ سنوات هو ما أخبر به، وعلينا أن نعلم أن وراءنا حساب شديد.

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): الحِمى مقصور: موضع فيه كلأٌ يُحْمَى من النّاس أن يرعى. وحَمَيْتُ القوم حِمَايَةً ومَحْمِيَّةً. وكلّ شيء دفعت عنه فقد حَمَيْتَه. وحَمِيتُ من هذا الشّيء أَحْمَى منه حَمِيَّةً، أي: أنِفت أنفاً وغضباً. ومشى في حَمِيَّتِه، أي: في

(1) العين.

حمْلته. وإنّه لرجل حَمِيٌّ: لا يحتمل الضّيم، ومنه يقال: حَمِيُّ الأنف. وحَمَيْتُ المريض حِمْيَةً: منعته أكل ما يضرّه. واحْتَمَى المريض. واحْتَمَى في الحرب، إذا حَمَى نفسه.

قال الأصمعي[1]: يقال: حَمَى فلان الأرض يَحْمِيها حِمًى: إذا منعها من أن تقرب. ويقال: أَحْمَاهَا إِحْمَاءً: إذا جعلها حِمًى لا تقرب. وأَحْمَيْتُ الحديدة فأنا أُحْمِيهَا إِحْمَاءً حتى حَمِيَتْ تَحْمَى، وكذلك حَمِيَتِ الشّمس تَحْمَى حَمْياً.

قال الجوهري[2]: حَمَيْتُهُ حِمَايَةً: إذا دفعت عنه. وهذا شيء حِمًى، على «فعل» أي: محظور لا يقرب. وأَحْمَيْتُ المكان: جعلته حِمًى. وفي الحديث: «**لا حمى إلاّ لله ورسوله**». وسمع الكسائيّ في تثنية الحِمَى: حِمَوَانِ، قال: والوجه حِمَيَانِ.

قال أبو هلال[3]: الفرق بين الحفظ والحماية: أنّ الحماية تكون لما يمكن إحرازه وحصره مثل الأرض والبلد، تقول: هو يَحْمِي البلد والأرض، وإليه حِمَايَة البلد. والحفظ يكون لما يحرز ويُحصر، وتقول: هو يحفظ دراهمه ومتاعه، ولا تقول: يحمي دراهمه ومتاعه، ولا يحفظ الأرض والبلد، إلاّ أن يقول ذلك عاميّ لا يعرف الكلام.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [التّوبَة: 35].

(1) الأضداد.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الفروق في اللغة.

قال الطّبري[1]: تدخل النار فيوقد عليها أي على الذهب والفضة التي كنزوها في نار جهنم، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، وكل شيء أدخل النار فقد أُحمي إحماء، يقال منه: أحميت الحديدة في النار أحميها إحماء.

قال الماورديّ[2]: وإنّما غلّظه بهذا الوعيد لما في طباع النّفوس من الشّحّ بالأموال ليسهّل لهم تغليظ الوعيد إخراجها في الحقوق.

● **قال الله تعالى**: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: 3-5].

قال الطّبريّ[3]: ترد هذه الوجوه ناراً حامية قد حميت واشتدّ حرّها.

قال الماورديّ[4]: فإن قيل فما معنى صفتها بالحماء وهي لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة؟ قيل قد اختلف في المراد بالحامية ها هنا على أربعة أوجه: أحدها: أن المراد بذلك أنها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها.

الثاني: أن المراد بالحامية أنها حمى يمنع من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم، كما قال النبي ﷺ: «**وإن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه**».

الثالث: معناه أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها كما يحمي الأسد عرينه، الرابع: أنها حامية مما غيظ وغضب، مبالغة في شدة الانتقام، وقد بيّن الله ذلك بقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [المُلك: 8].

قال الفخر الرّازيّ[5]: أي قد أوقدت، وأحميت المدّة الطّويلة فلا حرّ يعدل حرّها.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.
(5) التفسير الكبير.

● **قال الله تعالى:** ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: 10-11].

قال المراغيّ(1): أي هي نار ملتهبة يهوي فيها ليلقى جزاء ما قدّم من عمل وما اجترح من سيّئات. وفي هذا إيماء إلى أنّ جميع النّيران إذا قيست بها ووزنت حالها بحالها لم تكن حامية؛ وذلك دليل على قوّة حرارتها، وشدّة استعارها.

● **قال الله تعالى:** ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ [المائدة: 103].

قال الفخر الرّازيّ(2): وأما الحام فيقال: حماه يحميه إذا حفظه وفيه وجوه: أحدها: الفحل إذا ركب ولد ولده. قيل: حمى ظهره أي: حفظه عن الركوب فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى إلى أن يموت فحينئذٍ تأكله الرجال والنساء.

وثانيها: إذا نتجت الناقة عشرة أبطن قالوا: حمت ظهرها حكاه أبو مسلم. وثالثها: الحام هو الفحل الذي يضرب في الإبل عشر سنين فيخلى، وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها، وهو قول السدي.

فإن قيل: إذا جاز إعتاق العبيد والإماء فلم لا يجوز إعتاق هذه البهائم من الذبح والإتعاب والإيلام.

قلنا: الإنسان مخلوق لخدمة الله تعالى وعبوديته، فإذا تمرد عن طاعة الله تعالى عوقب بضرب الرق عليه، فإذا أزيل الرق عنه تفرغ لعبادة الله تعالى، فكان ذلك عبادة مستحسنة، وأما هذه الحيوانات فإنها مخلوقة لمنافع المكلفين، فتركها وإهمالها يقتضي فوات منفعة على مالكها من غير أن يحصل في مقابلتها فائدة، فظهر الفرق، وأيضاً الإنسان إذا كان عبداً فأعتق قدر على تحصيل مصالح نفسه،

(1) تفسير المراغي.
(2) التفسير الكبير.

وأما البهيمة إذا أعتقت وتركت لم تقدر على رعاية مصالح نفسها فوقعت في أنواع من المحنة أشد وأشق مما كانت فيها حال ما كانت مملوكة فظهر الفرق.

● **قال الله تعالى**: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الفتح: 26].

قال الطّبريّ(1): حين جعل سُهيل بن عمرو في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ والمشركين: بسم الله الرحمٰن الرحيم، وأن يكتب فيه: محمد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله ﷺ عامه ذلك.

والحمية فعيلة من قول القائل: حمى فلان أنفه حمية ومحمية.

وقال ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: 26] لأن الذي فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر، ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به، ولا أحد من رسله.

---

(1) جامع البيان.

حنث

(حنث - إثم - جرم - جناح - حوب - خطأ - زلل - سيئة - فاحشة - رجس)

■ **الحِنْثُ:** المسؤولية عن الذنب ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44].

■ **الإِثْمُ:** الذنب المتعدي الذي يبطئ بصاحبه عن جنس الطاعات كلها ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 219].

■ **الجُرْمُ:** الذنب الثابت المستحق للعقاب المحددّ ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (42)﴾ [المدثر: 41-42].

■ **الجُنَاحُ:** اللوم عن الذنوب كالنزوع إلى الذنب قبل الشروع فيه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: 235].

■ **الحُوبُ:** الذنب الذي يعجل الله عقابه في الدنيا ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2].

■ **الخَطَأُ:** ذنب غير متعمد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾ [النساء: 92].

■ **الخَطِيئَةُ:** الكبيرة التي تحبط الحسنات. ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 112].

■ **الزَّلَلُ:** سرعة الوقوع في الذنب ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 209].

■ **السَّيِّئَةُ:** المعصية عموماً ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: 81] والإحاطة: إحباط العمل.

■ **الفَاحِشَةُ:** ما عظم قبحه عند الناس من الذنوب ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ [النمل: 54].

■ **الرِّجْسُ:** الفعل القذر تأباه الفطرة من نتنه. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: 33]. ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المائدة: 90].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والنّون والثّاء أصل واحد، وهو الإثم والحرج. يقال: حَنِثَ فلان في كذا، أي: أثم. ومن ذلك قولهم: بلغ الغلام الحِنْث، أي: بلغ مبلغاً جرى عليه القلم بالطّاعة والمعصية، وأثبتت عليه ذنوبه.

قال الخليل(2): الحِنْثُ: الذنب العظيم، ويقال: بلغ الغلام الحِنْثُ، أي: بلغ مبلغاً جرى عليه القلم في المعصية والطّاعة. والحِنْثُ: إذا لم يُبرّ بيمينه، وقد حَنِثَ يَحْنُثُ.

قال الأزهري(3): وفي الحديث: «اليمين حِنْثٌ أو مندمة» يقول: إمّا أن يندم على ماحلف عليه، أو يَحْنَثَ، فتلزمه الكفّارة. وقال خالد بن جنبة: الحِنْثُ: أن يقول الإنسان غير الحقِّ. والحِنْثُ: الميل من باطل إلى حقٍّ، ومن حقٍّ إلى باطل.

قال الجوهري(4): الحِنْثُ: الإثم والذّنب. وبلغ الغلامُ الحِنْثَ، أي:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.

المعصية والطّاعة. والحِنْثُ: الخُلْفُ في اليمين. تقول: أَحْنَثْتُ الرّجل في يمينه فحَنِثَ، أي: لم يَبَرَّ فيها. وتَحَنَّثَ، أي تعبّد واعتزل الأصنام، مثل تَحَنَّفَ.

* **وردت كلمة الحنث في القرآن الكريم على وجهين:**

- الحنث في اليمين أي: لم يَفِ بها.
- الذنب والإثم أو الشرك.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [صٓ: 44].

قال القرطبيّ[1]: كان أيوب حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة؛ وفي سبب ذلك أربعة أقوال.

منها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ دليل على أن الاستثناء في اليمين لا يرفع حكماً إذا كان متراخياً. وقد مضى القول فيه في «المائدة» يقال: حنث في يمينه يحنث: إذا لم يَبرّ بها. وعند الكوفيين الواو مقحمة أي: فاضرب لا تحنث.

قلت: قوله إنه لم يكن في شرعهم كفارة ليس بصحيح؛ فإن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما بقي في البلاء ثمان عشرة سنة، كما في حديث ابن شهاب، قال له صاحباه: لقد أذنبت ذنباً ما أظنّ أحداً بلغه. فقال أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أدري ما تقولان، غير أن ربي عَزَّوَجَلَّ يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتزاعمان فكل يحلف بالله، أو على النفر يتزاعمون فأنقلب إلى أهلي، فأكفر عن أيمانهم إرادة ألاّ يأثم أحد يذكره ولا يذكره إلا بحق. فنادى ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83]

(1) الجامع لأحكام القرآن.

وذكر الحديث. فقد أفادك هذا الحديث أن الكفارة كانت من شرع أيوب، وأن من كفّر عن غيره بغير إذنه فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه الكفارة.

قال الألوسيّ[1]: بيمينك فإنّ البّر يتحقّق به، ولقد شرّع الله تعالى ذلك رحمة عليه وعليها، لحسن خدمتهما إيّاه ورضاه عنها، وهي رخصة باقية في الحدود في شريعتنا وفي غيرها أيضاً، لكن غير الحدود يعلم منها بالطّريق الأولى.

● **قال الله تعالى**: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقِعَة: 46].

قال الزّمخشريّ[2]: الذّنب العظيم، ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث، أي الحلم، ووقت المؤاخذة بالمأثم، ومنه حنث في يمينه: خلاف برّ فيها. ويقال: تحنّث، إذا تأثّم وتحرّج.

قال ابن عطيّة[3]: ﴿ٱلْحِنثِ﴾: الإثم.. . واختلف المفسرون في المراد بهذا الإثم هنا، فقال قتادة والضحاك وابن زيد: هو الشرك، وهذا هو الظاهر. وقال قوم في ما ذكر مكي: هو الحنث في قسمهم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الأنعَام: 109]، [النحل: 38]، [النور: 53]، [فاطر: 42]، في التكذيب بالبعث، وهذا أيضاً يتضمن الكفر، فالقول به على عمومه أولى.

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

حنجرة

(حنجرة - حلق - حلقوم)

- **الحُنْجُرَةُ:** رأس الغلصمة من الخارج ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزَاب: 10].
- **الحَلْقُ:** ما بعد الفم مباشرة من الداخل.
- **الحُلْقُومُ:** مجرى الطعام والهواء إلى المعدة ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقِعَة: 83].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الحُنْجُرَةُ: جوف الحلقوم، والحُنْجُورُ الحُنْجُرَة.

قال ابن دريد[2]: حُنْجُورٌ اسم وهي الحُنْجُرَة وهي على وزن فنعله، والحُنْجُر هو طرف المريء.

قال الراغب[3]: الحَنَاجِرُ: جمع حُنْجُرَة، وهي رأس الغلصمة من خارج.

قال الزمخشري[4]: الحُنْجُرَةُ: رأس الغلصمة وهي منهى الحُلْقُوم، مدخل الطعام والشراب.

---

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: 10].

قال الماورديّ[1]: أي زالت عن أماكنها حتّى بلغت القلوب الحناجر وهي الحلاقيم، واحدها: حنجرة. وقيل إنّه مثل مضروب في شدّة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر، وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة.

قال ابن عطيّة[2]: عبارة عمّا يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرّقها شعاعاً، ويجد كأنّ حشوته وقلبه يصعد علوّاً لينفصل، فليس بلوغ القلوب الحناجر حقيقة بالنّقلة، بل يشير لذلك، وتجيش فيستعار لها بلوغ الحناجر.

قال ابن عاشور[3]: والحناجر: جمع حَنْجَرة بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الجيم: منتهى الحُلقوم وهي رأس الغلصمة. وبلوغ القلوب الحناجر تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مقارّها وترتفع طالبة الخروج من الصدور، فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق؛ فشبهت هيئة قلب الهلوع المرعُود بهيئة قلبٍ تجاوز موضعه وذهب متصاعداً طالباً الخروج، فالمشبه القلبُ نفسه باعتبار اختلاف الهيئتين. وليس الكلام على الحقيقة، فإن القلوب لا تتجاوز مكانها، وقريبٌ منه قولهم: تنفّس الصُعَداء، وبلغت الروح التراقيَ.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

---

(1) النكت والعيون.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التحرير والتنوير.

قال ابن عطية[1]: معناه: عند الحناجر، أي قد صعدت من شدة الهول والجزع، وهذا أمر يحتمل أن يكون حقيقة يوم القيامة من انتقال قلوب البشر إلى حناجرهم وتبقى حياتهم، بخلاف الدنيا التي لا تبقى فيها لأحد مع تنقل قلبه حياة، ويحتمل أن يكون تجوزاً عبر عما يجده الإنسان من الجزع وصعود نفسه وتضايق حنجرته بصعود القلب، وهذا كما تقول العرب: كادت نفسي أن تخرج، وهذا المعنى يجده المفرط الجزع كالذي يقرب للقتل ونحو.

قال الفخر الرازي[2]: اختلفوا في أن المراد من قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ كناية عن شدة الخوف أو هو محمول على ظاهره، قيل المراد وصف ذلك اليوم بشدة الخوف والفزع ونظيره قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: 10] وقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة: 83-84] وقيل بل هو محمول على ظاهره.

قال ابن الجوزي[3]: وذلك أنها ترتقي إلى الحناجر فلا تخرُج ولا تعود، هذا على القول الأول. وعلى الثاني: القلوب هي النُّفوس تبلغ الحناجرَ عند حضور المنيَّة.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) زاد المسير.

حنف

(حَنَفَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والنّون والفاء أصل: مستقيم، وهو الميل، يقال للّذي يمشي على ظهور قدميه: أَحْنَفٌ. وقال قوم - وأراه الأصحّ -: إنّ الحَنَفَ اعوجاج في الرّجل إلى داخل، ورجل أَحْنَفُ، أي: مائل الرّجلين، وذلك يكون بأن تتدانَى صدور قدميه ويتباعد عقباه. والحَنِيفُ: المائل إلى الدّين المستقيم. قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: 67]. والأصل هذا، ثمّ يتّسع في تفسيره، فقال: الحَنِيفُ: النّاسك، ويقال: هو المختون، ويقال: هو المستقيم الطّريقة. ويقال: هو يَتَحَنَّفُ، أي: يتحرّى أقوم الطّريق.

قال الخليل[2]: الحَنَفُ: ميل في صدر القدم، ورجل أَحْنَفُ، ورِجْلٌ حَنْفَاءُ. ويقال: سمّي الأَحْنَفُ بن قيس به لحَنَفٍ كان في رجله. والسيوف الحنيفيّه تنسب إليه، لأنّه أوّل من عملها، أي أمر باتخاذها، وهو في القياس: سيف أَحْنَفِيٌّ.

قال الجوهريّ[3]: الحَنَفُ: الاعْوجاج في الرِّجل، وهو أن تُقبل إحدى إبهامي رجليه على الأُخرى. والرّجل أَحْنَفُ، ومنه سمّي الأَحْنَفُ بن قيس، واسمه صخر. والحَنِيفُ: المسلم، وقد سمّي المستقيم بذلك، كما سمّي الغراب أعور.

قال أبو هلال[4]: الفرق بين الحَنَف والحَيْف: أن الحنف هو العدول عن

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الفروق في اللغة.

الحقّ، والحيْف: الحمل على الشّيء حتى يُنقصه، وأصله من قولك: تحيّفت الشّيء، إذا تنّقصته من حافاته.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البَقَرَة: 135].

قال الطبريّ[1]: فمعنى الكلام إذاً: قل يا محمد بل نتبع ملة إبراهيم مستقيماً. فيكون الحنيف حينئذ حالاً من إبراهيم.

وأما أهل التأويل فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك، فقال بعضهم: الحنيف: الحاجّ. وقيل: إنما سمي دين إبراهيم الإسلام الحنيفية، لأنه أوّل إمام لزم العبادَ الذين كانوا في عصره والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة اتّباعُه في مناسك الحجّ، والائتمام به فيه.

وقال آخرون: إنما سمي دين إبراهيم الحنيفية، لأنه أوّل إمام سنّ للعباد الختان، فاتبعه من بعده عليه.

وقال آخرون: بل ملة إبراهيم حنيفاً، بل ملة إبراهيم مخلصاً، فالحنيف على قولهم: المخلص دِينَهُ لله وحده.

وقال آخرون: بل الحنيفية الإسلام، فكل من ائتمّ بإبراهيم في ملته فاستقام عليها فهو حنيف.

● **قال الله تعالى:** ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ﴾ [الحَجّ: 31].

(1) جامع البيان.

قال الفخر الرازيّ[1]: أنه الاستقامة على قول بعضهم والميل إلى الحق على قول البعض، والمراد في هذا الموضع ما قيل من أنه الإخلاص فكأنه قال تمسكوا بهذه الأمور التي أمرت ونهيت على وجه العبادة لله وحده لا على وجه إشراك غير الله به. ولذلك قال ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦٓ﴾ وهذا يدل على أن الواجب على المكلف أن ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص. . .

قال ابن عاشور[2]: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ حال من ضمير ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟﴾ [الحج: 30] أي تكونوا إن اجتنبتم ذلك حنفاء لله، جمع حنيف وهو المخلص لله في العبادة، أي: تكونوا على ملّة إبراهيم حقاً، ولذلك زاد معنى ﴿حُنَفَآءَ﴾ [الحَجّ: 31] بياناً بقوله ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦٓ﴾. وهذا كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النّحل: 120].

● **قال الله تعالى**: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: 5].

قال الفخر الرازيّ[3]: فيه أقوال، الأول: قال مجاهد: متبعين دين إبراهيم عليه السلام، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123] وهذا التفسير فيه لطيفة كأنه سبحانه لما علم أن التقليد مستول على الطباع لم يستجز منعه عن التقليد بالكلية ولم يستجز التعويل على التقليد أيضاً بالكلية، فلا جرم ذكر قوماً أجمع الخلق بالكلية على تزكيتهم، وهو إبراهيم ومن معه، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: 4]، فكأنه تعالى قال: إن كنت تقلد أحداً في دينك، فكن مقلداً إبراهيم، حيث تبرأ من الأصنام.

والقول الثاني: المراد من قوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: مستقيمين والحنف هو

(1) التفسير الكبير.
(2) التحرير والتنوير.
(3) التفسير الكبير.

الاستقامة، وإنما سمي مائل القدم أحنف على سبيل التفاؤل، كقولنا: للأعمى بصير وللمهلكة مفازة، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: 30]. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

والقول الثالث: قال ابن عباس رضي الله عنهما حجاجاً، وذلك لأنه ذكر العباد أولاً ثم قال: ﴿حُنَفَآءَ﴾ وإنما قدم الحج على الصلاة لأن في الحج صلاة وإنفاق مال.

الرابع: قال أبو قلابة الحنيف الذي آمن بجميع الرسل ولم يستثن أحداً منهم، فمن لم يؤمن بأفضل الأنبياء كيف يكون حنيفاً؟

الخامس: حنفاء أي جامعين لكل الدين إذ الحنيفية كل الدين، قال عليه السلام: «بعثن بالحنيفية السهلة السمحة».

السادس: قال قتادة: هي الختان وتحريم نكاح المحارم أي: مختونين محرمين لنكاح الأم والمحارم، فقوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾ إشارة إلى النفي، ثم أردفه بالإثبات، وهو قوله: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

السابع: قال أبو مسلم: أصله من الحنف في الرجل، وهو إدبار إبهامها عن أخواتها حتى يقبل على إبهام الأخرى، فيكون الحنيف هو الذي يعدل عن الأديان كلها إلى الإسلام.

الثامن: قال الربيع بن أنس: الحنيف الذي يستقبل القبلة بصلاته، وإنما قال ذلك لأنه عند التكبير يقول: وجهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفاً.

حنك

(حنك - استحوذ - أز - وسوس - نزغ - استزل- سول - أملى - زين - أغوى - فتن)

شرح المعاني:

وهذه المنظومة هي عن عمل الشيطان وأساليب فعله مع ابن آدم وقد أعلن جهاراً ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 39]. والأساليب التي يتخذها الشيطان مع المشركين ثلاثة: الاحتناك والاستحواذ والأزّ.

الاحتناك: مأخوذ من حنك يقال: حنك الدابة إذا وضع اللجام في حلقها الأعلى فإذا وضع اللجام أو العنان أو الخطام أو الرسن في حلق الدابة فإن الراكب يسيطر على الدابة سيطرة كاملة وهذا هو الوضع السليم لراكب الدابة الذي يريد أن يسيطر عليها، يجلس على مؤخرة الحيوان ويضع اللجام أو الخطام في حلق البعير فيقود الدابة ويوجهها إلى حيث شاء بحيث تفقد الدابة حركتها في الذهاب حيث تشاء. فالسيطرة الكاملة لراكب الدابة بأن يصبح زمامها في يده لأنه أحكم حنكها. هذا لا يكون إلا إذا صار العبد مشركاً والشرك وحده هو الذي يجعل إبليس أو قبيله وحزبه يسيطر سيطرة كاملة على الإنسان، وإذا أشرك الإنسان يسقط في يد إبليس بالكامل بحيث يحتنكه كأنه دابة ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22]، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62].

الاستحواذ: عندما يتم الاحتناك يأتي الاستحواذ، وهذا من دقة القرآن في التسلسل. والاستحواذ هو الضرب على حاذي الحيوان، والحاذي هو مؤخرة

الفخذين بما يلي الذَنَب. راكب الفرس يجلس على مؤخرة الدابة وبيده الرسن وعندما يريد أن تسرع الدابة يضربها على مؤخرة فخذيها مما يلي الذَنَب فإذا فعل ذلك أسرعت الدابة لمشيئته وهدفه، وهذا الاستحواذ يكون بسرعة غير اعتيادية. لما احتنك إبليس العبد فأشرك يجعله يسرع ويسارع في هذا الشرك عن طريق الضرب على مؤخرة عقله وتفكيره، وهذا تعبير مجازي كما لو كان هذا المشرك دابة فعلاً فيصبح العبد محتنكاً ومسيطراً عليه أولاً وسريعاً جداً في تلبية أوامر الشيطان، حينئذ صار هناك احتناك واستحواذ أي: سيطرة كاملة وسرعة كاملة ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19].

الأزّ: الخطوة الأخيرة هي الأزّ، والأزّ هو غليان القدر تحته نار شديدة فيكون له أزيز كأزيز الرصاص. والحوذي هو السائق الماهر والأحوذي هو الماهر والسريع في كل شيء. فالاستحواذ هو سرعة السوق ويأتي الأزّ بعد ذلك يجعلهم الشيطان يغلون غلياناً في محاربة الإيمان وأهله كما فعل المشركون بالمؤمنين على مرّ التاريخ وكما يفعلون الآن أمام من يحارب المؤمنين حرباً لا هوادة فيها تحت كل التهم والتبريرات. وقد صوّر الله تعالى لنا يوم القيامة بأن هؤلاء الذين اتبعوا الشيطان فصاروا حزبه يحصل بينهم نقاش يوم القيامة، فالنار في ذلك اليوم تُحرق ولا تُميت ولا تفقد الوعي والناس يتناقشون والشيطان بينهم يلقي خطبته (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) بعد هذه الخطبة يطلق خزنة النار يدي الشيطان من القيود فيبدأ الضرب بالمشركين حتى يبلغ الضرب مبلغ الألم فينسيهم حرّ النار (الأخلاء بعضهم).

هذه هي أساليب إبليس والشياطين عموماً: الاحتناك أولاً ثم الاستحواذ ثم الأزّ وهو أشد أنواع الهزّ الذي هو قمة الحركة يسمى أزّاً وأزيزاً.

على مر العصور كان المشركون كثرة والمؤمنون الموحدون قلة ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62].

أما أساليب الشيطان مع المؤمنين فهي:

الوسوسة: هي الخاطرة الرديئة ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: 20]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 120]، كان المسلمون يُرعَبون عندما تأتيهم بعض الأفكار فأخبروا الرسول ﷺ بذلك فسألهم: «**أوجدتم ذلك**»؟ قالوا: نعم فقال ﷺ: «**فذلك صراع الإيمان**». فالعبد إذا اكتمل إيمانه يأتيه الشيطان بالوسوسة. فالوسوسة إذن هي خاطرة سريعة ثم تنطفئ.

النزغ: تتطور الوسوسة لتصبح نزغاً ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200] النزغ هو حركة وبداية التحرك والتحريك نحو الباطل. إخوة يوسف جاءتهم الوسوسة عندما فكروا بالقضاء على أخيهم يوسف وعندما بدأوا بتنفيذ ما فكروا به أصبحت هذه الفكرة نزغاً ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100] فالوسوسة تكون من غير إرادتك والله تعالى لا يحاسب الناس على ما يحدثون به أنفسهم أما النزغ فهو بإرادتك. يقال: فلان نزغ بين الناس أي: أفسد بينهم. والنزغ في الغالب هو الإفساد بين الناس. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53]، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36].

استزلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 155] كل إنسان منا عنده شيطان (قرين)، هذا الشيطان ينتظرك ويتحرّى زلاّتك: في أي موضوع في زنا أو غيبة أو رشوة أو عقوق وينتظر زلّتك فهذا استزلال، فهو إذن عندما يتربص بك الشيطان حتى تزلّ. والقاعدة عندنا كما في الحديث: «**إن الشيطان لا يفتح**

باباً مغلقاً» عندما تخطئ ينتظر الشيطان ويستزلك حتى تزلّ. أي: تزل بسرعة استجابة له كما تزل القدم في المشي بسرعة فائقة.

فهي خطوة أخرى بعد وسوس ونزغ قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: 36] الشيطان انتظر حتى استزل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم لما توجه آدم نحو الشجرة وفتح آدم الباب أزلّه الشيطان فأخرجه. الصغيرة تأتي بك إلى الكبيرة وعندما تُمعِن في الرُّخص تفتح باب الزلاّت ويدخل الشيطان من باب الصغائر حتى تصبح كبائر.

سوّل: بعد أن يوسوس الشيطان ثم ينزغ ثم يستزل ثم يزل يسوّل أي: يجعله يصر على الذنب الذي فعله أي يستمر في الذنب ويكرره ويعود إليه فالعَوْد شرطٌ مغلّظ العقوبة. التسويل إذن هو حرص الشيطان على أن يسهل لك الأمر حتى تعود إليه مرة أخرى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: 25] وهذا كله مع ضلال بعد هداية، هؤلاء أناس كانوا مؤمنين ثم انحرفوا واستمروا، الشيطان سوّل لهم وقسم من الذين انحرفوا رجعوا إلى الإيمان.

الإملاء: يملي عليه: بعد أن يستمر بالتسويل ويستمر على ضلاله يملي الشيطان عليه ويفتح عليه أفكاره ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52] وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: 25]، فبعد أن يحرص على الضلالة ويصر على المعصية يملي عليه الشيطان بأفكار وفلسفات. وكثير من البِدع تأتي بالنزغ ثم الاستزلال ثم الزلل ثم تسويل حتى تصبح فلسفة يتبعها الناس ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: 3].

التزيين: لو أن هذه السلسلة كلها حدثت مع مؤمن ثم صحا يوماً فإن الشيطان يعود ليزين له عمله فيعود من جديد. فالتزيين هو إذا شكّ الضال أو المنحرف يزيّن له الشيطان حتى يبقى على ضلاله.

الضلال: بعد أن كان مؤمناً صار ضالاً وخرج عن الطريق المستقيم ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60]، وعندنا ضلال بعيد أي الكفر ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116] والضلال عندما يكون بدون صفة في القرآن فهو ضلال المؤمن في بدعة أو انحراف. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8].

الغواية: يصل المؤمن إلى مرحلة الغواية وهي الضلال المستمر عن جهالة. فأنت وقعت في براثن الشيطان عبر كل هذا التدرج وكل هذه المراحل حتى وصلت للغواية لأنك جاهل لم تستطع أن تقيم الحجة في نفسك. الغواية هي الانحراف عن الطريق المستقيم. عندما تستمر السلسلة حتى تصل إلى حد الضلال والإضلال. الغواية أن تفقد مكانك ومكانتك التي كنت عليها عند الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121]، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] بهذه الفعلة هبطت درجة آدم عند الله قليلاً ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55].

الفتنة: كل الذي يجري يصب في آخر فعل وهو الفتنة ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27]، أي لا يدمركم أو يوقعكم في مصائب وبلوى. الشيطان بعد أن يوسوس لك لحد الغواية يقول: اذهب في جهنم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: 16] حتى شياطين الإنس عندما تتبعهم وتنفذ كل أغراضهم كعميل أو جاسوس ينتقمون منك أشد الانتقام.

هذه أساليب الشيطان، لكن الله تعالى قال: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

والكيد هو التدبير الدقيق. أما كيف نتغلب عليه؟ فالكيد يذهب:

أولاً: بالاستغفار والاستعاذة ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200] والشيطان خنّاس عندما تعصيه يخنس ولكن عندما تتماهل وتتمهل ينتصر عليك.

ثانياً: التوكل ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ [النحل: 99].

ثالثاً: الأدعية المأثورة والتذكر ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: 97].

رابعاً: الذكر الدائم: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]، وما من شيء يطرد الشيطان كالذكر المأثور الدقيق في أوقات معينة، فتأمل إذا واظبت على وردك اليومي كما في سنة الرسول ﷺ لا يقربك الشيطان نهائياً.

- ما هي أدوات الشيطان ومحفزاته ومواطن تأثيره؟

أولاً: مصادر القوة كالسلطة والمال والولد: كل عنصر من عناصر القوة يغريك بالظلم والشهوات والاستعلاء ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15] وهنا مسرح إبليس.

ثانياً: الشهوة: وأهمها النساء والمال. قال رسول الله ﷺ: «**ما تركت فتنة من بعدي أضر على الرجال من النساء وعلى النساء من الرجال**».

ثالثاً: اللغو الكثير والغفلة: استمرار اللغو يجعل الشيطان يرتع في قلبك.

رابعاً: التسويف «**إياكم والتسويف فإن الموت يأتي بغتة**».

خامساً: الرغبة المستمرة: تتمنى أن تصبح مثل أي شخص آخر مشهور، قلبك متشوق لحب الدنيا تجعلك مرتعاً خصباً للشيطان «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**».

سادساً: العامل الوراثي: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22] ينتقل تراث الآباء بسهولة.

سابعاً: عامل السادة والسلطة: رئيس حزب أو طائفة ﴿إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: 67].

بعض الأحاديث في كيفية الوقاية من الشيطان:

1 - «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بألفي عام فأنزل آيتين فختم بهما سورة البقرة لا يُقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان».

2 - «ما من عبد يقول حين يصبح: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، إلا كتب له بها عشر حسنات، وإلا كان في جُنّة من الشيطان حتى يمسي وإذا قالها في المساء كذلك».

3 - «إذا استشاط السلطان تسلّط الشيطان» السلطان صاحب قوة عندما يغضب قد يُخطئ، فعلى السلطان في ساعة الغضب يجلس ويتوضأ ولا يأخذ قراراً حتى لا يظلم».

4 - «ما يُخرِج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطاناً» أي أن الصدقة تذهب كيد الشيطان وتضعفه.

5 - «إذا بُليتم فاستتروا» من حيث أن المجاهرة بالمعصية والذنب يفتح بابك للشيطان فيُزلهم بعد أن استزلك. ويقول تعالى: «إذا فعل عبدي سيئة فأمهله ساعة لعله يستغفر» فعليك أن تستغفر الله تعالى بعد الذنب مباشرة لأن سرعة الاستغفار والتوبة يُضعف الشيطان.

6 - «إن المؤمن ليُنضي شياطينه كما يُنضي أحدكم بعيره في السفر» من كثرة ما يجهد الراكب فرسه ويتعبه يصبح الفرس ضعيفاً ويقع من شدة التعب، وكذلك المؤمن لشدة قهره للشيطان يُضعفه ويقهره ويوقعه.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والنّون والكاف أصل واحد، وهو عضو من الأعضاء، ثمّ يحمل عليه ما يقاربه من طريقة الاشتقاق. فأصل الحنّك حنك الإنسان: أقصى فمه. يقال حَنَّكْتُ الصّبي: إذا مضغت التّمر ثمّ دلكته بحنكه، فهو مُحَنَّكٌ؛ وحَنَكْتُهُ فهو مَحْنُوكٍ.

قال الخليل[2]: رجل مُحَنَّكٌ: لا يستقل منه شيء ممّا عضه الدّهر، والمُحْتَنِك: الّذي تمّ عقله وسنه. يقال: حَنَكَتْهُ السنّ حَنَكاً وحِنْكاً وحَنَّكْتُه تَحْنِيكاً: إذا نبتت أسنانه الّتي تسمّى أسنان العقل. ويقال: هم أهل الحُنك، ومنهم من يكسر الحاء، ومنهم من يُثقل فيقول: أهل الحِنْكِ والحُنْكَةِ يعني أهل الشّرف والتّجارب. والتَّحْنِيكُ: أن تغرز عوداً في الحَنَكِ الأعلى من الدّابة أو في طرف قرن حتّى يُدميه لحدث يحدث فيه. واسْتَحْنَكَ الرّجل: اشتدّ أكله بعد قلّة.

قال الجوهريّ[3]: حَنَكْتُ الفرس أَحْنُكُهُ وأَحْنِكُهُ حَنْكاً: إذا جعلت فيه الرّسن. وكذلك احْتَنَكْتُهُ. واحتنك الجراد الأرض، أي: أكل ما عليها وأتى على نبتها. وحَنَكْتُ الشّيء: فهمته وأحكمته. واحْتَنَكَ الرّجل، أي: استحكم والاسم: الحُنْكَةُ. والحُنْكَةُ أيضاً: القِدة الّتي تضمّ الغراضيف؛ والجمع: حِنَاكٌ، مثل بُرمة وبِرام، حكاه أبو عُبيد. والحَنَكُ: المنقار: يقال: أسود مثل حَنَكِ الغراب. وأسود حَانِكٌ، مثل حالك.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: 62].

قال الزّمخشريّ[1]: لأستأصلنّهم بالإغواء؛ من احتنك الجراد الأرض: إذا جرّد ما عليها أكلاً، وهو من الحنك. ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم: أحنك الشّاتين، أي أكلها. فإن قلت: من أين علم أنّ ذلك يتسهّل له، وهو من الغيب؟ قلت: إمّا أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به، أو خرّجه من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: 30]، أو نظر إليه فتوسّم في مخايله أنّه خلق شهوانيّ.

و قيل: قال ذلك لما عملت وسوسة آدم. والظّاهر أنّه قال: ذلك قبل أكل آدم من الشّجرة.

قال ابن عطيّة[2]: معناه: لأميلن ولأجرن، وهو مأخوذ من تحنيك الدابة، وهو أن يشد على حنكها بحبل أو غيره فتنقاد، وألسنة تحتنك المال، أي تجتره.

وهذا بدل اللفظ لا تفسير، وحكم إبليس بهذا الحكم على ذرية آدم، من حيث رأى الخلقة مجوفة مختلفة الأجزاء وما اقترن بها من الشهوات والعوارض، كالغضب ونحوه، ثم استثنى القليل، لعلمه أنه لا بد أن يكون في ذريته من يصلب في طاعة الله.

قال الفخر الرازيّ[3]: في الاحتناك قولان، أحدهما: أنه عبارة عن الأخذ بالكلية، يقال: احتنك فلان ما عند فلان من مال: إذا استقصاه وأخذه بالكلية،

---

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.

واحتنك الجراد الزرع: إذا أكله بالكلية. والثاني: أنه من قول العرب حنك الدابة يحنكها: إذا جعل في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به، فعلى القول الأول معنى الآية لأستأصلنهم بالإغواء. وعلى القول الثاني لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحبلها.

حنّ

(حنان - شفقة - رحمة - رأفة - خفض الجناح - الرعاية بالعين)

شرح المعاني:

هذه الكلمات تدل على شدة التعلق وكل كلمة منها تعطي زاوية من المعنى لا تتضمنها الكلمة الأخرى، والحنان تتجحفل معه كلمات هي الشفقة والرحمة والرأفة وخفض الجناح والرعاية بالعين.

حنان: الحنان والحنين كلاهما من جذر واحد وهو اشتياق متكرر يتلذذ به صاحبه إلى حد الألم يُسمى اللذة الخطرة. هناك لَذَّات مؤلمة ولذلك الحنان على طفل رضيع قد يكون مريضاً أو في محنة معينة أو قد يؤخذ من أمه قسراً في الحروب مثلاً هذا الوضع يجعل الأم المخلوق الوحيد الذي يحنّ على ولده حنيناً يُذهلها عن حالها، ولشدة حبها لابنها تتلذذ بولدها بصحته ومرضه تلذذاً عظيماً إذا فقدت هذه اللذة تحنّ إليه حناناً عجيباً.

والحنان هو اللذة بالخوف الشديد على محبوب في أزمة أو مرض، والحنين اللذة في الاشتياق المتكرر للشيء فأنت تحن إلى الأشياء وتحن على الأشخاص فأنت تشعر بحنان هائل إذا ضاع ولدك بينما تشعر بحنين إلى محبوب فقدته.

ولا يكون حنين أو حنان إلا إذا أصدر صوتاً فقط وهذا شرطه مثل الأنين أو التأوه وهذا ما يميز هذه الكلمة عن غيرها في منظومة الحنان. الجذع حنّ إلى الرسول ﷺ وسمعه المسلمون وكذلك حنين الإبل لأولادها معروف يسمع لها

رغاء. وبالتالي الشعر العربي الوجداني والحب والغناء والنواح والأهازيج كلها أصوات ناتجة عن الحنان أو الحنين. الحمام يئن على فراق حبيبه وعذاب الهدهد أن يُفرّق عن أنثاه فيُعرف له أنين وقد يموت من شدة حنينه لها. زكريا وُلِد له يحيى بعدما صار عجوزاً فما أدرك يحيى لذة الأبوة فربُّ العالمين عوّضه بحنان الله تعالى عليه بما يليق بجلاله ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 13]. والحنان أو الحنين هو الذي يمسك الناس في أوطانها وعلى أولادها وأحبابها وكل الأصوات التي تصدر عن حب أو بعد أو وجد أو حنان هي من أثر الحنان والحنين.

الرحمة: جزء من آثار الحنان والحنين، والرحمة تتلخص في أنك تجلب المصلحة لشخص ما كأن تنفع ابنك هو كل همك تبعاً لحنانك له (تربية، تعليم). قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21] جعل تعالى المودة عندما كانا شابين عروسين يُقبلان على بعضهما البعض، أما عندما يكبران قد يمرض أحدهما أو يُقعد أو يفقد بصره فتحصل بينهما رحمة أحدهما بالآخر بحيث ينسى كل منهما مشكلته ليرعى الآخر. أما في هذه الأيام فنرى أن الوفاء قلّ بين الأزواج كثيراً.

الرأفة: إذا دفعت الشر والضر والضرر عن شخص فهذه رأفة. ترحمه أولاً عندما تجلب له المصالح والمنافع وترأف به عندما تدفع عنه الضرر.

الشفقة: على إنسان في حالة الوعظ فقط عندما تنصحه لأنك تخاف عليه خطأ أو منكراً أو مصيبة. خوفك على المحبوب من أن لا يتّبع نصحك يُسمى شفقة أو إشفاق. أنت تعطي ابنك نصائح وتخاف أن لا يطبقها هذا الخوف يُسمى شفقة على محبوب، حنانك عليه يفيض ثم تنصحه وتخاف أن لا يطبق هذه النصائح مما يؤدي إلى ضرر يأتي إليه يسمى شفقة وإشفاقاً.

الرعاية بالعين: يقال بعيني وعلى عيني. قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ

بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48] عدّاها بالباء وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39] عدّاها بعلى بمعنى أراقبك وأراعيك وأباشر مصالحك من قريب لكن خارج نطاقي. الفرق بين الباء وعلى أن (الباء) تعني الامتزاج أي أنه قطعة من العين، أما (على) فهي تعني المراقبة والرعاية ومباشرة المصالح من قريب لكن خارج نطاق القائل. بأعيننا غاية الحنان كما يليق بذات الله تعالى وصفاته وأسمائه، والحنان من الله تعالى هو شدة الرعاية بحيث يتولى الله تعالى كل أمره.

هذه المنظومة: الرعاية ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: 27] وخفض الجناح كلها من الحنان، واللين أيضاً يصدر من الحنان والحنين.

الحنان: هو شدة الشوق للذة، يتكرر باستمرار لمحبوب، ويُصدر صوتاً. في قصة عبد الله بن الزبير عندما ثار على بني أمية ثم انهزم فصلبه الحجاج وعلّقه على المشنقة وأقسم أن لا يُنزله إلا بعد أن تأتي أمه أسماء رضي الله عنها فتتوسل إلى الحجاج وكانت قد بلغت التسعين من عمرها، فرفضت: وبعد أن طال صلب عبد الله ومن شدة شوق أمه أسماء له ذهبت في نصف الليل والحراس نائمون إلى أن وصلت إلى ابنها المصلوب فقبّلت رجليه وقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجّل؟ فسمعها أحد الحراس وأخبر الحجاج فاعتبر أنها توسلت له فأنزل عبد الله وأخذوا جثته إلى أمه فاحتضنتها من المساء إلى الصباح حتى درّ لبنها بحنانها على ابنها وهي في التسعين. وكلما كان حنان الأم أشد كلما كان لبنها أكثر وفراق الأم لبنها من أبعث أنواع الحنان.

ورب العالمين عَزَّوَجَلَّ أحنّ على العباد من أمهاتهم كما في الحديث القدسي: (أنا أحنّ على عبدي من أمّه). نذكر قصة المبتعد عن الله تعالى، عبد ابتعد عن ربه يقول تعالى: هذا البعيد الذي ابتعد عني ثم يأتيني بعد ذلك أنا أفرح به كفرح صاحب الراحلة أضاعها في الصحراء وعليها طعامه وشرابه فهو هالك لا محالة،

فبحث عنها ولم يجدها فنام بانتظار الموت ثم استيقظ فوجد راحلته أمامه، ومن شدة فرحته أخطأو قال: يا رب لك الحمد أنت عبدي وأنا ربك.

فمن أول دقيقة يفرح الله تعالى بالعبد التائب أكثر من فرح العبد براحلته. والحنّان هو اسم من أسماء الله الحسنى وهو الذي يُقبل على من أعرض عنه. ابن عاقُ ولا يحب أمه وكلما ابتعد عنها اقتربت منه وحنّت إليه، وكذلك العبد كلما ابتعد عن ربه يزداد شوقه تعالى ليعود العبد إليه، وهو سبحانه الذي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

من آثار حنان الله تعالى على عباده: «لقد أمرت عبدي أن يسألني فأعطيه فلم يسألني فأعطيته أجلّ العطايا بلا سؤال، وأبتدئ النِعم قبل استحقاقها، ودعوته إلى بابي فأبطأ عليّ ومع ذلك لم أُيئسه من رحمتي بل قلت له: لو جئتني قَبلتك مهما طال الزمان، لإن أتيتني ليلاً قبِلتك وإن أتيتني نهاراً قبِلتك وإن تقرّبت مني شبراً تقرّبت إليك ذراعاً وإن تقرّبت مني ذراعاً تقربت إليك باعاً وإن أتيتني ماشياً أتيتك هرولة ولو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة. ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك. عبادي يبارزونني بالعظائم وأنا أكلؤهم على فُرُشِهم. إنما الجن والإنس نبأ عظيم. أخلق ويُعبد غيري وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل وشرّهم إليّ صاعد أتحبب إليهم بنعمي، أنا الغني عنهم وأتبغّض إليهم بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ تلقيّته من بعيد ومن أعرض عني ناديته من قريب ومن ترك لأجلي أعطيته فرق المزيد ومن أراد رضاي أردت ما يريد ومن تصرّف بحولي وقوتي ألنت له الحديد.

أهل ذكري أهل مجالستي فأنا جليس من ذكرني وأهل شكري أهل زيادتي ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7] وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أُقنّطهم من رحمتي ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 53] إن تابوا إليّ فأنا حبيبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: 222] وإن لم

يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأُطهرهم من المعايب ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 155]. من آثرني على سواي آثرته على من سواه، الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عندي بواحدة فإن ندم عليها واستغفرني غفرتها له. أشكر اليسير من العمل وأغفر الكثير من الزلل رحمتي سبقت غضبي وحِلمي سبق مؤاخذتي وعفوي سبق عقوبتي وأوكلت لعبدي ما يريد مني فأنا عند ظن عبدي فليظُنّ بي ما يشاء. وإن عبدي ليعصيني فيذكرني على المعصية فأغفرها له قبل أن يستغفرني فأنا غافر الذنب أولاً وقابل التوب ثانياً فإذا تاب عبدي بدّلت سيئاته حسنات، ويعصيني عبدي ألف معصية فأغفرها له بحسنة واحدة. يُؤتى بالعبد ما له حسنة فيقول الرب: خذوا عبدي إلى الجنة فتقول الملائكة: بِمَ؟ يقول: إنه كان يصل رحِمه. عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة.

جعلت لعبدي أوقاتاً شريفة ألقاه فيها كالثلث الأخير من الليل، وجعلت له أزمنة شريفة أرفعه فيها كشهر رمضان، وجعلت له أياماً شريفة أطهّره فيها كيوم عرفة، وجعلت له ليالي شريفة أغنيه فيها كليلة القدر، وجعلت له أماكن شريفة أستقبله فيها كالمساجد، وجعلت له مجالس شريفة أجالسه فيها كمجالس الذكر ومجالس العلم وزيارة المريض، وجعلت المؤمنين بعضهم أولياء بعض فقبلت دعوة بعضهم لبعض في ظهر الغيب ولا أردّها، وقبلت شفاعة بعضهم لبعض يوم القيامة فلكل مؤمن شفاعة لأخيه، ومن شهد له سبعة من جيرانه أدخلته الجنة على ما كان له من عمل، ومن مات فصلّى عليه أربعون وشهدوا له بخير أدخلته الجنة على ما كان له من عمل، ومن تبع جنازة أخيه إيماناً واحتساباً غفرت له وأدخلته الجنة، ومن أحسنت عِشرة زوجها على ما كان منه من سوء أدخلتها الجنة. وإذا أحببت عبادي نظرت إليهم فلا أعذبهم أبداً، والذين أحبهم كثيرون أحب التوابين الذين كلما عملوا سيئة تابوا منها مباشرة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: 17]، وأحب المتطهرين الذين يبقون طيلة النهار على وضوئهم، وأحب المحسنين الذين

يتجاوزون عن أخطاء الغير ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134] وأحب المُقسطين أهل العدل في أهلهم وما ولوا، وأحب العبد المتبذّل الذي لا يبالي ما يلبس، أحب العبد العفيف المتعفف ذا العيال. أحب العبد يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله فقد وجبت محبتي له، أحب العبد يحب أخاه من أجلي. أحب العبد إذا أكرم بناته وأحسن تربيتهم، أحب العبد الذي يُصلح ذات البين، أحب أهل القرآن يتعلمونه ويعلمونه فهم خيار الناس، أحب الشاب الطائع وأحب الغني المتواضع، أحب التاجر الناصح سهل إذا باع سهل إذا اشترى، أحب الأسخياء والسخاء خُلُق الله الأعظم «تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله تعالى يستره له في الدنيا ويغفره له في الآخرة» والسخي هو الذي يعطي ولا يشعر بألم أو حرج وصار الكرم فيه سليقة يقول الرسول ﷺ: «**إن الله اصطفى هذا الدين لنفسه ولا يُصلحه إلا السخاء وحُسن الخُلُق فإذا وصل العبد للسخاء وحسن الخلق فقد اكتمل**»، وجعلت الشهداء من أحب عبادي إلي فيسّرت الشهادة لكل مؤمن سأل الله الشهادة صادقاً من قلبه نوّله الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه والغريق شهيد والمبطون شهيد، وجعلت لعبادي نوراً يمشون به يوم القيامة في الظلمة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40]، من شاب شيبة في الإسلام فهي نور ومن مشى في الصباح إلى المسجد فهو له نور ومن مشى في العشاء إلى المسجد فهو له نور «بشّر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والنّون أصل واحد، وهو الإشفاق والرّقة، وقد يكون ذلك مع صوت بتوجع، فَحِنينُ النّاقة: نزاعها إلى وطنها. وقال قوم: قد

(1) معجم مقاييس اللغة.

يكون ذلك من غير صوت أيضاً. فأمّا الصّوت فكالحديث الّذي جاء في حَنِينِ الجذع الّذي كان يستند إليه رسول الله ﷺ، لما عُمل له المنبر فترك الاستناد إليه. والحَنَانُ: الرّحمة.

قال الخليل(1): الحِنُّ: حي من الجنّ، يقال: منهم الكلاب السّود البُهم. يقال: كلب حِنِّيُّ. والحَنَانُ: الرّحمة، والفعل: التَّحَنُّن. والله الحَنَّان المنّان الرّحيم بعباده.

قال ابن دريد(2): حَنَّ يَحِنُّ حَنِيناً: إذا اشتاق، وحَنَّتِ النّاقة، إذا نزعت إلى وطنها أو ولدها، والبعير إلى وطنه كذلك. ويقال: حَنَنْتُ عن فلان، إذا حلمت عنه أو تكلم فلم تُجبه.

قال الأزهريّ(3): والحنّان: من أسماء الله تعالى، جاء على «فعال» بتشديد النّون صحيح. وكان بعض مشايخنا أنكر التّشديد فيه، لأنّه ذهب به إلى الحنين، فاستوحش أن يكون الحنين من صفات الله تعالى، وإنمّا معنى الحَنَّان: الرّحيم، من الحَنَان، وهو الرّحمة. وقولهم: حَنَانَيْك، معناه: تَحَنَّنَ عليّ مرة أُخرى، وحَنَاناً بعد حَنَان، وأُذكرك حَنَاناً بعد حَنَان. ويقال: حَنَّ عليه، أي: عطف عليه، وحَنَّ إليه، أي: نزع إليه.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾ [مريم: 12-13].

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) تهذيب اللغة.

قال الفخر الرازيّ[1]: وقد اختلف الناس في وصف الله بالحنان فأجازه بعضهم، وجعله بمعنى الرؤوف الرحيم، ومنهم من أباه لما يرجع إليه أصل الكلمة قالوا: لم يصح الخبر بهذه اللفظة في أسماء الله تعالى، إذا عرفت هذا فنقول: الحنان هنا فيه وجهان. أحدهما: أن يجعل صفة لله. وثانيهما: أن يجعل صفة ليحيى.

أما إذا جعلناه صفة لله تعالى فنقول: التقدير: وآتيناه الحكم حناناً أي رحمة منا، ثم ههُنا احتمالات: الأول: أن يكون الحنان من الله ليحيى، المعنى: آتيناه الحكم صبياً، ثم قال: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي إنما آتيناه الحكم صبياً حناناً من لدنا عليه أي رحمة عليه وزكاة أي وتزكية له وتشريفاً له.

الثاني: أن يكون الحنان من الله تعالى لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ فكأنه تعالى قال: إنما استجبنا لزكريا دعوته بأن أعطيناه ولداً ثم آتيناه الحكم صبياً وحناناً من لدنا عليه أي على زكريا فعلنا ذلك. ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي وتزكية له عن أن يصير مردود الدعاء.

والثالث: أن يكون الحنان من الله تعالى لأمة يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ كأنه تعالى قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا﴾ منا على أمته لعظيم انتفاعهم بهدايته وإرشاده، أما إذا جعلناه صفة ليحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ ففيه وجوه. الأول: آتيناه الحكم والحنان على عبادنا أي التعطف عليهم وحسن النظر على كافتهم فيما أوليه من الحكم عليهم كما وصف نبيه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: 159]، وقال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، ثم أخبر تعالى أنه آتاه زكاة، ومعناه أن لا تكون شفقته داعية له إلى الإخلال بالواجب لأن الرأفة واللين ربما أورثا ترك الواجب.

قال الألوسيّ[2]: أي: وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا، وهذا أبلغ من ورحمناه وروي هذا التفسير عن مجاهد، وقيل: المراد وآتيناه رحمة في قلبه

---

(1) التفسير الكبير. (2) روح المعاني.

وشفقة على أبويه وغيرهما، وفائدة الوصف على هذا الإشارة إلى أن ذلك كان مرضياً لله عَزَّوَجَلَّ فإن من الرحمة والشفقة ما هو غير مقبول كالذي يؤدي إلى ترك شيء من حقوق الله سبحانه كالحدود مثلاً أو الإشارة إلى أن تلك الرحمة زائدة على ما في جبلة غيره عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن ما يهبه العظيم عظيم. وأورد على هذا أن الإفراط مذموم كالتفريط وخير الأمور أوسطها. ورد بأن مقام المدح يقتضي ذلك. ورب إفراط يحمد من شخص ويذم من آخر فإن السلطان يهب الألوف ولو وهبها غيره كان إسرافاً مذمُوماً.

وعن ابن زيد أن الحنان هنا المحبة وهو رواية عن عكرمة أي وآتيناه محبة من لدنا، والمراد على ما قيل جعلناه محبباً عند الناس فكل من رآه أحبه نظير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39].

وجوز بعضهم أن يكون المعنى نحو ما تقدم على القول السابق، وقيل: هو منصوب على المصدرية فيكون من باب: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ﴾ [فصلت: 12].

وجوز أن يجعل مفعولاً لأجله وأن يجعل عطفاً على: ﴿صَبِيًّا﴾ [مريَم: 29]؛ وذلك ظاهر على تقدير أن يكون المعنى رحمة لأبويه وغيرهما، وعلى تقدير أن يكون وحناناً من الله تعالى عليه لا يجيء الحال وباقي الأوجه بحاله، ولا يخفى على المتأمل الحال على ما روي عن ابن زيد.

● **قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ﴾** [التوبَة: 25].

قال الطّبريّ(1): ﴿حُنَيْنٍۙ﴾ واد - فيما ذكر - بين مكّة والطّائف، وأجري لأنّه مذكّر اسم لمذكّر، وقد يترك إجراؤه، ويراد به أن يجعل اسماً للبلدة الّتي هو بها.

(1) جامع البيان.

قال ابن عطية[1]: ﴿حُنَيۡنٍ﴾ واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف حين أريد به الموضع والمكان.

قال الزمخشري[2]: معناه وموطن يوم حنين. أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين. ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين، على أنّ الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر.

(1) المحرر الوجيز.
(2) الكشاف.

حوب

(حوب - إثم - جرم - جناح - حنث - خطأ - زلل - سيئة - فاحشة - رجس)

■ **الحوب:** الذنب الذي يعجل الله عقابه في الدنيا ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2].

■ **الإثم:** الذنب المتعدي الذي يبطئ بصاحبه عن جنس الطاعات كلها ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 219].

■ **الجرم:** الذنب الثابت المستحق للعقاب المحددّ ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: 40-42].

■ **الجناح:** اللوم عن الذنوب كالنزوع إلى الذنب قبل الشروع فيه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: 235].

■ **الحنث:** المسؤولية عن الذنب ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [صَ: 44].

■ **الخطأ:** ذنب غير متعمد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ [النساء: 92].

■ **(الخطيئة):** الكبيرة التي تحبط الحسنات. ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 112].

■ **الزلل:** سرعة الوقوع في الذنب ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 209].

■ **السَّيِّئَةُ:** المعصية عموماً ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: 81] والإحاطة: إحباط العمل.

■ **الفَاحِشَةُ:** ما عظم قبحه عند الناس من الذنوب ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: 54].

■ **الرِّجْسُ:** ذنب تأباه الفطرة من وضوح سقطه. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: 90].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والواو والباء أصل واحد، يتشعّب إلى إِثْمٌ، أو حاجة أو مسكنة، وكلها متقاربة. فالحُوبُ والحَوْبُ: الإثم.

قال الخليل(2): الحَوْبُ: زجر البعير ليمضي، وللنّاقة: حلٍ، والعرب تجره، ولو رُفع أو نصب لجاز؛ لأنّ الزّجر والأصوات والحكايات تُحرّك أواخرها على غير إعراب لازم، وكذلك الأدوات الّتي لا تتمكنّ في التّصريف، فإذا حوّل منه شيء إلى الأسماء حُمل عليه الألف واللّام وأُجري مجرى الاسم. والحَوْبَةُ والحَوْبُ: الإيوان، والحَوْبَةُ أيضاً: رقّة فؤاد الأم. والحَوْبَاءُ: روع القلب. والتَّحَوُّب: شدوّ الصّياح والتّضرّع. والحُوبُ: الإثم الكبير، وحَابَ حَوْبَةً. والحَوْبَةُ: الحاجة. والمَحُوبُ: الّذي يذهب ماله ثمّ يعود، وحافر حَوَابٍ وأبٌّ: مُقعّب.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهريّ[1]: الحُوبُ، بالضمّ: الإثم ؛ والحَابُ مثله. ويقال: حُبْتَ بكذا، أي: أثِمت، تَحُوبُ حَوْباً وحَوْبَةً وحِيَابَةً. وفلان أعقّ وأَحْوَبُ. وإنّ لي حَوْبَةً أعولها، أي ضعفة وعيالا. ويقال: ألحق الله به الحَوْبَةَ أي: المسكنة والحاجة، وقولهم: إنّما فلان حَوْبَةٌ، أي: ليس عنده خير ولا شر والحَوْبَاءُ: النّفس، والجمع: الحَوْبَاوَاتُ. وحَوْبٌ: زجرٌ للإبل، فيه ثلاث لغات حَوْبُ وحَوْبَ وحَوْبِ، تقول منه: حَوَّبْتُ بالإبل.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النِّساء: 2].

قال أبو حيّان[2]: قرأ الجمهور بضمّ الحاء، والحسن بفتحها، وهي لغة بني تميم وغيرهم، وبعض القرّاء (إنّه كان حاباً كبيراً) وكلّها مصادر.

قال ابن عبّاس والحسن وغيرهما: الحوب: الإثم، وقيل: الظّلم وقيل: الوحشة، والضّمير في (إنّه) عائد على الأكل. وقيل: على التّبدلّ، وعوده على الأكل أقرب لتربه منه، ويجوز أن يعود عليهما، كأنّه قيل: إنّ ذلك.

قال الألوسيّ[3]: أي إثماً أو ظلماً، وكلاهما عن ابن عبّاس وهما متقاربتان. وأخرج الطّبرانيّ أنّ رافع بن الأزرق سأله رضي الله عنه عن الحوب. فقال: هو الإثم بلغة الحبشة، فقال: فهل تعرف العرب ذلك؟ فقال: نعم.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) البحر المحيط.
(3) روح المعاني.

حوت

(حوت - سمك)

■ **الحُوتُ:** السمك العظيم ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصَّافات: 142].

■ **السَّمَكُ:** وهو ما يؤكل من صغار السمك بلحمه الطري ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فَاطِر: 12].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1] : الحاء والواو والتّاء أصل صحيح مُنقاس، وهو من الاضطراب والرَّوَغَان، فالحُوتُ العظيم من السّمك، وهو مضطرب أبداً غير مستقرّ. والعرب تقول: حَاوَتَنِي فلان: إذا راوغني.

قال الخليل[2] : الحُوتُ: معروف. والجميع: الحِيتَان وهو السّمك. والحُوتُ: برج من الاثني عشر، وهو آخرها. والحُوتُ، والحُوتَان الطّائر حول الماء، وحومان الوحشيّة حول شيء.

قال ابن دريد[3] : الحُوتُ معروف ؛ وهو ما عظم من السّمك. وقال قوم: بل السّمك كلّه حِيتَان، والجمع: حِيتَان وأَحْوَات. وبنو حُوتٍ: بُطين من العرب.

قال الجوهريّ[4] : الحُوتُ: السّمكة، والجمع: الحِيتَان، والحُوتُ: بُرجٌ في

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) الصحاح في اللغة.

السّماء. وحَاتَ الطّائرعلى الشّيء يَحُوتُ، أي: حام حوله. وحَاوَتَني: إذا راوغك.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصَّافات: 142].

قال الألوسيّ(1): وروي أنّه لمّا وقف على شفير السّفينة ليرمي بنفسه، رأى حوتاً، واسمه على ما أخرج ابن أبي حاتم وجماعة من قتادة (نجم، وقد رفع رأسه من الماء قدر ثلاثة أذرع يرقبه ويترصّده، فذهب إلى ركن آخر فاستبقه الحوت، فانتقل إلى آخر فوجده، وهكذا حتّى استدار بالسّفينة. فلمّا رأى ذلك عرف أنّه أمر من الله تعالى فطرح نفسه، فأخذه قبل أن يصل إلى الماء.

● **قال الله تعالى**: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61].

قال أبو حيان(2): وكان من أمر الحوت وقصته أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أوحي إليه أنَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فيكف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فنام موسى واضطرب الحوت في المكتمل فخرج منه فسقط ﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61] وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق. قيل: وكان الحوت مالحاً. وقيل: مشوياً. وقيل: طرياً. وقيل: جمع يوشع الحوت والخبز في مكتل فنزلا ليلة على شاطىء عين تسمى عين الحياة ونام

(1) روح المعاني. (2) البحر المحيط.

موسى، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت، وروي أنّهما أكلا منها، وقيل: توضّأ يوشع من تلك العين، فانتضح الماء، على الحوت فعاش, ووقع في الماء.

قال القرطبيّ[1]: وجمهور المفسّرين، أنّ الحوت بقي موضع سلوكه فارغا, وأنّ موسى مشي عليه متبعاً للحوت، حتى أفضى به الطّريق إلى جزيرة في البحر, وفيها وجد الخضر. وظاهر الرّوايات والكتاب أنّه إنّما وجد الخضر في ضفّة البحر.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

حوج

(حاجة - إرب - وطر)

■ **الحَوْجُ:** الحاجة إلى شيء ضروري وليس عندك ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يُوسُف: 68].

■ **الإرْبُ:** الحاجة الخاصة لمزاج صاحبها. يقال: تأربت في حاجتي. أي: تشددت، والأربة: الحاجة الشخصية وجمعها مآرب ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: 18].

وتطلق على حاجة الرجل من المرأة خاصة وقال تعالى: ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النُّور: 31].

■ **الوَطَر:** النهمة القوية من حاجة الفرج أو البطن ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزَاب: 37]، يقال قضى من الشيء وطره، وقضى إربه وقضى نهمته، وقضى حاجته.

* * *

شرح المعاني:

غَرَض هذه الكلمات تدخل في منظومة الافتقار أي شدة الاحتياج للشيء.

يقال المسألة تفتقر إلى شرح والمكان يفتقر إلى تكييف. والافتقار عنوان على عدة كلمات تستعمل لبيان حاجتك إلى شيء، وكل شيء يختلف عن الشيء الآخر من حيث أهميته أو طريقة الحصول عليه. وله في القرآن الكريم كلمة مستقلة وهذه

من دقة القرآن من حيث استعمال الكلمات استعمالاً إعجازياً بحيث لا تغني كلمة عن أختها.

الحاجة: هي كل شيء تحبه وليس عندك فأنت تطلبه وتريده وهو ميسّر وموجود من لباس وطعام وبيت وسيارة والحاجات اليومية. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 68]. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: 80].

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]. أنت تحتاج إلى شيء لكنه ليس موجوداً فإن عثرت عليه يقال: قُضيت حاجتك، وإن لم تعثر عليه فإنك مكرّم يوم القيامة والذين لا يجدون الحاجات الضرورية لحياتهم هم ملوك الجنة لقوله ﷺ: «**يموت الرجل منهم حاجته في صدره**» يشتهي شيئاً ولم يحصل عليه في الدنيا وكل من في قلبه حاجة مشروعة ولم يحصل عليها فهي واحدة من الأسباب التي تجعله من أبرز شخصيات الجنة يوم القيامة.

وَطَر: كل حاجة مؤقتة في وقت محدد من شيء تحبه فهي وطر، كأن يكون الإنسان شغوفاً بطعام معين أو برحلة خاصة أو نحو ذلك. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: 37].

وطر هنا بمعنى العلاقة الزوجية الناجحة وقضاء الشهوة التي هي من أكثر الأشياء التي تجعل الإنسان شغوفاً بها. وطر تعني العلاقة التي تكون في غاية الرقة والعناية والتحضّر وأن لا تكون كما قال ﷺ: «**لا يقع أحدكم على زوجته كما يقع على الدابّة**» وقد سمّى الله تعالى هذه العلاقة وطراً للشغف والعناية، وكل شيء

تحبه حباً أخذ بشغاف قلبك وبذلت في سبيل ذلك عناية سواء كان وظيفة أو امرأة ليس من السهل خطبتها ثم نلتها يسمى: وطراً.

الإرب: الحاجة الضرورية بعناية وليس بشغف كما في الوطر، فالشغف شيء والعناية شيء آخر. قد لا تكون شغوفاً بالحاجة لكنك تعتني بها كمثل مهندس لمشروع كبير يبذل فيه المهندس مجهوداً كبيراً وعناية وجهداً وبعد أن ينتهي من مشروعه يقال: نال إربه لشدة ما بذل من عناية وجهد وليس بالضرورة أن يكون شغوفاً بالمشروع أو يعشقه. ومن الإرب يؤخذ الأريب أي الذكي اللمّاح. ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: 31].

السؤل: كل شيء عظيم لكن من المستحيل أن تستطيع فعله أنت ولا بد أن تطلبه من رب العالمين أو من صاحب سلطان ليفعله لك. ولهذا قال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه: 25-34]، موسى عليه السلام لا يستطيع أن يفعل شيئاً من كل هذه الحاجات التي في نفسه ولا يفعلها إلا الله تعالى فجاء الردّ في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 36]. ولم يقل: أوتيت حاجتك ولا إربك. فالسؤل هو الحاجات التي لا يمكن أن تفعلها، وكل الحاجات السابقة (حاجة، إرب، وطر) يمكن أن تفعلها أنت فإذا سألت الله تعالى بإلحاح أن يفعلها لك أو طلبتها من كبير بسلطانه أو بعلمه أو بنفوذه فهو سؤل.

العَرَض: اسم جنس على كل الحاجات. وكلمة عَرَض تعني كل الحاجات الاستهلاكية (سيارة، بيت) قال تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:

67]، ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 42]، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 33]، فهي مجموعة الحاجات الدنيوية السهلة التي يمكن السعي لها والحصول عليها بسهولة ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169]، وكلمة عَرَض ليس لها جمع.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والواو والجيم أصل واحد، وهو الاضطرار إلى الشّيء. فالحَاجَةُ واحدة الحاجات، والحَوْجَاءُ: الحَاجَةُ. ويقال: أَحْوَجَ الرّجل: احْتَاجَ، ويقال أيضاً: حَاجَ يَحُوجُ بمعنى احتاج.

قال الخليل[2]: الحَوْجُ من الحَاجَةِ، تقول: أَحْوَجَهُ الله، وأَحْوَجَ هو، أي: احْتَاجَ، والحَاجُ جمع: حَاجَة، وكذلك الحَوَائِجُ والحَاجَاتِ. والتَّحَوُّج: طلب الحَاجَة. والحِوَجُ: الحاجات. وتقول: لقد جاءته إلينا حَاجَةٌ حَائِجَة. والحَاجُ من الشوك: ضرب منه.

قال ابن دريد[3]: والحَوْجُ لغة يمانيّة، يقول الرّجل للرّجل عند العثرة والمصيبة: حَوْجاً لك، أي: سلامة لك. والحَائِجَةُ والحَوْجَاءُ والحَاجَةُ بمعنى واحد، وعلى هذه اللغة قيل: حَوَائِجُ في جمع: حَائِجَة، هكذا قال عبد الرّحمان

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.

عن عمّه. وجمع حَاجَة: حَاجٌ، ويقال: حَاجَةٌ وحَاجَاتٌ وحَوَائِجٌ، والحَاجُ جمع: حَاجَة وهو ضرب من الشّجرة.

قال أبو هلال[1]: الفرق بين الفقر والحاجة: أن الحاجة هي النّقصان، ولهذا يقال: الثّوب يحتاج إلى خرمة، وفلان يحتاج إلى عقل؛ وذلك إذا كان ناقصاً. ولهذا قال المتكلمون: الظّلم لا يكون إلاّ من جهل أو حاجة، أي: من جهل بقبحه أو نقصان زاد جبره بظلم الغير.

والفقير خلاف الغنّي، فأمّا قولهم: فلان مُفتقر إلى عقل فهو استعارة، ومحتاج إلى عقل حقيقة. الفرق بين النّقص والحاجة: أن النّقص سبب إلى الحاجة، فالمحتاج يحتاج لنقصه، والنّقص أعمّ من الحاجة: لأنّه يستعمل فيما يحتاج وفيما لا يحتاج.

في القرآن الكريم:

- **قال الله تعالى**: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يُوسُف: 68].

قال أبو السّعود[2]: أي أظهرها ووصّاهم بها دفعاً للخاطرة غيرَ معتقدٍ أن للتدبير تأثيراً في تغيير التقديرِ، وقد جعل ضميرُ الفاعل في قضاها للدخول على معنى أن ذلك الدخولَ قضى حاجةً في نفس يعقوبَ وهي إرادتُه أن يكون دخولُهم من أبواب متفرقةٍ، فالمعنى ما كان ذلك الدخولُ يغني عنهم من جهة الله تعالى شيئاً ولكن قضى حاجةً حاصلةً في نفس يعقوبَ بوقوعه حسب إرادتِه فالاستثناءُ منقطعٌ أيضاً وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدةٌ سوى دفعِ الخاطرة، وأما إصابةُ

(1) الفروق في اللغة. (2) إرشاد العقل السليم.

العين فإنما لم تقع لكونها غيرَ مقدّرةٍ عليهم لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقضيّةً عليهم.

قال ابن عاشور[(1)]: والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ منقطع لأن الحاجة التي في نفس يعقوب عليه السلام ليست بعضاً من الشيء المنفي إغناؤه عنهم من الله، فالتقدير: لكن حاجة في نفس يعقوب عليه السلام قضاها. والحاجة: الأمر المرغوب فيه. سمي حاجة لأنه محتاج إليه، فهي من التسمية باسم المصدر. والحاجة التي في نفس يعقوب عليه السلام هي حرصه على تنبيههم للأخطار التي تعرض لأمثالهم في مثل هذه الرحلة إذا دخلوا من باب واحد، وتعليمُهم الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

قال الفخر الرازي[(2)]: أي حسداً وحرارة وغيظاً مما أوتي المهاجرون من دونهم، وأطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة، لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة، فأطلق اسم اللام على الملزوم على سبيل الكناية.

قال الألوسي[(3)]: أي طلب محتاج إليه ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي مما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره، وحاصله أن نفوسهم لم تتبع ما أعطي المهاجرون ولم تطمح إلى شيء منه تحتاج إليه، فالوجدان إدراك علمي وكونه في الصدر من باب المجاز.

- والحاجة - بمعنى المحتاج إليه، وهو استعمال شائع يقال: خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته. و﴿وَمَن﴾ تبعيضية، وجوز كونها بيانية والكلام

(1) التحرير والتنوير.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

على حذف مضاف وهو طلب، وفيه فائدة جليلة كأنهم لم يتصوروا ذلك ولا مرّ في خاطرهم أن ذلك محتاج إليه حتى تطمح إليه النفس. ويجوز أن يكون المعنى - لا يجدون في أنفسهم مايحمل عليه الحاجة كالحزازة والغيظ والحسد والغبطة لأجل ما أعطي المهاجرون - على أن الحاجة مجاز عما يتسبب عنها، وقيل: على أنها كناية عما ذكر لأنه لا ينفك عن الحاجة فأطلق اسم اللازم على الملزوم، وما تقدم أولى، وقول بعضهم: أي أثر حاجة تقدير معنى لا إعراب. و﴿وَمَن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ تعليلية.

حوذ

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والواو والذّال أصل واحد، وهو من الخفّة والسّرعة وانكماش في الأمر. فالإِحْوَاذُ: السّير السّريع. ويقال: حَاذَ الحمار أُتنُه يَحُوذُهَا: إذا ساقها بعنف. والأَحْوَذِيُّ: الخفيف في الأمور، الّذي حذق الأشياء وأتقنها. والأَحْوَذِيَّانِ: جناحا القِطاة.

قال الخليل[2]: حَاذَ يَحُوذُ حَوْذاً، أي: حاط يحوط حوطاً. والحَاذُ: شجر عظام، الواحدة: حَاذَةٌ: واسْتَحْوَذَ عليه الشّيطان، واسْتَحَاذَ - لغة - أي: غلب عليه. ورجل أَحْوَذِيٌّ، وأحوزي، أي: نسيج وحده. وأَحْوَذَ ثوبه إليه، أي: ضمّه.

قال الجوهريّ[3]: الحَوْذُ: السّوق السّريع. تقول: حُذْتُ الإبل أَحُوذُهَا حَوْذاً، وأَحْوَذْتُها مثله.

واسْتَحْوَذَ عليه الشّيطان، أي: غلب. وهذا جاء بالواو على أصله، كما جاء استروح واستصوب.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: 19].

قال ابن عطيّة[1]: معناه: تملّكهم من كلّ جهة، وغلب على نفوسهم، وهذا الفعل ممّا استعمل على الأصل، فإنّ قياس التّعليل يقتضي أن يقال: استحاذ. وحكى الفرّاء في كتاب (اللّغات) أنّ عمر قرأ: (استحاذ).

قال القرطبيّ[2]: أي جمعهم وضمّهم، يقال: أحوذ الشّيء، أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض. وإذا جمعهم فقد غلبهم وقوي عليهم وأحاط بهم.

● قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النّساء: 141].

قال الطّبريّ[3]: ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين، ونمنعكم منهم بتخذيلنا إياهم، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا. واختلف أهل التأويل.. . فقال بعضهم: معناه: ألم نغلب عليكم. وقال آخرون: معنى ذلك: ألم نبيّن لكم أنّا معكم، على ما أنتم عليه؟

وهذان القولان متقاربا المعنى، وذلك أن من تأوّله بمعنى: ألم نبين لكم إنما أراد إن شاء الله ألم نغلب عليكم بما كان منا من البيان لكم أنَّا معكم؟

وأصل الاستحواذ في كلام العرب فيما بلغنا الغلبة

قال الفخر الرازيّ[4]: وفي تفسير هذه الآية وجهان: الأول: أن يكون بمعنى ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم ثم لم نفعل شيئاً من ذلك ونمنعكم من

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير

المسلمين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا لنا نصيباً مما أصبتم. الثاني: أن يكون المعنى أن أولئك الكفار واليهود كانوا قد هموا بالدخول في الإسلام، ثم إن المنافقين حذروهم عن ذلك وبالغوا في تنفيرهم عنه وأطعموهم أنه سيضعف أمر محمد وسيقوى أمركم، فإذا اتفقت لهم صولة على المسلمين قال المنافقون: ألسنا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الإسلام ومنعناكم منه وقلنا لكم بأنه سيضعف أمره ويقوى أمركم، فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا إلينا نصيباً مما وجدتم. والحاصل أن المنافقين يمنون على الكافرين بأنا نحن الذين أرشدناكم إلى هذه المصالح، فادفعوا إلينا نصيباً مما وجدتم.

حور

(حور - بعث)

■ **الحَوْرُ:** العودة القهرية ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: 14].

■ **البَعْثُ:** العودة النظامية المقررة ﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7].

حور

(حور - جادل)

■ **الحِوَارُ:** النقاش للوصول إلى نقطة اتفاق ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ [المجَادلة: 1].

■ **الجِدَالُ:** النقاش لفرض كل من الفريقين رأيه ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ [الزّخرُف: 58].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والواو والرّاء ثلاثة أصول: أحدهما لون. والآخر الرّجوع. والثّالث أن يدور الشّيء دوراً. فأمّا الأوّل: فالحَوَرُ: شدّة بياض العين في شدّة سوادها ويقال: حَوَّرْتُ الثّياب، أي: بيّضتها. ويقال لأصحاب عيسى عليه السلام: الحَوَارِيُّون، لأنّهم كانوا يُحَوّرون الثّياب، أي: يبيّضونها. هذا هو الأصل، ثمّ قيل لكلّ ناصر: حَوَارِيٌّ. والحَوَارِيَّاتُ: النّساء البيض. والحُوَارَى من الطّعام: ما حُوِّرَ، أي بُيض. واحْوَرَّ الشّيء: ابيضّ احْوِرَاراً.

قال الخليل(2): الحَوْرُ: الرّجوع إلى الشّيء وعنه. والغُصة إذا انحدرت يقال: حَارَتْ تَحُورُ، وأَحَارَ صاحبها. وكلّ شيء تغيّر من حال إلى حال، فقد حَارَ يَحُورُ حَوْراً. والمُحَاوَرَة: مراجعة الكلام. حَاوَرْتُ فلاناً في المنطق،

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

وأَحَرْتُ إليه جواباً، وما أَحَارَ بكلمة. والاسم: الحَوِير، تقول: سمعت حُوَيْرَهما وحِوَارَهما.

قال الجوهريّ[1]: حَارَ يَحُورُ حَوْراً وحُؤُوراً: رجع: يقال: حَارَ بعد ما كار. و«نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكور» أي من النّقصان بعد الزّيادة. وكذلك الحُورُ بالضمّ. وفي المثل: «حُورٌ في مَحَارَةٍ» أي: نقصان في نقصان يُضرب مثلاً للرّجل إذا كان أمره يُدْبِر. والحُورُ أيضاً: الاسم من قولك: طحنت الطّاحنة فما أَحَارَتْ شيئاً، أي، ما ردت شيئاً من الدّقيق. والحُورُ أيضاً: الهلكة. وفلان حَائِرٌ بائرٌ، هذا قد يكون من الهلاك، ومن الكساد.

*** ورد الفعل (حور) في القرآن الكريم على النحو التالي:**

- الرجوع القصري ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: 14].

- الوصول إلى اتفاق ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34].

- أصحاب سيدنا عيسى المؤمنين به ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: 52].

- نساء الجنة المثاليات ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدّخان: 54].

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34].

(1) الصحاح في اللغة.

قال الطّبريّ[1]: يقول عَزَّوَجَلَّ : فقال هذا الّذي جعلنا له جنّتين من أعناب، لصاحبه الّذي لا مال له وهو يخاطبه: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾.

قال الماورديّ[2]: أي يناظره، وفيما يحاوره فيه وجهان: أحدهما: في الإيمان والكفر.

الثّاني: في طلب الدّنيا وطلب الآخرة، فجرى بينهما ما قصّه الله تعالى من قولهما . . .

قال الفخر الرازيّ[3]: والمعنى أنّ المسلم كان يحاوره بالوعظ والدّعاء إلى الإيمان بالله والبعث.

● **قال الله تعالى**: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1].

قال الزّمخشريّ[4]: وقرئ (تحاورك). أي: تراجعك الكلام. وتحاولك، أي: تسائلك، وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصّامت أخي عبادة.

قال الفخر الرّازيّ[5]: والمحاورة: المراجعة في الكلام، من حار الشّيء يحور حوراً، أي: رجع يرجع رجوعاً، ومنه (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) ومنه (فما أحار بكلمة) أي فما أجاب.

● **قال الله تعالى**: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الدّخان: 54].

قال ابن مسعود[6]: إن المرأة من الحور العين ليرى مخّ ساقها من وراء اللّحم والعظم، ومن تحت سبعين حلة، كما يرى الشّراب الأحمر في الزّجاجة البيضاء.

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.
(6) تفسير ابن مسعود.

قال الطّبريّ[1]: وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها: أنه يحار فيها الطرف، قول لا معنى له في كلام العرب، لأن الحُور إنما هو جمع حوراء، كالحمر جمع حمراء، والسود: جمع سوداء، والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض، كما قيل للنقيّ البياض من الطعام الحُوَّاري.

قال الفخر الرازيّ[2]: وقد ذكرنا ذلك في تفسير الحواريين، وعين حوراء إذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضاً في لون الجسد، والدليل على أن المراد بالحور في هذه الآية البيض قراءة ابن مسعود بعيس عين والعيس البيض.

● **قال الله تعالى**: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: 52].

قال الطّبريّ[3]: وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال: سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسالين، وذلك أن الحور عند العرب: شدة البياض، ولذلك سمي الحُوَّارَى من الطعام حُوَّارَى لشدة بياضه، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين: أحور، وللمرأة حوراء، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب، وأنهم كانوا قصارين، فعرفوا بصحبة عيسى واختياره إياهم لنفسه أصحاباً وأنصاراً، فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل، حتى صار كل خاصة للرجل من أصحابه وأنصاره حواريه؛ ولذلك قال النبيّ ﷺ: «**لِكُلّ نَبِيّ حَوَارِيّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**» يعني خاصته. وقد تسمي العرب النساء اللواتي مساكنهن القرى والأمصار حواريات، وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.

قال ابن عطيّة[1]: وهذا تقرير حال القوم، وليس بتفسير اللفظة، وعلى هذا الحد شبه النبي ﷺ، ابن عمته بهم في قوله: «وحواريَّ الزبير»، والأقوال الأولى هي تفسير اللفظ، إذ هي من الحور، وهو البياض، حورت الثوب بيضته ومنه الحواري، وقد تسمي العرب النساء الساكنات في الأمصار، الحواريات، لغلبة البياض عليهن.

(1) المحرر الوجيز.

حوز

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والواو والزّاي أصل واحد، وهو الجمع والتجمع. يقال لكلّ مجمع وناحية: حَوزٌ وحَوْزَة. وحمى فلان الحَوْزَة، أي: المجمع والنّاحية. وجعلته المرأة مثلاً لما ينبغي أن تحميه وتمنعه. ويقال: تَحَوَّزَتِ الحيّة، إذا تلوت.

قال الخليل(2): الحَوْزُ: السّير اللّين، والحَوْزُ: موضع يَحُوزُه الرّجل، ينخذ حواليه مُسناة. وجمعه: أَحْوَازٌ. وكلّ شيء ضممت إليك فقد حُزْتَهُ واحْتَزْتَهُ. وحَوْزُ الرّجل: طبيعته من خير أو شر. وتَحَوَّزَ الرّجل، إذا لم يستقرّ على الأرض. والأَحْوَزِيُّ: السّائق الحسن السّياقة، وفيه بعض النّفار. والحَوْزُ: النّكاح.

قال الجوهريّ(3): الحَوْزُ: الجمع، وكلّ من ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حَازَهُ حَوْزاً وحِيَازَةً، واحْتَازَهُ أيضاً. والحَوْزُ والحَيْزُ: السّوق اللّين. وقد حَازَ الإبل يَحُوزُهَا ويَحِيزُهَا. والأَحْوَزِيُّ مثل الأحوذيّ، وهو السّائق الخفيف عن أبي عمرو. وحَوَّزَ الإبل: ساقها إلى الماء. والمُحَاوَزَةُ: المخالطة. وتَحَوَّزَتِ الحيّة وتَحَيَّزَت، أي: تلوّت.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ [الأنفال: 16].

قال الفخر الرازيّ(1): إذا عرفت هذا فنقول: الفئة الجماعة، فإذا كان هذا المتحيز كالمنفرد، وفي الكفار كثرة، وغلب على ظن ذلك المنفرد أنه إن ثبت قتل من غير فائدة، وإن تحيز إلى جمع كان راجياً للخلاص، وطامعاً في العدو بالكثرة، فربما وجب عليه التحيز إلى هذه الفئة فضلاً عن أن يكون ذلك جائزاً والحاصل أن الانهزام من العدو حرام إلا في هاتين الحالتين.

قال أبو السّعود(2): أي منحازاً إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضمّ إليهم ثم يقاتلَ معهم العدو. «عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: إن سريةً فرّوا وأنا معهم فلما رجعوا إلى المدينة استحيَوْا ودخلوا البيوتَ فقلت: يا رسولَ الله نحن الفرارون فقال الرسول ﷺ: «**بل أنتم العكّارون أي الكرارون – من عكر أي رجع – وأنا فئتُكم**»، وانهزم رجلٌ من القادسية فأتى المدينةَ إلى عمرَ رضي الله عنه فقال: يا أميرَ المؤمنين هلكتُ ففرَرْتُ من الزحف فقال رضي الله عنه: أنا فئتُك. ووزنُ متحيِّز متفيعل لا متفعّل وإلا لكان متحوزاً لأنه من حاز يحوز وانتصابُهما إما على الحالية وإلا لغوٌ لا عمَلَ لها وإما على الاستثناء من المُولّين أي: ومن يولهم دبرَه إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً.

(1) التفسير الكبير.

(2) إرشاد العقل السليم.

حاش للّه

(حاش لله - معاذ اللّه)

■ **حَاشَ للهِ:** براءة الله وتنزيهه عما يشين ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يُوسُف: 31].

■ **مَعَاذَ اللهِ:** نستعين بالله للتخلص مما هو شائن ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يُوسُف: 23].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والواو والشّين كلمة واحدة. الحُوشُ: الوحش. يقال للوحشيّ: حُوشِيٌّ. وقال عمر في زهير: «كان لا يعاظل بين القوافي، ولا يتّبع حوشيّ الكلام، ولا يمدح الرّجل إلاّ بما في». قال القُتبيّ: الإبل الحُوشِيَّةُ منسوبة إلى الحُوشِ، وإنها فُحول نعم الجنّ ضربت في بعض الإبل فنسبت إليها.

قال الخليل(2): المَحَاشُ: كأنّه «مِفْعل» من الحَوْشِ، وهم قوم لفيفٌ أشابة. والحَوْشُ: بلاد الجنّ، لا يمرّ بها أحد من النّاس. ورجل حُوشِيٌّ: لا يخالط النّاس. وليل حُوشِيٌّ: مظلم هائل، وهذه سنة مَحُوشٌ: يابسة.

قال الأزهريّ(3): يقال: حَاشَى لفلان، وحَاشَا فلاناً، وحَشَى فلان. فمن قال: حَاشَى لفلان، خفضه باللّام الزّائد، ومن قال: حَاشَى فلاناً، أضمر في حَاشَى مرفوعاً ونصب فلاناً بحَاشَى، والتّقدير: حَاشَى فعلهم فلاناً. ومن قال:

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

حَاشَى فلان، خفض بإضمار اللّام لطول صحبتها حَاشَى، ويجوز أن تخفضه بحَاشَى، لأنّ حَاشَى لمّا خلت من الصّاحب أشبهت الاسم فأضيفت إلى ما بعدها.

في القرآن الكريم:

● قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يُوسُف: 31].

قال الزّمخشريّ[1]: كلمة (حاشا) كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء. تقول: أساء القوم حاشا زيد.

وهي حرف من حروف الجر، فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى «حاشا الله» براءة الله وتنزيه الله، وهي قراءة ابن مسعود، على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة. ومن قرأ: حاشا لله، فنحو قولك: سقيا لك؛ كأنه قال: براءة، ثم قال: لله، لبيان من يبرأ وينزه. والدليل على تنزيل «حاشا» منزلة المصدر: قراءة أبي السمال: (حاشا لله) بالتنوين. وقراءة أبي عمرو «(حشا لله)» بحذف الألف الآخرة. وقراءة الأعمش «حاش لله» بحذف الألف الأولى. وقرىء: «حاش لله» بسكون الشين، على أن الفتحة تبعت الألف في الإسقاط، وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حدّه. وقرىء: «حاشا الإله». فإن قلت: فلم جاز في حاشا لله أن لا ينوّن بعد إجرائه مجرى: براءة لله؟ قلت: مراعاة لأصله الذي هو الحرفية. ألا ترى إلى قولهم: جلست من عن يمينه، كيف تركوا «عن» غير معرب على أصله؟ وعلى قوله «غدت من عليه» منقلب الألف إلى الياء مع الضمير؟

(1) الكشاف.

والمعنى: تنزيه الله تعالى من صفات العجز، والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله. وأما قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: 51]، فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله.

حوط

(حوط - حف - حصر - حوق - طوق - سور)

■ **الإحَاطَةُ:** قوة الاستيلاء على الشيء من كل جانب ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ [الفتح: 21].

■ **الحَيْقُ:** ما يشتمل على الناس من مكروه فعلهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8].

■ **الحَفُّ:** مجموعة واسعة ذات قيمة من الأشخاص أو الأشياء تتحلق حول شيء له مهابة وتقف على حافة موقعه لتحيته: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: 75].

■ **الحِصَارُ:** مجموعة ضيقة من الأشداء تضيق الخناق على شيء لعقابه ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: 5].

■ **السُّورُ:** المانع القوي حول المدينة يمنع من الدخول والخروج إلا من مكان معين ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد: 13].

■ **الطَّوْقُ:** المانع من الحركة بضغط الرقبة ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: 180].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والواو والطّاء كلمة واحدة، وهو الشّيء يطيف بالشّيء. فالحَوْط من حَاطَهُ حَوْطاً. والحمار يَحُوطُ عانته: يجمعها. وحَوَّطْتُ حَائِطاً، ويقال: إنّ الحُوَاطَةُ حظيرة تتخذ للطّعام. والحَوْطُ: شيء مستدير تعلقه المرأة على جبينها من فضّة.

قال الخليل[2]: حَاطَ يَحُوطُ حَوْطاً وحيَاطَةً. والحمار يَحُوطُ عانتّه: يجمعها، والاسم: الحِيطَةُ، يقال: حَاطَهُ حِيطَةً: إذا تعاهده. واحْتَاطَتِ الخيل بفلان وأَحَاطَت به، أي: أحدقت. وكلّ من أحرز شيئاً كلّه، وبلغ علمه أقصاه، فقد أَحَاطَ به، يقال: هذا أمر ما أَحَطْتُ به علماً.

قال الجوهريّ[3]: الحَائِطُ: واحد الحِيطَان، صارت الواو ياء لانكسار ماقبلها. وحَوَّطَ كرمه تَحْوِيطاً: بنى حوله حَائِطاً، فهو كرم مُحَوَّطٌ. ومنه قولهم: أنا أُحَوِّطُ حول ذلك الأمر، أي أدور. والحُوَاطَةُ: حظيرة تتخذ للطّعام. والحِيطَةُ بالكسر: الحِيَاطَةُ، وهما من الواو. وقد حَاطَهُ يَحُوطُه حَوْطاً وحِيطَة وَحِيَاطَةً، أي كلأه ورعاه.

قال أبو هلال[4]: الفرق بين العالم بالشّيء والمحيط به، أنّ أصل المحيط المطيف بالشّيء من حوله بما هو كالسّور الدّائر عليه، يمنع أن يخرج عنه ما هو منه، ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الفروق في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60].

قال أبو حيّان[1]: لما طلبوا الرسول بالآيات المقترحة وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه، وقالوا: لو كان رسولاً حقاً لأتى بالآيات المقترحة فبين الله أنه ينصره ويؤيده وأنه ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾. فقيل بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه. وقيل: بقدرته فقدرته غالبة كل شيء.

وقيل: الإحاطة هنا الإهلاك كقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: 42]. والظاهر أن الناس عام. وقيل: أهل مكة بشره الله تعالى أنه يغلبهم ويظهر عليهم، و﴿أَحَاطَ﴾ بمعنى يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لأنه واقع لا محالة، والوقت الذي وقعت فيه الإحاطة بهم. قيل يوم بدر. وقال العسكري: هذا خبر غيب قدمه قبل وقته، ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثأرهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً. وقيل: يوم بدر ويوم الفتح. وقيل: الأشبه أنه يوم الفتح فإنه اليوم الذي أحاط أمر الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم.

قال الطّبريّ[2]: واذكر يا محمّد إذ قلنا لك: إنّ ربّك أحاط بالنّاس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيّب منهم أحداً، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا.

● قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 81].

(1) البحر المحيط. (2) جامع البيان.

قال الفخر الرازيّ[1]: ولما كان من الجائز أن يظن أن كل سيئة صغرت أو كبرت فحالها سواء في أن فاعلها يخلد في النار لا جرم، بيَّن تعالى أن الذي يستحق به الخلود أن يكون سيئة محيطة به، ومعلوم أن لفظ الإحاطة حقيقة في إحاطة جسم بجسم آخر كإحاطة السور بالبلد والكوز بالماء. وذلك هٰهنا ممتنع فنحمله على ما إذا كانت السيئة كبيرة لوجهين. أحدهما: أن المحيط يستر المحاط به والكبيرة لكونها محيطة لثواب الطاعات كالساترة لتلك الطاعات، فكانت المشابهة حاصلة من هذه الجهة، والثاني: أن الكبيرة إذا أحبطت ثواب الطاعات فكأنها استولت على تلك الطاعات وأحاطت بها كما يحيط عسكر العدو بالإنسان، بحيث لا يتمكن الإنسان من التخلص منه، فكأنه تعالى قال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 81].

قال الألوسيّ[2]: والمراد - بالإحاطة - الاستيلاء والشمول وعموم الظاهر والباطن - والخطيئة - السيئة، وغلبت فيما يقصد بالعرض أي: لا يكون مقصوداً في نفسه بل يكون القصد إلى شيء آخر، لكن تولد منه ذلك الفعل كمن رمى صيداً فأصاب إنساناً، وشرب مسكراً فجنى جناية، قال بعض المحققين: ولذلك أضاف الإحاطة إليها إشارة إلى أن السيئات باعتبار وصف الإحاطة داخلة تحت القصد بالعرض لأنها بسبب نسيان التوبة، ولكونها راسخة فيه متمكنة حال الإحاطة أضافها إليه بخلاف حال الكسب فإنها متعلق القصد بالذات وغير حاصلة فيه فضلاً عن الرسوخ؛ فلذا أضاف الكسب إلى سيئة ونكرها، وإضافة الأصحاب إلى النار على معنى الملازمة لأن الصحبة وإن شملت القليل والكثير لكنها في العرف تخص بالكثرة والملازمة، ولذا قالوا: لو حلف من لاقى زيداً أنه لم يصحبه لم يحنث.

والمراد - بالخلود - الدوام، ولا حجة في الآية على خلود صاحب الكبيرة

(1) التفسير الكبير. (2) روح المعاني.

لأن الإحاطة إنما تصح في شأن الكافر لأن غيره إن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط خطيئته به لكون قلبه ولسانه منزهاً عن الخطيئة، وهذا لا يتوقف على كون التصديق والإقرار حسنتين، بل على أن لا يكونا سيئتين فلا يرد البحث بأن الخصم يجعل العمل شرطاً لكونهما حسنتين كما يجعل الاعتقاد شرطاً لكون الأعمال حسنات فلا يتم عنده أن الإحاطة إنما تصح في شأن الكافر، ولا يحتاج إلى الدفع بأن المقصود أنه لا حجة له في الآية، وهذا يتم بمجرد كون الإحاطة ممنوعة في غير الكافر، فلو ثبت أن العمل داخل في الإيمان صارت الآية حجة - ودون إثباته خرط القتاد - ثم إن نفي الحجية بحمل الإحاطة على ما ذكر إنما يحتاج إليه إذا كانت السيئة والخطيئة بمعنى واحد - وهو مطلق الفاحشة.

● **قال الله تعالى**: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22].

قال الزّمخشريّ(1): ﴿أَحَطتُ﴾ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق: ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوّة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتنبيهاً على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة، والإحاطة بالشيء علمها: أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم.

قال أبو السّعود(2): أي علماً ومعرفةً وحفظتُه من جميعِ جهاتِه. وقُرىء أحطتُ بإدغامِ الطَّاءِ في التَّاءِ بإطباقٍ وبغيرِ إطباقٍ. ولا خفاءَ في أنَّه لم يُرد بما ادَّعى الإحاطةَ به ما هو من حقائق العلومِ ودقائقِ المعارفِ التي تكونُ معرفتُها والإحاطةُ بها من وظائف أربابِ العلمِ والحكمةِ لتوقفها على علمٍ رصينٍ وفضلٍ مبينٍ حتَّى يكونَ إثباتُها لنفسه بين يدي نبيِّ الله سليمانَ عليه السلام تعدِّياً عن طورهِ

---

(1) الكشاف. (2) إرشاد العقل السليم.

وتجاوزاً عن دائرة قدرهِ، ونفيُها عنه عليه الصَّلاة والسَّلام جنايةً على جنايةٍ، فيُحتاجَ إلى الاعتذار عنه بأنَّ ذلك كان منه بطريق الإلهامِ فكافَحه عليه الصَّلاة والسَّلام. .

بل أرادَ به ما هو من الأمورِ المحسوسةِ التي لا تُعد الإحاطةُ بها فضليةً ولا الغفلةُ عنها نقيصةً لعدم توقف إدراكِها إلا على مجردِ إحساسٍ يستوى فيه العقلاءُ وغيرُهم. وقد علم أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لم يشاهدْهُ ولم يسمعْ خبره من غيرِه قطعاً فعبَّر عنه بما ذُكر لترويج كلامِه عنده عليه الصَّلاة والسَّلام وترغيبهِ في الإصغاء إلى اعتذاره واستمالةِ قلبهِ نحو قبولِه فإنَّ النفسَ للاعتذارِ المُنبىءِ عن أمرٍ بديعٍ أقبلُ وإلى تلقِّي ما لا تعلمُه أميلُ.

● **قال الله تعالى:** ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42].

قال الطّبريّ(1): يقول تعالى ذكره: وأحاط الهلاك والجوانح بثمره.

قال البغويّ(2): أي أحاط العذاب بثمر جنتّه، وذلك أنّ الله تعالى أرسل عليها ناراً فأهلكتها وغار ماؤها.

قال الزّمخشريّ(3): وأحيط به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به من العدوّ لأنّه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثمّ استعمل في كلّ إهلاك ومنه قوله تعالى: إلّا من يحاط بكم) ومثله قولهم: أتى عليه إذا أهلكه، من: أتى عليهم العدوّ, إذا جاءهم مستعلياً عليهم.

● **قال الله تعالى:** ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البَقَرَة: 255].

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.

قال الطّبريّ[1]: فإنّه يعني تعالى أنّه العالم الّذي لا يخفى عليه شيء، محيط بذلك كلّه، محص له دون سائر كم دونه، وأنّه لا يعلم أحد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يعلمه، فأراد فعلمه.

قال القرطبيّ[2]: العلم هنا بمعنى المعلوم، أي: ولا يحيطون بشيء من معلوماته، وهذا كقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور في البحر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر. فهذا وما شاكله راجع إلى المعلومات، لأنّ علم الله سبحانه وتعالى الّذي هو صفة ذاته لا يتبعّض، ومعنى الآية لا معلوم لأحد إلا ما شاء الله أن يعلمه.

● **قال الله تعالى**: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يُوسُف: 66].

قال الزّمخشريّ[3]: إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به. أو إلا أن تهلكوا. فإن قلت: أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال؟ قلت: ﴿أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يُوسُف: 66] مفعول له، والكلام المثبت الذي هو قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ﴾ في تأويل النفي. معناه: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم، أي: لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة: وهي أن يحاط بكم، فهو استثناء من أعم العام في المفعول له، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده، فلا بد من تأويله بالنفي. ونظيره من الإثبات المتأوّل بمعنى النفي قولهم: أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت، تريد: ما أطلب منك إلا الفعل.

● **قال الله تعالى**: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 19].

---

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.

قال الزّمخشريّ[1] : وإحاطة الله بالكافرين مجاز، والمعنى أنهم لا يفوتونه، كما لا يفوت المحاط به الحقيقة، وهذه الجملة اعتراض لا محلّ لها.

قال ابن عطيّة[2] : معناه بعقابه وأخذه، يقال: أحاط السّلطان بفلان: إذا أخذه أخذاً حاصراً من كلّ جهة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: 42] ففي الكلام حذف المضاف.

● **قال الله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النِّساء: 126].

قال الفخر الرازيّ[3] : فيه وجهان: أحدهما: المراد منه الإحاطة في العلم.

والثاني: المراد منه الإحاطة بالقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ [الفتح: 21]، قال القائلون بهذا القول: وليس لقائل أن يقول لما دل قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ على كمال القدرة، فلو حملنا قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ على كمال القدرة لزم التكرار، وذلك لأنا نقول: إن قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ لا يفيد ظاهره إلاّ كونه تعالى قادراً مالكاً لكل ما في السماوات وما في الأرض، ولا يفيد كونه قادراً على ما يكون خارجاً عنهما ومغايراً لهما، فلما قال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ دل على كونه قادراً على ما لا نهاية له من المقدورات خارجاً عن هذه السماوات والأرض، على أن سلسلة القضاء والقدر في جميع الكائنات والممكنات إنما تنقطع بإيجاده وتكوينه وإبداعه، فهذا تقرير هذا القول، إلاّ أن القول الأول أحسن لما بينا أن الإلٰهية والوفاء بالوعد إنما يحصل ويكمل بمجموع القدرة والعلم، فلا بدّ من ذكرهما معاً، وإنما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم لما ثبت في علم الأصول أن العلم بالله هو العلم بكونه قادراً، ثم بعد العلم بكونه

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.

قادراً يعلم كونه عالماً لما أن الفعل بحدوثه يدل على القدرة، وبما فيه من الأحكام والإتقان يدل على العلم، ولا شك أن الأول مقدم على الثاني.

قال أبو حيّان[1]: أي عالماً بكلّ شيء من الجزئيّات والكلّيات، فهو يجازيهم على أعمالهم خيرها وشرّها، قليلها وكثيرها.

(1) البحر المحيط.

حول

(حول - سنة - عام)

■ **الحَوْلُ:** السنة الكاملة بلا نقص في الأشهر ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البَقَرَة: 233].

■ **السَّنَةُ:** اثنا عشر شهراً عسيرة على أهلها ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العَنكبوت: 14].

■ **العَامُ:** اثنا عشر شهراً ميسرة وادعة ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العَنكبوت: 14].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والواو واللّام أصل واحد، وهو تحرّك في دور فالحَوْلُ: العام، وذلك أنّه يَحُولُ، أي: يدور. ويقال: حَالَتِ الدّار وأَحَالَت وأَحْوَلَتْ: أتى عليها الحَوْلُ وأَحْوَلْتُ أنا بالمكان وأَحَلْتُ، أي: أقمت به حَوْلاً. يقال: حَالَ الرّجل في متن فرسه يَحُولُ حَوْلاً وحُؤُولاً، إذا وثب عليه، وأَحَالَ أيضاً. وحَالَ الشّخص يَحُولُ: إذا تحرك. وكذلك كلّ مُتَحَوِّل عن حاله، ومنه قولهم: اسْتَحَلْتُ الشّخص، أي نظرت هل يتحرّك؟ والحِيلَةُ والحَوِيلُ والمُحَاوَلَة من طريق واحد، وهو القياس الّذي ذكرناه، لأنّه يدور حوالي الشّيء ليدركه. والحُولَاءُ: مايخرج من الولد وهو مطيف.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: والحَوْلُ: سنة بأسرها. تقول: حَالَ الحَوْلُ، وهو يَحُولُ حَوْلاً وحُؤُولاً، وأَحَالَ الشّيء، إذا أتى عليه حَوْل كامل. ودار مَحِيلَةٌ: غاب عنها أهلها منذ حَوْل، وكذاكَ إذا أتت عليها أَحْوَال، ولغة أخرى، أَحْوَلَتِ الدّار. وأَحْوَلَ الصبّي، إذا تمّ له حَوْل، فهو مُحْوِلٌ. والحَوْلُ: الحيلة. تقول: ما أَحْوَلَ فلاناً، وإنّه لذو حِيلَة، والمَحَالَة: الحيلة نفسها.

قال الجوهريّ[2]: الحَوْلُ: الحِيلَة والقوة أيضاً والحَوْلُ: السّنة. وكلّ ذي حافر أوّل سنة: حَوْلِيٌّ، والأنثى: حَوْلِيَّةٌ، والجمع: حَوْلِيَّاتٌ. وحَالَ عليه الحَوْلُ، أي: مرّ. وحَالَتِ الدّار، وحَالَ الغلام، أي: أتى عليه حَوْلٌ. وحَالَتِ القوس واسْتَحَالَتْ بمعنى، أي: انقلبت عن حالها الّتي غُمزت عليها، وحصل في قابها اعوجاج. وحَالَ في متن فرسه حُؤُولاً: إذا وثب وركب. وحَالَتِ النّاقة حِيَالاً: إذا ضربها الفحل فلم تحمل، وكذلك النّخل، وهي إبل حِيَالٌ.

قال أبو هلال[3]: الفرق بين الصفة والحال: أن الصفة تفرق بين اسمين مشتركين في اللّفظ، والحال زيادة في الفائدة والخبر. قال المبرد: إذا قلت: جاءني عبد الله وقصدت إلى زيد، فخفت أن يعرف السّامع جماعة أو اثنين كلّ واحد عبدالله أو زيد، قلت: الرّاكب أو الطّويل أو العاقل، وما أشبه ذلك من الصّفات، لتفصل بين من تعني وبين من خفت أن يلبس به، كأنّك قلت: جاءني زيد المعروف بالرّكوب أو المعروف بالطّول، فإن لم ترد هذا، ولكن أردت الإخبار عن الحال الّتي وقع فيها مجيئه، قلت: جاءني زيد راكباً أو ماشياً، فجئت بعده بذكره لا يكون نعتاً له. لأنه معرفة، وإنما أردت أن مجيئه وقع في هذه الحال، ولم تُرد جاءني زيد المعروف بالرّكوب، فإن أدخلت الألف واللّام صارت صفة للاسم المعروف، وفرقاً بينه وبينه. الفرق بين الحيلة والتدّبير: أن

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الفروق في اللغة.

الحيلة: ما أُحيل به عن وجهه، فيجلب به نفع أو يدفع به ضر، فالحيلة بقدر النّفع والضرّ من غير وجه.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24].

قال الطّبريّ[1]: إن ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً، أو أن يفهم إلاَّ بإذنه ومشيئته. وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جلّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل، وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان، وقول من قال: يحول بينه وبين عقله، وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاَّ بإذنه لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت. غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عمّ بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء، والكلام محتمل كلّ هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له.

قال الزّمخشريّ[2]: يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليماً كما يريده الله، فاغتنموا هذه الفرصة، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة. وقيل: معناه إنّ الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه، ويغير نياته ومقاصده، ويبدله بالخوف أمناً وبالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً، وبالنسيان ذكراً، وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى. فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا، والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر، وبينه وبين الكفر إذا آمن، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وقيل معناه: أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله، لا يخفي عليه شيء من ضمائره، فكأنه بينه وبين قلبه.

● **قال الله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سَبَإ: 54].**

قال الطّبريّ(1): يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا، فلا فوت، وأخذوا من مكان قريب، فقالوا آمنا به ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون ولا سبيل لهم إليه.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك، لأن القوم إنما تَمَنَّوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا، ما أخبر الله عنهم أنهم تَمَنَّوه، وقالوا آمنا به، فقال الله: وأنى لهم تَناوُش ذلك من مكان بعيد، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا. فإذا كان ذلك كذلك، فلأن يكون قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ خبراً عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبراً عن غيره.

قال الزّمخشريّ(2): من نفع الإيمان يومئذ، والنّجاة به من النّار والفوز بالجنة، أو من الرّدّ إلى الدّنيا، كما حكى عنهم: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السَّجدَة: 12].

---

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

● **قال الله تعالى:** ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البَقَرَة: 233].

قال الطّبريّ(1): وأصل الحول من قول القائل: حال هذا الشيء: إذا انتقل، ومنه قيل: تحوّل فلان من مكان كذا: إذا انتقل عنه.

فإن قال لنا قائل: وما معنى ذكر كاملين في قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ﴾ بعد قوله يرضعن حولين وفي ذكر الحولين مستغنى عن ذكر الكاملين؟ إذ كان غير مشكل على سامع سمع قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ ما يراد به، فما الوجه الذي من أجله زيد ذكر كاملين؟ قيل: إن العرب قد تقول: أقام فلان بمكان كذا حولين أو يومين أو شهرين، وإنما أقام به يوماً وبعض آخر أو شهراً وبعض آخر، أو حولاً وبعض آخر، فقيل حولين كاملين ليعرف سامع ذلك أن الذي أريد به حولان تامان، لا حول وبعض آخر، وذلك كما قال الله تعالى ذكره: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: 203]. ومعلوم أن المتعجل إنما يتعجل في يوم ونصف، فكذلك ذلك في اليوم الثالث من أيام التشريق، وأنه ليس منه شيء تام، ولكن العرب تفعل ذلك في الأوقات خاصة، فتقول: اليوم يومان منذ لم أره، وإنما تعني بذلك يوماً وبعض آخر، وقد توقع الفعل الذي تفعله في الساعة أو اللحظة على العام والزمان واليوم، فتقول زرته عام كذا، وقتل فلان فلاناً زمان صفّين، وإنما تفعل ذلك لأنها لا تقصد بذلك الخبر عن عدد الأيام والسنين، وإنما تعني بذلك الأخبار عن الوقت الذي كان فيه المخبر عنه، فجاز أن ينطق بالحولين واليومين على ما وصفت قبل، لأن معنى الكلام في ذلك: فعلته إذ ذاك، وفي ذلك الوقت. فكذلك قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ﴾ لما كان الرضاع في الحولين وليسا بالحولين، فكان الكلام لو أطلق في ذلك بغير تضمين

(1) جامع البيان.

الحولين بالكمال، وقيل: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ محتملاً أن يكون معنياً به حول وبعض آخر نفي اللبس عن سامعيه بقوله: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ أن يكون مراداً به حول وبعض آخر، وأُبين بقوله: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ عن وقت تمام حدّ الرضاع، وأنه تمام الحولين بانقضائهما دون انقضاء أحدهما وبعض الآخر.

قال الفخر الرازيّ[1]: ففيه مسائل:

المسألة الأولى: أصل الحول من حال الشيء يحول إذا انقلب فالحول منقلب من الوقت الأول إلى الثاني، وإنما ذكر الكمال لرفع التوهم من أنه على مثل قولهم أقام فلان بمكان كذا حولين أو شهرين، وإنما أقام حولاً وبعض الآخر، ويقولون: اليوم يومان مذ لم أره، وإنما يعنون يوماً وبعض اليوم الآخر.

المسألة الثانية: اعلم أنه ليس التحديد بالحولين تحديد إيجاب ويدل عليه وجهان الأول: أنه تعالى قال بعد ذلك: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ فلما علق هذا الإتمام بإرادتنا ثبت أن هذا الإتمام غير واجب الثاني: أنه تعالى قال: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البَقَرَة: 233] فثبت أنه ليس المقصود من ذكر هذا التحديد إيجاب هذا المقدار.

(1) التفسير الكبير.

حوى

(حوى - جمع - حشر - آلف - وفق - ضمّ)

■ **الحَوْيُ:** حوى الشيء يحويه واحتواه واحتوى عليه: جمعه وأحرزه، وقيل حوى الشيء: ملكه ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى: 5].

■ **الجَمْعُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء في المكان ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [التغابن: 9].

■ **الحَشْرُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء سَوْقاً ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: 111].

■ **التَّأْلِيفُ:** ضم الشيء إلى بعض بتوافق وإلصاق ﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ [آل عِمرَان: 103].

■ **التَّوْفِيقُ:** ضمّ الآراء المتنافرة لبعضها ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النِّساء: 35].

■ **الضَّمُّ:** جعل الجزء مع الكلّ ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): حَوَى فلان مالاً حَيّاً وحَوَايَةَ، أي: جمعه وأحرزه، واحْتَوَى عليه، كحَوِيّ الحَيَّةِ. والحَوِيَّةُ: مركب يهيأ للمرأة. والحَوِيُّ: استدارة كلّ شيء،

(1) العين.

كحَوِيٍّ الحيّة وكحَوِيٍّ بعض النّجوم، إذا رأيتها على نسق واحد مستديرة، والحَوِيَّةُ والحَاوِيَةُ، والجميع: الحَوَايَا: الأمعاء. والحِوَاءُ: أخبية تدانى بعضها من بعض. تقول: هم أهل حِوَاءٍ واحد، والجماعة: أَحْوِيَةٌ.

قال الأصمعي[1]: الحَوِيَّةُ: كساء سنام البعير ثمّ يركب. الحِوَاءُ: جماعات بيوت النّاس. حَوِيَ الفرس يحوى حوة. الحُوَّةُ: حمرة تضرب إلى السّواد، يقال: قد احْوَاوَى يَحْوَاوِي احْوِيَواءً. يَحْوَوِّي احْوِوَّاءً، على وزن ارعوى. وبعض العرب يقول: حَوِيَ يَحْوَى حُوَّةً.

قال الجوهريّ[2]: الحَوِيَّةُ لا تكون إلا للجمال، والسّوية: قد تكون لغيرها. وحَوِيَّةُ البطن وحَاوِيَاءُ البطن، كله بمعنى. وجمع الحَوِيَّة: حَوَايَا، وهي الأمعاء. وجمع الحَاوِيَاءِ: حَوَاوٍ، على «فواعل»، وكذلك جمع الحَاوِيَةِ. والحِوَاءُ: جماعة بيوت من النّاس مجتمعة، والجمع: الأَحْوِيَةُ. وهي من الوبر. والحُوَّةُ: لون يخالط الكمتة، مثل صدأ الحديد. والحُوَّةُ: سمرة الشّفة. يقال: رجل أَحْوَى وأمرأة حَوَّاءُ، وقد حَوِيَتْ. والحُوَّةُ: موضع ببلاد كلب. وحَوَاهُ يَحْوِيهِ حَيّاً، أي: جمعه، واحْتَوَاه مثله. واحْتَوَى على الشيء، أي: ألمأ عليه. وتَحَوَّى، أي: تجمع واستدار. يقال تَحَوَّتِ الحية. وبعير أَحْوَى، إذا خالط خضرته سواد وصفرة. وتصغير أَحْوَى: أُحَيْوٍ، في لغة من قال: أُسَيْوِد.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿وَالَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: 4-5].

---

(1) الأضداد.

(2) الصحاح في اللغة.

قال الطّبريّ[1]: يقول تعالى ذكره: فجعل ذلك المرعَى غُثاء، وهو ما جفّ من النبات ويبس، فطارت به الريح وإنما عُنِي به هاهنا أنه جعله هشيماً يابساً متغيراً إلى الحُوَّة، وهي السواد، من بعد البياض أو الخُضرة، من شدّة اليبس. وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدّت خضرته من النبات، قد تسميه العرب أسود، غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلاَّ بتقديمه عن موضعه، أو تأخيره، فإما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير.

قال الفخر الرازيّ[2]: الحوة السواد، وقال بعضهم: الأحوى هو الذي يضرب إلى السواد إذا أصابته رطوبة، وفي أحوى قولان: أحدهما: أنه نعت الغثاء أي: صار بعد الخضرة يابساً فتغير إلى السواد، وسبب ذلك السواد أمور أحدها: أن العشب إنما يجف عند استيلاء البرد على الهواء، ومن شأن البرودة أنها تبيض الرطب وتسود اليابس، وثانيها: أن يحملها السيل فيلصق بها أجزاء كدرة فتسود، وثالثها: أن يحملها الريح فتلصق بها الغبار الكثير فتسود القول. الثاني: وهو اختيار الفراء وأبي عبيدة، وهو أن يكون الأحوى هو الأسود لشدة خضرته، كما قيل: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 64]، أي سوداوان لشدة خضرتهما، والتقدير الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، كقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمًا﴾ [الكهف: 1]، أي أنزل قيماً ولم يجعل له عوجاً.

قال ابن عاشور[3]: والأحوى: الموصوف بالحُوَّة بضم الحاء وتشديد الواو، وهي من الألوان: سُمرة تقرب من السواد. وهو صفة ﴿غُثَآءً﴾ لأن الغثاء يابس فتصير خضرته حُوّة.

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) التحرير والتنوير.

حيد

(حيد - حيص - جنح - مال - زاغ - زيغ - جنف - حنف - راغ)

■ **الحَيْدُ:** نفر وعدل عن الشيء ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19].

■ **الحَيْصُ:** الميل إلى الشيء الآمن ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: 21].

■ **المَيْلُ:** العدول عن الوسط لأحد الجانبين والميل أنواع: ميل عن الحق وميل في الحكم ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: 129].

■ **الجُنُوح:** هو بداية الميل وليس ميلاً كاملاً. ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61] بمعنى إن أبدوا استعداداً للميل وهذه الآية تؤكد على قدسية السلام في الدين فبمجرد أن يجنحوا للسلام فعلينا أن نميل مثلهم. السلام في الإسلام فرض ما دام العدو يريد أن يسالم وأعلن نيّته في ذلك. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: 235] أي ليس عليكم إثم ولو كان قليلاً.

■ **الزَّيْغ:** هو الميل من الصواب إلى الخطأ. ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: 117]. وهو النقص ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10] نقص في الصواب وزاغ الميزان بمعنى نقص.

■ **جَنَفٌ:** خاص بالحكم عندما يكون قاضياً أو حكماً ويميل ميلاً خفيفاً عن الحق وليس هو الحكم بالظلم ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: 182].

والجنف ليس إثماً إنما هو ميل خفيف، كأن يميل قلب الأب للذكور عن الإناث أو الميل في خصوم هو حكم فيها.

■ **حَنَفٌ:** ميل من الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: 67] وحنفاء بمعنى لا يوجد لديهم أي ميل للشرك أو الخطأ وهو عكس الزيغ.

■ **الرَّوَغَانُ:** ميل خفي في القصد عند المسير ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصَّافات: 91].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): الحَيْدُ: ما شخص من الرأس والجبل واعوج. وكل ما اشتدّ اعوجاجه من ضلع أو عظم فهو: حَيْدٌ، وجمعه: حُيُودُ. والرّجل: يَحِيدُ عن الشّيء حَيْداً وحَيَدَاناً وحَيْدُودَةً، إذا صدّ عنه خوفاً وأنفة، وما لك عنه مَحِيدٌ.

قال ابن دريد(2): الحَيْدُ: النّاتىء من الجبل، والجمع: حُيُودٌ وأَحْيَادٌ. والحُيُودُ أيضاً: حُيُودُ قرن الظباء، والوعول وهي العقود فيها. وحَادَ عن الشّيء يَحِيدُ حَيَاداً.

قال الأزهريّ(3): اشتكت الشاة حَيَداً، إذا نشب ولدها فلم يسهل مخرجه. ويقال: في هذا العود حُرُودٌ وحُيُودٌ: أي عُجَزٌ. ويقال: قَدَّ فلان السير فَحَرَّدَه وَحَيَّدَه، إذا جعل فيه حُيُوداً. وحُيُودُ القرن: ما تلوَّى منه: ويقال: قرن ذو حِيَدٍ: أي ذو أنابيب مُلتوية.

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) تهذيب اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19].

قال الزّمخشريّ(1): تنفر وتهرب. وعن بعضهم: أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال: الخطاب لرسول الله ﷺ؛ فحكاه لصالح بن كيسان فقال: والله ما سنّ عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب، هو للكافر. ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال: أخالفهما جميعاً: هو للبر والفاجر.

قال ابن عطية(2): وقال بعض المتأولين المعنى: وجاءت سكرة فراق الحياة بالموت وفراق الحياة حق يعرفه الإنسان ويحيد منه بأمله. ومعنى هذا الحيد: أنه يقول: أعيش كذا وكذا، فمتى فكر في قرب الموت حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمن، وأيضاً فحذر الموت وتحرزاته ونحو هذا حيد كله.

قال الألوسيّ(3): أي: تميل وتعدل، فالإشارة إلى الحق والخطاب للفاجر لا للإنسان مطلقاً والإشارة إلى الموت لأن الكلام في الكفرة، وإنما جيء بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [ق: 16]، لإثبات العلم بجزئيات أحواله وتضمين شبه وعيد لهؤلاء إدماجاً والتخلص منه إلى بيان أحواله في الآخرة ولأن قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ﴾ [ق: 22]، الخ يناسب خطاب هؤلاء، وكذلك ما يعقبه على ما لا يخفى. وأما حديث مقابليهم فقد أخذ فيه حيث قال عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ [ق: 31]، وقال الطيبي: إن كان قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [ق: 19] متصلاً بقوله سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [ق: 12]، فالمناسب أن يكون المشار إليه

(1) الكشاف.
(2) المحرر الوجيز.
(3) روح المعاني.

الموت والخطاب للجنس وفيه البر والفاجر، والالتفات لا يفارق الوجهين، والثاني هو الوجه لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [قَ: 21]، وتفصيله بقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [قَ: 24]: و﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [قَ: 31]، وفيه ما يعلم مما قدمنا. وكأن هذه المخالفة لنحو ما سمعت عن الطيبي، وفي بعض الآثار ما يؤيد القول بالعموم، إذ التمثل بالآية على تقدير العموم أوفق بالحال كما لا يخفى.

حير

(حير - تردد - تذبذب)

- **الحِيَرةُ:** عدم القدرة على اختيار أحد المتساويين لحبه لهما فهو حائر ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: 71].
- **التَّرَدُّدُ:** عدم القدرة على اتخاذ قرار بما يريد بسبب الشك ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 45].
- **التَّذَبْذُبُ:** عدم القدرة على الثبات على القرار لأنه لا يحبه.

* * *

شرح المعاني:

هذه الكلمات تدخل في منظومة التردد والاضطراب، عندما يضطرب الإنسان في الفهم أو العمل يتوقف العقل عن هداية صاحبه للصواب.

الحيرة: هي نتاج التبلّد العقلي ولا يعود العقل قادراً على هداية صاحبه للصواب. ولا تعرف كيف تصل إلى مطلوبك. ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 71].

الشكّ: هو تساوي النسبتين ولكن بدون تهمة تريد أن تعرف أين الصواب. الشك يدفعك لأن تتقدم لكي تعرف الصواب والحقيقة أو المطلوب. لذا قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ

جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: 62]. في الحيرة لم يقل له: فاسأل. صاحب الشك ليس مرتاباً ولا يتهم الجهة الأخرى فقال له تعالى: تقدم واسأل.

المِرية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة: 23] تبدأ بالشك ثم يتطور الشك إلى أن يصبح إثبات أن الآخر خطأ، كأن تكون قد سمعت كلاماً وأنت تشك في صحته لكن لا تتهم صاحبه بالكذب أو التورّط لكن تطلب الدليل فإن كان مجرد همّك أن تُخطّىء الآخر فهذا يسمى مِرية وهذا شائع الآن بين الناس. كل الهدف أن يُظهر أحدهم خطأ الآخر ولو لم يكن مخطئاً. والمِرية من أعظم الذنوب بدليل قوله ﷺ: «**المماري بانت خسارته المماري لا أشفع له**». عندما تمارى أبي ابن كعب وأبو موسى الأشعري في آية، خرج الرسول ﷺ غاضباً وقال: «**مه يا أمة محمد أبهذا أُمرتم أو بهذا بُعثت؟**». وقال ﷺ: «**أنا ضمين بيت في وسط الجنة لمن ترك المراء وهو مصيب**» ترك المراء عبادة تجعلك في الجنة. ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: 55]، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: 54]، ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17]، ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: 109].

الريبة: الشك يكون بلا تهمة تسأل سؤالاً وتريد أن تعرف الجواب، أما الريبة فهي أن تتهم شخصاً تهمة ولهذا ترتاب في كلامه فتبتعد عنه. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2] أي لا شيء فيه يُتّهم ولا يوجد في القرآن آية أو معنى تتهمه أنه كاذب والقرآن ليس فيه عِوج وإنما هو منتصب في

صوابه في كل العصور ومهما تقدّم العِلم. ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 37].

الإرجـــاف: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 60]، مدينة متعافية فيها خير ونفع كثير وإيجابيات كثيرة يأتي عدو شانئ أو حاقد أو معلم أحمق يبحث عن زاوية سلبية واحدة فيضخّمها حتى يجعلها قضية كبيرة بحيث ينسف كل إيجابياتها. والمدن والأقطار الإسلامية تعاني من هذا الأمر من عدو في الداخل أو الخارج فيحاول تضخيم سلبياتها على حساب إيجابياتها ويطمسها وينتهي الأمر بتصديق هذا الإرجاف الذي يُراد منه التصديق. وجاء لفظ المدينة في الآية بمعنى الوحدة الأولى في الدولة وعندما تسقط فالباقي يتهاوى. الإرجاف من أخطر ما تعانيه المدن الإسلامية هذه الأيام ويُعرف بالطابور الخامس.

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12]، فلا نصدق ما يقال عنا فنشعر بالنقص ونتهاوى. الطريق إلى ذلك، المصلحون والساسة يعلمون أبناءهم وشعبهم إيجابيات الأمة ومكامن القوة فيها ومحاسن الشعب والمدن والأمة حتى يشعروا بالفخر وحتى يصمدوا في وجه هذه الإرجافات. والمُرجف يختار سلبية واحدة يضخّمها حتى يشعر الضحية بأنه فعلاً هكذا حتى ينهار وقد حصل هذا في التاريخ.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والياء والراء أصلٌ واحد، وهو التردُّد في الشيء.

(1) معجم مقاييس اللغة.

من ذلك الحَيْرة، وقد حَارَ في الأمر يَحِيرُ، وتَحَيَّر يَتَحَيَّرُ. والحَيْرُ والحَائِرُ: الموضع يَتَحَيَّرُ فيه الماء.

ويقال لكلِّ ممتلئٍ مستَحِيرٌ، وهو قياسٌ صحيح، لأنه إذا امتلأ تردّد بعضُه على بعض، كالحائر الذي يتردّد فيه [الماء] إذا امتلأ.

قال الجوهري(1): حارَ يَحارُ حَيْرَةً وحَيْراً، أي: تحَيَّرَ في أمره، فهو حَيْرانُ، وقوم حُيَارَى. وحَيَّرْتُهُ أنا فَتَحَيَّر. وتَحَيَّرَ الماءُ: اجتمَعَ ودار. والحَائِرُ: مُجتَمَع الماء، وجمعه حَيْرَانٌ وحُورَانٌ.

ورجل حائِرٌ بائِرٌ: إذا لم يتَّجه لشيء. واستُحيرَ الشرابُ: أسيغ. وتَحَيَّر المكان بالماء واسْتَحارَ: إذا امتلأ.

والحَيْرُ بالفتح: شِبه الحظيرة أو الحِمَى، ومنه الحَيْرُ بكَرْبَلاء. ويقال: لا آتيكَ حِيريّ دهر، أي أبداً.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: 71].

قال الطّبريّ(2): وأما حيران: فإنه فعلان من قول القائل: قد حار فلان في الطريق فهو يحار فيه حَيْرةً وحَيَراناً وحَيْرُورَةً، وذلك إذا ضلّ فلم يهتد للمحجة له أصحاب يدعونه إلى الهدى، يقول: لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض أصحاب على المحجة واستقامة السبيل، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه، يقولون له: ائتنا وترك إجراء حيران، لأن «فعلان»، وكل

(1) الصحاح في اللغة. (2) جامع البيان.

اسم كان على «فعلان» مما أنثاه «فعلى» فإنه لا يُجرى في كلام العرب في معرفة ولا نكرة. وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد إيمانه فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه المقيمون على الدين الحقّ يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق وعنه زائل، يقولون له: ائْتنا، فكن معنا على استقامة وهدى وهو يأبى ذلك، ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان.

قال ابن عطيّة[1]: ﴿حَيْرَانَ﴾ في موضع الحال، ومؤنثه حيرى فهو لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، ومعناه ضالاً متحيراً وهو حال من الضمير في ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ والعامل فيه ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾، ويجوز أن يكون من الذي والعامل فيه المقدر بعد الكاف، وقوله: ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ يقتضي أنه كان على طريق فاستدعته.

فسياق هذا المثل كأنه قال: أيصلح أن يكون بعد الهدي نعبد الأصنام فيكون ذلك منا ارتداداً على العقب؟ فيكون كرجل على طريق واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه إلى دعوتهم فبقي حائراً.

(1) المحرر الوجيز.

حيص

(حيص - حيد - جنح - مال - زاغ - زيغ - جنف - حنف - راغ)

- **الحَيْصُ:** الميل إلى الشيء الآمن ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: 21].
- **الحَيْدُ:** نفر وعدل عن الشيء ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19].
- **المَيْلُ:** العدول عن الوسط لأحد الجانبين والميل: أنواع ميل عن الحق وميل في الحكم ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: 129].
- **الجُنُوحُ:** في الغالب هو بداية الميل وليس ميلاً كاملاً. ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61] بمعنى إن أبدوا استعداداً للميل، وهذه الآية تؤكد على قدسية السلام في الدين فبمجرد أن يجنحوا للسلام فعلينا أن نميل مثلهم. السلام في الإسلام فرض ما دام العدو يريد أن يسالم وأعلن نيّته في ذلك.
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: 235] أي ليس عليكم إثم ولو كان قليلاً.
- **زَاغَ:** هو الميل من الصواب إلى الخطأ. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: 117].
- **الزَّيْغُ:** هو النقص ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: 10] نقص في الصواب وزاغ الميزان بمعنى نقص.
- **جَنَفَ:** خاص بالحكم عندما يكون قاضياً أو حاكماً ويميل ميلاً خفيفاً عن

الحق وليس هو الحكم بالظلم ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: 182].

والجنف ليس إثماً أنما هو ميل خفيف كأن يميل قلب الأب للذكور عن الإناث أو الميل في خصومة.

■ **حَنَفَ:** ميل من الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: 67] وحنفاء بمعنى لا يوجد لديهم أي ميل للشرك أو الخطأ وهو عكس الزيغ.

■ **رَاغَ:** ميل لكن باحتيال وهو ميل خفيّ مموّه ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: 91]، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: 93]، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات: 26].

من باب اللياقة إكرام الضيف أن يميل المضيف إلى أهله بطريقة خفيّة حتى يهيئ الطعام لضيفه. ومنها راوغ والمراوغة.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والياء والصّاد أصل واحد، وهو الميل في جور وتلدد، يقال: حَاصَ عن الحق يَحِيصُ حَيْصاً: إذا جار. ومن الباب قولهم: وقعوا في حَيْصَ بَيْصَ: أي شدّة.

قال الخليل(2): الحَيْصُ: الحيد عن الشّيء، والمَحِيصُ: المحيد. يقال: هو يَحِيصُ عنّي، أي يحيد وهو يُحَايِصُنِي، وما لك من هذا الأمر مَحِيص: أي محيد. وحَيْصَ وبَيْصَ: ينصبان، يتكلم به عند اختلاط الأمر، تقول: لا تزال تأتينا بَحَيْصَ بَيْصَ. وأصل الحَيْص: الضيّق.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهريّ[1]: يقال: ما عنه مَحِيصٌ: أي محيد ومهربٌ، والانْحِيَاصُ مثله. يقال للأولياء: حَاصُوا عن العدوّ، وللأعداء انهزموا. ويقال: وقعوا في حَيْصَ بَيْصَ، أي: ضيق وشدّة. وهما اسمان جعلا واحداً، وبُنيا على الفتح، مثل جاري بَيْتَ بَيْتَ.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [قٓ: 36].

قال الفخر الرازيّ[2]: قوله تعالى: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ يحتمل وجوهاً ثلاثة. الأول على قراءة من قرأ بالتشديد يحتمل أن يقال: هو مفعول أي: بحثوا عن المحيص ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾. الثاني: على القراءات جميعاً استفهام بمعنى الإنكار أي لم يكن لهم محيص. الثالث: هو كلام مستأنف كأنه تعالى يقول لقوم محمد ﷺ هم أهلكوا مع قوة بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه؟ والمحيص كالمحيد غير أن المحيص معدل ومهرب عن الشدة، يدلك عليه قولهم: وقعوا في حيص بيص أي: في شدة وضيق، والمحيد معدل وإن كان لهم بالاختيار يقال: حاد عن الطريق نظراً، ولا يقال: حاص عن الأمر نظراً.

قال الطّبريّ[3]: يقول جلّ ثناؤه: فهل كان لهم بتنقبهم في البلاد من معدل عن الموت ومَنْجى من الهلاك إذ جاءهم أمرنا؟ وأضمرت كان في هذا الموضع، كما أضمرت في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محَمَّد: 13]، بمعنى: فلم يكن لهم ناصر عند إهلاكهم.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.

حيض

(حيض - طمث - مسّ)

■ **الحَيْضُ:** الدم الدوري المبرمج من الرحم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البَقَرَة: 222].

■ **الطَّمَثُ:** دم الافتضاض من البكارة ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحمٰن: 56].

■ **المَسُّ:** تفجير دم البكارة ليلة الدخول ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 237].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الحاء والياء والضّاد كلمة واحدة. يقال: حَاضَتِ السَّمُرَة: إذا خرج منها ماء أحمر، ولذلك سمّيت النُفساء حائضاً، تشبيها لدمها بذلك الماء.

قال الخليل(2): الحَيْضُ معروف، والمرّة الواحدة: الحَيْضَةُ، والاسم: الحِيضَة، وجمعها: الحِيَضُ، والحِيضَاتُ جماعة، والفعل: حَاضَتِ المرأة تَحِيضُ حَيْضاً ومَحِيضاً، فالمَحِيضُ يكون اسماً ومصدراً، والنّساء: حُيَّضٌ، الواحدة: حَائِضٌ، والمُسْتَحَاضَةُ: الّتي غلب عليها الدّم فلا يرقأ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهريّ[1]: ونساء حُيَّضٌ وحَوَائِضُ، الحَيْضَةُ: المرّة الواحدة. والحِيضَةُ بالكسر: الاسم، والجمع: الحِيَضُ. والحِيضَةُ أيضاً: الخِرقة الّتي تستثفر بها المرأة. قالت عائشة رضي الله عنها: (ليتني كنتُ حِيضَةً مُلقاة) وكذلك المحْيَضَةُ، والجمع: المَحَايِضُ. واسْتُحِيضَتِ المرأة: أي استمر بها الدّم بعد أيّامها، فهي مُسْتَحَاضَةٌ. وتَحَيَّضَتْ: أي قعدت أيام حَيْضِهَا عن الصّلاة، وفي الحديث: (تَحَيَّضِي - في علم الله - ستّاً أو سبعاً). وحَاضَتِ السَّمُرَة حيْضاً، وهي شجرة يسيل منها شي كالدّم.

في القرآن الكريم:

- **قال الله تعالى**: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البَقَرَة: 222].

قال الطّبريّ[2]: ويسألك يا محمد أصحابك عن الحيض وقيل «المحيض» لأن ما كان من الفعل ماضيه بفتح عين الفعل وكسرها في الاستقبال، مثل قول القائل: ضرب يضرب، وحبس يحبس، ونزل ينزل، فإن العرب تبني مصدره على المفعَل والاسم على المفعِل مثل المضَرب والمضرِب من ضربت، ونزلت منزِلاً ومَنْزَلاً. ومسموع في ذوات الياء الألف والياء المعيش والمعاش والمعيب والمعاب.

وإنما كان القوم سألوا رسول الله ﷺ فيما ذكر لنا عن الحيض، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ما يتبينون من أمره، لا يساكنون حائضاً في بيت، ولا يؤاكلونهنّ في إناء، ولا يشاربونهنّ، فعرّفهم الله بهذه الآية أن الذي عليهم في أيام حيض

(1) الصحاح في اللغة.
(2) جامع البيان.

نسائهم أن يجتنبوا جماعهنّ فقط دون ما عدا ذلك من مضاجعتهن ومآكلتهن ومشاربتهن.

قال الفخر الرازيّ[1]: أصل الحيض في اللغة السيل يقال: حاض السيل وفاض، قال الأزهري: ومنه قيل للحوض حوض، لأن الماء يحيض إليه أي يسيل إليه، والعرب تدخل الواو على الياء والياء على الواو لأنهما من جنس واحد. إذا عرفت هذا فنقول: إن هذا البناء قد يجيء للموضع، كالمبيت، والمقيل، والمغيب، وقد يجيء أيضاً بمعنى المصدر، يقال: حاضت محيضاً، وجاء مجيئاً، وبات مبيتاً، وحكى الواحدي في «البسيط» عن ابن السكيت: إذا كان الفعل من ذوات الثلاثة، نحو: كال يكيل، وحاض يحيض، وأشباهه فإن الإسم منه مكسور، والمصدر مفتوح من ذلك مال ممالا، وهذا مميله يذهب بالكسر إلى الاسم، وبالفتح إلى المصدر، ولو فتحهما جميعاً أو كسرهما في المصدر والاسم لجاز، تقول العرب: المعاش والمعيش، والمغاب والمغيب، والمسار والمسير، فثبت أن لفظ المحيض حقيقة في موضوع الحيض، وهو أيضاً اسم لنفس الحيض وإذا ثبت هذا فاعلم أن أكثر المفسرين من الأدباء زعموا أن المراد بالمحيض ههنا الحيض، وعندي أنه ليس كذلك، إذ لو كان المراد بالمحيض ههنا الحيض لكان قوله: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ﴾ معناه: فاعتزلوا النساء في الحيض، ويكون المراد فاعتزلوا النساء في زمان الحيض، فيكون ظاهره مانعاً من الاستمتاع بها فيما فوق السرة ودون الركبة ولما كان هذا المنع غير ثابت لزم القول بتطرق النسخ أو التخصيص إلى الآية، ومعلوم أن ذلك خلاف الأصل أما إذا حملنا المحيض على موضع الحيض كان معنى الآية: فاعتزلوا النساء في موضع الحيض، ويكون المعنى: فاعتزلوا موضع الحيض من النساء، وعلى هذا التقدير لا يتطرق إلى الآية نسخ ولا تخصيص، ومن المعلوم أن اللفظ إذا كان مشتركاً بين معنيين، وكان حمله على أحدهما يوجب محذوراً وعلى الآخر لا يوجب ذلك المحذور، فإن

---

(1) التفسير الكبير.

حمل اللفظ على المعنى الذي لا يوجب المحذور أولى، هذا إذا سلمنا أن لفظ المحيض مشترك بين الموضع وبين المصدر، مع أنا نعلم أن استعمال هذا اللفظ في موضع أكثر وأشهر منه في المصدر.

فإن قيل: الدليل على أن المراد من المحيض الحيض أنه قال: ﴿هُوَ أَذًى﴾ أي المحيض أذى، ولو كان المراد من المحيض الموضع لما صح هذا الوصف.

قلنا: بتقدير أن يكون المحيض عبارة عن الحيض، فالحيض في نفسه ليس بأذى لأن الحيض عبارة عن الدم المخصوص، والأذى كيفية مخصوصة، وهو عرض، والجسم لا يكون نفس العرض، فلا بد وأن يقولوا: المراد منه أن الحيض موصوف بكونه أذى، وإذا جاز ذلك فيجوز لنا أيضاً أن نقول: المراد أن ذلك الموضع ذو أذى، وأيضاً لم لا يجوز أن يكون المراد من المحيض الأول هو الحيض، ومن المحيض الثاني موضع الحيض، وعلى هذا التقدير يزول ما ذكرتم من الإشكال، فهذا ما عندي في هذا الموضع وبالله التوفيق.

حيف

(حيف - بغي - جار - جنف - ظلم - طغى - عدو - هضم)

■ **الحَيْفُ:** الميل لصالح أحد المتخاصمين ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النور: 50].

■ **البَغْيُ:** صولة القوي على الضعيف بلا وجه حق ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرات: 9].

■ **الجُوْرُ:** الخروج عن حدود الاستقامة في الحكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: 9].

■ **الجَنَفُ:** الظلم في القسمة ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البَقَرَة: 182].

■ **الظُّلْمُ:** نقصان الحق ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: 24].

■ **الطُّغْيَانُ:** مجاوزة الحد الأعلى في كل شيء ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

■ **العُدْوَانُ:** الاعتداء المستمر على حرمات الآخر ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البَقَرَة: 85].

■ **الهَضْمُ:** نقصان الثمن أو الأجر ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: 112].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والياء والفاء أصل واحد، وهو الميل. يقال: حَافَ عليه يَحِيفُ: إذا مال. ومنه تَحَيَّفْتُ الشّيء: إذا أخذته من جوانبه، وهو قياس الباب، لأنّه مال عن عرضه إلى جوانبه.

قال الأزهريّ[2]: [قيل] حِيفَةُ الشيء: ناحيته، وقد تَحَيَّفْتُ الشّيء: أخذته من نواحيه. والحَيْفُ: الميل في الحكم، يقال: حَافَ يَحِيفُ حَيْفاً. وقال بعض الفقهاء: يُرَدُّ من حَيْفِ النّاحل ما يُرَدّ من جنف الموصي، وحَيْفُ النّاحل: أن يكون للرّجل أولاد، فيعطي بعضاً دون بعض، وقد أمر بأن يسوي بينهم، فإذا فضب بعضهم فضَّل حافَ.

قال الجوهريّ[3]: الحَيْفُ: الجور، والظّلم. وقد حَافَ عليه يَحِيفُ، أي: جار. وتَحَيَّفْتُ الشّيء: مثل تَحَوَّفْتُه، إذا تنقصته من حافَّاتِهِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: 50].

قال ابن عاشور[4]: والحيف: الظلم والجور في الحكومة. وجيء في جانبه بالفعلين المضارعين للإشارة إلى أنه خوف في الحال من الحيف في المستقبل كما يقتضيه دخول (أن)، وهي حرف الاستقبال، على فعل ﴿يَحِيفَ﴾. فهم خافوا من

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) التحرير والتنوير.

وقوع الحيف بعد نشر الخصومة فمن ثمة أعرضوا عن التحاكم إلى الرسول ﷺ.

وأسند الحيف إلى الله ورسوله بمعنى أن يكون ما شرعه الإسلام حيفاً لا يظهر الحقوق. وهذا كناية عن كونهم يعتقدون أنه غير منزل من الله وأن يكون حكم الرسول بغير ما أمر الله، فهم يطعنون في الحكم وفي الحاكم وما ذلك إلا لأنهم لا يؤمنون بأن شريعة الإسلام منزلة من الله ولا يؤمنون بأن محمداً عليه الصلاة والسلام مرسل من عند الله، فالكلام كناية عن إنكارهم أن تكون الشريعة إلٰهية وأن يكون الآتي بها صادقاً فيما أتى به.

قال ابن عطية[1]: ﴿أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ من حيث الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه والميل الحيف.

---

(1) المحرر الوجيز.

حوق

(حوق - حف - حصر - حوط - سور - طوق)

■ **الحَيْقُ:** ما يشتمل على الناس من مكروه فعلهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8].

■ **الحَفُّ:** مجموعة واسعة ذات قيمة من الأشخاص أو الأشياء تتحلق حول شيء له مهابة وتقف على حافة موقعه لتحيته ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: 75].

■ **الحِصَارُ:** مجموعة ضيقة من الأشداء تضيق الخناق على شيء لعقابه ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: 5].

■ **الإحَاطَةُ:** قوة الاستيلاء على الشيء من كل جانب ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: 21].

■ **السُّورُ:** المانع القوي حول المدينة يمنع من الدخول والخروج إلا من مكان معين ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد: 13].

■ **الطَّوْقُ:** المانع من الحركة بضغط الرقبة ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 180].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والواو والقاف أصل واحد، يقرب من الذّي قبله [حوط] فالحوق: ما استدار بالكمرة، والحَوْق: كنس البيت. والمِحْوَقَةُ: المكنسة، والحُوَاقَةُ: الكُناسة. والحَيْفُ، وهو نزول الشّيء بالشّيء، يقال: حَاقَ به السوء يَحِيقُ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43].

قال الخليل[2]: الحَوق والحُوق؛ لغتان: ما استدار بالكمرة. يقال: فَيشلة حَوْقَاءُ. الحيق: ما حاق بالإنسان من منكر أو سوء، يعمله فينزل به ذلك. تقول: أَحَاقَ الله به مكره.

قال الجوهريّ[3]: الحَوْقُ: الكنْس، وقد حُقْتُ البيت أَحُوْقُه: إذا كنسته. والحُوَاقَةُ: الكناسة. والمِحْوَقَةُ: المكنسة. والحُوقُ بالضمّ: ما أحاط بالكمرة من حروفها. حَاقَ به الشّيء يَحِيقُ، أي: أحاط به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. وحَاقَ بهم العذاب، أي: أحاط بهم ونزل.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 10].

قال الفخر الرازيّ[4]: ونظيره قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، وفي تفسيره وجوه كثيرة لأهل اللّغة، وهي بأسرها متقاربة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) التفسير الكبير.

قال أبو حيّان[1]: في قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ﴾ إلى آخره إخبار بما جرى للمستهزئين بالرّسل قبلك، ووعيد متيقّن لمن أستهزأ بالرسول عليه الصلاة والسلام، وتثبيت للرّسول على عدم اكتراثه بهم، لأنّ مالهم إلى التّلف والعقاب الشّديد المرتّب على الاستهزاء، وأنّه تعالى يكفيه شرّهم وإذايتهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [**الحجر**: 95].

(1) البحر المحيط.

حين

(حين - أبد - أمد - حقبة - سرمد - فترة)

■ **الحِينُ:** وقت بلوغ الشيء وحصوله، أي جاء وقته ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البَقَرَة: 36].

■ **الأَبَدُ:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التّوبَة: 84].

■ **الأَمَدُ:** الزمن الممتد وله آخر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عِمرَان: 30]].

■ **الحِقْبَةُ**: بالكسر – مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النّبَإ: 23].

■ **السَّرْمَدُ:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القَصَص: 71].

■ **الفَتْرَةُ:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المَائدة: 19].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الحاء والياء والنّون أصلاً واحد، ثمّ يحمل عليه،

(1) معجم مقاييس اللغة.

والأصل الزّمان، فالحِينُ: الزّمان قليله وكثيره. ويقال: عاملت فلاناً مُحَايَنَةً من الحين. وأَحْيَنْتُ بالمكان: أقمت به حِيناً. وحَانَ حِينُ كذا، أي: قرُب. ويقال: حَيَّنْتُ الشّاة: إذا حلبتها مرّة بعد مرّة، ويقال: حَيَّنْتُهَا: جعلت لها حِيناً. والتّأفين: أن لا تجعل لها وقتاً تحلُبها فيه. وأمّا المحمول على هذا فقولهم للهلاك: حَيْنٌ، وهو من القياس، لأنّه إذا أتى فلا بدّ له من حين، فكأنّه مسمّى باسم المصدر.

قال الخليل[1]: الحَيْنُ: الهلاك، حَانَ يَحِينُ حَيْناً، وكلّ شيء لم يوفّق للرّشاد فقد حَانَ حَيْناً. والحَائِنَةُ: النّازلة ذات الحين، والجميع: الحَوَائِنُ. وحَيَّنَهُ الله فَتَحَيَّنُ. والحِينُ: وقت من الزّمان، تقول: حَانَ أن يكون ذلك يَحِينُ حَيْنُونَة. وحَيَّنْتُ الشّيء: جعلته له حِيناً، والتَّحْيِينُ: أن تحلب النّاقة في اليوم مرّة واحدة، تقول: حَيَّنَها، إذا جعل لها ذلك الوقت، وهي مُحَيَّنَةٌ. وحينئذ: تبعيد لقولك الآن. فإذا باعدوا بين الوقت باعدوا بـ «إذ» فقالوا: حِينَئِذٍ، خفّفوا الهمزة فأبدلوها ياء فكتبوا حِينَئِذ. والحِينُ: يوم القيامة.

قال الجوهريّ[2]: الحِينُ: الوقت، يقال: حِينَئِذ وربّما أدخلوا عليه التّاء. والحِينُ أيضاً: المدّة، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: 1]، وحان له أن يفعل كذا يَحِينُ حَيْناً، أي: آنَ. وحَانَ حِينُهُ، أي: قرب وقته.

وعاملته مُحَايَنَةَ مثل مساوعة. وأَحْيَنْتُ بالمكان: إذا أقمت به حِيناً. وحَيَّنْتُ النّاقة، إذا جعلت لها في كلّ يوم وليلة وقتاً تحلبها فيه. وفلان يأكل الحَيْنَةَ والحِينَةَ، أي: المرّة الواحدة في اليوم واللّيلة. وفلان يفعل كذا أَحْيَاناً، وفي الأَحَايِينِ. وتَحَيَّنَ الوارش: إذا انتظر وقت الأكل ليدخل. والحَيْنُ بالفتح: الهلاك، يقال: حَانَ الرّجل، أي: هلك وأَحَانَهُ الله. والحَانَاتُ: المواضع الّتي يباع فيها الخمر. والحَانِيَّةُ: الخمر منسوبة إلى الحَانَةِ، وهي حَانُوت الخمّار.

---

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البَقَرَة: 36].

قال ابن عطيّة(1): واختلف المتأولون في الحين هاهنا فقالت فرقة: إلى الموت، وهذا قول من يقول المستقر هو المقام في الدنيا، وقالت فرقة: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يُونس: 98] إلى يوم القيامة، وهذا قول من يقول: المستقر هو في القبور. ويترتب أيضاً على أن المستقر في الدنيا أن يراد بقوله: ﴿وَلَكُمْ﴾، أي: لأنواعكم في الدنيا استقرار ومتاع قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة، والحين المدة الطويلة من الدهر، أقصرها في الأيمان والالتزامات سنة.

قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 25]، وقد قيل: أقصرها ستة أشهر، لأن من النخل ما يثمر في كل ستة أشهر، وقد يستعمل الحين في المحاورات في القليل من الزمن. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ فائدة لآدم عليه السلام، ليعلم أنه غير باقٍ فيها ومنتقل إلى الجنة التي وعد بالرجوع إليها، وهي لغير آدم دالة على المعاد.

قال الفخر الرازيّ(2): اختلفوا في معنى الحين بعد اتفاقهم على أنّه اسم للزّمان، والأولى أن يراد به الممتدّ من الزّمان، لأنّ الرّجل يقول لصاحبه: ما رأيتك منذ حين، إذا بعدت مشاهدته له، ولا يقال ذلك مع قرب المشاهدة، فلمّا كانت أعمار النّاس طويلة، وآجالهم عن أوائل حدوثهم متباعدة، جاز أن يقول: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

قال الزّمخشري(3): إلى يوم القيامة، وقيل: إلى الموت.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.

● **قال الله تعالى:** ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 25].

قال الفخر الرازيّ[1]: والمراد من قوله: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾ أنه ينتفع بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلاً أو نهاراً أو شتاء أو صيفاً. قالوا: والسبب فيه أن النخلة إذا تركوا عليها الثمر من السنة إلى السنة انتفعوا بها في جميع أوقات السنة. وأقول: هؤلاء وإن أصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآية، إلا أنهم بعدوا عن إدراك المقصود، لأنه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة، ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها، فإنا نعلم بالضرورة أن الشجرة الموصوفة بالصفات الأربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل أن يسعى في تحصيلها وتملكها لنفسه، سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن، لأن هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل، واختلافهم في تفسير الحين أيضاً من هذا الباب، والله أعلم بالأمور.

قال الألوسيّ[2]: اختلفوا في مقدار الحين.

واختلفت الروايات عن ابن عباس والأشهر أنه فسره بستة أشهر وقال: إن النخلة ما بين حملها إلى صرامها ستة أشهر، وأفتى رضي الله تعالى عنه لرجل حلف أن لا يكلم أخاه حيناً أنه لو كلمه قبل ستة أشهر حنث وهو الذي قال به الحنيفة، فقد ذكروا أن الحين والزمان معرفين أو منكرين واقعين في النفي أو في الإثبات ستة أشهر، وعللوا ذلك بأن الحين قد جاء بمعنى الساعة وبمعنى أربعين سنة وبمعنى الأبد وبمعنى ستة أشهر، فعند عدم النية ينصرف إليه لأنه الوسط ولأن القليل لا يقصد بالمنع لوجود الامتناع فيه عادة والأربعون سنة لا تقصد بالحلف عادة لأنه في معنى الأبد، ولو سكت عن الحين تأبد فالظاهر أنه لم يقصد ذلك ولا الأبد ولا أربعين سنة فيحكم بالوسط في الاستعمال والزمان استعمل استعمال

---

(1) التفسير الكبير. (2) روح المعاني.

الحين ويعتبر ابتداء الستة أشهر من وقت اليمين في نحو لا أكلم فلاناً حيناً مثلاً، وهذا بخلاف لأصومن حيناً فإن له أن يعين فيه أي ستة أشهر شاء كما بين في محله، ومتى نوى الحالف مقداراً معيناً في الحين وأخيه صدق لأنه نوى حقيقة كلامه لأن كلاً منهما للقدر المشترك بين القليل والكثير والمتوسط واستعمل في كل كما لا يخفى على المتتبع فليتذكر.

حيي

(حياة - أجل - عمر - عيش)

■ **الحَيَاةُ:** القوة النامية الموجودة في الأحياء ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فَاطِر: 9].

■ **الأَجَلُ:** المدة المضروبة لعمر المخلوق ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعَام: 2].

■ **العُمُرُ:** اسم لمدة عمارة بدن الشيء ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النّحل: 70].

■ **العَيْشُ:** حياة الجزء الحيواني في الإنسان ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ [الزّخرُف: 32].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: حيي: الحاء والياء والحرف المعتل أصلان، أحدهما: خلاف الموت، والآخر: الاسْتِحْيَاءُ الذّي هو ضدّ الوقاحة. فأمّا الأوّل: فالحَيَاةُ والحيوان، وهو ضدّ الموت والموتان. ويسمّى المطر حَيا، لأنّ به حياة الأرض، ويقال: ناقة مُحْيٍ ومُحْيِيَةٌ: لا يكاد يموت لها ولد. وتقول: أتيتُ الأرض فأَحْيَيْتُهَا، أي وجدتها حيّة النّبات غضّة. والأصل الآخر: قولهم: اسْتَحْيَيْتُ منه

(1) معجم مقاييس اللغة.

اسْتِحْيَاءً. فأمّا حَيَاء النّاقة وهو فرجها، فيمكن أن يكون من هذا كأنّه محمول على أنّه لو كان ممّن يستحيي لكان يُستحى من ظهوره وتكشّفه.

قال الخليل[1]: حيّ - مُثقّلة - يُندب بها، ويُنعى بها.. يقال: حَيَّ على الفِداء، حَيَّ على الخير، ولم يُشتق منه فعل. و«الحيوة» كتبت بالواو، ليعلم أن الواو بعد الياء. ويقال: بل كُتبت من يُفخم الألف الّتي مرجعها إلى الواو، نحو: الصّلوة والزّكوة. ويقال: حَيِيَ يَحْيا فهو حَيٌّ، ويقال للجميع: حَيُّوا. ولغة أُخرى: حَيَّ يَحْيِيُّ؛ والجميع: حَيُوا، خفيفة مثل: بقوا. والحَيَوَانُ: كلّ ذي روح. الواحد والجميع فيه سواء. والحَيَوَانُ: ماء في الجنة لا يصيب شيئاً إلا حَيِي بإذن الله. والحَيَّةُ: اشتقاقها من الحَيَاة. ويقال: هي في أصل البناء: حيوة. ولكن الياء والواو إذا التقتا وسُكنت الأولى منهما جُعلتا ياء شديدة. ومن قال لصاحب الحيات: حَاي. فهو «فاعل» من هذا البناء. صارت الواو كسرة كواو الغازيّ. ومن قال: حَوَّاءً على «فعال» فإنّه يقول: اشتقاق الحيّة من «حَوَيْتُ»، لأنّها تَتَحَوَّى في التوائها، وكذلك تقول العرب. والحَيَا مقصور: حَيَا الرّبيع، وهو ما تحيا به الأرض من الغيث. وأرض مَحْوَاةٌ كثيرة الحيّات، اجتمعوا على ذلك. والحَيَاءُ ممدود: من الاسْتِحْياءَ. رجل حَيِيٌّ بوزن «فعيل» وامرأة حَيِّيَةٌ بوزن «فعيلة». والمُحَايَاةُ: الغذاء للصّبي بما به حياته. والمُحَايَاة: تحيّة القوم بعضهم بعضاً. والحيّ: الواحد من أحياء العرب.

والمُحيّا: الوجه. وقول العرب: حَيَّاك الله: يعني الاستقبال بالمُحيّا، ويحتمل أن يكون اشتقاقه من الحياة. وتقول: حَيَّاك الله وبيّاك، أي: أفرحك وأضحكك. ويقال: بيّاك تقوية لحيّاك. وقول المُصلي في التّشهد: التَّحِيَّات لله، معناه البقاء لله، ويقال: المُلك لله.

قال أبو هلال[2]: الفرق بين السّلام والتّحية: أن التّحية أعمّ من السّلام.

---

(1) العين.
(2) الفروق في اللغة.

وقال المُبرد: «يدخل في التّحية: حيّاك الله، ولك البُشرى، ولقيت الخير». ولا يقال لذلك: سلام، إنمّا السّلام قولك: سلام عليك. ويكون السّلام في غير هذا الوجه: السّلامة، مثل الضّلال والضّلالة والجلال والجلالة، ومنه دار السّلام، أي دار السّلامة. وقيل: دار السّلام، أي دار الله. والسّلام: اسم من أسماء الله. والتّحية أيضاً: الملك، ومنه قولهم: التحيّات لله. الفرق بين التقليد والتّحية: أنّ التّحية هو الاعتقاد الّذي يعتدّ به الإنسان من غير أن يرجّحه على خلافه، أو يخطر بباله أنّه بخلاف ما اعتقده، وهو مفارق للتّقليد، لأنّ التّقليد ما يقلد فيه الغير، والتّحية لا يقلد فيه أحد. الفرق بين الحياة والنّماء: أن الحياة هي ما تصير به الجملة كالشّيء الواحد، في جواز تعلق الصّفات بها، فأمّا قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ [فاطر: 9]، فمعناه أنّا جعلنا حالها كحال الحيّ في الانتفاع بها. والصّفة لله بأنّه حيّ، مأخوذة من «الحياة» على التّقدير لاعلى الحقيقة، كما أنّ صفته بأنّه موجود مأخوذة من «الوجود» على التّقدير.

* **وردت كلمة الحياة في القرآن الكريم على النحو التالي:**

- **الحياة بعد الخلق الأول ونفخ الروح:** ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ﴾ [البَقَرَة: 28].

- **البقاء:** ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المَائدة: 32].

- **الهدى:** ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: 70].

- **حياة الأرض بالنبات:** ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [فَاطِر: 9].

- **الحياة حياة عبرة قبل يوم القيامة:** ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عِمرَان: 49].

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى:** ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42].

قال الماورديّ(1): فيه وجهان:

أحدهما: ليقتل ببدر من قتل من مشركي قريش عن حجّة، وليبقى من بقي عن قدرة.

والثّاني: ليكفر من قريش من كفر بعد الحجّة ببيان ما وعدوا، ويؤمن من آمن بعد العلم بصحّة إيمانهم.

قال الزّمخشريّ(2): واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام، أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة، لا عن مخالجة شبهة، حتى لا تبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام من أسلم أيضاً عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغرّ المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه مغالطاً لها.

● **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74].

قال ابن عطيّة(3): مختصّ بالكافر، فإنّه معذّب عذاباً ينتهي به إلى الموت، ثمّ لا يجهز عليه فيستريح، بل يعاد جلده ويجدّد عذابه، فهو لا يحيى حياة هنيّة. وأمّا من يدخل النّار من المؤمنين بالمعاصي فهم قبل أن تخرجهم الشّفاعة في غمرة قد قاربوا الموت، إلّا أنّهم لا يجهز عليهم ولا يجدّد عذابهم، فهذا فرق ما بينهم وبين الكفّار.

(1) النكت والعيون.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

قال الفخر الرازيّ[1]: الجسم الحيّ لا بدّ وأن يبقى إمّا حيّاً أو يصير ميّتاً، فخلوه عن الوصفين محال، فمعناه في الآية: أنّه يكون في جهنم بأسوء حال، لا يموت موتة مريحة، ولا يحيا حياة ممتعة.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجَاثيَة: 24].

قال الطّبريّ[2]: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات.

وقوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم، لأنهم منهم وبعضهم، فكأنهم بحياتهم أحياء، وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابناً مثل فلان، لأنه بحياة ذكره به، كأنه حيّ غير ميت، وقد يحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات، كما يقال: قمت وقعدت، بمعنى: قعدت وقمت والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، تقدم المتأخر حدوثاً على المتقدم حدوثه منهما أحياناً، فهذا من ذلك، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممات، فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياءً وأخرى أمواتاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النّجْم: 44].

قال الفخر الرازيّ[3]: والبحث فيه كما في الضحك والبكاء، غير أن الله تعالى في الأول بين خاصة النوع الذي هو أخص من الجنس، فإنه أظهر وعن

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

التعليل أبعد ثم عطف عليه ما هو أعم منه ودونه في البعد عن التعليل وهي الإماتة والإحياء وهما صفتان متضادتان أي الموت والحياة كالضحك والبكاء والموت على هذا ليس بمجرد العدم وإلا لكان الممتنع ميتاً، وكيفما كان فالإماتة والإحياء أمر وجودي وهما من خواص الحيوان، ويقول الطبيعي في الحياة لاعتدال المزاج، والمزاج من أركان متضادة هي النار والهواء والماء والتراب وهي متداعية إلى الانفكاك وما لا تركيب فيه من المتضادات لا موت له، لأن المتضادات كل أحد يطلب مفارقة مجاوره، فقال تعالى: الذي خلق ومزج العناصر وحفظها مدة قادر على أن يحفظها أكثر من ذلك فإذا مات فليس عن ضرورة فهو بفعل فاعل مختار وهو الله تعالى: فهو الذي أمات وأحيا. فإن قيل: متى أمات وأحيا حتى يعلم ذلك بل مشاهدة الإحياء والإماتة بناء على الحياة والموت؟ نقول: فيه وجوه أحدها: أنه على التقديم والتأخير كأنه قال: أحيا وأمات ثانيها: هو بمعنى المستقبل، فإن الأمر قريب يقال: فلان وصل والليل دخل إذا قرب مكانه وزمانه، فكذلك الإحياء والإماتة ثالثها: أمات أي خلق الموت والجمود في العناصر، ثم ركبها وأحيا أي خلق الحس والحركة فيها.

● **قال الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البَقَرَة: 243].

قال الفخر الرّازيّ(1): أنه قد ثبت بالدلائل أن معارف المكلفين تصير ضرورية عند القرب من الموت: وعند معاينة الأهوال والشدائد، فهؤلاء الذين أماتهم الله ثم أحياهم لا يخلو إما أن يقال إنهم عاينوا الأهوال والأحوال التي معها صارت معارفهم ضرورية، وإما ما شاهدوا شيئاً من تلك الأهوال بل الله تعالى أماتهم بغتة، كالنوم الحادث من غير مشاهدة الأهوال ألبتة، فإن كان الحق هو الأول، فعندما أحياهم يمتنع أن يقال: إنهم نسوا تلك الأهوال ونسوا ما

(1) التفسير الكبير.

عرفوا به ربهم بضرورة العقل، لأن الأحوال العظيمة لا يجوز نسيانها مع كمال العقل، فكان يجب أن تبقى تلك المعارف الضرورية معهم بعد الإحياء، وبقاء تلك المعارف الضرورية يمنع من صحة التكليف، كما أنه لا يبقى التكليف في الآخرة، وإما أن يقال: إنهم بقوا بعد الإحياء غير مكلفين، وليس في الآية ما يمنع منه، أو يقال: إن الله تعالى حين أماتهم ما أراهم شيئاً من الآيات العظيمة التي تصير معارفهم عندها ضرورية، وما كان ذلك الموت كموت سائر المكلفين الذين يعاينون الأهوال عند القرب من الموت، والله أعلم بحقائق الأمور.

● **قال الله تعالى:** ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: 28].

قال الطّبريّ[1]: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بينا بتأويل قول الله جل ذكره: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ الآية، القول الذي ذكر عن ابن مسعود، وعن ابن عباس، من أن معنى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [البَقَرَة: 28]: أموات الذكر خمولاً في أصلاب آبائكم نُطفاً لا تعرفون ولا تذكرون، فأحياكم بإنشائكم بشراً سويّاً، حتى ذُكرتم وعُرفتم وحَييتم، ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتاً لا تُعرفون ولا تُذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون، ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك، كما قال: ثم إليه ترجعون لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم، ثم يحشرهم لموقف الحساب، كما قال جل ذكره: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعَارج: 43]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: 51]، والعلة التي من أجلها اخترنا هذا التأويل، ما قد قدمنا ذكره للقائلين به وفساد ما خالفه بما قد أوضحناه قبل. وهذه الآية توبيخ من الله جل

(1) جامع البيان.

ثناؤه للقائلين: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: 8]، الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قيلهم ذلك بأفواههم غير مؤمنين به، وأنهم إنما يقولون ذلك خداعاً لله وللمؤمنين. فعَذَلهم الله بقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ ووبخهم واحتجّ عليهم في نكيرهم ما أنكروا من ذلك، وجحودهم ما جحدوا بقلوبهم المريضة فقال: كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على إحيائكم بعد إماتتكم وإعادتكم بعد إفنائكم وحشركم إليه لمجازاتكم بأعمالكم.

● **قال الله تعالى:** ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: 11].

قال الزّمخشريّ(1): إماتتين وإحياءتين. أو موتتين وحياتين. وأراد بالإماتتين: خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحيائتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث.

قال الألوسيّ(2): ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ اختلف في المراد بذلك فقيل: أرادوا بالإماتة الأولى خلقهم أمواتاً وبالثانية إماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءة الأولى إحياءتهم بنفخ الروح فيهم وهم في الأرحام وبالثانية إحياءتهم بإعادة أرواحهم إلى أبدانهم للبعث.

● **قال الله تعالى:** ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: 73].

قال الطّبريّ(3): مخاطبة من الله عباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذّبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا، فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذّبون

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.

بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث، فإنما احتجّ جل ذكره بذلك على مشركي العرب وهم قوم أُمّيون لا كتاب لهم، لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم وفيهم نزلت هذه الآيات، فأخبرهم جل ذكره بذلك ليتعرّفوا علم من قبلهم.

● **قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحِجر: 23].**

قال الفخر الرازيّ[1]: ففيه قولان: منهم من حمله على القدر المشترك بين إحياء النبات والحيوان ومنهم من يقول: وصف النبات بالإحياء مجاز فوجب تخصيصه بإحياء الحيوان ولما ثبت بالدلائل العقلية أنه لا قدرة على خلق الحياة إلا للحق سبحانه كان حصول الحياة للحيوان دليلاً قاطعاً على وجود الإلٰه الفاعل المختار، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ يفيد الحصر أي: لا قدرة على الإحياء ولا على الإماتة إلا لنا.

قال الألوسيّ[2]: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾ بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها ﴿وَنُمِيتُ﴾ بإزالتها عنها فالحياة صفة وجودية وهي كما قيل صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية والموت زوال تلك الصفة، وقال بعضهم: إنه صفة وجودية تضاد الحياة لظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ [الملك: 2].

● **قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: 255].**

قال الطّبريّ[3]: فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أوّل له يحدّ، ولا آخر له يُؤْمَد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وآخر مأمود، ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها.

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.

وقد اختلف أهل البحث في تأويل ذلك، فقال بعضهم: إنما سمى الله نفسه حياً لصرفه الأمور مصارفها وتقديره الأشياء مقاديرها، فهو حيّ بالتدبير لا بحياة. وقال آخرون: بل هو حيّ بحياة هي له صفة. وقال آخرون: بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به، فقلناه تسليماً لأمره.

قال الفخر الرّازيّ[1]: أن الحي في أصل اللغة ليس عبارة عن هذه الصحة، بل كل شيء كان كاملاً في جنسه، فإنه يسمى حياً، ألا ترى أن عمارة الأرض الخربة تسمى: إحياء الموات، وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: 50]، وقال: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [فاطر: 9]، والصفة المسماة في عرف المتكلمين، إنما سميت بالحياة لأن كمال حال الجسم أن يكون موصوفاً بتلك الصفة فلا جرم سميت تلك الصفة حياة وكمال حال الأشجار أن لا تكون مورقة خضرة فلا جرم سميت هذه الحالة حياة وكمال الأرض أن تكون معمورة فلا جرم سميت هذه الحالة حياة، فثبت أن المفهوم الأصلي من لفظ الحي كونه واقعاً على أكمل أحواله وصفاته، وإذا كان كذلك فقد زال الإشكال لأن المفهوم من الحي هو الكامل، ولما لم يكن ذلك مقيداً بأنه كامل في هذا دون ذاك دل على أنه كامل على الإطلاق، فقوله الحي يفيد كونه كاملاً على الإطلاق، والكامل هو أن لا يكون قابلاً للعدم، لا في ذاته ولا في صفاته الحقيقة ولا في صفاته النسبية والإضافية، ثم عند هذا إن خصصنا القيوم بكونه سبباً لتقويم غيره فقد زال الإشكال، لأن كونه سبباً لتقويم غيره يدل على كونه متقوماً بذاته، وكونه قيوماً يدل على كونه مقوماً لغيره، وإن جعلنا القيوم اسماً يدل على كونه يتناول المتقوم بذاته والمقوم لغيره كان لفظ القيوم مفيداً فائدة لفظ الحي مع زيادة، فهذا ما عندي في هذا الباب والله أعلم.

● **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

---

(1) التفسير الكبير.

قال الطبري[1]: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كلّ شيء. كما: عن قتادة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ قال: كلّ شيء حيّ خُلق من الماء. فإن قال قائل: وكيف خصّ كل شيء حيّ بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حيّ ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهنّ وأن في ذوات الأرواح أرواحا فلذلك قيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾.

قال القشيري[2]: كُلُّ شيءٍ مخلوقٍ حيٍّ فَمِنَ الماء خَلْقُه، فإنَّ أصلَ الحيوان الذي حَصَلَ بالتناسل النطفةُ، وهي من جملة الماء. وحياة النفوس بماء السماء من حيث الغذاء، وحياة القلوب بماء الرحمة، وحياة الأسرار بماء التعظيم. وأقوام حياتُهم بماءِ الحياء.. وعزيزٌ هُمْ.

● **قال تعالى**: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 27].

قال الطبري[3]: الصواب تأويل من قال: يخرج الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياء من النطف الميتة، وذلك إخراج الحيّ من الميت، ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياء، وذلك إخراج الميت من الحيّ، وذلك أن كل حيّ فارقه شيء من جسده، فذلك الذي فارقه منه ميت، فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه، ثم ينشيء الله منها إنساناً حياً وبهائم وأنعاماً أحياء، وكذلك حكم كل شيء حيّ زايله شيء منه، فالذي زايله منه ميت، وذلك هو نظير قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: 28] وأما تأويل من تأوّله بمعنى الحبة من

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) جامع البيان.

السنبلة، والسنبلة من الحبة، والبيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فإن ذلك وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام، وتوجيه معاني كتاب الله عزّ وجلّ إلى الظاهر المستعمل في الناس، أولى من توجيهها إلى الخفيّ القليل في الاستعمال.

● **قال تعالى**: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريَم: 15].

قال الألوسي[1]: من هول القيامة وعذاب النار. وجيء بالحال للتأكيد، وقيل للإشارة إلى أن البعث جسماني لا روحاني، وقيل للتنبيه على أنه عليه السلام من الشهداء.

قال الفخر الرازي[2]: وإنما قال: ﴿حَيًّا﴾ تنبيهاً على كونه من الشهداء لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 169].

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البَقَرَة: 154].

قال الطبري[3]: إن الذي خصّ الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحداً غيرهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(1) روح المعاني.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.

﴿أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: 169-170] وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ عَلَى بارِقٍ نَهْرٍ بِبابِ الجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ**» وقال عبدةُ: «**فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**».

قال الماوردي[1]: وسبب ذلك أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأُحُد: مات فلان، ومات فلان، فنزلت الآية وفيها تأويلان: أحدهما: أنهم ليسوا أمواتاً وإن كانت أجسامهم أجسام الموتى بل هم عند الله أحياء النفوس منعّمو الأجسام.

والثاني: أنهم ليسوا بالضلال أمواتاً بل هم بالطاعة والهدى أحياء، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122] فجعل الضالَّ ميتاً، والمُهْتَدي حياً. ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أنهم ليسوا أمواتاً بانقطاع الذكر عند الله وثبوت الأجر.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 169].

قال البغوي[2]: قيل أحياء في الدِّين، وقيل: في الذكر، وقيل: لأنهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء، وقيل: لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، وقيل: لأن الشهيد لا يبلى في القبر، ولا تأكله الأرض.

قال ابن عطية[3]: أنه قرأ: «الذين قاتلوا» أخبر الله تعالى في هذه الآية عن الشهداء: أنهم في الجنة يرزقون، هذا موضع الفائدة، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل، حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم.

---

(1) النكت والعيون.
(2) معالم التنزيل.
(3) المحرر الوجيز.

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**أرواح الشهداء على نهر بباب الجنة يقال له بارق، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً**»، وروي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «**أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها**». وهؤلاء طبقات وأحوال مختلفة، يجمعها أنهم يرزقون، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنما نسمة المؤمن طير تعلق في ثمار الجنة، ويروى يعلق بفتح اللام وبالياء، والحديث معناه في الشهداء خاصة، لأن أرواح المؤمنين غير الشهداء، إنما ترى مقاعدها من الجنة دون أن تدخلها، وأيضاً فإنها لا ترزق، وتعلق معناه: تصيب العلقة من الطعام، وفتح اللام هو من التعلق، وقد رواه القراء في إصابة العلقة، وروي عن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «**إن الله تعالى يطلع إلى الشهداء فيقول: يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا لا فوق ما أعطيتنا، هذه الجنة نأكل منها حيث نشاء، لكنا نريد أن تردنا إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك فنقتل مرة أخرى، فيقول تعالى: قد سبق أنكم لا تردون**»، وروي أن النبي ﷺ قال لجابر بن عبد الله: **ألا أبشرك يا جابر؟** قال جابر: قلت بلى يا رسول الله، **قال: إن أباك حيث أصيب - بأحد - أحياه الله، ثم قال: ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: يا رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى**»، وقال قتادة رحمه الله: ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين أصيبوا - بأحد - فنزلت هذه الآية.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: **22**].

قال الفخر الرازي[1]: لما بين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر، وهدى الله المؤمن ضرب لهم مثلاً بالبصير والأعمى، فالمؤمن بصير حيث أبصر الطريق الواضح والكافر أعمى.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ مثلاً آخر في حق المؤمن والكافر كأنه قال تعالى: حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير، فإن

---

(1) التفسير الكبير.

الأعمى يشارك البصير في إدراك ما. والكافر غير مدرك إدراكاً نافعاً فهو كالميت ويدل على ما ذكرنا أنه تعالى أعاد الفعل حيث قال أولاً: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ وعطف الظلمات والنور والظل والحرور، ثم أعاد الفعل، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ كأنه جعل هذا مقابلاً لذلك.

قال ابن كثير[1]: وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122].

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32].

قال الماوردي[2]: فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما عمل الصالحات فيها فهو من عمل الآخرة، فخرج من أن يكون لعباً ولهواً.

والثاني: وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لاشتغالهم بها عما هو أولى منها، قاله الحسن.

والثالث: أنهم كأهل اللعب واللهو لانقطاع لذاتهم وقصور مدتهم، وأهل الآخرة بخلافهم لبقاء مدتهم واتصال لذتهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لأنه قَدْ دام لهم فيها ما كان منقطعاً في غيرها.

قال ابن الجوزي[3]: فيه ثلاثة أقوال. أحدها: وما الحياة الدنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها، إلا كالشيء يلعب به.

والثاني: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة لا من الدنيا. والثالث: وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو، لاشتغالهم عما أمروا به. واللعب: ما لا يُجدي نفعاً.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) النكت والعيون.
(3) زاد المسير.

حرف الخاء

خبال

(خبال - مسّ)

■ **الخَبَالُ:** فساد وظيفة الشيء المتحرك فيضطرب كالمرض المؤدي لاضطراب العقل والفكر ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عِمرَان: 118].

■ **المَسُّ:** فقدان السيطرة الحركية بهواجس شيطانية فاسدة ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البَقَرَة: 275].

﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [صٓ: 41].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والباء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على فساد الأعضاء. فالخَبَل: الجُنون. يقال: اخْتَبَلَهُ الجنّ. والجِنيُّ خَابِلٌ، والجمع خُبَّل. والخَبَلُ: فساد الأعضاء. ويقال خُبِلَتْ يده: إذا قُطِعت وأُفسِدَت.

ويقال فُلانٌ خَبَالٌ على أهله، أي: عَنَاء عليهم لا يُغْنِي عنهم شيئاً. وطِينة

(1) معجم مقاييس اللغة.

الخَبَالِ الذي جاء في الحديث، يقال: إنّه صَدِيد أهل النّار. ومما شذّ عن الباب الإِخْبَال، ويقال: هو أن يجعل الرّجُل إبلَه نِصفين، يُنتِج كلَّ عام نصفاً، كما يُفعل بالأرض في الزّراعة. ويقال الإِخْبَال أن يُخْبِلَ الرّجلَ، وذلك أن يُعِيرَه ناقةً يركبُها، أو فرساً يغزُو عليه.

قال الخَليل[1]: الخَبْلُ: جنون أو شبهه في القلب. ورجل مَخْبُولٌ: به خَبْلٌ، وهو مُخَبَّلٌ، أي: لا فؤاد له، وقد خَبَلَه الدّهر والحُزن والشّيطان والحُبّ والدّاء خَبْلاً.

وقد خَبِلَ خبالاً، ورجل أخبل. ودهر خَبِلٌ: مُلتوٍ على أهله، لا يرون فيه سُروراً.

والخَبْلُ: فساد في القوائم حتّى لا يدري كيف يمشي، فهو مُتخَبِّلٌ خَبِلٌ.

ومُخْتَبَلُ الدّابّة: فِعلُه، ومُخْتَبَلِهَا: قوائمها، واختِبَالُهَا: ألاّ تَثْبت في مواطئها.

وبه خَبَالٌ، أي: مَسّ وشَرّ، قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: 118]، أي شرّاً.

وهو خَبَالٌ على أهله، أي: عَناء. وطين الخَبَالِ: ما ذاب من أجساد أهل النّار.

والرّجل تصيبه السّنة فيأتي أخاه فيستَخبِله غنماً وإبلاً ينتفع بها.

قال الرّاغِب[2]: الخَبَالُ: الفساد الّذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً، كالجنون والمرض المؤثّر في العقل والفكر، ويقال خَبَلٌ وخَبْلٌ وخَبالٌ، ويقال: خَبَلَه وخَبَّلَه فهو خَابِلٌ؛ والجمع: الخُبْلُ، ورجل تُخَبَّل.

وفي الحديث: «**من شرب الخمر ثلاثاً كان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخَبال**».

(1) العين. (2) المفردات.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا...﴾ [التوبة: 47].

● قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: 118].

قال الزّجّاج(1): أخبر الله المؤمنين بأنّهم لا يألونهم خَبالاً، أي: لا يُبقون غاية في إلقائهم فيما يضرّهم، وأصل الخَبال في اللُّغة: ذهاب الشّيء.

ونصب ﴿خَبَالًا﴾ على المفعول الثّاني، لأنّ الإلو تتعدّى إلى مفعولين. وإن شئت: المصدر، أي يخبلونكم خَبالاً، وإن شئت بنزع الخافض، أي بالخَبال، كما يقال: أوجعته ضرباً، أي بالضّرب.

قال البَيْضاويّ(2): أي لايقصّرون لكم في الفساد.

قال ابن عاشور(3): أي لايقصّرون في خبالكم، وليس المراد لايمنعونكم، لأنّ الخَبال لا يُرغب فيه ولا يُسأل.

والخَبال: اختلال الأمر وفساده، ومنه سمّي فساد العقل خَبالاً، وفساد الأعضاء.

---

(1) معاني القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) التحرير والتنوير.

خبء

(خبء - سرّ - خفي - أخفى - غيب - كتم)

■ **الخَبْءُ:** إخفاء الشيء عن طامه لا يعلمه إلّا واضعه ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النّمل: 25].

■ **السِّرُّ:** الخبر المهم لا يعلمه أحد ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التّغابن: 4].

■ **الخَفِيُّ:** الفعل تفعله لا تبدي منه أثراً ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 54].

■ **الأَخْفَى:** الخواطر التي ترد على الذهن ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7].

■ **الغَيْبُ:** وهو كل ما غاب من خبء أو سر أو خفاء أو أخفى ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: 49].

■ **الكَتْمُ:** ستر الخبر وعدم البوح ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النّساء: 42].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والياء والحرف المعتلّ والهمزة يدلّ على ستر الشّيء.

فمن ذلك: خَبَأْتُ الشّيء أَخْبَؤُه خَبْأً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والخُبَأةُ: الجارية تَخْبأُ.

ومن الباب الخِبَاءُ؛ تقول: أَخبَيْتُ إِخْبَاءً، وخَبّيْتُ وتَخَبَّيْتُ، كلّ ذلك إذا اتّخذت خِباءً.

قال الخَليل(1): الخَبْءُ: ما خبَأتَ من ذخيرة ليوم مّا.

قال الأزهَريّ(2): وفي الحديث: «**اطلُبوا الرّزق في خَبَايَا الأرض**». قيل: معناه الحرث، وإثارة الأرض للزّراعة.

وأصله: من الخَبْء، الّذي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ [النّمل: 25].

قال الرّاغب(3): يُخرِج الخَبْءَ، يقال ذلك لكلّ مُدَّخَر مستور. ومنه قيل: جارية خُبَأَةٌ، وهي الجارية الّتي تظهر مرّة وتَخْبأُ أُخرى.

والخِباء: سِمَة في موضع خفيّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25].

قال الطّبَريّ(4): يخرج المَخبُوء في السّماوات والأرض، من غيث في السّماء، ونبات في الأرض، ونحو ذلك. إلى أن قال:

عن حكيم بن جابر: ويعلم كلّ خفيّة في السّماوات والأرض.

عن معاذ بن عبد الله، قال: رأيت ابن عبّاس على بغلة يسأل تبعًا ابن امرأة كعب: هل سألت كعبًا عن البذر تنبت الأرض العام لم يصب العام الآخر؟

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) جامع البيان.

قال: سمعت كعبًا يقول: البذر ينزل من السّماء، ويخرج من الأرض، قال: صدقت.

إنّما هو تبيع، ولكن هكذا قال محمّد.

وقيل: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

لأنّ العرب تضع (مِنْ) مكان (في) و(في) مكان (مِنْ) في الاستخراج.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: وسمّي الَمخُبوء بالمصدر، وهو النّبات والمطر وغيرهما، ممّا خبأه عزّ وعلا من غيوبه.

وقُرئ (الْخَبْ) على تخفيف الهمزة بالحذف، و(الخَبَا) على تخفيفها بالقلب، وهي قراءة ابن مَسعود ومالك بن دينار. ووجهها أن تُخرَّج على لغة من يقول في الوقف: هذا الخّبْو، ورأيت الخبَا، ومررت بالخَبي، ثمّ أُجري الوصل مجرَى الوقف، لا على لغة من يقول: الكماة والحماة، لأنّها ضعيفة مسترذلة.

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: سمّي الَمخُبوء بالمصدر، وهو يتناول جميع أنواع الأوراق والأموال. وإخراجه من السّماء بالغيث، ومن الأرض بالنّبات. إلى أن قال:

فإن قيل: إنّ إبراهيم وموسى عليهما السلام قدّما دلالة الأنفس على دلالة الآفاق، فإن إبراهيم قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾، ثمّ قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: 258].

وموسى عليه السلام قال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ثمّ قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَراء: 28]، فلِمَ كان الأمر ها هنا بالعكس، فقدّم خَبْءالسّماواتعلى خَبْء الأرض؟

جوابه: أنّ إبراهيم وموسى عليهما السلام ناظرا مع من ادّعى إلٰهيّة البشر، فلا جرَم

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

ابتدَءَا بإبطال إلٰهيّة السّماوات. وها هنا المناظرة مع من ادّعى إلٰهيّة الشّمس لقوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النّمل: 24].

فلا جَرم ابتدأ بذكر السّماويات ثّم بالأرضيّات.

خبت

(خبت - خشع - خضع -
ذعن - ضرع - عنت - قنت - طمن)

- **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحَجّ: 54].
- **الخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].
- **الخُضُوعُ:** التكسر في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].
- **الإِذْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النُّور: 49].
- **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة، رفع اليدين والجثوّ على الركب ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].
- **العَنَتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].
- **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الرُّوم: 26].
- **الطُّمَأْنِينَةُ:** السكون بعد الخوف ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: 10].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والباء والتّاء أصل واحد يدلّ على خشوع، أَخْبَتَ يُخْبِتُ إِخْبَاتاً: إذا خشع. وأَخْبَتَ لله تعالى. قال عزّ ذكره: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: 34]، وأصله من (الخَبْت) وهو المفازة لا نبات بها. ومن ذلك الحديث: «**ولو بِخَبْتِ الجَميش**». ألا تراه سمّاها جميشاً، كأنّ النّبات قد جُمش منها، أي: حُلِق.

قال الخَليل[2]: الخَبْتُ: ما اتّسع من بطون الأرض؛ وجمعه: خُبُوت.

والمُخْبِتُ: الخاشع المتضّرع، يُخْبِتُ إلى الله، ويُخْبِتُ قلبه لله.

قال أبو هلال[3]: الفرق بين الخضوع والإخبات: أنّ المُخبِت هو المطمئنّ بالإيمان. وقيل: هو المجتهد بالعبادة، وقيل: الملازم للطّاعة والسّكون. وهو من أسماء الممدوح، مثل المؤمن والمتّقي، وليس كذلك الخضوع، لأنّه يكون مدحاً وذمّاً.

وأصل الإخبات أن يصير إلى خَبْت، تقول: أَخْبَتَ: إذا صار إلى خَبْت، وهو الأرض المستوية الواسعة، كما تقول: أنْجَد، إذا صار إلى نجد. فالإخبات على ما يوجبه الاشتقاق هو الخضوع المستمرّ على استواء.

قال الرّاغِب[4]: الخَبْت: المطمئنّ من الأرض، وأَخْبَتَ الرّجل: قصد الخَبْت أو نزّله، نحو: أسهَل وأنجَد، ثّم استُعمل الإِخْبَاتُ استعمال اللِّين والتّواضع.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الفروق.
(4) مفردات الراغب.

المعنى المشترك:

● يرد الخبت في القرآن الكريم بالمعاني المشتركة التالية:

أولاً: التواضع: قال الله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: 34].

ثانياً: السكون إلى الشيء إجلالاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [هُود: 23].

ثالثاً: اللين والإذعان: قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحَجّ: 54]. . أي تلين فتذعن

رب ذنب أعظم للعبد من طاعة. إبليس أحياناً يندم على أنه حرض عبداً على ذنب، يستيقظ العبد منه فيتألم ألماً شديداً فيخبت قلبه فيعوض ذنبه بالاستغفار، بالعطاء بالصدقات بدمعة بالليل ويعمل أعمالاً كثيرة ليغطي الذنب. فإذا بهذه الأعمال أعظم وأوسع من الذنب مائة مرة، هذا الذنب كان سبباً في اكتساب هذا العبد أجراً كبيراً وطاعات عظيمة فيقول إبليس: ليتني ما أفسدته.

كل ذنب كان سبباً لترتب طاعات وحسنات كثيرة ومعاملات قلبية فاضلة من الذنب فقد أُخْبِتَ قلبه وخشع، ومن ضمن الوصول من الذنوب أن تصبح بعيداً كل البعد عن هذه الآفة التي تكاد تحبط أعمال الصالحين والعلماء والدعاة إذا وصلوا من هذا العالم والعطاء والإبداع والكرم الى احتقار الآخرين. فرب واحد أقل منك علماً تغضب عليه لأنه كلمك بدون لقب كما حصل لإبليس. . يجب ألا تشنع على أحد وأن تتغاضى عن ذنوب الآخرين وتنشغل بذنبك ولا تزدري عاصياً وإنما تدعو له بالمغفرة وتقول: اللهم اغفر لي ولفلان، وهو غائب، فالدعاء لأخيك المسلم في ظهر الغيب من أعظم العبادات، وتشفق على أخيك العاصي كما تشفق على نفسك وترى كل الناس خيراً منك ولا ترى نفسك خيراً منهم تجرداً

لله، وعندما تصاب بالذنوب الكبيرة وتذوق طعم التضرع والخضوع والإخبات والتذلل حينئذٍ تصل إلى أن تكون فاضلاً كبيراً لست من الصغار، وهذا الصغير لو ابتلي بذنبٍ كبير ثم عرف قدر أن يكون ذليلاً منكسراً لله بعد الذنب لعرف أن كل الناس خيراً منه، ويجب أن تحسن الظن بالناس ولا تتبع عوراتهم وتساعدهم وتستر عليهم وتعينهم على الشيطان كما قال ﷺ: «**إذا رأيتم أخاً لكم زلَّ زلة فَقَوِّمُوه وسددوه، لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**» والسعيد من شغله عيبه عن عيب الناس. والذنب أنفع بكثير من طاعات أعقبها عُجب، وأنين المذنبين عند الله أحب من زجل المسبحين. «**من تتبع عورة مؤمن ليفضحه تتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته**» وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تُظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك.

إذن نخلص الأمر إلى أن الإخبات نوعان: إخبات مع المخلوق وإخبات مع الخالق. والإخبات مع المخلوق بتواضع: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: 134] يجب أن:

1 - تكظم غيظك فلا تغضب وتصرخ ولا تشكو.

2 - أن تعفو عمن أساء إليك فلا انتقام ولا أذى ولا قطيعة.

3 - وأن تحسن إليه، وهذا دأب الصالحين دائماً عندما يسيء أحدهم إليهم، كان سيدنا جعفر الصادق يأكل فسكب عليه العبد الطعام، فخاف العبد فقال له: أنت حر لوجه الله. ولابشارة من الله تعالى شيء عظيم فأنت لا تدري ماذا سيعطيك الله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: 34].

هذا الإخبات مع المخلوق. أما الإخبات مع الخالق: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحَجّ: 54]. . إذا أُخْبِتَ قلبك لله تعالى وآمن بصدق الكتاب

العزيز، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إخبات وتذلل عبقري كما تتذلل لأبيك وأمك.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: 23].

قال الزّمَخْشَري[1]: واطمأنّوا إليه، وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتّواضع، من الخَبْت وهي الأرض المطمئنّة، ومنه قولهم للشّيء الدّنيء: الخبيث.

وقيل: التّاء فيه بدل من الثّاء.

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: قوله: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾ إشارة إلى أنّ هذه الأعمال لا تنفع في الآخرة إلاّ مع الأحوال القلبيّة، ثمّ إن فسّرنا الإخبات بالطّمأنينة كأن المراد أنّهم يعبدون الله، وكانت قلوبهم عند أداء العبادات مُطمئنّة بذكر الله، فارغة عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

أو يقال: إنّما قلوبهم صارت مطمئنّة إلى صدق الله بكلّ ما وعدهم من الثّواب والعقاب.

وأمّا إن فسّرنا الإخبات بالخشوع، كان معناه أنّهم يأتون بالأعمال الصّالحة خائفين، وجلين من أن يكونوا أتوا بها مع وجود الإخلال والتّقصير.

قال الألوسيّ[3]: أي اطمأنّوا إليه سبحانه وخشعوا له. وأصل الإخبات: نزول الخَبْت وهو المنخفض من الأرض، ثمّ أُطلق على اطمئنان النّفس والخشوع

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

تشبيهاً للمعقول بالمحسوس، ثمّ صار حقيقة فيه، ومنه الخبيت بالتّاء المثنّاة للدّنيء، وقيل: إن التّاء بدل من الثّاء المثلّثة.

● **قال تعالى:** ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ. . .﴾ [الحج: 54].

قال الطّبَريّ(1): فتخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتّصديق به، والإقرار بما فيه.

قال الفَخْر الرّازيّ(2): أي تخضع وتسكن، لعلمهم بأنّ المقضيّ كائن، وكلّ ميسّر لما خُلق له.

قال القُرطُبّي(3): أي تخضع وتسكن. وقيل: تخلص.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ. . .﴾ [الحج: 34].

قال الطّبَريّ(4): يقول تعالى ذكره: وبشّر يا محمّد الخاضعين لله بالطّاعة، المذعنين له بالعبوديّة، المنيبين إليه بالتّوبة.

قال الزّجّاج(5): قيل: المخبتون: المتواضعون، وقيل: المخبتون: المطمئنّون بالإيمان بالله عزّوجلّ، وقيل: المخبتون: الّذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وكلّ ذلك جائز.

واشتقاقه من الخَبْت من الأرض، وهي المكان المنخفض منها، فكلّ مُخْبِت: متواضع.

قال الزّمَخْشَريّ(6): المخبتون: المتواضعون والخاشعون، من الخَبْت وهو المطمئنّ من الأرض. وقيل: هم الّذين لا يظلمون، وإذا ظُلِموا لم ينتصروا.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.
(6) الكشاف.

خبث

(خبث - رجز - رجس - نجس)

- **الخُبْثُ:** المحظور والفاسد الذي لا يوافق النفس فتنفر منه ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: 74].
- **الرِّجْزُ:** المحظور الذي يؤدي إلى الاضطراب النفسي والعقلي والوسواس ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: 11].
- **الرِّجسُ:** المحظور المستقذر الذي يؤدي الى الاضمحلال ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المَائدة: 90].
- **النَّجَسُ:** المحظور الذي ينقض الطهارة والنظافة المادية والمعنوية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبَة: 28].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والباء والثاء أصلٌ واحد يدلُّ على خلاف الطّيّب. يقال: خَبِيثٌ، أي: ليس بطيِّب. وأَخْبَثَ: إذا كانَ أصحابُه خُبَثَاءُ. ومن ذلك التعوُّذ مِن الخَبِيثِ المُخْبِث. فالخَبِيثُ في نفسه، والمُخْبِثُ الذي أصحابُه وأعوانُه خُبَثاء.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: خبُثَ الشّي، خَباثةً وخُبْثاً فهو خَبِيثٌ، وأَخْبَثَ فهو مُخْبِثٌ: صار ذا خُبْثٍ وشرٍّ. والخَابِثُ: الرّديء. وأَخبَثَ القول ونحوه.

والخَبيثُ: نعت كلّ شيء فاسد، خَبِيثُ الطّعم وخَبِيثُ اللّون.

والخِبْثَةُ: الزِّنْيَة من الفجور، ويقال: هذا ولَدُ الخِبْثَةَ وولَدٌ لخِبْثَةٍ. وخَبثُ الحديد وغيره: ممّا يُذاب بالنّار، وهو ما يبقى من رداءته إذا أُخلِص جيّده.

ويقولون للرّجل: يا خُبَثُ، وللمرأة يا خَباثِ.

قال الجَوهَريّ[2]: الخَبِيثُ: ضدّ الطّيّب. وقد خَبُثَ الشّيء خَباثةً، وخَبُثَ الرّجل خُبْثاً، فهو خَبِيثٌ، أي: خَبٌّ رديء.

المعنى المشترك:

ورد الخبيث في القرآن الكريم بالمعاني المشتركة التالية:

(أ) بمعنى الرديء الخسيس أو الحرام.. قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ [النّساء: 2].. أي: الرديء.

(ب) الكافر والمنافق: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل عمران: 179].

(ج) كلمة الباطل وهي الشرك.. قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26].

(د) الرجل الفاسد والمرأة الفاسدة.. قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ﴾ [النُّور: 26].

(هـ) الفعلة المنكرة وكل شيء مستقذر.. قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: 157]، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: 74].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: 58].

قال الطّبَريّ(1): فرَدُؤَت تُربته، ومَلُحَت مشاربُه، لا يخرج نباته إلاّ نكداً.

قال الزّمَخْشَريّ(2): الأرض السّبخة الّتي لا ينبت ما يُنتفَع به.

قال البَيْضاويّ(3): أي: كالحَرّة والسّبخة.

قال الألوسيّ(4): والتّعبير أوّلاً بالطّيّب، وثانياً بالّذي خبُث دون الخبيث، للإيذان بأنّ أصل الأرض أن تكون طيّبة مُنبِتة، وخلافه طارٍ عارض.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267].

قال الطّبَريّ(5): يعني جلّ ثناؤه بـ ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرّديء غير الجيّد، يقول: لا تعمدوا الرّديء من أموالكم في صدقاتكم فتصدّقوا منه، ولكن تصدّقوا من الطّيّب الجيّد. وذلك أنّ هذه الآية نزلت في سبب رجل من الأنصار، علّق قِنْواً من حَشَف - في الموضع الّذي كان المسلمون يعلّقون صدقةَ ثمارهم - صدقة من

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) روح المعاني.
(5) جامع البيان.

تمره، وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تيمّموا الخبيث من الحرام فيه تنفقون، وتَدَعوا أن تنفقوا الحلال الطّيّب.

قال الزّجّاج[1]: أي: لا تقصدوا إلى رديء المال والثّمار فتتصدّقوا به، وأنتم تعلمون أنّكم لا تأخذونه إلاّ بالإغماض فيه.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: لا تقصدوا المال الرّديء منه.

قال البَيْضاويّ[3]: أي: ولا تقصدوا الرّديء منه، أي من المال أو ممّا أخرجنا لكم، وتخصيصه بذلك لأنّ التّفاوت فيه أكثر.

● **قال تعالى**: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179].

قال الطّبَريّ[4]: ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق، فلا يُعرَف هذا من هذا، حتّى يُميّز الخبيث من الطّيّب، يعني بذلك: حتّى يُميّز الخبيث وهو المنافق المستسرّ للكفر، من الطّيّب وهو المؤمن المخلص الصّادق الإيمان بالمِحَن والاختبار، كما ميّز بينهم يوم أُحد، عند لقاء العدوّ عند خروجهم إليه.

واختلف أهل التأويل في الخبيث الّذي عنى الله بهذه الآية، فقال بعضهم فيه مثل قولنا.

وقال آخرون: معنى ذلك حتّى يُميّز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد.

والتّأويل الأوّل أولى بتأويل الآية، لأنّ الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقها، فكونها بأن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم.

قال الزّمَخْشَريّ[5]: حتّى يعزل المنافق عن المخلص... فإن قلت: لمن

---

(1) معاني القرآن.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.

الخطاب في أنتم؟ قلت: للمصدّقين جميعاً من أهل الإخلاص والنّفاق، كأنّه قيل: ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال الّتي أنتم عليها، من اختلاط بعضكم ببعض، وأنّه لا يُعرَف مخلصكم من منافقكم، لاتّفاقكم على التّصديق جميعاً، حتّى يُميّزهم منكم بالوحي إلى نبيّه، وإخباره بأحوالكم.

قال الفَخْر الرّازيّ(1): لفظ (الطَّيِّب) وَ (الْخَبيث) وإن كان مفرداً إلا أنّه للجنس، فالمراد بهما جميع الؤمنين والمنافقين، لا اثنان منهما. وقد ذكرنا أنّ معنى الآية: ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق وأشباهه، حتّى يُميّز الخبيث من الطّيّب، أي: المنافق من المؤمن.

● **قال تعالى**: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2].

قال الزّجّاج(2): الطّيّب ما لكم، والخبيث مال اليتيم وغيره، ممّا ليس لكم.

قال الزّمَخْشَريّ(3): ولا تستبدل الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم، وما أُبيح لكم من المكاسب، ورزق الله المبثوث في الأرض، فتأكلوه مكانه. أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى، بالأمر الطّيّب وهو حفظها والتّورّع منها.

و(التفعّل) بمعنى (الاستفعال) غير عزيز، منه التّعجّل معنى الاستعمال؛ والتّأخّر بمعنى الاستئخار.

وقيل: هو أن يُعطي رديئاً ويأخذ جيّداً، وعن السُّدّيّ: أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة، وهذا ليس بتبدّل وإنّما هو تبديل، إلاّ أن يكارم صديقاً له، فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصّبيّ.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ. . .﴾ [المائدة: 100].

قال الطّبَريّ(1): يقول تعالى ذكره لنبيّه ﷺ قل يا محمّد: لا يعتدل الرّديء والجيّد، والصّالح والطّالح، والمطيع والعاصي ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ. . .﴾ يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله، ولو كثر أهل المعاصي فعجِبتَ من كثرتهم، لأنّ أهل طاعة الله هم المفلحون، الفائزون بثواب الله يوم القيامة، وإن قلّوا.

قال الماوَرْديّ(2): الرّديء والجيّد ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ. . .﴾ يعني أنّ الحلال والجيّد مع قلّتهما، خير وأنفع من الحرام والرّديء مع كثرتهما.

قال الزّمَخْشَريّ(3): البَون بين الخبيث والطّيّب بعيد عند الله تعالى وإن كان قريباً عندكم، فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتّى تؤثروه لكثرته على القليل الطّيّب، فإنّ ما تتوهّمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النّقصان في الخُبث وفوات الطّيّب، وهو عامّ في حلال المال وحرامه، وصالح العمل وطالحه، وصحيح المذهب وفاسدها، وجيّد النّاس ورديئهم.

● قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26].

قال الزّجاج(4): قيل: إنّ الشّجرة الخبيثة الحَنْظَل، وقيل: الكُشُوث.

قال الزّمَخْشَريّ(5): ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كمثل شجرة خبيثة، أي: صفتها كصفتها. وقُرئ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ﴾ بالنّصب عطفاً على ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: 24]

---

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.
(3) الكشاف.
(4) معاني القرآن.
(5) الكشاف.

والكلمة الخبيثة: كلمة الشّرك، وقيل: كلّ كلمة قبيحة. أمّا الشّجرة الخبيثة: فكلّ شجرة لايطيب ثمرها كشجرة الحَنُظَل والكُشوث، ونحو ذلك.

قال الفَخْر الرّازيّ(1): فاعلم أنّ الشّجرة الخبيثة هي الجهل بالله، فإنّه أوّل الآفات وعنوان المخافات ورأس الشّقاوات، ثمّ إنّه تعالى شبّهها بشجرة موصوفة بصفات ثلاثة:

الصّفة الأولى: أنّها تكون خبيثة، فمنهم من قال: إنّها الثُّوم، لأنّه وصف الثّوم بأنّها شجرة خبيثة. وقيل: إنّها الكراث، وقيل: إنّها شجرة الحَنْظَل لكثرة ما فيها من المضارّ، وقيل إنّها شجرة الشّوك.

واعلم أنّ هذا التّفصيل لاحاجة إليه، فإنّ الشّجرة قد تكون خبيثة بحسب الرّائحة وقد تكون بحسب الطّعم وقد تكون بحسب الصّورة والمنظر، وقد تكون بحسب اشتمالها على المضارّ الكثيرة. والشّجرة الجامعة لكلّ هذه الصّفات وإن لم تكن موجودة، إلاّ أنّها لمّا كانت معلومة الصّفة كان التّشبيه بها نافعاً في المطلوب.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ﴾ [النور: 26].

قال الطّبَريّ(2): وأوْلى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: عنى بـ ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ﴾: الخبيثات من القول، وذلك قبيحة وسيّئة ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرّجال والنّساء، ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ من النّاس ﴿لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ﴾ من القول هم بها أولى، لأنّهم أهلها، ﴿وَٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ من القول، وذلك حسنة وجميلة ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من النّاس، ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ من النّاس ﴿لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ﴾ من القول، لأنّها أهلها، وأحقّ بها.

وإنّما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية، لأنّ الآيات قبل ذلك إنّما جاءت

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.

بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرّامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصّهم به على إفكهم، فكان ختم الخبر عن أُولى الفريقين بالإفك من الرّامي والمرميّ به، أشبه من الخبر عن غيرهم.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من القول تقال أو تُعدّد ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرّجال والنّساء، ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ منهم يتعرّضون ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ من القول، وكذلك ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الطّيّبين وأنّهم مبرّؤون ممّا يقول الخبيثون من خبيثات الكلم، وهو كلام جار مجرى المثَل لعائشة، وما رُميت به من قول، لايطابق حالها في النّزاهة والطّيب.

ويجوز أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى أهل البيت، وأنّهم مبرّؤون ممّا يقول أهل الإفك، وأن تراد بالخبيثات والطّيّبات: النّساء، أي: الخبائث يتزوّجن الخُباث، والخُباث الخبائث، وكذلك أهل الطّيب.

● **قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾** [الأعراف: 157].

قال الزّمَخْشَريّ[2]: ما يُستخبَث من نحو الدّم، والميتة، ولحم الخنزير، وما أُهلّ لغير الله به، أو ما خبُث في الحكم كالرّبا والرّشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة.

قال ابن عَطيّة[3]: ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ هي لحم الخنزير والرّبا وغيره. وعلى هذا حلّل مالك: المتقذّرات كالحيّات والخنافس والعقارب ونحوها. ومذهب الشّافعيّ (رض): أنّ الطّيّبات هي من جهة الطّعم، إلاّ أنّ اللّفظة عنده ليست على عمومها،

---

(1) الكشاف.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.

لأنّ عمومها بهذا الوجه من الطّعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير، بل يراها مختصّة فيما حلّله الشّرع، ويرى ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ لفظاً عامّاً في المحرّمات بالشّرع والمتقذِّرات، فيحرّم العقارب والخنافس والوَزَغ وما جرى هذا المجرى. والنّاس على هذين القولين، إلاّ أنّ في تعيين الخبائث اختلافاً، ليس هذا موضع تقصّيه.

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: كلّ ما يستخبثه الطّبع وتستقذره النّفس كان تناوله سبباً للألم، والأصل في المضارّ الحرمة، فكان مقتضاه أنّ كلّ ما يستخبثه الطّبع فالأصل فيه الحرمة، إلاّ لدليل منفصل.

● **قال تعالى**: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: 74].

قال الطّبَريّ[2]: الخبائث الّتي كانوا يعملونها: إتيان الذُّكران في أدبارهم، وحَذْفهم النّاس، وتضارطهم في أنديتهم مع أشياء أُخر كانوا يعملونها من المنكر.

قال النّسفيّ[3]: اللّواطة، والضّراط، وحذف المارّة بالحصى وغيرها.

قال الألوسيّ[4]: قيل: أي اللّواطة، والجمع باعتبار تعدّد الموادّ. وقيل: المراد الأعمال الخبيثة مطلقاً، إلاّ أنّ أشنعها اللّواطة.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) مدارك التنزيل.
(4) روح المعاني.

خبر

(خبر - نبأ - حديث - سر - شهادة)

■ **الخَبَرُ:** ما يمكن أن تسمعه بنفسك من عدة جهات لشيوعه ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: 7].

■ **النَّبَأُ:** ما لا يمكن أن تسمعه إلّا ممن أنبأك به حصرياً لأهميته وعظم شـأنـه.. ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ﴾ [هُود: 49].

■ **الحَدِيثُ:** ما يزيدك علماً ومعرفة ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: 76].

■ **السِّرُّ:** خبر تطلب من الآخر أن لا يذيعه ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحْريم: 3].

■ **الشَّهَادَةُ:** خبر من اثنين فصاعداً يوجب تصديقه عند القضاء ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ﴾ [البَقَرَة: 282].

■ **الخَبر:** محركة: ما ينقل ويتحدث به. والخُبُر: بالضم، العلم بالشيء، والتجربة، والاختبار.

■ **والخَبِيرُ:** اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ، أي: مطلب المعرفة بالشيء.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والباء والراء أصلان: فالأول العِلم، والثاني يدل على لينٍ ورَخاوة وغُزْرٍ. فالأول الخُبْر: العِلْم بالشَّيءِ. تقول: لي بفلان خِبْرَةٌ وخُبْرٌ. والله تعالى الخَبِيرُ، أي العالِم بكلِّ شيء. وقال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِر: 14]. والأصل الثاني: الخَبْرَاءُ: وهي الأرض الليِّنة. قال عَبيدٌ يصف فرساً: والخَبِير: الأكّار، وهو مِن هذا، لأنّه يُصْلِح الأرضَ ويُدَمِّثُها ويلَيِّنها. وعلى هذا يجري هذا البابُ كلُّه؛ فإنهم يقولون: الخبير الأكّار، لأنه يخابر الأرض، أي يؤاكِرُها. فأمّا المخابرة التي نُهِيَ عنها فهي المزارعة بالنِّصف لها [أو] الثّلث أو الأقلّ من ذلك أو الأكثر. ويقال له: «الخِبْرُ»، أيضاً. وقال قوم: المخابَرة مشتقٌّ من اسم خَيْبر. ومن الذي ذكرناه من الغُزْر قولُهم للناقة الغزيرة: خَبْرٌ. وكذلك المَزَادة العظيمة خَبْرٌ؛ والجمع خُبور. و[من] الذي ذكرناه من اللِّين تسميتُهم الزَّبَدَ خبيراً. والخَبير: النَّبات الليِّن. وفي الحديث: «**ونَسْتَخْلِبُ الخَبير**». والخَبير: الوَبَر. قال الراجز: ويقال مكانٌ خَبِرٌ، إذا كان دفيئاً كثيرَ الشَّجَر والماء. وقد خَبِرَت الأرضُ.

قال الخَليل[2]: أَخْبَرْتُه وخَبَّرْتُه، والخَبَرُ: النَّبأُ؛ ويجمع على أَخْبَارٍ.

والخَبِيرُ: العالِم بالأمر.

والخُبْرُ: مَخبَرة الإنسان إذا خُبِرَ، أي: جُرِّبَ فبدت أَخْبَارُه، أي: أخلاقه.

والخِبْرَةُ: الاخْتِبَارُ. تقول: أنت أَبْطَنُ به خِبْرةً، وأطوَل به عِشْرةً.

والخَابِرُ: المختبِر المجرِّب. والخُبْرُ: علمك بالشّيء، تقول: ليس لي به خُبرٌ.

الخَبَارُ: أرض ليّنة فيها جِحَرة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

الخَبِيرُ: الإدام الطّيّب، والخُبْرَةُ: الأُدم.

قال أبو هِلال(1): الفرق بين السّؤال والاستخبار: أنّ الاستخبار طلب الخبَر فقط، والسّؤال يكون طلب الخَبر وطاب الأمر والنّهي، وهو أن يسأل السّائل غيره أن يأمره بالشّيء أو ينهاه عنه. الفرق بين الخبَر وبين الحديث: أنّ الخبَر هو القول الّذي يصحّ وصفه بالصّدق والكذب، ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك، وأصله: أن يكون الإخبار به عن غيرك، وما به صار الخبر خبراً هو معنى غير صيغته، لأنّه يكون على صيغة ما ليس بخبر، كقولك: رحم الله زيداً، والمعنى اللّهمّ ارحم زيداً.

والحديث في الأصل هو ما تُخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك، وسمّي حديثاً لأنّه لا تقدّم له، وإنّما هو شيء حدث لك، فحدّثت به.

ثمّ كثر استعمال اللّفظين حتّى سمّي كلّ واحد منهما باسم الآخر، فقيل: للحديث خبر وللخبَر حديث، ويدلّ على صحّة ما قلنا أنّه يقال: فلان يُحدّث عن نفسه بكذا وهو حديث النّفس، ولا يقال: مُخبِر عن نفسه ولا هو خبر النّفس واختار مشايخنا قولهم: إن سأل سائل فقال: أخبروني؟ ولم يختاروا حدّثوني، لأنّ السّؤال استخبار والمجيب مُخبر.

ويجوز أن يقال: إنّ الحديث ما كان خبرَين فصاعداً، إذا كان كلّ واحد منهما متعلّقاً بالآخر، فقولنا: رأيت زيداً، خبر، ورأيت زيداً منطلقاً، حديث، وكذلك قولك: رأيت زيداً وعمراً، حديث مع كونه خبراً.

الفرق بين النّبإ والخبر: أنّ النّبإ لا يكون إلاّ للإخبار بما لا يعلمه المُخبرَ، ويجوز أن يكون المُخبَر بما يعلمه وبما لا يعلمه، ولهذا يقال: تُخبرني عن نفسي، ولا يقال: تُنبئني عن نفسي وكذلك تقول: تُخبرني عمّا عندي، ولا تقول: تُنبئني عمّا عندي. وفي القرآن: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء: 6].

(1) الفروق.

وإنّما استهزؤوا به، لأنّهم لم يعلموا حقيقته، ولو علموا ذلك لتوقّوه، يعني العذاب. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ [هود: 100]، وكان النّبيّ ﷺ لم يكم يعرف شيئاً منها.

وقال عليّ بن عيسى في النّبإ معنى عظيم الشّأن، وكذلك أُخذ منه صفة النّبيّ ﷺ ولهذا يقال: سيكون لفلان نبأ، ولا يقال: خبر بهذا المعنى. وقال الزّجّاج في قوله تعالى: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء: 6] أنباؤه تأويله. والمعنى سيعلمون ما يؤول إليه استهزاؤهم. قلنا: وإنّما يُطلق عليه هذا لما فيه من عظم الشّأن.

والإنباء عن الشّيء أيضاً قد يكون بغير حمل النّبأ عمن تحمل عنه، تقول: هذا الأمر يُنبئ بكذا، ولا تقول: يُخبر بكذا، لأنّ الإخبار لا يكون إلاّ بحمل الخبر.

الفرق بين الخبر والشّهادة: أنّ شهادة الاثنين عند القاضي يوجب العمل عليها، ولا يجوز الانصراف عنها، ويجوز الانصراف عن خبر الاثنين والواحد إلى القياس والعمل به، ويجوز العمل به أيضاً.

والتّعبّد أخرج الشّهادة عن حكم الخبر المحض، ويفرق بين قولك: شهد عليه، وشهد على إقراره. فتقول إذا جرى الفصل أو الأخذ بحضرة الشّاهد: كتب شهد عليه، وإذا جرى ذلك رؤية ثمّ أقرّ به عنده: كتب شهد على إقراره.

الفرق بين الخبر والأمر: أنّ الأمر لا يتناول الآمر، لأنّه لا يصحّ أن يأمر الإنسان نفسه، ولا أن يكون فوق نفسه في الرّتبة، فلا يدخل الآمر مع غيره في الأمر، ويدخل مع غيره في الخبر، لأنّه لا يمتنع أن يُخبرعن نفسه كإخباره عن غيره، ولذلك قال الفقهاء: إنّ أوامر النّبيّ ﷺ تتعدّاه إلى غيره من حيث كان لا يجوز أن يختصّ بها، وفَصَلوا بينها وبين أفعاله بذلك، فقالوا: أفعاله لا تتعدّاه إلاّ بدليل. وقال بعضهم: بل حكمنا وحكمه في فعله سواء، فإذا فعل شيئاً فقد صار كأنّه قال لنا: إنّه مباح، قال: ويختصّ العامّ بفعله كما يختصّ بقوله.

ويفرق بينهما أيضاً من وجه آخر، وهو أنّ النّسخ يصحّ في الأمر ولا يصحّ في الخبر عند أبي عليّ وأبي هاشم رحمهما الله تعالى، وذهب أبو عبد الله البصريّ رحمه الله إلى أنّ النّسخ يكون في الخبر كما يكون في الأمر، قال: وذلك مثل أن يقول: الصّلاة تلزم المكلّف في المستقبل، ثمّ يقول بعد مدّة: إنّ ذلك لا يلزمه، وهذا أيضاً عند القائلين بالقول الأوّل أمر، وإن كان لفظه لفظ الخبر.

وأمّا الخبر عند حال الشّيء الواحد المعلوم، أنّه لايجوز خروجه عن تلك الحال، فإنّ النّسخ لا يصحّ في ذلك عند الجميع، نحو الخبر عن صفات الله بأنّه عالم وقادر.

الفرق بين العلم والخَبر: أنّ الخبر هو العِلم بكنه المعلومات على حقائقها، ففيه معنى زائد على العلم. قال أبو أحمد ابن أبي سلمة رحمه الله: لا يقال منه: خابر، لأنّه من باب (فعلت)، مثل طرقت وكرمت، وهذا غلط، لأنّ (فعلت) لا يتعدّى وهذه الكلمة تتعدّى به، وأنّما هو من قولك: خَبرتُ الشّيء، إذا عرفت حقيقة خبره، وأنا خابر وخبير، من قولك: خَبرتُ الشّيء، إذا عرفتَه مبالغةً، مثل عليم وقدير، ثمّ كثر حتّى استُعمل في معرفة كنهه وحقيقته.

الفرق بين الإعلام والإخبار: أنّ الإعلام التّعريض لأن يعلم الشّيء، وقد يكون ذلك بوضع العلم في القلب.

لأنّ الله تعالى قد علّمنا ما اضطُررنا إليه، ويكون الإعلام بنصب الدّلالة والإخبار والإظهار للخبر، عَلِم به أو لم يَعلَم، ولا يكون الله مُخبراً بما يُحدثه من العلم في القلب.

الفرق بين الابتلاء والاختبار: أنّ الابتلاء لا يكون إلاّ بتحميل المكاره والمشاقّ. والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى أنّه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: ابتلاء بذلك، ولا هو مبتلى بالنّعمة، كما قد يقال: أختبره بالإنعام عليه، ولا تقول: ابتلاء بذلك، ولا هو مبتلى بالنّعمة، كما قد يقال: إنّه مختبر بها.

ويجوز أن يقال: إنّ الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلَى من الطّاعة والمعصية، والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك. والخبر العِلم الّذي يقع بكنه الشّيء وحقيقته، فالفرق بينهما بيّن.

الفرق بين الفتنة والاختبار: أنّ الفتنة أشدّ الاختبار وأبلغه، وأصله: عرض الذّهب على النّار لنتبيّن صلاحه من فساده، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذّاريَات: 13].

ويكون في الخير والشّرّ، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28]، وقال تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: 16-17].

فجعل النّعمة فتنة، لأنّه قصد بها المبالغة في اختبار المنعَم عليه بها، كالذّهب إذا أُريد المبالغة في تعرّف حاله فيَراني أُدخلَ النّارَ، والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشّرّ، وإنّما المراد بذلك شدّة التّكليف.

الفرق بين الاختبار والتّجريب: أنّ التّجريب هو تكرير الاختبار والإكثار منه، ويدلّ على هذا أنّ (التّفعيل) هو للمبالغة والتّكرير، وأصله من قولك: جَرّبَه، إذا داواه من الجرَب، فنظر أصَلُح حاله أم لا.

ومثله قَردَ البعيرَ، إذا نزَع عنه القِردان، وقرَع الفصيل، إذا داواه من القرَع؛ وهو داء معروف. ولا يقال: إنّ الله تعالى يُجرّب، قياساً على قولهم: يختبر ويَبتلي، لأنّ ذلك مجاز، والمجاز لا يقاس عليه.

المعنى المشترك:

● وقد استعمل القرآن الكريم هذه المفردة بعدة معانٍ على النحو التالي:

أ - ما يفيد المتكلم سامعه بما لم يسمعه.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: 7]

ب – قوة المعرفة: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفُرقان: 59].

ج – الإحاطة بما وراء الخبر ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ [الكهف: 68].

د – مطلق المعرفة عند الله عَزَّوَجَلَّ وهو من أسماء الله الحسنى ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة: 234].

قال الطّبَريّ[1]: يعني ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه منه شيء.

قال الخازن[2]: يعني أنّه تعالى لا يخفى عليه خافية، والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشّيء وحقيقته من غير شكّ، والخبير في صفة المخلوقين إنّما يستعمل في نوع من العلم، وهو الّذي يتوصّل إليه بالاجتهاد والفكر، والله تعالى منزّه عن ذلك كلّه.

قال الألوسيّ[3]: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فلا تعملوا خلاف ما أُمرتم به.

والظّاهر أنّ المخاطب به هو المخاطب في سابقه، وجُوّز أن يكون خطاباً للقادرين من الأولياء والأزواج، فيكون فيه تغليبان - الخطاب على الغيبة، والذّكور على الإناث - وفيه تحديد للطّائفتَيْن، ويحتمل أن يكون وعداً ووعيداً لهما.

(1) جامع البيان.
(2) لباب التأويل.
(3) روح المعاني.

● قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271].

قال الطّبَريّ[1]: يعني بذلك ذو خُبرة وعلم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فهو بجميعه محيط، ولكلّه مُحصٍ على أهله، حتّى يوفيهم ثواب جميعه، وجزاء قليله وكثيره.

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: وهو إشارة إلى تفضيل صدقة السّرّ على العلانية، والمعنى أنّ الله عالم بالسّرّ والعلانية، وأنتم إنّما تريدون بالصّدقة طلب مرضاته. فقد حصل مقصودكم في السّرّ، فما معنى الإبداء، فكأنّهم ندبوا بهذا الكلام إلى الإخفاء، ليكون أبعد من الرّياء.

قال الألوسيّ[3]: عالم لا يخفى عليه شيء، فيُجازيكم على ذلك كلّه. ففي الجملة ترغيب في الإعلان والإسرار وإن اختلفا في الأفضليّة.

ويجوز أن يكون الكلام مساقاً للتّرغيب في الثّاني لقربه، ولكون الخبرة بالإبداء ليس فيها كثير مدح.

● قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 153].

قال الطّبَريّ[4]: ذو خُبرة وعلم، وهو مُحْصٍ ذلك كلّه عليكم. حتّى يُجازيكم به: المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، أو يعفو عنه.

قال النّسَفيّ[5]: عالم بعملكم، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهذا ترغيب في الطّاعة، وترهيب عن المعصية.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.
(4) جامع البيان.
(5) مدارك التنزيل.

قال النَّيسابوريّ[1]: عالم بجميع أعمالكم وقصودكم ودواعيكم، فيُجازيكم بحسب ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: 180].

قال الطّبَريّ[2]: ذو خُبرة وعلم، محيط بذلك كلّه، حتّى يجازي كُلاًّ منهم على قدر استحقاقه، المحسن بالإحسان، والمسيء على ما يرى تعالى ذكره.

قال أبو السُّعود[3]: (خَبيرٌ) فيجازيكم على ذلك. وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة، والالتفات للمبالغة في الوعيد، والإشعار باشتداد غضب الرّحمٰن النّاشئ من ذكر قبائحهم. وقرئ (يَعْمَلُونَ) بالياء على الظّاهر.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

قال أبو حَيّان[4]: لمّا كان الشّنئان محلّه القلب، وهو الحامل على ترك العدل، أمر بالتّقوى، وأتى بصفة (خبير) ومعناها عليم، ولكنّها تختصّ بما لطف إدراكه، فناسب هذه الصّفة أن يُنبّه بها على الصّفة القلبيّة.

● **قال تعالى**: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

قال ابن عاشور[5]: أي من عند الموصوف بإبداع الصّنع لحكمته، وإيضاح

(1) غرائب القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) البحر المحيط.
(5) التحرير والتنوير.

التّبيين لقوّة علمه. والخبير: العالم بخفايا الأشياء. وكلّما كثرت الأشياء كانت الإحاطة بها أعزّ.

فالحكيم مقابل لـ (أُحْكِمَتْ) والخبير مقابل لـ (فُصِّلَتْ) وهما وإن كانا متعلّق العلم ومتعلّق القدرة؛ إذ القدرة لا تجري إلاّ على وَفْق العلم، إلاّ أنّه روعي في المقابلة الفعل الّذي هو أثر إحدى الصّفتين، أشدّ تبادُراً فيه للناس من الآخر، وهذا من بليغ المزاوجة.

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63].

قال الطّبَريّ(1): بما يحدث عن ذلك النّبت من الحَبّ وبه.

قال الزّمَخْشَريّ(2): بمصالح الخلق ومنافعهم.

قال الفَخْر الرّازيّ(3): إنّه عالم بمقادير مصالحهم، فيفعل على قدر ذلك من دون زيادة ونقصان.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

قال ابن عَطيّة(4): صفتان لائقتان بإظهار غرائب القدرة.

قال ابن عاشور(5): وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ يجوز أن يكون من كلام لقمان، فهي كالمقصد من المقدّمة، أو كالنّتيجة من الدّليل. ولذلك فُصلت ولم تُعطَف، لأنّ النّتيجة كبدل الاشتمال يشتمل عليها القياس، ولذلك جيء بالنّتيجة كلّيّة بعد الاستدلال بجزئيّة.

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) المحرر الوجيز.
(5) التحرير والتنوير.

وإنّما لم نجعلها تعليلاً، لأنّ مقام تعليم لقمان ابنه يقتضي أنّ الابن جاهل بهذه الحقائق، وشرط التّعليل أن يكون مسلّماً معلوماً قبل العلم بالمعلَّل، ليصحّ الاستدلال به. ويجوز أن تكون معترضة بين كلام لقمان تعليماً من الله للمسلمين.

واللّطيف: من يعلم دقائق الأشياء ويلك في إيصالها إلى من تصلح به مسلك الرّفق، فهو وصف مؤذن بالعلم والقدرة الكاملَين، أي يعلم ويقدر وينفذ قدرته.

وتقدّم في قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ في سورة [الأنعام: **103**]، ففي تعقيب ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ بوصفه بـ ﴿ٱللَّطِيفُ﴾، إيماء إلى أن التّمكّن منها وامتلاكها بكيفيّة دقيقة تناسب فلق الصّخرة واستخراج الخَرْدَلة منها، مع سلامتها وسلامة ما اتّصل بهما من اختلال نظام صُنعه. وهنا قد استوفى أُصول الاعتقاد الصّحيح.

وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، يجوز أن تكون من كلام لقمان، وأن تكون معترضة من كلام الله تعالى.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [القمان: **29**].

قال ابن عاشور(1): ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عطف على ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فهو داخل في الاستفهام الإنكاريّ بتنزيل العالم منزلة غيره، لعدم جريه على موجب العلم، فهم يعملون أنّ الله خبير بما يعملون، ولا يجرون على ما يقتضيه هذا العلم في شيء من أحوالهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [القمان: **34**].

(1) التحرير والتنوير.

قال الماوَرْديّ[1]: يحتمل وجهين: أحدهما: عليم بالغيب خبير بالنّيّة.

الثّاني: عليم بالأعمال، خبير بالجزاء.

قال الألوسيّ[2]: يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها، فالجمع بين الوصفين للإشارة إلى التّسوية، بين علم الظّاهر والباطن عنده عزّ وجلّ والجملة - على ما قيل - في موضع التّعليل لعلمه سبحانه بما ذُكر، وقيل: جواب سؤال نشأ من نفي دراية الأنفس ماذا تكسب غداً، وبأيّ أرض تموت، كأنّه قيل: فمن يعلم ذلك؟ فقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وهو جواب بأنّ الله تعالى يعلم ذلك وزيادة.

ولا يخفى أنّه إذا كانت هذه الجملة من تتمّة الجملتين اللّتين قبلها، كانت دلالة الكلام - على انحصار العلم بالأمرين اللّذين نفى العلم بهما عن كلّ نفس - ظاهرة جدًّا، فتأمّل ذاك، والله عزّ وجلّ يتولّى هداك.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: 31].

قال الطّبَريّ[3]: يقول تعالى ذكره: إنّ الله بعباده لذو علم وخُبرة بما يعملون، بصير بما يصلحهم من التّدبير.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: يعني أنّه خبّرك وأبصر أحوالك، فرآك أهلاً، لأن يوحي إليك، مثل هذا الكتاب المُعجز الّذي هو عيار على سائر الكتب.

قال البَيْضاويّ[5]: عالم بالبواطن والظّواهر، فلو كان في أحوالك ما ينافي النّبوّة لم يُوحِ إليك، مثل هذا الكتاب المعجز الّذي هو عيار على سائر الكتب. وتقديم الخبر للدّلالة على أنّ العمدة في ذلك الأُمور الرّوحانيّة.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27].

---

(1) النكت والعيون.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) أنوار التنزيل.

قال الطّبَريّ[1]: يقول تعالى ذكره: إنّ الله بما يُصلح عباده ويُفسدهم، من غنىً وفقر وسعة وإقتار وغير ذلك من مصالحهم ومضارّهم، ذو خبرة وعلم.

﴿بَصِيرٌ﴾ بتدبيرهم وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

قال ابن عاشور[2]: قوله: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ﴾ وهي جمله واقعة موقع التّعليل للّتي قبلها.

والجمع بين وصفّي (خَبيرٌ) و(بَصيرٌ)، لأنّ وصف (خَبيرٌ) دالّ على العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها، أي العلم بما سيكون. ووصف (بَصيرٌ) دالّ على العلم المتعلّق بأحوالهم الّتي حصلت، وفرق بين التّعلّقين للعلم الإلٰهي.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ [العاديات: 11].

قال الزّجّاج[3]: الله عَزَّوَجَلَّ خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكنّ المعنى إنّ الله يُجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، وليس يُجازيهم إلاّ بعلمه أعمالهم، ومثله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: 63]، فمعناه أُولئك الّذين لا يترك مجازاتهم.

قال الفَخْر الرّازيّ[4]: اعلم أنّ فيه سؤالات:

الأوّل: أنّه يُوهِم أنّ علمه بهم في ذلك اليوم إنّما حصل بسبب الخبرة؛ وذلك يقتضي سبق الجهل، وهو على الله تعالى محال.

والجواب من وجهين:

أحدهما: كأنّه تعالى يقول: إنّ من لم يكن عالماً، فإنّه يصير بسبب الاختبار عالماً، فمن كان لم يزل عالماً [فحريّ] أن يكون خبيراً بأحوالك.

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18].

(1) جامع البيان.
(2) التحرير والتنوير.
(3) معاني القرآن.
(4) التفسير الكبير.

قال **الطّبَريّ**[1]: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بمصالح الأشياء ومضارّها، الّذي لا يخفى عليه عواقب الأُمور وبواديها، ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دخَل.

قال **ابن عطيّة**[2]: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بمعنى المُحكِم، و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ دالّة على مبالغة العلم، وهما وصفان مناسبان لنمط الآية.

قال **الفَخْر الرّازيّ**[3]: إشارة إلى كمال العلم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: 35].

قال **الطّبَريّ**[4]: ﴿عَلِيمًا﴾ بما أراد الحكمان من إصلاح بين الزّوجين وغيره، ﴿خَبِيرًا﴾ بذلك وبغيره من أُمورهما وأُمور غيرهما، لا يخفى عليه شيء منه، حافظ عليهم، حتّى يُجازي كُلاًّ منهم جزاءه، بالإحسان إحساناً، وبالإساءة غفراناً أو عقابًا.

قال **الواحديّ**[5]: ﴿خَبِيرًا﴾ بما يكون منهما.

قال **الزّمَخْشَريّ**[6]: ﴿عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ يعلم كيف يُوفّق بين المختلفَين، ويجمع بين المفترقَين.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 17].

قال **الفَخْر الرّازيّ**[7]: إنّه تعالى عالم بجميع المعلومات، راءٍ لجميع المرئيات، فلا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق. وثبت أنّه قادر على كلّ

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) الوجيز.
(6) الكشاف.
(7) التفسير الكبير.

الممكنات، فكان قادراً على إيصال الجزاء إلى كلّ أحد يقدر استحقاقه، وأيضاً أنّه منزّه عن العبث والظّلم، ومجموع هذه الصّفات الثّلاث، أعني العلم التّامّ، والقدرة الكاملة، والبراءة عن الظّلم بشارة عظيمة لأهل الطّاعة، وخوف عظيم لأهل الكفر والمعصية.

قال البَيْضاويّ(1): يُدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها، وتقديم (الخبير) لتقدّم متعلّقه.

قال أبو السُّعود(2): يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها، وتقديم (الخبير) لتقدّم متعلّقه من الاعتقادات والنّيّات الّتي هي مبادئ الأعمال الظّاهرة، أو لعمومه.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59].

قال ابن عَطيّة(3): فيه تأويلان:

أحدهما: ﴿فَسْـَٔلْ﴾ عنه، و﴿خَبِيرًا﴾ على هذا منصوب، إمّا بوقوع السّؤال عليه، والمعنى، اسأل جبريل والعلماء وأهل الكتب المُنزَلة.

والثّاني: أن يكون المعنى كما تقول: لو لقيت فلاناً لقيت به البحر كرماً، أي: لقيت منه. والمعنى فاسأل الله عن كلّ أمره. و﴿خَبِيرًا﴾ على هذا منصوب إمّا بوقوع السّؤال، وإمّا على الحال المؤكّدة.

قال ابن الجَوْزيّ(4): وهذا يُخرَّج على قولهم: لا نعرف الرحمٰن، فقيل سَلُوا مسلمة أهل الكتاب، فإنّ الله تعالى خاطب موسى في التّوراة باسمه الرحمن، فعلى هذا الخطاب للنّبيّ ﷺ والمراد سواه.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) المحرر الوجيز.
(4) زاد المسير.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: 2].

قال الطّبَريّ(1): يقول: إنّ الله كان بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن، وغير ذلك من أُموركم وأُمور عباده خبيراً.

قال الزّمَخْشَريّ(2): إنّ الله الّذي يوحي إليك خبير بما تعملون فمُوحٍ إليك ما يُصلح به أعمالكم، فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة. وقُرئ ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالياء، أي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم.

● **قال تعالى:** ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا﴾ [الفتح: 11].

قال الطّبَريّ(3): يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يظنّ هؤلاء المنافقون من الأعراب، أنّ الله لا يعلم ما هم عليها منطوون من النّفاق، بل لم يزل الله بما تعملون من خير وشرّ خبيراً، لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه، سرّها وعلانيتها، وهو محصيها عليهم حتّى يجازيهم بها.

قال أبو السُّعود(4): قيل: الخطاب للرّسول عليه الصّلاة والسّلام، والجمع للتّعظيم. وقيل: له عليه الصّلاة والسّلام وللمؤمنين.

وقيل: للغائبين بطريق الالتفات، ولا يخفى بُعده. نعم يجوز أن يكون للكلّ على ضرب من التّغليب، وأيًّا ما كان فالجملة تعليل الأمر وتأكيد لموجبه، أمّا على الوجهين الأوّلين فبطريق التّرغيب والتّرهيب، كأنّه قيل: إنّ الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه، فيُرتّب على كلّ منهما جزاءه ثوابًا وعقابًا. وأما على الوجه الأخير فبطريق التّرغيب فقط. كأنّه قيل: إنّ الله خبير بما يعمله كلا

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.
(4) إرشاد العقل السليم.

الفريقين، فيرشدك إلى ما فيه صلاح حالك وانتظام أمرك، ويُطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد، ويأمرك بما ينبغي لك أن تعمله في دفعها وردّها، فلا بدّ من اتّباع الوحي والعمل بمقتضاه حتماً.

● **قال تعالى:** ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: 68].

قال الطّبَريّ(1): يقول عزّ ذكره مُخبراً عن قول العالِم لموسى: وكيف تصبر يا موسى على ما ترى منّي من الأفعال الّتي لا علم لك بوجوه صوابها، وتُقيم معي عليها، وأنت إنّما تحكم على صواب المصيب وخطإ المخطئ، بالظّاهر الّذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأي عينك على صوابها، لأنّها تُبتدأ لأسباب تحدث آجلةً غير عاجلة، لاعلم لك بالحادث عنها، لأنّها غيب، ولا تحيط بعلم الغيب خُبراً: علماً.

قال الزّمَخْشَريّ(2): و(خُبْراً) تمييز، أي: لم يُحط به خُبْرك، أو لأنّ لم تُحط به بمعنى لم تَخبُره، فنصبه نصب المصدر.

قال أبو السُّعود(3): نفى عنه استطاعة الصّبر معه على وجه التأكيد، كأنّه ممّا لا يصحّ ولا يستقيم، وعلّله بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾، إيذاناً بأنّه يتولّى أُموراً خفيّة المدار منكرة الظّواهر، والرّجل الصّالح لا سيمّا صاحب الشّريعة لا يتمالك أن يشمئزّ عند مشاهدتها.

وفي صحيح البخاريّ قال: يا موسى إنّي على علم من علم الله تعالى علّمنيه لا تعلَمُه، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه. و(خُبْراً) تمييز، أي لم يُحط به خُبْرك.

● **قال تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: 7].

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.

قال القُشَيْريّ[1]: فقال موسى: امكثوا فإنّي لأجلكم أمضي وأتعرّف أمر هذه النّار، لعليّ آتيكم منها إمّا بقَبَسٍ أو شعلةٍ، أو بخبرٍ عن قومٍ نزولٍ عليها، تكون لنا بهم استعانة، ومن جهتهم انتفاع.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: والخبرَ: ما يخبر به عن حال الطّريق، لأنّه كان قد ضلّه.

قال ابن عَطيّة[3]: والخبَر الّذي رجاه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإعلام بالطّريق.

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: 4].

قال الطّبَريّ[4]: يقول: يومئذ تُحدّث الأرض أخبارها، وتحديثها: أخبارها، على القول الّذي ذكرناه عن عبد الله بن مَسعود. وأمّا سعيد بن جُبَيْر، فإنّه كان يقرأ في المغرب مرّة (يَوْمَئِذٍ تُنْبِىءُ أَخْبَارَهَا) ومرّةً: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فكأنّ معنى تحدّث كان عند سعيد: تُنْبِىء وتنبيئها أخبارها: إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها. وهذا القول قول عندي صحيح المعنى، وتأويل الكلام على هذا المعنى: يومئذ تبيّن الأرض أخبارها بالزّلزلة والزّجّة، وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها، بوحي الله إليها.

● **قال تعالى:** ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ...﴾ [التوبة: 94].

قال القُشَيْريّ[5]: أراد إذا تقوّلوا بما هم فيه كاذبون، وضلّلوا عمّا كانوا في تخلّفهم به يتّصفون، فأخبروهم أنّا عرّفنا الله كذبكم فيما تقولون، واتّضحت لنا فضائحكم، وتميّز - بما أظهره الله لنا - سيّئكم وصالحكم، فإن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من أحوالكم.

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) الكشاف.
(3) المحرر الوجيز.
(4) جامع البيان.
(5) لطائف الإشارات.

قال **الطَّبَرِيّ**[1]: وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم.

قال **الزَّمَخْشَرِيّ**[2]: وقوله: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ. . .﴾ علّة لانتفاء تصديقهم، لأنّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وأحوالهم، وما في ضمائرهم من الشّرّ والفساد، لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ. . .﴾ [محمد: 31].

قال **الطَّبَرِيّ**[3]: فنعرف الصّادق منكم من الكاذب.

قال **الزَّمَخْشَرِيّ**[4]: ﴿أَخْبَارَكُمْ. . .﴾ ما يُحكى عنكم، وما يُخبَر به عن أعمالكم، ليعلم حسنها من قبيحها، لأنّ الخبر على حسب المُخبَر عنه، إن حسناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح.

قال **البَيْضاوِيّ**[5]: ما يُخبَر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبحها، أو أخبارهم عن إيمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها.

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) أنوار التنزيل.

خبز

(خبز - طعام)

■ **الخُبْزُ:** الدقيق من البر المعجون بالماء يشوى على حرارة شديدة بدون لهب ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ﴾ [يوسف: 36].

■ **الطَّعَامُ:** الخبز المخبوز يقدم للضيف ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والباء والزاي أصلٌ واحد يدلُّ على خَبْط الشيء باليد. تَخَبَّزَتِ الإبلُ السَّعْدَانَ: إذا خَبطَتْه بأيديها. ومن ذلك خَبَزَ الخَبَّازُ الخُبْزَ. قال:

لا تَخْبِزَا خَبْزاً وبُسَّا بَسّاً ولا تُطِيلا بِمُناخٍ حَبْسا.

ويقال: الخَبْزُ: ضَرْب البعير بيديه الأرضَ.

قال الخَليل[2]: الخَبْزُ: الضّرب باليد، والخَبْزُ: السَّوْق الشّديد.

والخُبْزَةُ: اسم لما يُعالج في المَلّة وهي الطُّلْمة، يقال: أكلت خُبْزَ مَلَّة، لأنّ المَلَّة الخُبْزُ نفسه والرّماد.

واخْتَبَز فلان: إذا عالج دقيقاً فعَجنَه ثمّ خبزَه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والخِبازة صنعته.

قال الأزهَريّ[1]: يقال: أطعَمَنا خُبْزَ مَلّةٍ، ولا يقال: أطعَمَنا مَلَّةً.

قال الجَوهَريّ[2]: الخُبْزُ: الّذي يؤكل؛ والخَبْزُ بالفتح: المصدر، وقد خَبَزْتُ الخُبْزَ وأخْبَزْتُه.

ويقال أيضاً: أَخْبَزْتُ القوم: إذا أطْعَمتَهم الخُبْزَ.

والخَبْزُ: ضرب البعير بيده الأرض، وهو على التّشبيه، والخُبْزَة: الطُّلمَة، وهي عجين يوضع في المَلّة حتّى ينضج.

والخُبَّازُ والخُبَّازَى: نبتُ معروف.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ [يوسف: 36].

قال أبو السُّعود[3]: تأخير المفعول عن الظّرف لما مرّ آنفاً - وهو الاهتمام بالمقدّم والتّشويق إلى المؤخّر - وقوله: ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ صفة للخُبْز، أو استئناف مبنيّ على السّؤال.

قال القاسميّ[4]: ثلاث سلال حُوّارَى.

جاء منها (خُبْز) اسماً مرّة في آية:

﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾ [يوسف: 36].

---

(1) تهذيب اللغة.
(2) الصحاح.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) محاسن التأويل.

يلاحظ أوّلاً: أنّ الخُبْز وحيد الجذر في القرآن، وفيه بُحُوثٌ:

1 - (الخبز) فيها بمعناه الحقيقيّ، لأن الآخر رأى في الرّؤية الخبز بعينه، إلاّ أنّ يوسف عليه السلام أوّله بالرّأس، وكان تعبيراً صادقاً للرّؤيا، فوقعتَ الطّير على رأس المصلوب تأكل منه. كما أوّل (إعصار الخمر) بأنّه يَسقي الخمر ربّه - وهو المَلِك - فصار ساقياً له.

ولكن لماذا أُوّل الخُبْز بالرّأس في تعبير يوسف عليه السلام؟

قال بعض الأساتذة: (لأنّ بالخبز حياة الإنسان وقوام الأجسام، لذلك ناسب تأويله بالرّأس الّذي به حياة سائر البدن، لأنّه العضو الرّئيسيّ): (كتاب مؤتمر تفسير سورة يوسف 670: 10)؛ ولعلّه من أجل أنّ الخبّاز يحمل في المعتاد الخبز فوق رأسه في سلّة ونحوها.

2 - سمّي الخُبْز طعاماً في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8].

إذ تظافرت الأخبار أنّ عليًّا وأهله عليهم السلام تصدّقوا على المحاويج الثّلاثة بأرغفة من الخبز. كما ذكر موقده، أي التّنّور في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40].

وما يتكوّن منه، أي السّنبلة في قوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [يوسف: 47].

وصفة المأكول، ولعلّ الخبز منه في قوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ [الطّور: 19]، و[الحاقة: 24].

3 - جاء في مصحف عبد الله بن مَسعود (فَوْقَ رأسي ثريداً)، قال السّمين: (أراد التّفسير فقط). وهذا التّفسير - إن صحّ تفسيراً - أنسب ممّا ذكره سائر المفسّرين، لأنّه يتّسق مع حال الطّير وخلقتها، فهي تلتقط طعامها بمنقار، وليس بسنّ أو ناب، والثّريد يناسب ذلك. وأمّا الخبز فلا يمكنها التقاطه، إلاّ أن يتجوّز فيُطلق على أصله، أي الحَبّ، وهذا لم يذكره أحد.

خبط

(خبط - جلد - ضرب - صك - وكز)

- **الخَبْطُ:** ضرب الشيء على غير استواء ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].
- **الجَلْدُ:** ضرب الشيء بالجلد ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النّور: 4].
- **الضَّرْبُ:** ضرب الشيء بشيء يحدث صوتاً ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف: 160].
- **الصَّكُّ:** ضرب الشيء بكلتا اليدين معاً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذّاريات: 29].
- **الوَكْزُ:** ضرب الشيء بالعكس (أي مؤخرة اليد) بقوة ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: 15].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الخاء والباء والطاء أصلٌ واحد يدلُّ على وطْءٍ وضَرب. يقال: خَبَطَ البعير الأرضَ بيده: ضربَها. ويقال: خَبَطَ الورَقَ من الشَّجر: وذلك إذا ضربَه ليسقُط. وقد يُحمَل على ذلك، فيقال لداءٍ يُشبه الجنونَ: الخُبَاطُ، كأنَّ الإنسان يَتَخَبَّط. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾

(1) معجم مقاييس اللغة.

[البَقَرَة: 275]. ويقال لما بَقِيَ مِن طعامٍ أو غيرِه: خِبْطَةٌ. والخِبْطَةُ: الماء القليل؛ لأنّه يَتَخَبَّطُ فلا يمتنع. فأمَّا قولهم اخْتَبَطَ فلانٌ [فلاناً]: إذا أتاهُ طالباً عُرْفهُ، فالأصل فيه أنَّ الساريَ إليه أو السائر لابدّ من أن يَخْتَبِطَ الأرضَ، ثم اختُصِر الكلامُ فقيل للآتي طالباً جَدْوَى: مُخْتَبِطٌ. ويقال إنّ الخِبْطَةَ: المَطْرةُ الواسعةُ في الأرض. وسمِّيت عندنا بذلك لأنّها تَخْبِطُ الأرضَ: تَضرِبُها.

قال الخَليل(1): الخَبْطُ: خَبْطُ ورَق العِضاه، وهو أن تضرب بالعصا حتّى يتناثر، ثمّ تُعلَفُه الإبل، وخَبَطْتُ له خَبْطاً.

والخَبَطُ: الهَشُّ، وهو اسم مثل النّفَض والنّسَل، وهو ما خَبَطْتَه، أي: كسَرْتَه.

والخِبْطَةُ: شيء من ماءٍ ولبنٍ قليل، والرُّفُضُ مثله. وخَبْطَة من مَسٍ. والشّيطان يَخْبِطُ الإنسان: إذا مسّه بأذًى وأجَنّه وخَبّلَه.

والخَبْطُ: شدّة الوطء بأيدي الدّوابّ.

وتخَبَّطْتُ الشّيْ: تَوَطَّأْته.

والخَبْطَةُ كالزَّكْمَة في قُبُل الشِّتاء، وقد خُبِط فهو مَخْبُوطٌ.

ويقال للّذي فيه وُعُوثَة في لُبسِه وعمله: يا خُبَاطَة.

والخَبِيطُ: حوض خَبَطَتْه الإبل حتّى هَدَمَتْه.

والأخِتَباطُ: طلب المعروف، واختَبَطْتُ فلانًا معروفه فخَبَطَنِي.

قال الفيروزآباديّ(2): خَبَطَه يَخبِطه: ضربه شديداً، وكذا البعير بيده الأرض، كتَخَبَّطَه واخْتَبَطَه، ووطِئَه شديداً، والقومَ بسيفه: جلّدهم، والشّجرةَ: شدّها ثمّ نفض ورقها، واللّيلَ: سار فيه على غير هدىً، والشّيطان فلاناً: مسّه بأذىً كتَخَبَّطَه، وزَيْداً: سأله المعروف من غير آصرة كاخْتَبَطَه.

---

(1) العين.

(2) القاموس المحيط.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البَقَرَة: 275]، أي يقوم المجنون في حال جنونه، إذا صُرع فسقط، أو يَتَخَبَّطه، أي يفسده.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

قال الزّجّاج[1]: المعنى: الّذين يأكلون الرّبا لا يقومون في الآخرة إلاّ كما يقوم المجنون، من حال جنونه. زعم أهل التّفسير أنّ ذلك علَمٌ لهم في الموفق، يعرفهم به أهل الموقف، يُعلَم به أنّهم أكلَة الرّبا في الدّنيا.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: أي المصروع، وتخبُّط الشّيطان من زعمات العرب، يزعمون أنّ الشّيطان يخبط الإنسان فيُصرَع.

والخَبْط: الضّرب على غير استواء كخَبْط العَشْواء، فورد على ما كانوا يعتقدون.

قال الألوسيّ[3]: أي: إلاّ قياماً كقيام المتخبِّط المصروع في الدّنيا. والتّخبُّط (تفعّل) بمعنى (فَعَل)، وأصله: ضرب متوالٍ على أنحاء مختلفة، ثمّ تُجوِّز به عن كلّ ضرب غير محمود.

وقيام المرابي يوم القيامة كذلك ممّا نطقت به الآثار، فقد أخرج الطّبرانيّ عن عوف بن مالك قال: (قال رسول الله ﷺ: **إيّاك والذّنوب الّتي لا تُغفَر: الغلول، فمن غَلّ شيئاً أُتي به يوم القيامة؛ وأكل الرّبا، فمن أكل الرّبا بُعث يوم القيامة**

---

(1) معاني القرآن.

(2) الكشاف.

(3) روح المعاني.

مجنوناً يتخبّط) ثمّ قرأ الآية. وهو ممّا لا يُحيله العقل ولا يمنعه، ولعلّ الله تعالى جعل ذلك علامة له يُعرَف بها يوم الجمع الأعظم عقوبةً له، كما جعل لبعض المطيعين أمارة تليق به يُعرف بها كرامة له.

ويشهد لذلك أنّ هذه الأُمّة يُبعَثون يوم القيامة غُرًّا محجَّلين من آثار الوضوء. وإلى هذا ذهب ابن عبّاس وابن مسعود وقَتادَة، واختاره الزّجّاج.

خبو

(خبو - سكن - طفئ - همد)

■ **الخُبُوُ والخُبُوُّ** – بضمتين وشدة – مصدر (خبو) وهو: اضمحلال اللهب تدريجياً حتى تصفو النار حجراً خالصاً ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسرَاء: 97]، السعير هو اللهب.

■ **السُّكُونُ:** اضمحلال صوتها المخيف ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفُرقان: 12]، ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ [الشّورى: 33].

■ **الهَمَدُ:** اضمحلال الجمر حتى يصير رماداً أو تراباً ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحَجّ: 5].

■ **الطَّفْأ:** إنهاء النار أو النور عمداً ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: 64].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والباء والحرف المعتّل والهمزة يدّل على ستر الشّيء، فمن ذلك خَبَأْت الشّيء أَخْبَؤُه خَبْأً.

والخُبَأَةُ: الجارية تَخبأُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ومن الباب: الخِبَاءُ. تقول: أَخْبَيْتُ إخباءً، وخَبَّيْتُ وتخَبَّيتُ، كلّ ذلك إذا اتّخذتَ خِباءً.

قال الخَليل(1): خَبَتِ النّار تَخبُو خَبْواً، أي: طَفِئت. وأَخْبَاها مُخْبِيها.

وخَبَتِ الحَرْب: سَكَنَت.

والخِبَاءُ: من بيوت الأعراب؛ جمعه: أَخْبِيَةٌ، بغير همز.

وخَبَتْ حِدّة النّار، أي: سَكَنت.

قال الأزهَريّ(2): ويقال: خبَتِ النّار: إذا خمدَ لهَبُها وسكَن خُبُوّاً، فهي خَابِيَة. وقد أَخْبَأَهَا المُخْبِئُ: إذا أخمدها.

قال الجَوهَريّ(3): والخِبَاءُ: واحد الأخبِيَة من وَبَر أو صُوف، ولا يكون من شَعَره وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

قال الزّجّاج(4): أي: كلّما خمَدت ونضجت جلودهم ولحومهم، بدّلهم الله غيرها ليذوقوا العذاب.

قال البغَويّ(5): وقيل: هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفّار، لأنّ الله تعالى قال: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزّخرُف: 75].

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) معاني القرآن.
(5) معالم التنزيل.

وقيل: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ﴾ أي: أرادت أن تَخبُو.

وقيل: المراد منه، أي: نضجت جلودهم واحترقت، أُعيدوا إلى ما كانوا عليه، وزيد في تسعير النّار لتُحرقهم وتؤلمهم.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: كلما أكلَتْ جلودهم ولحومهم وأفنَتْها فسكن لهبُها، بُدّلوا غيرها، فرجعت ملتهبة مستعرة، كأنّهم لمّا كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء، جعل الله جزائهم أن سلّط النّار على أجزائهم تأكلها وتُفنيها، ثمّ يعيدها، لا يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسّرهم على تكذيبهم البعث، ولأنّه أدخل في الانتقام من الجاحد.

(1) الكشاف.

ختر

(ختر - خون - غل - نفاق - خدع - مكر - كيد - نكث)

■ **الخَتْرُ:** الاسترخاء والفتور المتعمد عن أداء الواجب الميسر بقصد مسبق ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان: 32].

■ **الخِيَانَةُ:** نقض العهد أو الحق بدون قصد مسبق وإنما لعارض غير مقصود ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال: 27].

■ **الغُلُولُ:** خيانة المال العام للدولة ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [آل عِمرَان: 161].

■ **الخِدَاعُ:** إلباس الباطل لباس الحق فكأنه هو ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال: 62].

■ **النِّفَاقُ:** الدخول إلى الحق من بابه ثم الخروج من نفق مظلم يبعده عنه ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافِقون: 1].

■ **المَكْرُ:** صرف الغير عمّا هو بصدده بحيلة لنفعه أو ضرره ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: 43].

■ **الكَيْدُ:** خداع شديد بتدبير وقدرة للخير أو الشرّ ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصّافات: 98].

■ **النَّكْثُ:** نقض العهد لجبن الناكث عن الوفاء به ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [التّوبَة: 12].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

الختر: أقبح أنواع الغدر.. قد تغدر بعدوك.. أو بشريك.. أو بواحد لا تعرفه وقد تغدر في الحرب.. فالغدر في الحرب جائز لأن الحرب خدعة... لكن أن تغدر بقومك، بأهلك بأخيك، بأبيك، بمن وثق بك على وعود معينة محددة وأنت تنوي أن تغدر بهم سلفاً.. هذا أخس وأقبح أنواع الغدر وهذا يسمى ختراً.. وهو الغدر بالقوم، ولهذا جاء في المثل: لن تمد لنا شبراً من غدرٍ إلّا مددنا لك باعاً ختر.. وفي الحديث «**ما ختر قوم إلّا سلط عليهم العدو**» وقد يكون الغدر له تبرير معين أما الختر بأقرب إلناس اليك.. بمن يعهد فيك الوفاء فهذا أخس أنواع الغدر.

الخيانة: بدون قصد مسبق بدون سبق إصرار، فهو لم يكن ينوي أن يكون خائناً فلظروف ما.. لتغير في نفسه.. في عقيدته.. في أخلاقه بعد أن أبرم العقد.. بعدما مشى في المشروع.. بعدما سار في الطريق خطر له أن يخون لمطمع دنيوي بدا له أو لتسويل من نفسه عدو يسمى خيانة.. ولا يشترط في الخيانة أن تكون لأقرب الناس بل قد تكون مع القريب أو البعيد.

الفرق بين الختر والخيانة.. الختر مع سبق الإصرار والترصد بنية مبيتة وبأقرب الناس إليك.. أما الخيانة لا يشترط أن يكون فيها قصد مسبق بل عرضت لك أن تكون كذلك، فرب موظف بدا شريفاً ونزيهاً وطيباً وكريماً ثم بعد 20 سنة بالوظيفة عنَّ له طارئ فخان.. إذن لم يكن هناك قصد مسبق وليس بأقرب الناس إليك.

إذن فإن الخيانة عدم الوفاء بالعهد وقد يكون بوظيفة.. وبعهد الله أوفوا.. وردت في الوصايا العشر في القرآن الكريم.. ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: 151] إلى آخر الآية، وهذه الوصايا العشر قاسم مشترك بين التوراة والإنجيل والقرآن.. في الكتب السماوية الثلاثة.. فعهد

الله الذي نسميه الآن عهداً أو قسم الولاء.. ضابط بالجيش يقسم بألا يخون وإنما يدافع عن الوطن.. كذلك يقسم الوزير والسفير.. كل من بينه وبين الدولة عهد وبينه وبين أي عمل عهد أو عقد من العقود ويقسم عليه يسمى هذا عهد الله وبعهد الله أوفوا.. وإذا خان هذا العهد أحد من الناس يسمى خائناً ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾... [الأنفال: 27] والأمانة ليست مالاً فقط بل كل مسؤولية هي أمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72] والأمانة هي المسؤولية.. مسؤولية التكليف كونك مكلفاً تحاسب على اعمالك يوم القيامة وتحاسب عليها في الدنيا أيضاً.. تكلف بوظيفة، بمهمة، بأي عمل تحلف على أن تخلص في العمل وهذا يعني مسؤولية كبيرة وأساسية ورئيسية، والخيانة بها هو خيانة بعهد الله ورسوله.. كل من يخون عهداً مع الدولة وأقسم عليه أميراً أو وزيراً أو سفيراً أو ضابط جيش أو قائد.. كل هذا عهد الله ومن خانه فقد خان الله ورسوله.. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152] وهذه الوصايا العشر تنتهي الخمسة الأولى منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 73] وبعد الأربع ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والتّاء والرّاء أصلٌ يدلّ على تَوَانٍ وفُتُور. يقال: تَخَتَّرَ الرّجل في مِشْيَته؛ وذلك أن يمشي مِشْيَة الكَسْلان.

ومن الباب الخَتْرُ: وهو الغَدْر؛ وذلك أنّه إذا خَتَرَ فقد قَعد عن الوفاء.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والخَتَّارُ: الغدّار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان: 32].

قال الخَليل(1): الخَتْرُ: شبه الغَدْر، ورجل خَتَّارٌ: غدّار.

والخَتَرُ كالخَدَر، وهو ضَعْفٌ يأخذك من شُرب دواء أو سُمّ أو سُكر، تقول: انخَتَرتْ يدي.

قال الأزهَريّ(2): يقال: الخَتْرُ: أسوء الغَدْر.

والتَخَتُّر: التّفتّر، والاسترخاء. يقال شرب اللّبَن حتىّ تَخَتَّرَ.

قال الرّاغِب(3): الخَتْرُ: غَدْر يَختِرُ فيه الإنسان، أي: يَضعُف ويَكسِر لاجتهاده فيه.

قال الزّمَخْشَريّ(4): هو خَتَّارٌ، وهو من أهل الخَتْرِ، وهو أقبح الغَدْر.

وعن بعضهم: لن تمدّ لنا شبراً من غَدْر، إلاّ مددنا لك باعاً من خَتْر.

وقال السّموأل الوفيّ للحارث بن ظالم - حين قال له: إنّي قاتل ابنك -: أنت وذاك، فأمّا الخَتْر فلن أتلبّس به.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان: 32].

قال الفَخْر الرّازيّ(5): قوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [لقمان: 32] في مقابلة قوله

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.
(5) التفسير الكبير.

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ [لقمان: 31]، يعني يعترف بها الصّبّار الشّكور، ويجحدها الختّار الكفور.

والصّبّار في موازنة الختّار لفظاً ومعنىً، والكفور في موازنة الشّكور. أمّا لفظاً فظاهر، وأمّا معنىً فلأنّ الختّار هو الغدّار الكثير الغَدْر أو الشّديد الغَدْر، والغَدْر لا يكون إلاّ من قلّة الصّبر، لأنّ الصّبور إن لم يكن يعهد مع أحد لا يُعهد منه الإضرار، فإنّه يصبر ويفوّض الأمر إلى الله، وأمّا الغدّار فيعهد ولا يصبر على العهد فينقضه، وأمّا أنّ الكفور في مقابلة الشّكور معنىً فظاهر.

قال ابن عربيّ[1]: يغدر في الوفاء بعقد العزيمة، وعهد الفطرة مع الله عند الابتلاء بالفترة.

قال البَيْضاويّ[2]: غدّار، فإنّه نقض للعهد الفطريّ، أو لما كان في البحر. والخَتْر: أشدّ الغَدْر.

---

(1) تفسير القرآن لابن العربي.

(2) أنوار التنزيل.

ختم

(ختم - طبع - طمس - قفل)

■ **الخَتْمُ:** تحديد آخر الشيء أو آخرته ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البَقَرَة: 7].

■ **الطَّبْعُ:** ظهور أثر الختم على المختوم دائماً فلا يتغير بل يكون كذلك على الدوام ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعرَاف: 100].

■ **الطَّمْسُ:** مسح معالم الشيء فلم يعد قادراً على العمل أصلاً ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 66].

■ **الإقْفَالُ:** بقاء طاقة الشيء محبوسة فلا تجد مجالاً للعمل مع القدرة عليه ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محَمَّد: 24].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

هذه منظومة أمراض القلوب في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: 89]، يقول: «**أكثر أهل الجنة رقاق القلوب**» وقال ﷺ: «**أكثر أهل النار قساة القلوب**» وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: 74] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزُّمَر: 22] ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

[الأنعَام: 43]. ولكي يصل القلب البشري لمرتبة القسوة فإنه يمر بثماني مراحل، أي أن القسوة هي المرحلة الأخيرة في هذه المنظومة فيمر المريض بهذه الأمراض ويتدرج صعوداً في المرض الشديد بمراحل حتى يصبح المرض وبائياً قاتلاً لا محالة. والقرآن الكريم يبين كل نوع من هذه المراحل بدقة ويعبر عنه بكلمة لا يمكن لغيرها أن تؤدي معناها.

الران أو الرين: هو أول خطوة من خطوات المرض وهو نتيجة قانون البشر من حيث أن كل ابن آدم خطاء. والذنب قانون ليس في وسع أحد أن يرتكب ذنباً بدليل الحديث القدسي: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم». والمشكلة ليست في الذنب نفسه وإنما لما بعد الذنب؟ فالمؤمن الذي يذنب ثم يستغفر ويتوب ولم يصر، هذا أمر محمود، مكرم، معظم في الكتاب والسنة وهذا هو الوضع المثالي الذي لا يبقى في القلب نكتة سوداء لأنه عندما يذنب إنسان ينكت في قلبه نكتة سوداء فإذا استغفر مسحت كأنها لم تكن فيبقى القلب نقياً. والإشكال يحدث عندما يذنب المرء ولا يستغفر بل يصر على الذنب عندها تتكاثر النكات السوداء في القلب حتى يصبح القلب مغلفاً بالسواد وهذا هو الران بحيث لا يمكن للقلب أن يعكس ما ينبغي أن يعكسه من أفكار ومعانٍ وتأملات وتجليات كما هي وظائفه في الدنيا. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطفّفِين: 14] فالران هو التأثير السلبي للذنوب وحينئذ الاستغفار يعطي القلب مناعة كاملة من أن يتأثر بالذنب فكأن الذنب لا يمسه ويكون خارج نطاق القلب وينحصر في الجوارح فقط. وكلنا يعلم أهمية الاستغفار وثمرته فهو يغفر الذنوب ويفرج الهم والغم والكرب ويوسع الرزق ويستجلب الخير استجلاباً عظيماً، فمن أراد أن ينعم بالدنيا فعليه بالاستغفار ومن أراد أن ينعم بالآخرة فعليه بالاستغفار.

الإكنان: أكنة: إذا أذنب العبد ونسي الاستغفار وكان الله تعالى أهون الناظرين إليه، فيوماً بعد يوم تتراكم الذنوب وتصبح نكتة سوداء كبيرة في القلوب

وهنا بداية المرض فإذا دام الران أو الرين ينتقل إلى المرحلة الثانية وهي الأكنان. وكلمة أكنة معناها: محبوس يقال للشيء الذي يحبس: مكنون مثل جوهرة في خزانة حديدية. هذا القلب يصبح كأنه في زنزانة لا يخرج منها ولا يدخل إليها أحد ومن طول مكثه صار لا يأخذ ولا يعطي ولا ينفع ولا يعمل ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: 25] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فُصّلَت: 5]. . فلم يعد القلب المكنون يشعر بما حوله من الذنوب، كالسجين الذي مضى على سجنه وقتاً طويلاً فلم يعد يعلم ماذا يحصل في الخارج.

هذا الإكنان يشعر بالاغتراب عن الشيء كالمستوحش من شيء ما لعدم فهمه، وعندما يكون القلب في أكنة فإنه مهما أخبرته عن أحاديث الآخرة لا يفهم شيئاً وهذا نتيجة الران تطور فأصبح إكناناً بحيث صار القلب غريباً عن كل ما حوله ولا يألف وجوده كأنه غريب مما هو من شأن الدنيا والآخرة فيما يتعلق بالله عزّوجلّ .

التغليف: إذا طال الإكنان أصبح تغليفاً ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 155]. وهناك فرق بين أن يحبس الإنسان في زنزانة أو يوضع في صندوق صغير كالتابوت مثلاً.

التابوت غلف والزنزانة إكنان، إذا تطور الإكنان وطالت مدته صار أضيق من ذلك في مساحة لا يستطيع أن يتحرك كالشيء المربوط فهذا هو التغليف.

الإقفال: إذا طال التغليف وأصبح محنطاً لا يسمع القلب ولا يعي فهو القفل كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 155] تخيل قفلاً حديدياً على باب حديدي كبير عليه حارس كيف لك أن تخرج منه؟ القفل بشكل عام قد يكون مؤقتاً وكل قفل يفتح وربما يسهل الله تعالى لهذا القلب أمراً كما سهل لكثير من العتاة الطغاء فآمنوا إذن القفل ليس نهائياً. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمَّد: 24].

الشد: إضافة إلى القفل إذا شد شداً من مكان آخر بحيث لم يعد يفتح يسمى الشد النهائي ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يُونس: 88]. . أي: قفل من شدة.

الطبع: قلب أصابه الران فلم يحاول أن يخرج من هذه المرحلة ثم أصابه الإكنان ولم يحاول ثم التغليف ثم الإقفال ثم الشد وبقي مستسلماً لهذا فإنه يصل إلى درجة الطبع ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 155] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النّحل: 108] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمَّد: 16]. هذا الذي طبع قلبه يصبح السوء عنده عادة لا يرى فيه بأساً فيسرق ويزني ويأكل الربا وليس عنده حسنة تثير فيه استغراباً فصار كالحيوان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمَّد: 12] وكلما سنحت له شهوة أو شهية اتبعها سواء في قتل أو سرقة أو أي شيء آخر فعله بارتياح ضمير، كما تطبع الطابع على شيء معين. والذين يطبع الله على قلوبهم هم أناس آمنوا أولاً ثم كفروا فطبع على قلوبهم. وأصبح هذا من طبعهم وهذا عقاب لهم.

الختم: بعد الطبع يترقى المرض ويتطور حتى يصبح ختماً لا يخرج منه شيء

ولا يدخل إليه شيء، كما تختم الشرطة مثلاً محلاً بالشمع الأحمر فلم يعد يعمل ولا يزول هذا الختم إلّا بأمر من الدولة ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 7].

كل ما سبق من مراحل أمراض القلوب قد يوفق الله تعالى صاحبها بجهده أو بكسبه وبعمله ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ﴾ [يس: 35] فيخرجه مما هو فيه إلا مرحلة الختم لا يخرجه الله تعالى إلا بأسباب سنذكرها لاحقاً. إذن هذا الذي ختم الله تعالى على قلبه يعتقد الباطل ويرى أنه الحق لا لبس فيه والله تعالى لا يخرجه إلا إذا بقي في نفسه شيء له قيمة، السامري مثلاً رغم كل ما قام به إلا أن الله تعالى لما سأله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقتل السامري منعه، لأن السامري كان سخياً والسخاء من الصفات الحميدة المكرمة. وكسقوط الاتحاد السوفيتي وما زال الملحدون ينكرون وجود الله إلى الآن.

الإغفال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28] ليس له إمام ولا مرجع ديني ولا شرعي ولا قضائي مهما اشتهى يفعل، كأصحاب السلطة الظالمة الغاشمة على مر التاريخ كفرعون يفعل ما يشاء بلا أي وازع وليس عنده رحمة لأحد ولا يعفو عن مذنب: ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل لكل شيء علاجاً وهو سبحانه وتعالى يقبل التوبة ما لم يغرغر الإنسان ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: 158] ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقِعَة: 83].

القسوة: هي المرحلة الأخيرة من مراحل أمراض القلوب وإذا وصل القلب إلى مرحلة القسوة فقد انتهى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزُّمَر: 22] هذا القاسي الذي عانت منه البشرية من عهد آدم إلى يومنا هذا منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل إلى تعذيب الأنبياء كما عذب قوم نوح سيدنا نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ مدة ألف عام وكما عذب

موسى وعيسى عليهما السلام وكثير من الأنبياء ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: 74] هذا القلب الذي لا يعرف الله ولا يعرف إنساناً وليس لأحد حق عليه وليس لأحد له حق الحياة، هذا القاسي القلب لا ترف له جفن ولو قتل ألف رجل مثل أولئك الذين يعذبون الناس في السجون ويقطعون أوصالهم ولا يؤثر فيهم صراخ المعذبين الذي تتمزق له القلوب وتقشعر له الأبدان حتى لا يبقى للسامع قدرة على الوقوف يتهاوى. هذا القاسي القلب بلغ مرحلة القسوة بعد أن مر بكل المراحل من الران والإكنان والتغليف والإقفال والشد والطبع والختم والإغفال ثم القسوة حتى صار قاسياً. وكل ما تعانيه البشرية الآن من احتلال وتعذيب الناس وقهر الشعوب بإبادة جماعية ومسألة العبيد في إفريقيا وما حصل في التاريخ شيء لا يصدقه العقل فكيف يصل الإنسان إلى هذا الحد الذي لا تصل إليه الوحوش ويصبح كالذئاب فيصبح من أسوأ القلوب؛ قال الشاعر:

عوى الذئبُ فاْستأنستُ بالذئب إذْ عوى وصَـوَّتَ إنـسـانٌ فَـكِـدتُ أطـيـرُ

لهذا قال ﷺ: «**أكثر أهل النار قساة القلوب**» القلب المنكوس فلا يشعر بمصيبة أحد مهما عظمت. وقد ثبت علمياً أن الكلاب والأشجار تشعر بمصائب أهل البيت، أما صاحب القلب القاسي فلا يشعر بمصيبة أحد ولا يهتم لها ولا يرف له جفن، ويصبح قلبه بليداً ميتاً متحجراً.

الإنسان من طين، هذا الطين يترقى ليصبح كريستالاً وهؤلاء هم الأنبياء والصالحون والعابدون أدباء شعراء علماء، أو يتدنى ليصبح وحلاً وما أكثر الوحل على هذه الأرض. يقول ﷺ في باب القسوة: «**أهل النار ثلاثة: قساة القلوب وأهل الجنة: ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، رجل رحيم القلب لكل امرئ مسلم ورجل فقير عفيف متعفف**».

معظم الأوصاف أطلقها الله تعالى في القرآن الكريم على الكافرين والمنافقين وأطلقها الرسول ﷺ على المسلمين المؤمنين. والنصوص في السنة النبوية تشير إلى أن الباب الرئيسي الذي يفتح على قلب المؤمن هذه النافذة الخطيرة التي يدلف

على قلبه جملة هذه الأمراض. ومن تتبع النصوص رأى أن البعد عن الله تعالى وتهيئة القلب لهذه الأمراض بداية تعرض القلب وانكشافه أمام هذه الأمراض هو ترك الجمعة والجماعة تعمداً وبلا عذر، فإذا ما ترك المسلم الجمعة ثلاث مرات متتالية طبع على قلبه، وعلى ما يبدو أن الجمعة تنشط الدورة القلبية تنشيطاً كاملاً وتجدد لقاءك مع الله عز وجل. ولا ننسَ الساعة العجيبة في يوم الجمعة التي فيها يستجيب الله تعالى الدعاء والمسلم يفرح بيوم الجمعة وصلاة الجمعة فرحاً كبيراً.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والتاء والميم أصلٌ واحد، وهو بُلوغ آخِرِ الشّيء. يقال: خَتَمْتُ العَمَل، وخَتم القارئ السُّورة. فأمَّا الخَتْمُ، وهو الطَّبع على الشَّيء، فذلك من الباب أيضاً؛ لأنّ الطَّبْع على الشيءِ لا يكون إلاّ بعد بلوغ آخِرِه، في الأحراز. والخَاتَمُ مشتقٌّ منه؛ لأنّ به يُختَمُ. ويقال الخَاتِمُ، والخاتام، والخَيْتام. قال: والنبي ﷺ خاتِمُ الأنبياء؛ لأنّه آخِرُهم. وخِتَامُ كلِّ مشروبٍ: آخِرُه. قال الله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ [المطفّفين: 26]، أي: إنّ آخرَ ما يجِدونه منه عند شُربهم إياه رائِحَةُ المسك.

قال الخَليل[2]: خَتَمَ يَختِم خَتْماً، أي: طبع فهو خاتم.

والخَاتَمُ: ما يوضع على الطّينة، اسم، مثل العالَم.

والخِتَامُ: الطّين الّذي يُخْتَمُ به على كتاب. ويقال: هو الخَتْمُ، يعني الطّين الّذي يُختَم به.

وخِتَامُ الوادي: أقصاه.

وخاتِمة السّورة: آخرها. وخاتِم العمل وكلّ شيء: آخره.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأزهريّ[1]: ونهى النّبيّ ﷺ عن التَّخَتُّم بالذّهب.

ويقال: فلان ختَم عليك بابه، أي أعرض عنك، وخَتَمَ فلان لك بابّه: إذا آثرك على غيرك.

وخَتَمَ فلان القرآن: إذا قرأه إلى آخره.

قال أبو هلال[2]: الفرق بين الرّسم والختم: أنّ الخَتْم ينبىء عن إتمام الشّيء، وقطع فعله وعمله، تقول: خَتَمْتُ القرآن، أي أتَممْتَ حفظه وقرأته وقطعتَ قراءته، وختَمت الكنز، لأنّه آخر ما يُفعَل به لحفظه. ولا ينبئ الرّسم عن ذلك. وإنّما الرّسم إظهار الأثر بالشّيء، ليكون علامة فيه، وليس يدلّ على تمامه. ألا ترى أنّك تقول: ختَمتُ القرآن ولا تقول: رسمته. فإن استُعمل الرّسم في موضع الخَتْم في بعض المواضع، فلقرب معناه من معناه.

والأصل في الختم: ختم الكتاب، لأنّه يقع بعد الفراغ منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يسٓ: 65]، منع، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البَقَرَة: 7]، ليس بمنع، ولكنّه ذمّ بأنّها كالممنوعة من قبول الحقّ على أنّ الرّسم فارسي معرَّبٌ، لا أصل له في العربيّة، فيجوز أن يكون بمعنى الختم لا فرق بينهما، لأنّهما لغتان. الفرق بين الختم والطّبع: أنّ الطّبع أثر يَثبتُ في المطبوع ويلزمه، فهو يفيد من معنى الثّبات واللّزوم ما لا يفيده الختم، ولهذا قيل:

طبع الدّرهم طبعاً، وهو الأثر الّذي يؤثّره فيه فلا يزول عنه، كذلك أيضاً قيل: طبع الإنسان، لأنّه ثابت غير زائل، وقيل طبع فلان على هذا الخُلق، إذا كان لا يزول منه.

وقال بعضهم: الطّبع علامة تدّل على كنه الشّيء قال: وقيل: طبع الإنسان لدلالته على حقيقة مزاجه من الحرارة والبرودة. قال: وطبع الدّرهم علامة جوازه.

---

(1) تهذيب اللغة. (2) الفروق.

المعنى المشترك لكلمة ختم في القرآن الكريم:

1 - **الطبع**: قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البَقَرَة: 7].

2 - **الحفظ**: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾ [الشّورى: 24].

3 - **السداد والمنع**: قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65].

4 - **نهاية الشيء**: قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: 40].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة: 7].

قال الطّبَريّ(1): وأصل الختم: الطّبع، والخاتَم: هو الطّابَع، يقال منه: ختمت الكتاب، إذا طبعته.

فإن قال لنا قائل: وكيف يختم على القلوب، وإنّما الختم طَبْع على الأوعية والظّروف والغُلف؟

قيل: فإنّ قلوب العباد أوعية لما أُودعت من العلوم، وظروف لما جُعل فيها من المعارف بالأمور، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع الّتي بها تُدرَك

---

(1) جامع البيان.

المسموعات، ومن قبلها يوصَل إلى معرفة حقائق الأنباء، عن المغيّبات، نظير معنى الختم، على سائر الأوعية والظّروف.

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن في الآية الأُولى أنّهم لايؤمنون، أخبر في هذه الآية بالسّبب الّذي لأجله لم يؤمنوا، وهو الخَتْم، والكلام هاهنا يقع في مسائل:

المسألة الأُولى: الختم والكتم أخوان، لأنّ في الاستيثاق من الشّيء بضرب الخاتم عليه كتماً له وتغطية، لئلاّ يُتوصّل إليه أو يُطّلع عليه، والغشاوة: الغطاء (فعالة) من غشاء، إذا غطّاه. وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة.

المسألة الثّانية: اختلف النّاس في هذا الختم، أمّا القائلون بأنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، فهذا الكلام على مذهبهم ظاهر، ثمّ لهم قولان: منهم من قال: الختم هو خلق الكفر في قلوب الكفّار، ومنهم من قال: هو خلق الدّاعية الّتي إذا انضمّت إلى القُدرة، صار مجموع القُدرة معها سبباً موجباً لوقوع الكفر.

أمّا الغشاوة فحقيقتها الغطاء المانع من الإبصار، ومعلوم من حال الكّفار خلاف ذلك، فلابدّ من حمله على المجاز، وهو تشبيه حالهم بحال من لاينتفع ببصره في باب الهداية. فهذا مجموع أقوال النّاس في هذا الوضع.

قال أبو السُّعود[2]: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ استئناف تعليليّ لما سبق الحكم، وبيان لما يقتضيه، أو بيان وتأكيد له، والمراد بالقلب محلّ القوّة العاقلة من الفؤاد، والختم على الشّيء: الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له، أو لما فيه من التّعرّض له، كما في البيت الفارغ والكيس المملوء. والأوّل هو الأنسب بالمقام؛ إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم، بل إحداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغيّ وانهماكهم في التّقليد، وإعراضهم عن منهاج النّظر الصّحيح؛ بحيث لا يُؤثّر فيها الإنذار، ولا ينفُذ فيها الحقّ أصلاً.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.

● قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ . . .﴾ [الأنعام: 46].

قال الطّبَريّ[1]: فطبَع عليها حتّى لا تفقهوا قولاً، ولا تبصروا حجّة، ولا تفهموا مفهوماً.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: بأنّ يُغطّي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: ذكروا في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وجوهاً منها:

1 - معناه وأزال عقولهم حتىّ يصيروا كالمجانين.

2 - المراد بهذا الختم الإماتة، أي: يميت قلوبكم.

● قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: 24].

قال الطّبَريّ[4]: يا محمّد يَطبَع على قلبك، فتنس هذا القرآن الّذي أُنزل إليك.

قال الزّجّاج[5]: يَربط على قلبك بالصّبر على أذاهم وعلى قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ﴾.

قال القُشَيْريّ[6]: أي: أنّك إن افتريته ختم الله على قلبك، ولكنّك لم تكذب على ربّك، ومعنى الآية أنّ الله يتصرّف في عباده بما يشاء من إبعاد وتقريب، وإدناء وتبعيد. فإن يشإ الله يختم على قلوب الكّفار وعلى ألسنتهم وعاجلهم بالعقاب، فالخطاب له والمراد الكفّار.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) معاني القرآن.
(6) لطائف الإشارات.

● قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس: 65].

قال **الزّمَخْشَريّ**[1]: يُروى أنّهم يجحدون ويخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون ما كانوا مشركين، فحينئذ يختم على أفواههم، وتكلّم أيديهم وأرجلهم. وفي الحديث: «**يقول العبد يوم القيامة: إنّي لا أُجيز عليّ شاهداً إلاّ من نفسي، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثّم يُخلّي بينه وبين الكلام، فيقول: بُعداً لكُنّ وسُحقاً، فعنكنّ كنت أُناضل**». وقُرئ (يختم على آفواههم وتتكلّم آيديهم).

قال **الفَخْر الرّازيّ**[2]: وفي الختم على الأفواه وجوه: أقواها، أنّ الله تعالى يُسكت ألسنتهم فلا ينطقون بها، ويُنطق جوارحهم فتشهد عليهم، وأنّه في قُدرة الله يسير، أمّا الإسكات فلا خفاء فيه، وأمّا الإنطاق فلأنّ اللّسان عضو متحرّك بحركة مخصوصة، فكما جاز تحرّكه بها تحرّك غيره بمثلها، والله قادر على الممكنات.

والوجه الآخر: أنّهم لا يتكلّمون بشيء لانقطاع أعذارهم وانتهاك أستارهم، فيقفون ناكسي الرّؤوس، وقوف القَنوط اليَؤوس، لا يجد عذراً فيعتذر، ولا مجال توبة فيستغفر، وتكلّم الأيدي ظهور الأُمور بحيث لا يسع معه الإنكار، حتىّ تنطق به الأيدي والأبصار، كما يقول القائل: الحيطان تبكي على صاحب الدّار، إشارة إلى ظهور الحزن، والأوّل الصّحيح، وفيه لطائف لفظيّة ومعنويّة.

قال **أبو السُّعود**[3]: أي: ختماً يمنعها عن الكلام. التفات إلى الغيبة للإيذان بأنّ ذكر أحوالهم القبيحة، استدعى أن يُعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم، مع ما فيه من الإيماء إلى أنّ ذلك من مقتضيات الختم، لأنّ الخطاب لتلقّي الجواب، وقد انقطع بالكلّيّة. وقُرئ (تَختم).

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى:** ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40].

قال الطّبَريّ[1]: الّذي ختم النّبوّة فطُبع عليها، فلا تُفتَح لأحد بعده إلى قيام السّاعة.

قال البغَويّ[2]: ختم الله به النّبوّة.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: ثّم بيّن ما يفيد زيادة الشّفقة من جانبه والتّعظيم من جهتهم، بقوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾، وذلك لأنّ النّبيّ الّذي يكون بعده نبيّ إن ترك شيئاً من النّصيحة والبيان، يستدركه من يأتي بعده، وأمّا من لا نبيّ بعده يكون أشفق على أُمّته وأهدى لهم وأجدى؛ إذ هو كوالدٍ لولده الّذي ليس له غيره من أحد.

● **قال تعالى:** ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: 25-26].

قال الطّبَريّ[4]: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾: يسقى هؤلاء الأبرار من خمر صرف، لا غشّ فيها.

قوله: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ﴾: فإنّ أهل التّأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك ممزوج مخلوط، مزاجه وخلطه مسك.

قال الزّمَخْشَريّ[5]: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ تُختَم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطّينة. وقيل: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ﴾: مقطعه رائحة مسك إذا شرب، وقيل: يمزج بالكافور ويُختَم مزاجه بالمسك.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.

وقرئ: (خاتَمه) بفتح التّاء وكسرها، أي ما يُختَم به ويُقطَع.

قال البَيْضاويّ[1]: أي مختوم أوانيه بالمسك مكان الطّين، ولعلّه تمثيل لنفاسته أو الّذي له ختام، أي مقطع هو رائحة المسك.

وقرأ الكِسائيّ (خاتَمه) بفتح التّاء، أي: ما يُختَم به ويُقطَع.

(1) أنوار التنزيل.

خَدّ - أخدود

(أخدود - حفرة - سرب - نفق - كهف)

- **الأُخْدُودُ:** الشق في الأرض مستطيل غائص ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البُرُوج: 4].
- **الحُفْرَةُ:** المكان المحفور الذي أخرج منه الحفر (أي: التراب) ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: 103].
- **السَّرَبُ:** الطريق المنحدر غير النافذ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61].
- **النَّفَقُ:** الطريق المنحدر النافذ في الأرض ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 35].
- **الكَهْفُ:** مكان محفور في الكهف يتسع لكثيرين ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والدّال أصل واحد، وهو تأسُّل الشّيء وامتداده إلى السُّفل. فمن ذلك: الخَدُّ: خَدُّ الإنسان، وبه سمّيت المِخَدَّةُ.

والخَدُّ: الشّقّ. والأَخَادِيدُ: الشّقوق في الأرض.

والتَّخَدُّدُ: تَخَدُّد اللّحم من الهُزال. وامرأة مُتَخَدِّدة: مهزولة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والخِدَادُ: ميسَم من المياسِم، ولعلّه يكون في الخَدِّ، يقال منه بعيرٌ مَخْدُودٌ.

قال الخليل[1]: المِخَدَّةُ: المِصْدَغة، واشتقاقهما من الخَدِّ والصُّدْغ، وهو أي الخدّ – من لدُنِ المَحْجِر إلى اللَّحْي من الجانبين.

والخَدُّ: جعلك أُخْدُوداً في الأرض تَحفِره مستطيلاً. يقال: خَدَّهُ خَدًّا. قال: ضاحي الأَخَادِيد إذا اللّيلُ ادلَهَمّ.

ومثله: أَخَادِيد السّياط في الظّهر، وهي طرائقها.

والتَّخْدِيدُ: تَخْدِيدُ اللّحم عند الهُزال. ورجل مُتَخَدِّدٌ وامراة مُتَخَدِّدَةٌ، أي: مهزول قليل اللّحم.

أفناهم خَدًّا فخَدًّا، أي: مرّةً ثمّ مرّةً.

قال الأزهَريّ[2]: وفي القرآن: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ وكانو خَدُّوا في الأرض أَخَادِيد، وأوقدو عليها النّيران حتى حَمِيَتْ، ثمّ عرضو النّاس على الكفر، فمن امتنع ألقَوْه فيها حتّى يحترق.

قال الجَوهَريّ[3]: الخَدُّ في الوجه، وهما خَدَّان.

والمِخَدَّة بالكسر، لأنّها توضع تحت الخَدّ. والمِخَدُّ أيضًا: حديدة تُخَدُّ بها الأرض، أي: تُشَقّ.

والأُخْدُودُ: شَقٌّ في الأرض مستطيل. وخَدَّ الأرض يَخُدُّها.

وضَرْبَةٌ أُخدُود، أي: خَدّتْ في الجلد.

المعنى المشترك لكلمة (خد) في القرآن الكريم:

ورد (الخدّ) في القرآن على وجهين:

1 – الكناية عن التكبر قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: 18].

(1) العين.

(2) تهذيب اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

2 - الشق: دعاء بالهلاك قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البُرُوج: 4].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البُرُوج: 4].

قال الطّبَريّ[1]: لُعن أصحاب الأُخدود، وكان بعضهم يقول: معنى قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ خبر من الله عن النّار أنّها قتلتهم.

وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأُخدود مَن هُم؟

فقال بعضهم: قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس.

وقال آخرون: بل الّذين أحرقتهم النّار، هم الكفّار الّذين فتنوا المؤمنين.

وأولى التّأويلين بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ لُعن أصحاب الأُخدود الّذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأُخدود.

وإنّما قلت ذلك أولى التّأويلين بالصّواب: للّذي ذكرنا عن الرّبيع من العلّة وهو أنّ الله أخبر أنّ لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنّم، ولو لم يكونوا أُحرقوا في الدّنيا، لم يكن لقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البُرُوج: 10] معنى مفهوم، مع إخباره أنّ لهم عذاب جهنّم، لأنّ عذاب جهنّم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها في الآخرة.

والأُخدود: الحُفْرة في الأرض.

قال الزّجّاج[2]: الأُخدود: شقّ في الأرض؛ ويُجمع: أخاديد، وقيل: أصحاب الأُخدود قوم كانوا يعبدون صنماً، وكان معهم قوم يكتمون إيمانهم، يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ ويوحّدونه، فعلموا بهم فخدّوا لهم أُخدودًا وملأوه ناراً، وقذفوا

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.

بهم في تلك النّار فتقحّموها، ولم يرتدّوا عن دينهم ثبوتاً على الإسلام، ويقيناً إنّهم يصيرون إلى الجنّة. فجاء في التّفسير أنّ آخر من أُلقي منهم امرأة معها صبيّ رضيع، فلمّا رأت النّار صدّت بوجهها وأعرضت، فقال لها الصّبيّ: يا أُمّتاه قِفي ولا تُنافقي. وقيل إنّه قال لها: وما هي إلاّ غُميضة، فصبرت فأُلقيت في النّار.

وكان النّبيّ ﷺ إذا ذكر أصحاب الأُخدود تعوّذ من جَهْد البلاء. فأعلم الله عزّ وجلّ قصّة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة إيمانهم إلى أن صبروا على أن يُحرقوا بالنّار في الله عزّ وجلّ.

قال الماوَرْديّ[1]: وهي حوافر شُقَت في الأرض وأُوقدت نارًا، وأُلقي فيها مؤمنون امتنعوا من الكفر. وقال عبد الرّحمٰن بن الزبير: هم قوم من النّصارى كانو بالقسطنطنيّة زمان قسطنطين.

(1) النكت والعيون.

خدع

(خدع - ختر - خون - غل - نافق - مكر - كيد)

■ **الخِدَاعُ:** تزيين الزيف للخصم بداهة بدون تدبير لشدة ذكائه، أو إلباس الباطل لباس الحق فكأنه هو ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 62].

■ **الخَتْرُ:** الاسترخاء والفتور المتعمد عن أداء الواجب الميسر بقصد مسبق ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32].

■ **الخِيَانَةُ:** نقض العهد أو الحق بدون قصد مسبق وإنما لعارض غير مقصود ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27].

■ **الغُلُولُ:** خيانة المال العام للدولة ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: 161].

■ **النِّفَاقُ:** الدخول إلى الحق من بابه ثم الخروج من نفق مظلم يبعده عنه ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنَافِقون: 1].

■ **المَكْرُ:** صرف الغير عمّا هو بصدده بحيلة لنفعه أو ضرره ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43].

■ **الكَيْدُ:** خداع شديد بتدبير وقدرة للخير أو الشرّ ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصَّافات: 98].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والدّال والعين أصل واحد، ذكر الخَليل قياسَه، وقال: الإِخْدَاعُ: إخفاء الشّيء؛ وبذلك سمّيت الخِزانة: المُخْدَعُ.

وعلى هذا الّذي ذكر الخَليل يجري الباب، فمنه خدَعْتُ الرّجل ختَلْتُه، ومنه: (الحَرْب خُدَعَة، وخُدْعَة).

ويقال: خَدَعَ الرّيق في الفم، وذلك أنّه يخفى في الحلق ويغيب.

ويقال: ما خَدَعَتْ بعيني نَعْسَة، أي: لم يدخل المنام في عيني.

والأخْدَعُ: عِرْق في سالفة العُنُق، وهو خفيّ. ورجل مَخْدُوعٌ: قُطع أخدَعُه.

ولفلان خُلُق خادع، إذا تخلّق بغير خُلُقه. وهو من الباب، لأنّه يخفي خلاف ما يظهره.

قال الخليل[2]: المُخَدَّع: الّذي خُدِعَ مراراً في الحرب، وفي غيرها.

والإِخْدَاعُ: إخفاء الشيء، وبه سمّيت الخِزانة مُخْدَعاً.

قال الأزهَريّ[3]: خَدَعَ الضّبّ، إذا دخل في وِجاره ملتوياً. وخَدَعَ الثّعلب، إذا أخذ في الرّوَغان.

والخَدُوعُ من النّوق: الّتي تَدُرّ مرّة وترفع لبنها مرّة.

وطريق خَدُوعُ: إذا كان يَبين مرّة ويخفى أُخرى.

قال أبو هلال[4]: الفرق بين الخَدْع والكَيْد: أنّ الخَدْع هو إظهار ما ينطق خلافه، أراد اجتلاب نفع أو دفع ضرّ، ولا يقتضي أن يكون بعد تدبّرٍ ونظرٍ وفكرٍ، ألا ترى أنّه يقال: خدعه في البيع، إذا غشّه من جشاء وهمه الإنصاف، وإن كان ذلك بديهة من غير فكر ونظر.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الفروق.

والكيد لا يكون إلاّ بعد تدبّر وفكر ونظر، ولهذا قال أهل العربيّة: الكيد: التّدبير على العدوّ وإرادة إهلاكه.

وسمّيت الحيل الّتي يفعلها أصحاب الحروب بقصد إهلاك أعدائهم (مكايد)، لأنّها تكون بعد تدبّر ونظر.

ويجيء الكيد بمعنى الإرادة، وهو قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، أي أردنا، ودلّ على ذلك بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: 76]، وإن شاء الله بمعنى المشيئة.

وسمّى الله تعالى قصد أصحاب الفيل مكّة كيداً، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: 2]، وذلك أنّه كان على وجه القهر.

الفرق بين الخَدْع والغرور: أنّ الغرور إيهام يحمل الإنسان على فعل ما يضرّه، مثل أن يرى السّراب فيحسبه ماءً، فيُضيّع ماءه فيَهلك عطشاً. وتضييع الماء فعل أدّاه إليه غرور السّراب إيّاه، وكذلك غرّ إبليس آدم ففعل آدم الأكل الضّارّ له.

والخَدْع: أن يستر عنه وجه الصّواب، فيوقعه في مكروه، وأصله من قولهم: خدَع الضّبّ، إذا توارى في حُجْره، وخدَعه في الشّراء أو البيع، إذا أظهر له خلاف ما أبطن، فضرّه في ماله.

وقال عليّ بن عيسى: الغرور إيهام حال السّرور فيما الأمر بخلافه في المعلوم، وليس كلّ إيهام غروراً، لأنّه قد يوهمه مُخوّفاً ليحذر منه فلا يكون قد غرّه.

وأصل الغرور: الغفلة، والغرّ الّذي لم يُجرّب الأُمور، يرجع إلى هذا، فكأنّ الغرور يوقع المغرور فيما هو غافل عنه من الضّرر. والخَدْع مرجع يستر عنه وجه الأمر.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: 9].

قال الطّبَريّ[1]: وخداع المنافق ربّه والمؤمنين: إظهاره بلسانه من القول والتّصديق خلاف الّذي في قلبه من الشّكّ والتّكذيب، ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عزّوجلّ، اللاّزم من كان بمثل حاله من التّكذيب لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التّصديّق والإقرار من القتل والسّباء، فذلك خداعه ربّه وأهل الإيمان بالله.

قال الزّجّاج[2]: ومعنى ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾: يُظهرون غير ما في نفوسهم، والتّقيّة تسمّى أيضاً خِداعاً، فكأنّهم لمّا أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر صارت تقيّتهم خِداعاً، وجاء بـ (فاعَلَ) لغير اثنين، لأنّ هذا المثال يقع كثيراً في اللّغة للواحد نحو: عاقَبتُ اللُّصّ، وطارَقتُ النّعل.

وقوله: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ...﴾ تأويله أنّ الخِداع يرجع عليهم بالعذاب والعقاب.

إنّهم كانوا يخادعون نبيّ الله، فأقام الله نبيّه مُقامه.

كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10].

● قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال: 62].

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: اعلم أنّه تعالى لمّا أمر في الآية المتقدّمة بالصّلح، ذكر في هذه الآية حُكماً من أحكام الصّلح.

---

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) التفسير الكبير.

وهو أنّهم إن صالحوا على سبيل المخادعة، وجب قبول ذلك الصّلح، لأنّ الحكم يُبنى على الظّاهر، لأنّ الصّلح لا يكون أقوى حالاً من الإيمان، فلمّا بنينا أمر الإيمان على الظّاهر لا على الباطن، فهاهنا أولى، ولذلك قال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ المراد من تقدّم ذكره في قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: 61]. فإن قيل: أليس قال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: 58] أي: أظْهِر نقض ذلك العهد. وهذا يناقض ما ذكره في هذه الآية؟ قلنا: قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ محمول على ما إذا تأكّد ذلك الخوف بأمارات قويّة دالّة عليها، وتحمل هذه المخادعة على ما إذا حصل في قلوبهم نوع نفاق وتزوير، إلاّ أنّه لم تظهر أمارات تدلّ على كونهم قاصدين للشّرّ وإثارة الفتنة، بل كان الظّاهر من أحوالهم الثّبات على المسالمة وترك المنازعة.

والقرآن الكريم نبّه الرّسول الأعظم إلى أنّ الله عالم بخداع المنافقين. ولقد جاء في النّصّ ما يُشبه العهد الإلٰهيّ إنّ وراء النّبيّ عند خداع المخادعين ربّه يُبدِّد خداعهم ويُفسد عليهم خططهم، وهنالك المؤمنين الّذين يكونون مع النّبيّ فلا يضرّه من خداع المخادعين شيء. إنّ دقّة مكر الماكرين وقوّة حَبكهم خدعهم سيكشفها الله للنّبيّ.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ...﴾ [النساء: 142].

قال الطّبَريّ[1]: إنّ المنافقين يخادعون الله بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم، والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر، استدراجاً منه لهم في الدّنيا، حتى يلقوه في الآخرة، فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنّم.

(1) جامع البيان.

قال الزّجّاج(1): أي يخادعون النّبيّ ﷺ بإظهارهم له الإيمان وإبطانهم الكفر، فجعل الله عَزَّوَجَلَّ مخادعة النّبيّ ﷺ مخادعة له، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10].

ومعنى قوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ فيه غير قول: قال بعضهم: مخادعة الله إيّاهم جزاؤُهم على المخادعة بالعذاب، وكذلك قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 30].

وقيل: وهو خادعهم بأمره عَزَّوَجَلَّ بالقبول منهم ما أظهروا، فالله خادعهم بذلك.

قال الماوَرْديّ(2): [نحو الزّجّاج إلاّ أنّه قال:]

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ يعني الله تعالى، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني يعاقبهم على خداعهم، فسمّي الجزاء على الفعل باسمه.

والثّاني: أنّه أمر فيهم بأمر المُختَدِع لهم بما أمر به من قبول إيمانهم، وإن علم ما يبطنون من كفرهم.

والثّالث: ما يعطيهم في الآخرة من النّور الّذي يمشون به مع المؤمنين، فإذا جاؤوا إلى الصّراط طُفئ نورهم، فتلك خديعة الله إيّاهم.

---

(1) معاني القرآن.

(2) النكت والعيون.

خدن

(خدن - خليل - صاحب - صديق - رفيق)

- **خِدْنٌ:** الصاحب بشهوة ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ﴾ [النِّساء: 25].
- **الخَلِيلُ:** الصاحب الوفي ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النِّساء: 125].
- **الصَّاحِبُ:** بالملازمة والانتماء ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التّوبَة: 40].
- **الصَّدِيقُ:** الصاحب الناصح الزاجر المعلّم ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ﴾ [النُّور: 61].
- **الرَّفِيقُ:** الصاحب المعين على الشدة ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: 69].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والدال والنون أصلٌ واحد، وهو المصاحَبَة. فالخِدْن: الصّاحب. يقال: خادنْتُ الرّجُلَ مخادنَةً. وخِدْنُ الجارية: محدِّثُها. قال أبو زيد: خادنت الرّجلَ: صادقته. ورجل خُدَنةٌ: كثير الأخْدان.

قال الخَليل[2]: خِدْنُ الجارية: مُحدّثها. وكانوا لا يمتنعون من خِدْنٍ يُحدّثها فهَدَمه الإسلام. قال: ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ﴾ [النساء: 25].

والخِدَان والخَدِين: مُخادِنُك، يكون معك في ظاهر أمرك وباطنه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجَوهَريّ[1]: الخِدْنُ والخَدِينُ: الصّديق. يقال: خَادنْتُ الرّجل، ومنه خِدْنُ الجارية. قال الله تعالى: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: 25].

ورجل خَدَنَةٌ: يُخَادِنُ النّاس كثيراً.

قال الرّاغِب[2]: خِدْنٌ: قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع: خِدْن، أي: المصاحب. وأكثر ذلك يُستعمل فيمن يصاحب شهوةً، يقال: خِدْن المرأة وخَدينُها، وقول الشّاعر: خَدِينُ العُلَى.

فاستعارة كقولهم: يَعْشَقُ العُلى، ويُشبِّبُ بالنّدى، ويَنسبُ بالمكارم.

قال الفيروزآباديّ[3]: الخِدْنُ بالكسر. وكأمير: الصّاحب، ومَن يُخَادِنُك في كلّ أمر ظاهر وباطن، وكهُمَزَة: من يُخَادِنُ النّاس كثيراً، وكشدّاد: خَدَّان بن عامر، في أسد بن خُزيمَة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ. . .﴾ [النساء: 25].

قال الطّبَريّ[4]: ذكر أنّ ذلك قيل كذلك، لأنّ الزّوانيّ كنّ في الجاهليّة، في العرب: المعلنات بالزّنَى، والمتّخذات الأخدان: اللّواتي قد حبسن أنفسهنّ على الخليل والصّديق، للفجور بها سرًّا دون الإعلان بذلك.

قال الماوَرْديّ[5]: هو أن تتّخذ المرأة خِدْناً وصديقاً، ولا تزني بغيره.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) القاموس المحيط.
(4) جامع البيان.
(5) النكت والعيون

قال **الزّمَخْشريّ**: الأخلاّء في السّرّ، كأنّه قيل: غير مجاهرات بالسّفاح، ولا مسرّات له.

● **قال تعالى**: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ...﴾ [المائدة: 5].

قال **الطّبَريّ**[1]: يقول: ولا منفردين ببغيّة واحدة، قد خادنها وخادنته، واتّخذها لنفسه صديقة يفجر بها.

البغَويّ[2]: أي غير مسرّين بالزّنى.

قال **ابن عَطيّة**[3]: والمخادَنة: أن يكون الزّانيان قد وقف كلّ واحد نفسه على صاحبه.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) المحرر الوجيز.

خذل

(خذل - ختر - خون - غل - نفاق - خدع - مكر - كيد - نكث)

■ **الخِذْلَانُ:** ترك المعونة: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم. . .﴾ [آل عمران: 160].

■ **الخَتْرُ:** الاسترخاء والفتور المعتمد عن أداء الواجب الميسر بقصد مسبق ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32].

■ **الخِيَانَةُ:** نقض العهد أو الحق بدون قصد مسبق وإنما لعارض غير مقصود ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27].

■ **الغُلُول:** خيانة المال العام للدولة ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ [آل عمران: 161].

■ **الخِدَاعُ:** إلباس الباطل لباس الحق فكأنه هو ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الأنفال: 62].

■ **النِّفاقُ:** الدخول إلى الحق من بابه ثم الخروج من نفق مظلم يبعده عنه ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].

■ **المَكْرُ:** صرف الغير عمّا هو بصدده بحيلة لنفعه أو ضرره ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: 43].

■ **الكَيْدُ:** خداع شديد بتدبير وقدرة للخير أو الشرّ ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: 98].

■ **النَّكْثُ:** نقض العهد لجبن الناكث عن الوفاء به ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [التوبة: 12].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ(1): الخاء والذّال واللاّم أصل واحد، يدلّ على ترك الشّيء والقعود عنه. فالخِذْلَانُ: ترك المعونة.

ويقال: خَذَلَتِ الوحشيّة: أقامَتْ على ولدها وهي خَذُولُ.

ومن الباب: تَخَاذَلَتْ رِجْلاه: ضَعُفَتا.

ورجل خُذَلَة: للّذي لا يزال يَخْذُلُ.

قال الخَليل(2): خذَلَ، يَخْذُل خَذْلاً وخِذْلَاناً: وهو تَركُك نُصْرَة أخيك.

وخِذْلَانُ الله للعبد: ألّا يعصمه من السّوء.

والخَاذِلُ والخَذُولُ، من الظّباء والبقر الوحشيّة: الّتي تَخْذُلُ صواحباتها في المرعى، وتنفرد مع ولدها، وقد أخذها ولدُها.

قال الجَوهَريّ(3): خَذَلَه خِذْلاناً: إذا ترك عونه ونصرته. ويقال: خَذَلَتِ الوحشيّة، إذا قامت على ولدها.

ويقال: هو مقلوب، لأنّها هي المتروكة، وتخاذَلَتْ مثله. وتخاذَلَتْ رِجْلاه، أي ضَعُفَتا.

وخَذَّلَ عنه أصحابه تَخْذِيلاً، أي: حملهم على خِذْلَانِهِ.

وتَخَاذَلُوا، أي: خَذَلَ بعضهم بعضًا.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

ورجل خُذَلَةٌ، مثال هُمَزَة، أي: خَاذِلٌ لا يزال يَخْذُلُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم...﴾ [آل عمران: 160].

قال الطّبَريَ[1]: إن يخذلكم ربّكم بخلافكم أمره وترككِم طاعتَه وطاعَة رسوله فيكِلَكم إلى أنفسكم.

قال الواحديّ[2]: معنى الخذلان: القعود عن النّصرة وقت الحاجة إليها.

قال الفَخْر الرّزايّ[3]: من أتى بالمعصية فإنّ الله يَخذُله، ومن خذله الله فقد وقع في شقاوة لا سعادة معها وذُلّ لا عزّ معه.

● **قال تعالى:** ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 29].

قال الطّبَريّ[4]: مُسلِّما لما ينزل به من البلاء، غير منقذه ولا مُنجيه.

قال الواحديّ[5]: يعني الكافر يتبرّأ منه يوم القيامة.

قال البغَويّ[6]: أي: تاركاً يتركه ويتبرّأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآيات عامّ في حقّ كلّ متحابّين، اجتمعا على معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

(1) جامع البيان.
(2) الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) الوجيز.
(6) معالم التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ [الإسراء: 22].

قال البغَويّ(1): مذموماً من غير حَمْد مخذولاً من غير نَصْر.

قال الزّمَخْشَريّ(2): والخِذْلان والعَجْز عن النّصرة ممّن جعلته شريكاً له.

قال البَيْضاويّ(3): جامعاً على نفسك الذّمَ من الملائكة والمؤمنين، والخِذْلان من الله تعالى. ومفهومه أنّ الموحِّد يكون ممدوحاً منصوراً.

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.

خرب

(خرب - عطل - مرض - رهق - شيخوخة - ضعف)

■ **الخَرَابُ:** بطلان مظهر الشيء وجماله وكماله ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحَشر: 2].

■ **العَطْلُ:** بطلان عمل الشيء لانتهاء صلاحيته ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

■ **المَرَضُ:** بطلان الجسد الحي لانتهاء صحته ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النُّور: 61].

■ **الرَّهَقُ:** بطلان قوة الإنسان من شدة التعب ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنّ: 6].

■ **الشَّيْخُوخَةُ:** بطلان حركة الإنسان لكبره ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القَصَص: 23].

■ **الضَّعْفُ:** بطلان قدرة التحمل ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الرُّوم: 54].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والرّاء والباء أصل يدلّ على التّثلّم والتّثقّب. فالخُرْبَةُ: الثُّقبَة، والعبد الأخْرَبُ: المثقوب الأُذُن. والخُرْبُ: ثَقْبُ الوَرِك، والخُرْبَة: عُروَة المزَادة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

ومن الباب - وهو الأصل - الخَرَابُ: ضدّ العمارة، والخُرْبُ: منقَطع الجمهور من الرّمل.

فأمّا الخَارِبُ: فسارق الإبل خاصّة، وهو القياس، لأنّ السّرق إيقاع ثُلْمَة في المال.

وممّا شذّ عن الباب: الخَرَبُ، وهو ذكَر الحُبارَى، والجمع: خِرْبَان.

قال الخَليل(1): يقال: خَرَابٌ، وثلاثة أخْرِبَةٌ؛ والجمع: خَرِبٌ، كالكلمة والكَلِم. ولغة تميم: خِرْبٌ وكِلْمٌ؛ الواحدة: خِرْبَة وكِلْمَة.

وخَرِب خراباً وخرَّبْتُه تَخْرِيباً. وفي الدّعاء: (اللّهمّ مُخَرِّبَ الدّنيا ومُعَمِّر الآخرة) أي: خلَقتَها للخَرَابِ. والخَارِبُ: اللّصّ، وما رأينا من فلان خَرْباً وخُرْبَةً، أي: فساداً في دينه أو شيئاً. والخَارِبُ: من شدائد الدّهر. واللِّصُّ من شدائد الدّهر، لأنّه يستأصل أموال النّاس.

قال الرّاغِب(2): يقال: خَرِبَ المكان خَرَاباً، وهو ضدّ العمارة. قال الله تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البَقَرَة: 114].

وقد أَخْرَبَه وخَرَّبَهُ. وقال الله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: 2]. فتَخْرِيبهم بأيديهم إنّما كان لئلاّ تبقى للنّبيّ ﷺ وأصحابه.

وقيل: كان بإجلائهم عنها. (من اقتراب السّاعة إِخْرَابُ العامر، وعمارة الخَرَاب).

(1) العين. (2) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: 114].

قال الزّمَخْشَريّ[1]: بانقطاع الذِّكر أو بتخريب البنيان، وينبغي أن يراد «مَنْ مَنَعَ» العموم، كما أُريد بـ ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ ولا يراد الّذين منعوا بأعيانهم من أُولئك النّصارى أو المشركين.

قال ابن الجَوْزيّ[2]: في المراد بخرابها قولان: أحدهما أنّه نقضها، والثّاني: منع ذكر الله فيها.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: السّعي في تخريب المسجد قد يكون لوجهين:

أحدهما: منع المصلّين والمتعبّدين والمتعهدين له من دخوله، فيكون ذلك تخريباً.

والثّاني: بالهدم والتّخريب، وليس لأحد أن يقول: كيف يصحّ أن يتأوّل على بيت الحرام ولم يظهر فيه التّخريب؟ لأنّ منع النّاس من إقامة شعار العبادة فيه يكون تخريباً له.

● قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: 2].

قال الزّمَخْشَريّ[4]: قُرِئ (يُخَرِّبُونَ) و(يُخْرِبُونَ) مثقّلاً ومُخفّفاً.

والتّخريب والإخراب: الإفساد بالنّقض والهدم.

---

(1) الكشاف.
(2) زاد المسير.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.

والخُربة: الفساد، كانوا يُخرجون بواطنها والمسلمون ظواهرها، لمّا أراد الله من استئصال شأفتهم، وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم دَيّار.

والّذي دعاهم إلى التّخريب حاجتهم إلى الخَشَب والحجارة ليسدّوا بها أفواه الأزقّة، وأن لا يتحسّروا بعد جلائهم على بقائها مساكنَ للمسلمين، وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيّد الخشَب والسّاج المليح.

وأمّا المؤمنون فداعيهم إزالة متحصّنهم ومتمنِّعهم، وأن يتّسع لهم مجال الحرب.

فإن قلت: ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين؟

قلت: لمّا عرّضوهم لذلك، وكانوا السّبب فيه، فكأنّهم أمروهم به وكلّفوهم إيّاه.

قال البَيْضاويّ[1]: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ ضنًّا بها على المسلمين، وإخراجاً لما استحسنوا من آلاتها، ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنّهم أيضاً كانوا يُخربون ظواهرها نكاية وتوسيعاً لمحالّ القتال. وعطفها على «اَيْديهِمْ» من حيث إنّ تخريب المؤمنين مسَّبب عن بغضهم، فكأنهّم استعملوهم فيه. والجملة حال أو تفسير للرُّعب.

قال الألوسيّ[2]: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ ليسدّوا بما نقضوا منها من الخشَب والحجارة أفواه الأزقّة، ولئلاّ تبقى صالحة لسُكنى المسلمين بعد جلائهم، ولينقلوا بعض آلاتها المرغوب فيها ممّا يقبل النّقل كالخشَب والعُمُد والأبواب ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حيث كانوا يُخربونها من خارج ليدخلوها عليهم، وليُزيلوا تحصّنهم بها، وليتّسع مجال القتال، ولتزداد نكايتهم. ولمّا كان تخريب أيدى المؤمنين بسبب أمر أُولئك اليهود، كان التّخريب بأيدي المؤمنين كأنّه صادر عنهم، وبهذا الاعتبار عُطِفت «اَيدِى الْمُؤْمِنين» على «اَيْديهِمْ» وجُعلت آلةً لتخريبهم، مع أنّ الآلة هي أيديهم أنفسهم.

---

(1) أنوار التنزيل. (2) روح المعاني.

خرج

(خرج - بدو - بزغ - طلع

- ظهر - برز)

■ **الخُرُوجُ:** نقيض الدخول، والسحاب أول ما يبدأ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [مريم: 11].

■ **البُدُوُّ:** وضوح بعد خفاء، كالشفق قبل الشروق ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: 47].

■ **البُزُوغُ:** بداية الطلوع، إطلالة الشيء الأولى قبل الطلوع ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ [الأنعَام: 78].

■ **الطُّلُوع:** اتساع البزوغ للشيء واكتمال رؤيته ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه: 130].

■ **الظُّهُورُ:** استواء الشيء وانتشاره بشكل مفاجئ ودائم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الرُّوم: 41].

■ **البُرُوزُ:** خروج الشيء بقوة من موانع وعقبات ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: 21].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الخاء والرّاء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، إلّا أنّا سلكنا الطّريق الواضح.

فالأوّل: النّفاذ عن الشّيء.

والثّانيّ: اختلاف لونين.

فأمّا الأوّل: فقولنا: خرَج يَخْرُجُ خُرُوجاً.

والخُرَّاجُ: بالجسد. والخَرَاجُ والخَرْجُ: الإتاوة، لأنّه مال يُخرِجُه المُعطي.

والخَارِجِيُّ: الرّجل المسوّد بنفسه، من غير أن يكون له قديم، كأنّه خرَج بنفسه. وهو كالّذي يقال: نفس عصامٍ سوّدت عصاماً.

والخُرُوجُ: خروج السّحابة، يقال: ما أحسَن خروجَها!

وفلان خِرّيجُ فلان: إذا كان يتعلّم منه، كأنّه هو الّذي أخرجه من حدّ الجهل.

ويقال: ناقة مُخترِجَة: إذا خَرَجَتْ على خِلْقة الجمَل.

والخَرُوجُ: النّاقة تخرج من الإبل، تبرك ناحية، وهو من الخُرُوج.

والخَرِيجُ فيما يقال: لُعْبَة لفِتيان العرب، يقال فيها: خَراجِ خَراجِ.

بنو الخَارِجِيَّةِ: قبيلة، والنّسبة إليه خارجيّ.

وأمّا الأصل الآخر: فالخَرَج: لونان بين سواد وبياض، يقال: نَعامة خَرْجَاءُ وظليم أَخْرَجُ. ويقال: إنّ الخَرْجَاءَ: الشّاة، تبيض رِجْلاها إلى خاصرتها.

ومن الباب: أرض مُخَرَّجَةٌ: إذا كان نَبتُها في مكان دون مكان. وخَرَّجَتِ

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

الرّاعية المَرتَع، إذا أكلَتْ بعضاً وتركَتْ بعضاً؛ وذلك ما ذكرناه من اختلاف اللّونين.

قال الخَليل[1]: الخُرُوجُ: نقيض الدّخول، خَرَجَ يَخرُجُ خَرُوجاً فهو خَارِجٌ.

واختَرجتُ الرّجل، واستَخرَجتُه سواء.

والخُروج: السّحاب أوّل ما يبدأ.

والخَرْجُ والخَرَاجُ: ما يُخرَج من المال في السّنة بقَدْر معلوم.

والخُرَّاجُ: وَرَمٌ وقُرْحُ يَخرُج من ذاته.

والخَارِجيُّ: الّذي لم يكن له شرَف في آبائه، فيَخرُج ويَشرُف بنفسه.

قال الأزهَريّ[2]: أمّا الخَرَاجُ الّذي وظّفه عمر بن الخطّاب على السّواد وأرض الفَيء، فإنّ معناه الغلّة أيضاً، لأنّه أمر بمساحة السّواد ودفعها إلى الفلاّحين الّذين كانوا فيه على غلّة يؤدّونها كلّ سنة. ولذلك سمّي: خَرَاجاً، ثمّ قيل بعد ذلك للبلاد الّتي فُتحت صُلحاً، ووُظّف ما صُولحوا عليه على أرضهم: خَرَاجِيَّة، لأنّ تلك الوظيفة أُشبهت الخَراجُ الّذي أُلزم الفلاّحون وهو الغلّة، لأنّ جملة معنى الخَرَاجُ: الغلّة.

ويقال: خَارَجَ فلان غلامه: إذا اتّفقا على ضريبة يردّها العبد على سيّده كلّ شهر، ويكون مُخلّى بينه وبين عمله، فيقال: عبد مُخَارَجٌ.

وقيل للجزية الّتي ضُربت على رقاب أهل الذّمّة: خَرَاجٌ، لأنّه كالغلّة الواجبة عليهم.

ويقال: الأخْرَاجُ: أسود في بياض، والسّواد الغالب. ابن هانئ عن زيد بن كَثْوَة يقال: (فلان خَرّاج وَلاّج)، يقال ذلك عند تأكيد الظّرف والاحتيال.

ورجل خَرّاجٌ وَلّاج، إذا لم يَشرع في أمر لا يسهل له الخروج منه إذا أراد ذلك.

---

(1) العين. (2) تهذيب اللغة.

قال أبو هلال[1]: الفرق بين الفِسْق والخُروج: أنّ الفِسق في العربيّة: خروج مكروه، ومنه يقال للفأرة: الفُوَيسِقة، لأنّها تَخرج من جُحْرها للإفساد.

وقيل: فَسقتِ الرُّطَبةُ، إذا خَرجَت من قِشْرها، لأنّ ذلك فساد لها، ومنه سمّي الخُروج من طاعة الله بكبيرة فِسْقاً.

ومن الخُروج مذموم ومحمود، والفرق بينهما بيّن.

الفرق بين السَّلخ والإخراج: أنّ السَّلخ هو إخراج ظرف أو ما يكون بمنزلة الظّرف له، والإخراج عامّ في كلّ شيء، وهو الإزالة من محيط أو ما يجري مجرى المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ . . . ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ . . .﴾ [البقرة: 149-150].

قال الطّبَريّ[2]: ومن أيّ موضع خرجت، إلى أيّ موضع وجّهت، فولّ يا محمّد وجهك. . . من أيّ مكان وبقعة شخصت فخرجت يا محمّد فولّ وجهك.

قال ابن عَطيّة[3]: معناه حيث كنتَ وأنّى توجّهتَ من مشارق الأرض ومغاربها.

قال أبو حَيّان[4]: قيل: الخروج الأوّل إلى مكان ترى فيه الكعبة، والثّاني إلى مكان لا ترى فيه، فسوّى بين الحالتين. وقيل: الخروج الأوّل متّصل بذكر السّبب وهو ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ [البَقَرَة: 149]، والثّاني متّصل بانتفاء الحُجّة وهو

(1) الفروق.
(2) جامع البيان.
(3) المحرر الوجيز.
(4) البحر المحيط.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: 150]. وقيل: الأوّل لجميع الأحوال، والثّاني لجميع الأمكنة، والثّالث لجميع الأزمنة.

وقيل: الأوّل أن يكون الإنسان في المسجد الحرام، والثّاني أن يكون خارجاً عنه وهو في البلد، والثّالث أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فسوّى بين هذه الأحوال لئلاّ يُتوهّم أنّ للأقرب حُرمة لا تثبت للأبعد.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ... أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي﴾ [الممتحنة: 1].

قال الطّبَريّ[1]: أن كنتم خرجتم من دياركم، فهاجرتم منها إلى مهاجَركم للجهاد في طريقي الّذي شرعته لكم.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ متعلّق بـ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ يعني لا تتولّوا أعدائي إن كنتم أوليائي. وقول النّحويّين في مثله: هو شرط جوابه محذوف، لدلالة ما قبله عليه.

والمعنى: إن كان غرضكم في خروجكم وهجرتكم الجهاد وطلب رضاي، فأوفُوا خروجكم حقّه من معاداتهم، ولا تلقوا إليهم بالمودّة ولا تتّخذوهم أولياء.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: [ذكر نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف] لقائل أن يقول: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ قضيّة شرطيّة، ولو كان كذلك فلا يمكن وجود الشّرط، وهو قوله: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ بدون ذلك النّهي ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، ومن المعلوم أنّه يمكن.

فتقول: هذا المجموع شرط لمقتضى ذلك النّهي، لا للنّهي بصريح اللّفظ، ولا يمكن وجود المجموع بدون ذلك، لأنّ ذلك موجود دائماً، فالفائدة في ﴿وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ ظاهرة؛ إذ الخروج قد يكون ابتغاء لمرضاة الله وقد لايكون.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

● **قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحمٰن: 22].**

قال الطّبَريّ[1]: وقد زعم بعض أهل العربيّة أنّ اللُّؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين، ولكن قيل: يخرج منهما، كما يقال: أكلتُ خبزاً ولبناً.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾.... فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة (يُخْرَجُ) على وجه ما لم يسمّ فاعله، وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة وبعض المكّيّين بفتح الياء.

والصّواب من القول في ذلك أنّهما قراءتان معروفتان، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب، لتقارب معنييهما.

قال الزّجّاج[2]: ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: صغار اللّؤلؤ، و﴿اللُّؤْلُؤُ﴾: اسم جامع للحَبّ الّذي يخرج من البحر. وقال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾... وإنّما يخرج من البحر المِلْح، لأنّه قد ذكرهما وجمعهما، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: 15-16] والشّمس في السّماء الدّنيا إلاّ أنّه لمّا أجمل ذكر السّبع، كأنّ ما في إحداهنّ فيهنّ، ويُقرأ؛ ﴿يُخْرَجُ مِنْهُمَا﴾ بضمّ الياء.

● **قال تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ [الحشر: 12].**

قال الطّبَريّ[3]: يقول تعالى ذكره: لئن أُخرج بنو النّضير من ديارهم فأجْلَوا عنها، لا يخرج معهم المنافقون الّذين وعدوهم الخروج من ديارهم.

قال القُرطُبيّ[4]: والمعنى لئن أُخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون.

(1) جامع البيان.
(2) معاني القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

وقيل: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ...﴾ أي: علم الله منهم أنّهم لايخرجون إن أُخرجوا.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾ [النور: 53].

قال البغويّ(1): وذلك أنّ المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا، وإن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿قُل﴾ لهم، ﴿لَّا تُقْسِمُواْ﴾.

قال ابن عَطيّة(2): معناه إلى الغزو، وهذه في المنافقين الّذين تولّوا حين ﴿دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور: 48].

قال القُرطُبيّ(3): عاد إلى ذكر المنافقين، فإنّه لمّا بيّن كراهتهم لحكم النّبيّ ﷺ أتوه فقالوا: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا ونسائنا وأموالنا لخرجنا، ولو أمرتنا بالجهاد لجاهدنا، فنزلت هذه الآية. أي وأقسموا بالله أنّهم يخرجون معك في المستأنف ويُطيعون.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: 22].

قال الفَخْر الرّازيّ(4): وإنّما قالوا هذا على سبيل الاستبعاد، كقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40].

قال القُرطُبيّ(5): أي حتىّ يُسلِّموها لنا من غير قتال، وقيل: قالوا ذلك خوفاً

---

(1) معالم التنزيل.
(2) المحرر الوجيز.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) التفسير الكبير.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

من الجبّارين ولم يقصدوا العصيان، فإنّهم قالوا: ﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾.

قال الألوسيّ(1): بقتال غيرنا، أو بسبب يخرجهم الله تعالى به، فإنّه لا طاقة لنا بإخراجهم منها، وهذا امتناع عن القتال على أتمّ وجه، ﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ بسبب من الأسباب الّتي لا تعلّق لنا بها.

● **قال تعالى**: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف: 5].

قال الواحديّ(2): أي إنّها قول بالفم لا صحّة له، ولا دليل عليه.

قال البغَويّ(3): أي تظهر من أفواههم.

قال الزّمَخْشَريّ(4): صفة للكلمة، تفيد استعظاماً لاجترائهم على النّطق به وإخراجها من أفواههم، فإنّ كثيراً ممّا يوسوسه الشّيطان في قلوب النّاس، ويحدّثون به أنفسهم من المنكرات، لا يتمالكون أن يتفوّهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشوّراً من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [الطلاق: 1].

قال ابن العَرَبيّ(5): جعل الله للمطلّقة المعتدّة السّكنى فرضاً واجباً، وحقّاً لازماً، هو لله سبحانه وتعالى، لايجوز للزّوج أن يمسكه عنها، ولا يجوز لها أن تُسقطه عن الزّوج، وهذه مسألة عسيرة على أكثر المذاهب.

---

(1) روح المعاني.
(2) الوجيز.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.
(5) تفسير القرآن لابن العربي.

قال مالك: لكلّ مطلّقة السُّكنى، كان الطّلاق واحداً أو ثلاثاً.

وقال قَتادَة وابن أبي ليلى، لا سُكنى إلاّ للرّجعيّة.

وقال الضّحّاك: لها أن تترك السّكنى، فجعله حقّاً لها. وظاهر القرآن أنّ السّكنى للمطلّقة الرّجعيّة لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: 1] وإنّما عرفنا وجوبه لغيرها من دليل آخر بيّنّاه في مسائل الخلاف وشرح الحديث، وذكرنا التّحقيق فيه.

وأمّا قول الضّحّاك فيردّه قول الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ وقوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ يقتضي أن يكون حقاً على الأزواج، ويقتضي قوله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أنّه حقّ على الزّوجات.

ذكر الله الإخراج والخروج عامّاً مطلقاً، ولكن روى مسلم عن جابر أنّ النّبيّ ﷺ أذن لخالته في الخروج في جِدَاد

● **قال تعالى**: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 83].

قال ابن عَطيّة(1): هو عقوبة لهم وإظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم، وهذا هو المقصود في قصّة ثعلبة بن حاطب الّتي تقدّمت في الامتناع من أخذ صدقته، ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشّرع وردّه كالجمَل الأجرب.

قال الفَخْر الرّازيّ(2): أي للغزو معك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾ إلى غزوة، وهذا يجري مجرى الذّمّ واللّعن لهم، وجرى إظهار نفاقهم وفضائحهم؛ وذلك لأنّ ترغيب المسلمين في الجهاد أمر معلوم بالضّرورة من دين محمّد ﷺ.

قال القُرطُبيّ(3): أي: عاقبهم بألاّ تصحبهم أبداً. وهو كما قال: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: 15].

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الأعراف: 18].

قال الماوَرْديّ[1]: يحتمل وجهين: أحدهما: من حيث كان من جنّة أو سماء.

والثّاني: من الطّاعة على وجه التّهديد.

قال أبو حَيّان[2]: الجمهور على أنّ الضّمير عائد على الجنّة، والخلاف فيه كالخلاف في ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: 13] وهذه ثلاث أوامر، أمر بالهبوط مطلقاً، وأمر بالخروج مُخبراً أنّه ذو صغار [الأعراف: 13] وأمر بالخروج مقيّداً بالذّمّ والطّرد.

قال الألوسيّ[3]: أي من الجنّة أو من زُمرة الملائكة أو من السّماء: الخلاف السّابق.

● **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ... وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف: 31].

قال ابن الجَوْزيّ[4]: وذكر بعض أهل العلم أنّها إنّما قالت: ﴿ٱخۡرُجۡ﴾ وأضمرت في نفسها ﴿عَلَيۡهِنَّ﴾ فأخبر الحقّ عمّا في النّفس كأنّ اللّسان قد نطق به، ومثله ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: 9] لم يقولوا ذلك، إنّما أضمروه. ويدلّ على صحّة هذا أنّها لو قالت له وهو شابّ مستحسَن: أُخرج على نسوة من طبعهنّ الفتنة، ما فعَل.

قال الرّازيّ[5]: فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾ وإنّما يقال خرجت إلى السّوق وطرقت عليه الباب فخرج إليّ؟ قلنا: إذا كان الخروج بقهر

---

(1) النكت والعيون.
(2) البحر المحيط.
(3) روح المعاني.
(4) زاد المسير.
(5) مسائل الرازي.

وغلبة أو بجمال وزينة أو بآية وأمر عظيم، فإنّما يُعدّى بـ (على) ومنه قولهم: خرج علينا في السّفر قطّاع الطّريق، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [مريم: 11].

قال أبو السُّعود(1): والعطف بالواو ربّما يشير إلى أنّ قولها: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أي ابرُزْ لهنّ لم يكن عقيب ترتيب أُمورهنّ، ليتمّ غرضها من استغفالهنّ.

● **قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: 34].**

قال الألوسيّ(2): قيل: الظّاهر أنّ الضّمير للسّماء وإن لم يَجرِ لها ذكر، وأيّد بظاهر قوله تعالى: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 13].

«خَارِجِينَ»... ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 167].

قال الطّبَريّ(3): يعني تعالى ذكره بذلك: وما هؤلاء الّذين وصفتهم من الكفّار - وإن ندموا بعد معاينتهم ما عاينوا من عذاب الله، فاشتدّت ندامتهم على ما سلف منهم من أعمالهم الخبيثة، وتمنّوا إلى الدّنيا كَرّةً ليُنيبوا فيها، ويتبرّأوا من مضلّيهم، وسادتهم الّذين كانوا يُطيعونهم في معصية الله فيها - بخارجين من النّار الّتي أصلاهموها الله بكفرهم به في الدّنيا، ولا ندمُهم فيها بمنجيهم من عذاب الله حينئذ، ولكنّهم فيها مخلّدون.

وفي هذه الآية الدّلالة على تكذيب الله الزّاعمين أنّ عذاب الله أهلَ النّار من أهل الكفر مُنقض، وأنّه إلى نهاية.

قال الفَخْر الرّازيّ(4): فقد احتجّ به الأصحاب على أنّ أصحاب الكبيرة من أهل القبلة يخرجون من النّار فقالوا: إنّ قوله: ﴿وَمَا هُم﴾ تخصيص لهم بعدم

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

الخروج على سبيل الحصر، فوجب أن يكون عدم الخروج مخصوصاً بهم، وهذه الآية تكشف عن المراد بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الانفطار: 14-16].

وثبت أنّ المراد بالفجّار هاهنا الكفّار لدلالة هذه الآية عليه.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2].

قال الزّجّاج[1]: معناه يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال. وقيل أيضاً: من النّار إلى الجنّة.

قال القُشَيْريّ[2]: إذا صدق العبد في تقواه أخرجه من بين أشغاله، كالشّعرة تُخرَج من بين العجين، لا يَعلَق بها شيء.

ويضرب الله تعالى على المتّقي سرادقات عنايته، ويُدخله في كنف الإيواء. ويصرف الأشغال عن قلبه، ويُخرجه من ظلمات تدبيره، ويُجرّده من كلّ أمر، وينقله إلى شهود فضاء تقديره.

قال الرّازيّ[3]: فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ...﴾ [الطلاق: 2-3] ونحن نرى كثيراً من الأتقياء مضيّقاً عليهم رزقهم؟

قلنا: معناه يجعل له مَخْلَصاً من هموم الدّنيا والآخرة.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: 11].

قال الطّبَريّ[4]: فهل إلى خروج من النّار لنا سبيل، لنرجع إلى الدّنيا، فنعمل غير الّذي كنّا نعمل فيها.

---

(1) معاني القرآن.
(2) لطائف الإشارات.
(3) مسائل الرازي.
(4) جامع البيان.

قال البغَويّ[1]: أي من خروج من النّار إلى الدّنيا، فنُصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره: ﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [الشورى: 44].

قال الزّمَخْشَريّ[2]: أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ قطّ، أم اليأس واقع دون ذلك، فلا خروج ولا سبيل إليه.

وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط، وإنّما يقولون ذلك تعلُّلاً وتحيُّراً. ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك، وهو قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ [البَقَرَة: 49] أي ذالكم الّذي أنتم فيه، وأن لا سبيل لكم إلى خروج قطّ، بسبب كفركم بتوحيد الله، وإيمانكم بالإشراك به.

● **قال تعالى:** ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [قٓ: 11].

قال الزّجّاج[3]: أي كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم.

قال الزّمَخْشَريّ[4]: كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم. والكاف في محلّ الرّفع على الابتداء.

قال الشِّربينيّ[5]: أي مثل الإخراج العظيم (الخُرُوج) من قبورهم على ما كانوا عليه في الدّنيا؛ إذ لا فرق بين خروج النّبات بعد ما تهشّم وتفتّت في الأرض، وصار تراباً كما كان من بين أصفره وأبيضه وأحمره وأزرقه إلى غير ذلك، وبين إخراج ما تفتّت من الموتى كما كانوا في الدّنيا.

والتّعريف في ﴿ٱلۡخُرُوجُ﴾ للعهد، أي خروج النّاس من الأرض، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾ [المعارج: 43].

فـ ﴿ٱلۡخُرُوجُ﴾ صار كالعلم بالغلبة على البعث، وسيأتي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) معاني القرآن.
(4) الكشاف.
(5) تفسير الشربيني.

﴿ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: 42] وتقديم المجرور على المبتدإ للاهتمام بالخبر، لما في الخبر من دفع الاستحالة وإظهار التّقريب، وفيه تشويق لتلقّي المسند إليه.

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: 42].

قال الزّجّاج(1): أي يوم يبعثون ويخرجون، ومثله ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: 6].

● **قال تعالى:** ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94].

قال الطّبَريّ(2): اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ كأنّهم نحوا به نحو المصدر من خَرْج الرّأس، وذلك جُعله.

وقرأته عامّة قرّاء الكوفيّين «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً» بالألف، وكأنّهم نحوا به نحو الاسم، وعنوا به أُجرة على بنائك لنا سدّاً بيننا وبين هؤلاء القوم.

وأولى القراءتين في ذلك عندها بالصّواب قراءة من قرأ «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً» بالألف، لأنّ القوم فيما ذُكر عنهم، إنّما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السّدّ، وقد بيّن ذلك بقوله: ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95] ولم يعرضوا عليه جِزْية رؤُوسهم. والخراج عند العرب هو الغلّة.

قال الزّجّاج(3): وتُقرأ «خَرَاجاً»، فمن قرأ ﴿خَرْجًا﴾.

فالخَرْج: الفَيْء، والخَراج: الضّريبة، وقيل: الجِزْية.

---

(1) معاني القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) معاني القرآن.

والخراج عند النّحويّين الاسم لما يُخرَج من الفرائض في الأموال، والخَرْج المصدر.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 22].

قال الزّمَخْشَريّ[1]: فإن قلت: ما معنى إخراج الثّمرات بالماء وإنّما خرجت بقدرته ومشيئته؟

قلت: المعنى أنّه جعل الماء سبباً في خروجها ومادّة لها، كماء الفحل في خلق الولد، وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلّها بلا أسباب ولا موادّ، كما أنشأ نفوس الأسباب والموادّ.

ولكن له في إنشاء الأشياء مَدْرَجاً لها من حال إلى حال، وناقلاً من مرتبة إلى مرتبة حِكَماً ودواعي يجدّد فيها لملائكته، والنّظّار بعيون الاستبصار من عباده عبرَاً وأفكاراً صالحة، وزيادة طمأنينة، وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته، ليس ذلك في إنشائها بغتةً من غير تدريج وترتيب.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27].

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: وهاهنا بحثان:

البحث الأوّل: قال الكعبيّ: هذه الآية حُجّة على من نسب خروج آدم وحوّاء وسائر وجوه المعاصي إلى الشّيطان؛ وذلك يدّل على أنّه تعالى بريءٌ منها.

فيقال له: لِمَ قلتم أنّ كون هذا العمل منسوباً إلى الشّيطان يمنع من كونه منسوباً إلى الله تعالى؟ ولِمَ لايجوز أن يقال: إنّه تعالى لمّا خلق القدرة والدّاعية الموجبتين لذلك العمل، كان منسوباً إلى الله تعالى؟ ولمّا أجرى عادته بأنّه يخلق

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

تلك الدّاعية بعد تزيين الشّيطان وتحسينه تلك الأعمال عند ذلك الكافر، كان منسوباً إلى الشّيطان.

البحث الثّاني: ظاهر الآية يدلّ على أنّه تعالى إنّما أخرج آدم وحوّاء من الجنّة، عقوبة لهما علة تلك الزّلّة، وظاهر قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

يدّل على أنّه تعالى خلقهما لخلافة الأرض، وأنزلهما من الجنّة إلى الأرض لهذا المقصود، فكيف الجمع بين الوجهين؟ وجوابه: أنّه ربّما قيل: حصل لمجموع الأمرين، والله أعلم.

● **قال تعالى**: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: 31].

قال الزّمَخْشَريّ[1]: فإن قلت: هلاّ أُدخل حرف العطف على ﴿أَخْرَجَ﴾.

قلت فيه وجهان: أحدهما: أن يكون معنى ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النَّازعَات: 30] بسطها ومهّدها للسّكنى، ثمّ فسّر التّمهيد بما لا بّد منه في تأتيّ سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب، وإمكان القرار عليها، والسّكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتاداً لها حتىّ تستقرّ ويستقرّ عليها.

والثّاني: أن يكون ﴿أَخْرَجَ﴾ حالاً بإضمار (قد).

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: 2].

قال عبد الجبّار[2]: وربّما قيل في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ أنّه يدلّ على أنّ إخراجهم من خلق الله. وربّما قيل أيضاً ما معنى ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ فسمّي خروجهم حشراً؟

---

(1) الكشاف. (2) متشابه القرآن.

وجوابنا أنّه تعالى لمّا فعل سبب إخراجهم أُضيف إليه أيضاً، ولمّا أمر بإخراجهم أُضيف إليه أيضًا ولذلك قال تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ [الحشر: 2].

وذلك لا يصحّ إلاّ والخروج من قبلهم، وإنّما سّماه حشراً من حيث وقع خروجهم على وجه الجمع والسّوق، كقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [صٓ: 19].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ. . .﴾ تعلّقوا به أنّ خروجهم يجب أن يكون خلقاً لله تعالى، وقد بيّنّا في مواضع أنّ ذلك يوجب أنّه تعالى يوصف به، لأنّه إن كان يوصف بأنّه أخرجهم من حيث خلق الإخراج الّذي هو خروجهم، فيجب أن يوصف الظّلم بأنّه ظلمهم، وهذا ممّا لا يقول به مسلم. ولو كان ذلك حقيقة لما جاز أن يصفهم فيقول: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ [الحشر: 2]، فيضيف الخروج إليهم.

فالمراد بذلك: أنّه تعالى لمّا أمر بإخراجهم، وتخريب منازلهم، وإجلائهم إلى الشّام، جاز أن يقول تعالى على طريق الامتنان على النّبيّ ﷺ، بهذا القول.

قال الماوَرْديّ[1]: والفرق بين الجلاء والإخراج - وإن كان معناهما في الإبعاد واحد - من وجهين: أحدهما: أنّ الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

الثّاني: أنّ الجلاء لا يكون إلاّ لجماعة، والإخراج يكون لجماعة ولواحد.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ. . .﴾ [التوبة: 40].

قال الماوَرْديّ[2]: يعني من مكّة، ولم يكن معه من يحامي عنه ويمنع منه إلاّ الله تعالى، ليُعلمهم بذلك أنّ نصره نبيّه ليس بهم فيضرّه انقطاعهم وقعودهم، وإنّما هو من قِبَل الله تعالى، فلم يضرّه قعودهم عنه.

(1) النكت والعيون.
(2) النكت والعيون.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: وأسند الإخراج إلى الكفّار، كما أسنده إليهم في قوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: 13]، لأنّهم حين همّوا بإخراجه أذن الله له في الخروج، فكأنّهم أخرجوه.

قال الألوسيّ[2]: من مكّة، وإسناد الإخراج إليهم إسناد إلى السّبب البعيد، فإنّ الله تعالى أذن له عليه الصّلاة والسّلام بالخروج حين كان منهم ما كان، فخرج صلّى الله تعالى عليه وسلّم بنفسه.

● **قال تعالى:** ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: 36].

قال الطّبَريّ[3]: يعني إبليس ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ لأنّه كان الّذي سبّب لهما الخطيئة الّتي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنّة.

قال ابن عَطيّة[4]: يحتمل وجوهاً

فقيل: أخرجهما من الطّاعة إلى المعصية.

وقيل: من نعمة الجنّة إلى شقاء الدّنيا.

وقيل: من رفعة المنزلة إلى سفل مكانة الذنّب. وهذا كلّه يتقارب.

● **قال تعالى:** ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: 5-6].

قال الطّبَريَ[5]: اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف الّتي في قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ وما الّذي شُبّه بإخراج الله نبيّه ﷺ من بيته بالحقّ.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصّواب، قول من قال في ذلك بقول مُجاهِد، وقال: معناه كما أخرجك ربّك بالحقّ على كُره من فريق من المؤمنين، كذلك

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.
(4) المحرر الوجيز.
(5) جامع البيان.

يجادلونك في الحقّ بعد ما تبيّن، لأن كلا الأمرين قد كان، أعني خروج بعض مَن خرج من المدينة كارهاً، وجد الهم في لقاء العدوّ، وعند دنوّ القوم بعضهم من بعض، فتشبيه بعض ذلك ببعض، مع قرب أحدهما من الآخر، أولى من تشبيهه بما بعُد عنه.

قال الفَرّاء[1]: (التّقدير: امض لأمرك في الغنائم ونفّل مَن شئت، وإن كرهوا كما أخرجك ربّك) هذا نصّ قوله في (هداية مكّيّ) رحمه الله، والعبارة بقوله: «امض لأمرك ونفّل من شئت، غير محرّرة، وتحرير هذا المعنى عندي أن يقال: إنّ هذه الكاف شُبّهت هذه القصّة الّتي هي إخراجه من بيته بالقصّة المتقدّمة الّتي هي سؤالهم عن الأنفال، كأنّهم سألوا عن النّفل وتشاجروا فأخرج الله ذلك عنهم، فكانت فيه الخيرة كما كرهوا في هذه القصّة انبعاث النّبيّ ﷺ فأخرجه الله من بيته، فكانت في ذلك الخيرة، فتشاجرهم في النّفل بمثابة كراهيتهم هاهنا للخروج، وحكم الله في النفّل بأنّه لله وللرّسول دونهم هو بمثابة إخراجه نبيّه ﷺ من بيته، ثمّ كانت الخيرة في القصّتين فيما صنع الله.

وعلى هذا التّأويل يمكن أن يكون قوله: ﴿يُجَـٰدِلُونَكَ﴾ كلاماً مستأنفاً يراد به الكفّار، أي يجادلونك في شريعة الإسلام من بعد ما تبيّن الحقّ فيها، كأنّما يساقون إلى الموت في الدّعاء إلى الإيمان. وهذا الّذي ذكرت من أنّ ﴿يُجَـٰدِلُونَكَ﴾ في الكفّار منصوص.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ...﴾.

قال الطّبَريّ[2]: فإنّه يعني بذلك المهاجرين الّذين أُخرجوا من ديارهم ومنازلهم لمكّة، فقال لهم تعالى ذكره: أخرِجوا هؤلاء الّذين يقاتلونكم - وقد أخْرَجوكم من دياركم - من مساكنهم وديارهم كما أخْرَجوكم منها.

---

(1) معاني القرآن. (2) جامع البيان.

قال البغويّ[1]: أخْرِجوهم من ديارهم كما أخْرَجوكم من دياركم.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: أي من مكّة، وقد فعل رسول الله ﷺ بمن لم يُسلم منهم يوم الفتح.

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ [الأنعام: 99].

قال الطّبَريّ[3]: فأخرجنا بالماء الّذي أنزلناه من السّماء من غذاء الأنعام والبهائم والطّير والوحش، وأرزاق بني آدم وأقواتهم، ما يتغدّون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون. وإنّما معنى قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ فأخرجنا به ما ينبت به كلّ شيء وينمو عليه ويصلح. ولو قيل: معناه فأخرجنا به نبات جميع أنواع النّبات، فيكون ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ هو أصناف النّبات، كان مذهباً، وإن كان الوجه الصّحيح هو القول الأوّل.

قال أبو السُّعود[4]: التفات إلى التّكلّم، إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أُنزل الماء لأجله، أي فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته.

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57].

قال الطّبَريّ[5]: فإنّه يقول تعالى ذكره: كما نُحيي هذا البلد الميّت بما نُنزل به من الماء الّذي نُنزله من السّحاب، فنُخرج به من الثّمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله، كذلك نُخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم ودروس آثارهم.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) جامع البيان.

قال الزّجّاج(1): جائز أن يكون فأنزلنا بالسّحاب الماء فأخرجنا به، من كلّ الثّمرات.

الأحسن - والله أعلم - فأخرجنا بالماء من كلّ الثّمرات. وجائز أن يكون فأخرجنا بالبلد من كلّ الثّمرات، لأنّ البلد ليس يُخَصّ به هاهنا بلد سوى سائر البلدان.

وقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: مثل ذلك الإخراج الّذي أشرنا إليه نُخرج الموتى.

قال الزّمَخْشَريّ(2): ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ. . .﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج، وهو إخراج الثّمرات. ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. . .

فيؤدّيكم التّذكّر إلى أنّه لا فرق بين الإخراجين؛ إذ كلّ واحد منهما إعادة للشّيء بعد إنشائه.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: 53].

قال البغَويّ(3): يعني المطر، ثمّ الإخبار عن موسى، ثمّ أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بذلك الماء.

قال الزّمَخْشَريّ(4): انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلّم المطاع، لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنّه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لايمتنع شيء على إرادته.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 99]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾

(1) معاني القرآن.
(2) الكشاف.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

[فـــاطـــر: 27]، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60].

وفيه تخصيص أيضاً بأنّا نحن نقدر على مثل هذا، ولا يدخل تحت قدرته أحد.

قال ابن عَطيّة[1]: يحمل أن يكون كلام موسى تمّ عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ثمّ وصل الله تعالى كلام موسى بإخباره لمحمّد ﷺ والمراد الخلق أجمع، فهذه الآيات المنبّهة عليها.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ [فاطر: 27].

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: هذا استدلال على قدرة الله واختياره؛ حيث أخرج من الماء الواحد ثمرات مختلفة، وفيه لطائف:

الأُولى: قال: ﴿أَنزَلَ﴾ وقال: ﴿أَخْرَجْنَا﴾ وقد ذكرنا فائدته ونعيدها، فنقول: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ﴾ فإن كان جاهلاً يقول: نزول الماء بالطّبع لثقله، فيقال له: فالإخراج لا يمكنك أن تقول فيه: إنّه بالطّبع، فهو بإرادة الله، فلمّا كان ذلك أظهر أسنده إلى المتكلّم.

ووجه آخر: هو أنّ الله تعالى لمّا قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ﴾ علم الله بدليل، وقرب المتفكّر فيه إلى الله تعالى فصار من الحاضرين، فقال له: ﴿أَخْرَجْنَا﴾ لقربه.

ووجه ثالث: الإخراج: أتمّ نعمةً من الإنزال، لأنّ الإنزال لفائدة الإخراج، فأسند الأتمّ إلى نفسه بصيغة المتكلّم، وما دونه بصيغة الغائب.

قال أبو حَيّان[3]: وخرج من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلّم في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ لما في ذلك من الفخامة؛ إذ هو مسند للمعظم المتكلّم.

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) التفسير الكبير.
(3) البحر المحيط.

● **قال تعالى:** ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يسٓ: 33].

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: إن قلنا: إنّ الآية مذكورة للاستدلال على جواز إحياء الموتى، فيكفي قوله: ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ ولا حاجة إلى قوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ وغير ذلك، وإن قلنا: إنّها للاستدلال على وجود الإله ووحدته، فلا فائدة في قوله: ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ لأنّ نفس الأرض دليل ظاهر وبرهان باهر، ثمّ هَبْ أنّها غير كافية، فقوله: ﴿ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ كاف في التّوحيد فما فائدة قوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾.

نقول: مذكور للاستدلال عليها، ولكلّ ما ذكره الله تعالى فائدة.

أمّا قوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ فله فائدة بالنّسبة إلى بيان إحياء الموتى؛ وذلك لأنّه لمّا أحيا الأرض وأخرج منها حبّاً كان ذلك إحياءً تامّاً، لأنّ الأرض المخضرّة الّتي لا تنبت الزّرع ولا تخرج الحبّ دون ما تنبته في الحياة، فكأنّه قال تعالى: الّذي أحيا الأرض إحياءً كاملاً منبتاً للزّرع، يُحيي الموتى إحياءً كاملاً بحيث تُدرك الأُمور.

قال الألوسي[2]: أي جنس الحبّ من الحنطة والشّعير والأُرزّ وغيرها، والنّكرة قد تعمّ، كما إذا كانت في سياق الامتنان أو نحوه.

وفي ذكر الإخراج وكذا الجعل الآتي تنبيه على كمال الإحياء.

● **قال تعالى:** ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 35].

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: فيه فائدتان:

إحداهما: بيان القدرة والاختيار، فإنّ من يقول بالاتّفاق يقول: يصيب البرّ والفاجر، فلمّا ميزّ الله المجرم عن المحسن دلّ على الاختيار.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.
(3) التفسير الكبير.

ثانيهما: بيان أنّه ببركة المحسن ينجو المسيء، فإنّ القرية ما دام فيها المؤمن لم تهلك، والضّمير عائد إلى القرية وهي معلومة وإن لم تكن مذكورة.

قال أبو السُّعود[1]: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الإجمال، بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام من الكلام. والفاء فصيحة مفصحة عن جُمَل قد حُذفت ثقةً بذكرها في مواضع أُخر، كأنّه قيل: فباشروا ما أُمروا به فأخرجنا بقولنا:

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ...﴾ [هود: 81]، ﴿مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى...﴾ [آل عمران: 195]..

قال ابن عَطيّة[2]: عبارة إلزام ذنب للكفّار؛ وذلك أنّ المهاجرين إنّما أخرجهم سوء العشرة وقبيح الأفعال فخرجوا باختيارهم، فإذا جاء الكلام في مضمار إلزام الذّنب للكفّار قيل:

أُخرجوا من ديارهم، وإخراج أهله منه أكبر عند الله، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وإذا جاء الكلام في مضمار الفخر والقوّة على الأعداء، تمسّك بالوجه الآخر من: أنّهم خرجوا برأيهم، فمن ذلك إنكار النّبيّ ﷺ على أبي سفيان بن الحارث حين أنشده:

(وردّني... إلى الله من طرّدت كلّ مطرّد)

فقال له رسول الله ﷺ أنت طرّدتني كلّ مطرّد؟ إنكاراً عليه....

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: المراد من قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: الّذين اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرّسول ﷺ

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.

والمراد من اَلّذين ﴿أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ الّذين ألجأهم الكفّار إلى الخروج.

ولا شكّ أنّ رتبة الأوّلين أفضل، لأنّهم اختاروا خدمة الرّسول ﷺ وملازمته على الاختيار، فكانوا أفضل.

● **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ...﴾ [الحج: 40].

قال ابن عَطيّة(1): يريد كلّ من نبت به مكّة وآذاه أهلها، حتىّ أُخرجوا بإذايتهم طائفة إلى الحبشة، وطائفة إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفّار، لأن الكلام في معرض تقرير الذّنب وإلزامه.

قال القُرطُبيّ(2): هذا أحد ما ظُلِموا به، وإنّما أُخرجوا لقولهم: ربّنا الله وحده. فقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ...﴾ استثناء منقطع، أي لكن لقولهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾، قاله سيبَويه.

● **قال تعالى:** ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ...﴾ [الحشر: 8].

قال القُرطُبيّ(3): ومعنى ﴿مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أي: أخرجهم كفّار مكّة، أي أحوَجُوهم إلى الخروج، وكانوا مائة رجل.

قال الألوسي(4): حيث اضطرّهم كفّار مكّة وأحوجُوهم إلى الخروج فخرجوا منها، وهذا وصف باعتبار الغالب، وقيل: كان هؤلاء مائة رجل.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ...﴾ [البقرة: 246].

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) روح المعاني.

قال الطّبَريّ[1]: بالقهر والغلبة.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: وذلك أنّ قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحرِ الرّوم بين مصر وفلسطين، فأسروا مِن أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين.

قال البَيْضاويّ[3]: أي أيّ غرض لنا في ترك القتال، وقد عرض لنا ما يوجبه وبحثّ عليه من الإخراج عن الأوطان والإفراد عن الأولاد.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ...﴾ [البقرة: 61]..

قال الزّجّاج[4]: ﴿يُخۡرِجۡ﴾ مجزوم، وفيه غير قول:

قال بعض النّحويّين: المعنى سَلْهُ وقل له: أخرِجْ لنا يُخرِجْ لنا (هو) وقال في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [الإسراء: 53].

قالوا: المعنى قل لهم: قولوا الّتي هي أحسن أن يقولوا.

وقال قوم: معنى ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا﴾ معنى الدّعاء كأنّه قال: أخرج لنا، وكذلك: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: 31].

المعنى قل لعبادي: أقيموا، ولكنّه صار قبله (أُدْعُ) و(قُلْ) فجُعل بمنزلة جواب الأمر.

وكلا القولين مذهب. ولكنّه على الجواب أجود، لأنّ ما في القرآن من لفظ الأمر الّذي ليس معه جازم مرفوع.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾... ثمّ جاء بعد تمام الآية: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ [الصف: 11 و12] المعنى آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يغفر لكم.

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) معاني القرآن.

قال البَيْضاويّ[1]: يُظهر لنا ويوجِد، وجزمه بأنّه جواب ﴿فَادْعُ﴾ فإنّ دعوته سبب الإجابة.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ. . .﴾ [الأنعام: 95].

قال رشيد رضا[2]: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ كالحبّ والنّوى من النّبات، والبيضة والنّطفة من الحيوان، وهذا قيل: إنّه عطف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ لأنّ الأصل في الكلام الفصيح أن يُعطَف الاسم على الاسم، ولأنّ إخراج الميّت من الحيّ لا يدخل في بيان فلق الحبّ والنّوى.

وقيل: إنّه عطف على ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ سواء كان بياناً لما قبله أو خبراً بعد خبر، لأنّ التّناسب بين هذين الأمرين المتقابلين أقوى من التّناسب بين الثّاني وبين فلق الحبّ والنّوى.

ولذلك وردا بصيغة الفعل في سورتي [يونس: 31] و[الرّوم: 19] ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الأنعام: 95] وقد حسن عطف اسم الفاعل ﴿مُخْرِجٌ﴾ [البَقَرَة: 72] على الفعل ﴿يُخْرِجُ﴾ لنكتة بيان التّفاوت بين الأمرين، مع كون اسم الفاعل بمعنى فعل المضارع، فإنّ مخرج الشّيء هو الّذي يُخرجه في الحال أو الاستقبال، ولكن هذا الفعل يدلّ أيضاً على التّجدّد والاستمرار.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25].

قال الزّمَخْشَريّ[3]: وفي إخراج الخَبْء أمارة على أنّه من كلام الهُدهُد، لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض؛ وذلك بإلهام من يُخرج الخَبْء في

(1) أنوار التنزيل.
(2) تفسير المنار.
(3) الكشاف.

السّماوات والأرض جلّت قدرته ولَطُف علمه، ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النّظّار بنور الله، مخائل كلّ مختصّ بصناعة أو فنّ من العلم في إروائه ومنطقه وشمائله، ولهذا ورد: (ما عمل عبد عملاً إلاّ ألقى الله عليه رداء عمله).

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: الآية دلّت على وصف الله تعالى بالقدرة والعلم: أمّا القدرة فقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وسمّي المخبوء بالمصدر، وهو يتناول جميع أنواع الأرزاق والأموال، وإخراجه من السّماء بالغيث، ومن الأرض بالنّبات. وأمّا العلم فقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النّمل: 25].

واعلم أنّ المقصود من هذا الكلام الرّدّ على من يعبد الشّمس. وتحرير الدّلالة هكذا: الإلٰه يجب أن يكون قادراً على إخراج الخَبْء وعالماً بالخفيّات، والشّمس ليست كذلك، فهي لا تكون إلٰهاً، وإذا لم تكن إلٰهاً لم يجز السّجود لها.

أمّا أنّه سبحانه وتعالى يجب أن يكون قادراً عالماً على الوجه المذكور، فلمّا أنّه واجب لذاته فلا تختص قادريّته وعالميّته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض.

وأمّا أنّ الشّمس ليست كذلك، فلأنّها جسم متناه، وكلّ ما كان متناهياً في الذّات، كان متناهياً في الصّفات، وإذا كان كذلك فحينئذ لا يعلم كونها قادرة على إخراج الخَبْء عالمة بالخفيّات، فإذا لم يعلم من حالها ذلك، لم يعلم من حالها كونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضّار. فرجع حاصل الدّلالة إلى ما ذكره إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 42]. وفي قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ [النمل: 25].

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: 29].

---

(1) التفسير الكبير.

قال الطّبَريّ[1]: أحسب هؤلاء المنافقون - الّذين في قلوبهم شكّ في دينهم، وضعف في يقينهم، فهم حيارى في معرفة الحقّ - أن لن يُخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين، فيُبديه لهم ويُظهره، حتّى يعرفوا نفاقهم وحيرتهم في دينهم؟.

قال الفَخْر الرّازيّ[2]: [احتمل أن يكون (أَمْ) منقطعة أو استفهاميّة ثمّ قال:]

فكأنّه تعالى قال: أحسب الّذين كفروا أن لن يعلم الله أسرارهم، أم حسب المنافقون أن لن يُظهرها، والكلّ قاصر، وإنّما يعلمها ويُظهرها.

ويؤيّد هذا أنّ المنقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام، فلا يقال ابتداءً: (بل جاء زيد، ولا أم جاء عمر) والإخراج: بمعنى الإظهار، فإنّه إبراز.

قال القُرطُبيّ[3]: أم حسبوا أن لن يُظهر الله عداوتهم وحقدهم لأهل الإسلام.

● **قال تعالى**: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾ [محمد: 37].

قال الطّبَريّ[4]: يقول: ويُخرج جلّ ثناؤه - لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم - أضغانكم. قد علم الله أنّ في مسألته المال خروج الأضغان.

قال الزّمَخْشَريّ[5]: أي تضطغنون على رسول الله ﷺ وتضيق صدوركم لذلك، وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم. والضّمير في «يُخْرِجْ» لله عزّوجلّ، أي: يضغنكم بطلب أموالكم، أو للبخل لأنّه سبب الاضطغان. وقرئ نُخرج بالنّون، ويخرج بالياء والتّاء مع فتحهما ورفع (اَضْغَانُكُمْ).

قال ابن عَطيّة[6]: أي: يُبديها من مكانها في نفوسهم.

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) المحرر الوجيز.

● **قال تعالى:** ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: 110].

قال ابن عَطيّة[1]: يعنون بأنّه يحكم فيكم بنقل رعيّتكم في بني إسرائيل، فيفضي ذلك إلى خراب دياركم إذا ذهب الخدمة والعمرة، وأيضاً فلا محالة أنّهم خافوا أن يقاتلهم وجالت ظنونهم كلّ مجال.

قال أبو حَيّان[2]: استشعرت نفوسهم ما صار إليه أمرهم من إخراجهم من أرضهم، وخلّوا مواطنهم منهم، وخراب بيوتهم، فبادروا إلى الإخبار بذلك، وكان الأمر كما استشعروا؛ إذ غرّق الله فرعون وآله، وأخلى منازلهم منهم، ونبّهوا على هذا الوصف الصّعب الّذي هو معادل لقتل الأنفس.

كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: 66].

وأراد به إخراجهم: إمّا بكونه يحكم فيكم بإرسال خَدَمكم وعُمّار أرضكم معه؛ حيث يسير فيفضي ذلك إلى خراب دياركم. وإمّا بكونهم خافوا منه أن يقاتلهم بمن يجتمع إليه من بني إسرائيل، ويغلب على ملكهم.

● **قال تعالى:** ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: 35].

قال الطّبَريّ[3]: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشّام بقهره إيّاكم بالسّحر. وإنّما قال: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ فجعل الخطاب للملإ حوله من القِبْط، والمعنيّ به بنو إسرائيل، لأنّ القِبْط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، واتّخذوهم خدَماً لأنفسهم ومُهَاناً، فلذلك قال لهم: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ وهو يريد أن يخرج

(1) المحرر الوجيز.
(2) البحر المحيط.
(3) جامع البيان.

خدَمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشّام. وإنّما قلت: معنى ذلك كذلك، لأنّ الله إنّما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه، فقال له ولأخيه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: 16-17].

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: وهذا يجري مجرى التّنفير عنه، لئلاّ يقبلوا قوله، والمعنى: يريد أن يخرجكم من أرضكم بما يلقيه بينكم من العداوات، فيفرّق جمعكم. ومعلوم أنّ مفارقة الوطن أصعب الأُمور، فنفّرهم عنه بذلك، وهذا نهاية ما يفعله المبطل في التّنفير عن المحقّ.

قال أبو حَيّان[2]: ليقويّ تنفيرهم عنه وابتغاؤهم الغوائل له، وأن لا يقبلوا قوله؛ إذ من أصعب الأشياء على النّفوس مفارقة الوطن الّذي نشؤوا فيه.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

قال ابن عاشور[3]: والتّعبير بالمضارع في: «يُثبِتُوكَ»، و﴿يَقْتُلُوكَ﴾، و﴿يُخْرِجُوكَ﴾، لأنّ تلك الأفعال مستقبلة بالنّسبة لفعل المكر؛ إذ غاية مكرهم تحصيل واحد من هذه الأفعال.

وأشارت الآية إلى تردّد قريش في أمر النبيّ ﷺ حين اجتمعوا للتّشاور في ذلك بدار النَّدْوَة، في الأيّام الأخيرة قُبَيْل هجرته. فقال أبو البُختريّ: إذا أصبح فأثبتوه بالوِثائق وسُدّوا عليه باب بيت غير كُوّة تُلقُون إليه منها الطّعام. وقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كلّ بطن في قريش فتىً جَلْدًا فيجتمعون، ثمّ يأخذ كلّ واحد منهم سيفاً، ويأتون محمّداً في بيته، فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش بأسرها، فيأخذون العَقْل ونستريح منه.

(1) التفسير الكبير.
(2) البحر المحيط.
(3) التحرير والتنوير.

● قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 76].

قال ابن عاشور[1]: وقوله: ﴿يُخْرِجُوكَ﴾ تعليل للاستفزاز، أي: استفزازاً لقصد الإخراج. والمراد بالإخراج: مفارقة المكان دون رجوع، وبهذا الاعتبار جعل علّة للاستفزاز، لأن الاستفزاز أعمّ من الإخراج.

قال العزّ بن عبد السلام[2]: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ يقتلونك، أو يزعجونك باستخفاف، أراد اليهود إخراجه من المدينة فقالوا: أرض الأنبياء الشام وليست هذه أرض الأنبياء، أو أرادت قريش إخراجه من مكة قبل هجرته، أو أرادوا إخراجه من جزيرة العرب كلها لأنهم قد أخرجوه من مكة ﴿خِلَٰفَكَ﴾ و﴿خِلَٰفَكَ﴾ بعد ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ما بين إخراجهم له إلى أن قُتلوا ببدر إن جعلناهم قريشاً، أو ما بين ذلك وقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير إن جعلناهم اليهود.

● قال تعالى: ﴿. . . وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي . . .﴾ [المائدة: 110].

قال الماوَرْديّ[3]: يعني واذكر نعمتي عليك؛ إذ تدعوني أن أُحيي الموتى، فأجيب دعاءك، حتّى تخرجهم من القبور أحياء، ونسب إليه ذلك توسّعاً أيضاً لأجل دعائه، ويجوز أن ينسب إخراجهم إليه حقيقة، لأنّ إخراجهم من قبورهم بعد إحياء الله لهم يجوز أن يكون من فعل المسيح.

قال الفَخْر الرّازيّ[4]: أي وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء، ﴿بِإِذْنِي﴾ أي: بفعلي ذلك عند دعائك، وعند قولك للميّت: اخرج بإذن الله من قبرك.

وذكر (الإذن) في هذه الأفاعيل، إنّما هو على معنى إضافة حقيقة الفعل إلى

(1) التحرير والتنوير.
(2) التفسير العظيم.
(3) النكت والعيون.
(4) التفسير الكبير.

الله تعالى، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، أي: إلاّ بخلق الله الموت فيها.

قال أبو حيّان[1]: والتّقدير في: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ تُحيي الموتى، فعبّر بالإخراج عن الإحياء، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ بعد قوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [ق: 11] أو يكون التقدير: وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء.

● **قال تعالى**: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].

قال الطّبَريّ[2]: لتهديهم به من ظلمات الضّلاله والكفر، إلى نور الإيمان وضيائه، وتُبصّر به أهل الجهل والعَمى سُبُل الرّشاد والهدى.

قال الفَخْر الرّازيّ[3]: قالت المعتزلة: اللاّم في قوله: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ لام الغرض والحكمة، وهذا يدلّ على أنّه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذا الغرض؛ وذلك يدلّ على أنّ أفعال الله تعالى وأحكامه معلّلة برعاية المصالح.

أجاب أصحابنا عنه: بأنّ من فعل فعلاً لأجل شيء آخر، فهذا إنّما يفعله لو كان عاجزاً عن تحصيل هذا المقصود، إلاّ بهذه الواسطة؛ وذلك في حقّ الله تعالى محال، وإذا ثبت بالدّليل أنّه يمتنع تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه بالعلل، ثبت أنّ كلّ ظاهر أشعر به، فإنّه مؤوّل محمول على معنى آخر.

قال القُرطُبيّ[4]: أي بالكتاب، وهو القرآن، أي: بدعائك إليه. ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر والضّلالة والجهل إلى النور والإيمان والعلم. وهذا على التّمثيل، لأنّ الكفر بمنزلة الظّلمة؛ والإسلام بمنزله النّور.

وقيل: من البدعة إلى السّنّة، ومن الشّكّ إلى اليقين، والمعنى متقارب.

---

(1) البحر المحيط.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

● قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: 84].

قال الفَخْر الرّازيّ(1): ففيه وجهان:

الأوّل: لا تفعلوا ما تستحقّون بسببه أن تخرجوا من دياركم.

الثّاني: المراد النّهي عن إخراج بعضهم بعضاً من ديارهم، لأنّ ذلك ممّا يعظم فيه المحنة والشّدّة حتّى يقرب من الهلاك.

قال البَيْضاويّ(2): والمراد به: أن لا يتعرّض بعضهم بعضاً بالقتل والإجلاء عن الوطن، وإنّما جعل قتل الرّجل غيره قتل نفسه، لاتّصاله به نَسباً أو ديناً، أو لأنّه يوجبه قصاصاً. وقيل: معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم، أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبديّة، فإنّه القتل في الحقيقة، ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنّة الّتي هي داركم، فإنّه الجلاء الحقيقيّ.

قال أبو حَيّان(3): معناه: لا يخرج بعضكم بعضاً، أو لا تُسيئوا جوار مَن جاوركم، فتلجئوهم إلى الخروج من دياركم، أو لا تفعلوا ما تخرجون به أنفسكم من الجنّة التي هي داركم، أو لا تخرجون أنفسكم، أي: إخوانكم، لأنّكم كنفس واحدة، أو لا تفسدوا، فيكون سبباً لإخراجكم من دياركم، كأنّه يشير إلى تغريب الجاني، أو لا تفسدوا وتشاقّوا الأنبياء والمؤمنين، فيكتب عليكم الجلاء، أقوال ستّة.

● قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ [الإسراء: 13]

---

(1) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

(3) البحر المحيط.

قال الزّجّاج(1): في هذه أربعة أوجه: وتُخرَجُ له، ويُخرِجُ له، أي: ويُخرِج الله له. ويَخرُجُ له، أي: ويخرج عمله له يوم القيامة كتاباً، وكذلك يخرج له عمله يوم القيامة.

قال الفَخْر الرّازيّ(2): أي: من قبره، يجوز أن يكون معناه: نُخرج له ذلك، لأنّه لم ير كتابه في الدّنيا، فإذا بعث أظهر له ذلك وأخرج من السّتر. وقرأ يعقوب: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾ [الإسراء: 13] أي: يخرج له الطّائر، أي: عمله كتاباً منشوراً، كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10].

قال ابن عاشور(3): وعطف جملة: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾ إخبار عن كون تلك الأعمال المعبّر عنها بالطّائر، تظهر يوم القيامة مفصّلة معيّنة، لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة، إلاّ أحصيت للجزاء عليها.

● **قال تعالى**: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55].

قال الطّبَريّ(4): ومن الأرض نُخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فنُنشئكم منها، كما أنشأناكم أوّل مرّة.

قال الواحديّ(5): عند البعث، كما أخرجكم أوّلاً عند خلق آدم من الأرض.

قال الزّمَخْشَريّ(6): وأراد بإخراجهم منها، أنّه يؤلّف أجزاءهم المتفرّقة المختلطة بالتّراب، ويردّهم كما كانوا أحياء، ويخرجهم إلى المحشر ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: 43].

● **قال تعالى**: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: 35].

(1) معاني القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) التحرير والتنوير.
(4) جامع البيان.
(5) الوجيز.
(6) الكشاف.

قال أبو السُّعود[1]: أي: من النّار. وقُرئ ﴿يُخْرَجُونَ﴾ من الخروج. والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة، أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النّار.

قال المَراغيّ[2]: أي: فاليوم لا يخرجون من النّار، ولا هم يُردّون إلى الدّنيا، ليتوبوا ويراجعوا الإنابة ممّا عوقبوا عليه.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25].

قال الطّبَريّ[3]: يقول: ومن الأرض يُخرجكم ربّكم، ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء.

قال أبو حَيّان[4]: أي: إلى المجازاة بالثّواب والعقاب. وهذا كقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55]. وقرأ الأخوان وابن ذكوان (تخرجون) مبنيًّا للفاعل هنا، وفي الجاثية والزّخرف وأوّل الرّوم. وعن ابن ذكوان في أوّل الروم خلاف، وقرأ باقي السّبعة مبنياً للمفعول.

● **قال تعالى**: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: 80].

قال الماوَرْديّ[5]: أدخلني فيما أمرتني به من طاعتك مُدخَل صدق، وأخرجني ممّا نهيتني عنه من معاصيك مُخرَج صدق، قاله بعض المتأخّرين.

قال الزّمَخْشَريّ[6]: قُرئ (مدخَل ومخرَج) بالضّمّ والفتح بمعنى المصدر. ومعنى الفتح: أدْخِلني فأدخُل مَدخَل صدق، أي: أدخلني القبر مَدخَل صدق

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير المراغي.
(3) جامع البيان.
(4) البحر المحيط.
(5) النكت والعيون.
(6) الكشاف.

إدخالاً مرضيًّا على طهارة وطيب من السّيّئات. وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضيًّا مُلقى بالكرامة، آمنًا من السّخط، يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث.

وقيل: نزلت حين أُمر بالهجرة، يريد إدخال المدينة والإخراج من مكّة.

وقيل: إدخاله مكّة ظاهراً عليها بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين.

وقيل: إدخاله الغار، وإخراجه منه سالماً.

وقيل: إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النّبوة، وإخراجه منه مؤدّياً لما كلّفه من غير تفريط.

وقيل: الطّاعة. وقيل: هو عامّ في كلّ ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ. . .﴾ [الأنعام: 93].

قال الطّبَريّ(1): فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ﴾ ونفوس بني آدم إنّما يُخرجها من أبدان أهلها ربّ العالمين؟فكيف خوطب هؤلاء الكفّار، وأُمروا في حال الموت بإخراج أنفسهم؟ فإن كان ذلك كذلك، فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم! قيل: إنّ معنى ذلك بخلاف الّذي إليه ذهبت، وإنّما ذلك أمرٌ من الله على ألسن رُسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم، بأداء ما أسكنها ربّها من الأرواح إليه، وتسليمها إلى رُسله الّذين يتوفّونها.

قال الواحديّ(2): أي يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ﴾، قال المفسّرون: إنّ نفس المؤمن تنشط للخروج للقاء ربّه، ونفس الكافر تكره ذلك، ويشقّ عليها الخروج، لأنّها تصير إلى أشدّ العذاب، فهؤلاء الكفّار تكرههم الملائكة على نزع الرّوح كُرهاً.

(1) جامع البيان. (2) الوجيز.

قال الزّمَخْشَريّ[1]: يبسطون إليهم أيديهم، يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم. وهذه عبارة عن العُنف في السّياق، والإلحاح والتّشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال، وأنّهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلّط، يبسط يده إلى من عليه الحقّ، ويعنف عليه في المطالبة، ولا يُمهله، ويقول له: أخْرِج إليّ ما لي عليك السّاعة، ولا أُريم مكاني حتّى أُنزعه من أحداقك.

وقيل: معناه باسطو أيديهم عليهم بالعذاب، ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ خلّصوها من أيدينا، أي: لا تقدرون على الخلاص.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰءْتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72].

قال الطّبَريّ[2]: يعني بقوله: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: والله مُعلن ما كنتم تُسّرونه من قتل القتيل، الّذي قتلتم، ثمّ ادّارأتم فيه.

ومعنى الإخراج في هذا الموضع، الإظهار والإعلان لمن خفي ذلك عنه، واطّلاعهم عليه، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: 25]، يعني بذلك: يُظهره ويطّلعه من مَخبئه بعد خفائه. والّذي كانوا يكتمونه فأخرجه، هو قتل القاتل القتيلّ، لما كتم ذلك، القاتل ومَن عَلمه ممّن شايعه على ذلك، حتّى أظهره الله وأخرجه، فأعلن أمره لمن لا يعلم أمره.

قال الزّمَخْشَريّ[3]: مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل، لا يتركه مكتوماً.

فإن قلت: كيف أعمَل مُخرِج وهو في معنى المضيّ؟

(1) الكشاف.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

قلت: وقد حكى ما كان مستقبلاً في وقت التّدارؤ، كما حكى الحاضر في قوله: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ﴾ [الكهف: 18]. وهذه الجمله اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وهما: «ادَّارَأْتُمْ» و﴿قَتَلۡتُمۡ﴾.

● **قال تعالى:** ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر: 48].

قال الطّبَريّ(1): وما هم من الجنّة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بُمخرَجين، بل ذلك دائم أبداً.

قال الألوسيّ(2): أي: هم خالدون فيها، فالمراد استمرار النّفي؛ وذلك لأنّ إتمام النّعمة بالخلود. وهذا متكرّر مع (آمِنينَ) إن أُريد منه الأمن من زوالهم عن الجنّة وانتقالهم منها، وارتكب ذلك للاعتناء والتّأكيد. وإن أُريد به الأمن من زوال ما هم عليه من النّعيم والسّرور والصّحة لا يتكرّر. وبحث بعضهم في لزوم التّكرار بأنّ الأمن من الشّيء لا يستلزم عدم وقوعه، كأمن الكفرة من مكر الله تعالى مثلاً، وأنّه يجوز أن يكون المراد: زوال أنفسهم بالموت لا الزّوال عن الجنّة. وتعقّب بأنّ الثّاني في غاية البعد، فإنّه لا يقال للميّت: إنّه فيها، وإن دُفن بها كالأوّل، فإن الله تعالى إذا بشّرهم بالأمن منه كيف يتوهّم عدم وقوعه.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشّعَراء: 167].

قال الزّمَخْشَريّ(3): من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردنا من بلدنا. ولعلّهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوَء حال، من تعنيف به، واحتباس لأملاكه، وكما يكون حال الظّلمة إذا أجلَوا بعض من يغضبون عليه، وكما كان يفعل أهل مكّة بمن يريد المهاجرة.

---

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) الكشاف.

قال أبو حَيّان[1]: ولمّا نهاهم عن هذا الفعل القبيح توعّدوه بالإخراج، وهو النّفي من بلده الّذي نشأ فيه، أي ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن دعواك النّبوّة، وعن الإنكار علينا فيما نأتيه من الذُّكران، لننفينّك، كما نفينا من نهانا قبلك. ودلّ قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ على أنّه سبق من نهاهم عن ذلك، فنفوه بسبب النّهي، أو من المُخْرَجينَ بسبب غير هذا السّبب، كأنّه من خالفهم في شيء نفوه، سواء كان الخلاف في الفعل الخاصّ، أم في غيره.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 240].

قال الطّبَريّ[2]: وقوله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فإنّ معناه أنّ الله تعالى ذكره جعل ما جعل لهنّ من الوصيّة متاعاً منه لهنّ إلى الحول، لا إخراجاً من مسكن زوجها، يعني: لا إخراج فيه منه حتّى ينقضي الحول. فنُصب (غَيْر) على النعت لـ (المتاع) كقول القائل: هذا قيام غير قعود، بمعنى: هذا قيام لا قعود معه، أو لا قعود فيه.

وقد زعم بعضهم أنّه منصوب بمعنى: لا تخرجوهنّ إخراجاً؛ وذلك خطأ من القول، لأنّ ذلك إذا نُصب على هذا التّأويل، كان نصبه من كلام آخر غير الأوّل، وإنّما هو منصوب بما نصب (المتاع) على النّعت له.

قال الزّمَخْشَريّ[3]: مصدر مؤكّد، كقولك: هذا القول غير ما تقول، أو بدل من ﴿مَّتَٰعًا﴾، أو حال من الأزواج، أي: غير مُخرَجات.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ. . .﴾ [التوبة: 13].

قال الطّبَريّ[4]: من بين أظهرهم فأحرجوه.

---

(1) البحر المحيط.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.

قال البغَويّ[1]: من مكّة، حين اجتمعوا في دار النَّدْوَة.

قال الزّمَخْشَريّ[2]: من مكّة، حين تشاوروا في أمره بدار النَّدْوَة، حتّى أذن الله تعالى في الهجرة فخرج بنفسه.

● قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ. . .﴾ [يوسف: 76].

قال الطّبَريّ[3]: واختلف أهل العربيّة في الهاء والألف اللّتين في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾، فقال: بعض نحويّي البصرة: هي من ذكر «الصّواع».

قال: وأنّت، وقد قال: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يُوسُف: 72] لأنّه عنى (الصّواع)، قال: و(الصّواع) مذكّر، ومنهم من يؤنّث (الصّواع) وعنى هاهنا (السّقاية) وهي مؤنّثة.

قال: وهما اسمان لواحد، مثل (الثّوب) و(الملحفة) مذكّر ومؤنّث لشيء واحد.

وقال بعض نحويّي الكوفة في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ ذهب إلى تأنيث (السّرقة)، قال: وإن يكن (الصّواع) في معنى (الصّاع) فلعلّ هذا التّأنيث من ذلك، قال: وإن شئت جعلته لتأنيث السّقاية.

قال: و(الصّواع) ذكر، و(الصّاع) يؤنّث ويذكّر، فمن أنّثه قال: ثلاث أصْوُع، مثل ثلاث أدْوُر، ومن ذكّره قال: (أصواع) مثل أبواب.

وقال آخر منهم: إنّما أنّث (الصّواع) حيث أنّث، لأنّه أُريدت به (السّقاية)، وذُكّر حين ذُكّر، لأنّه أُريد به (الصّواع).

قال: وذلك مثل (الخوان) و(المائدة) و(سنان الرّمح) و(عاليته) وما أشبه ذلك من الشّيء الّذي يجتمع فيه اسمان: أحدهما مذكّر، والآخر مؤنّث.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

خردل

(خردل - حبة - ذرة - فتيل - قطمير - نقير - نواة - هباء)

■ **الخَرْدَلَةُ:** واحدة من فتافيت اللحم ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

■ **الحَبَّةُ:** من الشعير والحنطة والسمسم ونحو ذلك ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

■ **الذَّرَّةُ:** جزء الهباء المنبث لا ترى إلّا بالمجهر أو في أشعة الشمس ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: 61].

■ **الفَتِيلُ:** الخيط في ظهر النواة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: 49].

■ **القِطْمِيرُ:** الأثر الطفيف في ظهر النواة ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فَاطِر: 13].

■ **النَّقِيرُ:** وقبة في ظهر النواة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النِّساء: 124].

■ **النَّوَاةُ:** غراس النخلة في بطن التمرة ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: 95].

■ **هَبَاءُ:** ذرات التراب الدقيقة ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ [الواقِعَة: 6].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخَليل[1]: الخُرْدُولَةُ: عُضوٌ وافر من اللّحم، وخَرْدَلتُ اللّحمَ: فصَّلتُ أعضاءه مُوَفّرةً.

والخَرْدَلُ: ضَرْبٌ من الحُبّ [حَبّ الرَّشاد] لدقته.

وخَرِدَلْتُ الطّعامَ: أكَلتُ خيارَه وأطايِبَه.

والمُخَرْدَل: المصروع المَرميّ في بعض الحديث.

قال الأزهَريّ[2]: المُخَرْدَل: المقَطّع.

وخَرْدَل اللّحمَ: وفَّر قِطَعَه.

قال الجَوهَريّ[3]: الخَرْدَلُ: معروف، الواحدة: خَرْدَلَةٌ.

وخَرْدَلتُ اللّحمَ، أي: قطّعتُه صغاراً، بالدّال والذّال جمعياً.

قال الفيروزآباديّ[4]: خَرْدَلَ الطّعامَ: أكل خيارَه، والنّخلةُ: كثُر نَفْضُها، وعَظُم ما بقي من بُسْرها، فهي مُخردِل، واللّحمَ: قَطع أعضاءه وافرةً، أو قطَعه وفرّقه، ولحم خَراديلُ مُخَرْدَل.

والمُخَرْدَل: المصروع.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) القاموس المحيط.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

قال الفَخْر الرّازيّ[1]: إن قيل: الحَبّة أعظم من الخَرْدَلة، فكيف قال: حَبّة من خَرْدَل؟

قلنا الوجه فيه أن تفرض الخَرْدَلة كالدّينار، ثمّ تعتبر الحَبّة من ذلك الدّينار. والغرض المبالغة في أنّ شيئاً من الأعمال صغيراً كان أو كبيراً غير ضائع عند الله تعالى.

قال أبو السُّعود[2]: أي: مقدار حَبّة كائنةٍ من خَرْدَل، أي: وإن كان في غاية القلّة والحقارة، فإنّ حبّة الخَرْدَل مثَل في الصِّغَر.

وقرئ ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالرّفع على أنّ (كَانَ) تامّة.

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.

خرّ

(خرّ - هوى - انهار)

■ **الخُرُورُ:** أن يسقط الشيء من الأعلى إلى الأرض ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

■ **الهُوِيُّ:** السقوط من الأرض إلى العمق السحيق ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحجّ: 31].

■ **الانْهِيَارُ:** سقوط الشيء القوي الكبير القائم على الأرض بسرعة ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: 109].

شرح المعاني:

خـرّ وهـوى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحجّ: 31] كلاهما انحدار شديد وسريع عشوائي مفاجئ وقلق وغير منتظم. أما خرّ: فهي تعني الانحدار من السماء العليا، أي: من أعلى الفضاء إلى الأرض. أما هوى فهي: الانحدار من الأرض إلى أعماق الأرض إلى الهاوية السحيقة.

هذا المشرك المعتدي على الآخرين والذي له قوة وطاقة وقدرة تعجز الآخرين فلا يمكنهم أن يدفعوها، حينئذ يتدخل رب العالمين مباشرة وبدون أسباب، وحينئذ هما نوعان: نوع لم يفلح أن يُفسد في الأرض (مثل النازية لم تفلح هذه النزعة الشيطانية التي مسحت قوتها معظم الكرة الأرضية هؤلاء خرّوا

من فوق إلى الأرض مثل الذي خرّ من السماء فتخطفته الطير ولا يمكن الحصول على شيء تخطفته الطير لأنه أصبح في حواصلها ولم يعد له وجود). ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31] هذا عندما يستقر في الأرض بعد أن أفلحت كالشيوعية مثلاً استولت على الشعوب، ونفوذها قام في الأرض وقتلت الشعوب ولم يسمحوا لشعوبهم بممارسة شعائر دينهم وهم لا يعترفون أصلاً بوجود الله تعالى أصلاً، لكنهم أفلحوا واستقروا على الأرض. وحكموا سبعين عاماً ثم هوت بهم الريح وذهبوا واندثروا بعد قوتهم الهائلة التي قهرت عشرات الدول وسيطرت عليها وتحكمت في نصف الكرة الأرضية وكانوا أول من وصل إلى القمر، ولكن على حين غرّة هوت بهم الريح في مكان سحيق فلا يمكن لهم أن يعودوا مرة ثانية. أما هتلر وجماعته فتخطفتهم الطير فلا يمكن أن يعودوا، وكذلك فرعون أخذته الموجة وانتهى الأمر.

حطّ وهبط: الحطّ هو الانحدار من الأعلى ولكن بشكل منظم وقانون مرتّب كما يحط الطير، وكالطائرة تُقلع من مطار ثم تحلق ثم تحطّ في مطار آخر بشكل منظّم، ومن الخطأ القول إن الطائرة هبطت إلا عندما يحصل بها خلل فتنحدر بشكل عشوائي فيقال لها: هبطت. فالحطّ هو الانحدار من الأعلى بشكل منظّم أما الهبوط فهو الانحدار من الأعلى بشكل عشوائي وبشكل فيه خلل فيقال مثلاً: هبطت الأسهم وهبطت الأسعار. الطير يحطّ بقوانين ومنها أخذ البشر قوانين الطائرة، ولكن عندما تطلق عليه النار فتصيبه ينزل نزولاً عشوائياً فيقال له: هبط. وقد استعملت كلمة هبط في القرآن الكريم في مواطن عدة بمعنى الذمّ ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البَقَرَة: 61] تدل على طردهم لرذالتهم ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعرَاف: 13] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: 38] (هبوط آدم وحواء هو هبوط منزلة). حتى في العبادة ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ

مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: 74] والعباد الصالحون عندما يتفكرون بالله تعالى ينكمشون ويتضاءلون وتأخذهم الخشية حتى يكونوا كالحِلس البالي فهذا هو الهبوط.

سقط: تقال للشيء المتروك. كالبيت الآيل للسقوط لا نقول: للهبوط لأنه هو أصلاً خرِب ويقال للتلميذ الكسول: أنه سقط لأنه أصلاً لم يدرس، ويقال للحكومة: سقطت لأنها كانت تالفة أصلاً. فالسقوط يقال للشيء التافه ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطُّور: 44] ما يسقط من السماء أشياء تافه كنجمة تالفة أو كوكب تالف أو نحوها. ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 187] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التّوبَة: 49] الذي يسقط في الفتنة هو الإنسان التافه التالف.

أما نزل: فتقال للشيء القيّم والشيء الخطير سلباً أو إيجاباً. يقال: نزل وتنزّل. كلمة نزل وتنزّل من الأشياء المهمة الخطيرة التي تُحدث تغييراً كالقرآن والكتب والمطر والعذاب. ويقال: أنزل إذا كان من الأعلى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: 185] ولما وصل إلينا صار تنزيلاً ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسَان: 23] وكل تنزيل في القرآن جميل قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التّوبَة: 26] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفَتْح: 4] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ [محَمَّد: 20] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ﴾ [آل عِمرَان: 7] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ﴾ [النّحل: 10]

انهار: الانهيار ذاتي بدون فعل فاعل هو تالف أصلاً فأصبح ضعيفاً فانهار، يقال: انهار البناء إذا وقع من تلقاء نفسه وهو غير الهدم الذي يكون بفعل خارجي. واحد عنده مصيبة صمد كثيراً ثم انهار كما يحصل في السجون يصمد

السجين تحت العذاب والسجن ثم ينهار ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 109].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارسٍ[1]: الخاء والرّاء أصل واحد، وهو اضطراب وسقوط مع صوت.

فالخَريرُ: صوت الماء، وعين خَرَّارةٌ، وقد خَرَّت تَخِرُّ. ويقال للرّجل إذا اضطرب بطنه: قد تَخَرْخَر.

وخَرَّ: إذا سقط.

وتقول: خَرَّ الماء الأرض: شقّها.

والأخِرَّةُ، واحدها: خَرِيرُ، وهي أماكن مطمئنّة بين الرَّبْوتين تنقاد.

والخُرُّ من الرّحى: الموضع الّذي تُلقى فيه الحنطة. وهو قياس الباب، لأنّ الحَبّ يَخِرُّ فيه.

وخُرُّ الأُذُن: ثَقْبها، مشبّه بذلك.

قال الخَليل[2]: الخَريرُ: صوت الماء وصوت الرّيح، وخَرِيرُ العُقاب: حَفيفُها. وقد يضاعف إذا تُوهّم سرعة الخرير في القصب فيُحمل على الخَرْخَرة، وأمّا في الماء فلا يقال إلاّ خَرْخَرَة.

والهِرّة تَخِرُّ في نومها فهي خَرُورٌ، وخَرَّ النّمِر خَريرًا، وخَرْخَر يُخَرْخِر خَرْخَرَةً. ويقال لصوته أيضاً: خَرير، وهَدير وغَطيط.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأصمعيّ[1]: الأخِرَّةُ: واحد خَرِيرَ، وهي أماكن مُطمئنّة تنقاد بين الرَّبْوَتَين.

فإن اضطَراب بطنه مع العِظَم قيل: تَخَرْخَر بطنه.

قال ابن دُرَيْد[2]: خَرَّ يَخِرُّ خرًّا: إذا هوى من عُلْوٍّ إلى سُفْلٍ، وكلّ واقع كذلك فقد خَرَّ.

وخرّ الحائط وما أشبهه، وكذلك الرّجل: إذا سقط وهو قائم على وجهه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿... فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 26].

قال الطّبَريّ[3]: تساقطت عليهم سقوف بيوتهم.

قال الزّجّاج[4]: يُروى أنّ ذلك في قصّة نَمرود بن كنعان، بنى صرحاً يَمكُر به فخّر سقفه عليه وعلى أصحابه. وقال بعضهم: هذا مثَل، جُعِلت أعمالهم الّتي عملوها، بمنزلة الباني بناءً يسقط عليه، فمضرّة عملهم عليهم كمضرّة الباني إذا سقط عليه بناءه.

قال أبو السُّعود[5]: أي: سقط عليهم سقف بنيانهم، إذ لا يتصوّر له القيام بعد تهدّم القواعد، شُبّهت حال أُولئك الماكرين في تسويتهم المكائد، والمنصوبات الّتي أرادوا بها الإيقاع برُسل الله سبحانه، وفي إبطاله تلك الحيل

(1) الأضداد.
(2) الجمهرة.
(3) جامع البيان.
(4) معاني القرآن.
(5) إرشاد العقل السليم.

والمكائد وجعله إيّاه أسباباً لهلاكهم بحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين، فأُتي ذلك من قبل أساطينه بأن ضعضعت، فسقط عليهم السّقف فهلكوا.

● **قال تعالى:** ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

قال الطّبَريّ(1): من يشرك بالله شيئاً من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ، وهلاكه وذهابه عن ربّه، مثل من خرّ من السمّاء، فتخطفه الطّير، فهلك، أو هوت به الرّيح في مكان سحيق، يعني من بعيد.

قال القُشَيْريّ(2): كيف لا، وهو يهوي في جهنّم، وتتجاذبه ملائكة العذاب.

قال الزّمَخْشَريّ(3): يجوز في هذا التّشبيه أن يكون من المركّب والمفرَّق، فإن كان تشبيهاً مركّباً، فكأنّه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السّماء فاختطفته الطّير فتفرّق مَزْعاً في حواصلها، أو عصَفَت به الرّيح حتّى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرَّقاً، فقد شبّه الإيمان في عُلوّه، بالسّماء، والّذي ترك الإيمان وأشرك بالله، بالسّاقط من السّماء، والأهواء الّتي تتوزّع أفكاره بالطّير المُختطفَة، والشّيطان الّذي يطوّح به في وادي الضّلالة بالرّيح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المُتلفة.

● **قال تعالى:** ﴿... وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صٓ: 24].

قال ابن عَطيّة(4): أي: ألقى بنفسه نحو الأرض متضامناً متواضعاً، والرّكوع والسّجود: الانخفاض والتّرامي نحو الأرض، وخصّصتها الشّرائع على هيئات معلومة. وقال قوم: يقال: (خرّ) لمن ركع وإن كان لم ينته إلى الأرض.

---

(1) جامع البيان.
(2) لطائف الإشارات.
(3) الكشاف.
(4) المحرر الوجيز.

قال أبو السُّعود[1]: أي: ساجداً على تسمية السّجود ركوعاً، لأنّه مبدؤه، أو خرّ للسجود راكعاً أي: مصليّاً، كأنّه أحرَم بركعتي الاستغفار.

قال الألوسيّ[2]: أي: ساجداً، على أنّ الرّكوع مجاز عن السّجود، لأنّه لإفضائه إليه جُعل كالسّبب، ثمّ تجوزّ به عنه، أو هو استعارة لمشابهته له في الانحناء والخضوع، والعرب تقول: نخلة راكعة ونخلة ساجدة.

وقيل: أي خرّ للسّجود راكعاً، أي: مصليّاً، على أنّ الرّكوع بمعنى الصّلاة لاشتهار التّجوّز به عنها، وتقديرا متعلّق لـ(خرّ) يدلّ عليه غلبة فحواه، لأنّه بمعنى سقط على الأرض كما في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ . . . .﴾ [النّحل: 26].

● **قال تعالى**: ﴿. . . إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: 58].

قال الزّجاّج[3]: ﴿سُجَّدٗا﴾ حال مقدّرة، المعنى: خرّوا مقدّرين السّجود، لأنّ الإنسان في حال خرُوره لا يكون ساجداً.

قال أبو السُّعود[4]: ﴿. . . خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ خبر لـ(أولئكَ)، ويجوز أن يكون الخبر هو الموصول، وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى، وإخباتهم له مع ما لهم من عُلوّ الرّتبة وسُموّ الطّبقة في شرف النّسب، وكمال النّفس والزُّلفى من الله عزّ سلطانه، و﴿سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ حالان من ضمير خرّوا، أي: ساجدين باكين.

قال الألوسيّ[5]: [نحو أبي السُّعود وأضاف:]

وقيل: خبر بعد خبر لاسم الإشارة. وقيل: إنّ الكلام انقطع عند قوله تعالى:

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) معاني القرآن.
(4) إرشاد العقل السليم.
(5) روح المعاني.

﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، وهذه الجملة صفة لذلك المحذوف، أي وممّن هدينا واجتبينا قوم إذا تُتلى عليهم إلخ، ونُقل ذلك عن أبي مسلم. . .

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ. . .﴾ [السجدة: 15].

قال الماوَرْديّ(1): فيه وجهان: أحدهما: الّذين إذا دعوا إلى الصّلوات الخمس بالأذان أو الإقامة أجابوا إليها. قاله أبو معاذ، لأنّ المنافقين كانوا إذا أُقيمت الصّلاة خرجوا من أبواب المساجد.

الثّاني: إذا قرئت عليهم آيات القرآن خضعوا بالسّجود على الأرض طاعةً لله وتصديقاً بالقرآن. وكلّ ما سقط على شيء فقد خرّ عليه.

قال الفيروزآباديّ(2): فيه تنبيه على اجتماع أمرين: السّقوط من عُلْوٍ، وحصول الصّوت بالتّسبيح. وقوله من بعد ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ تنبيه على أن ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا بشيء آخر.

قال أبو السُّعود(3): أثر ذي أثير من غير تردّد ولا تلعثم، فضلاً عن التّسويف إلى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد، أي: سقطوا على وجوههم.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 107].

● **قال تعالى:** ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109].

قال الزّجّاج(4): قوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ لأنّ الّذي يخرّ وهو قائم يخرّ لوجهه، والذّقَنُ مجتمع اللَّحْيَيْن، وهو عضو من أعضاء الوجه، وكما يبتدئ

(1) النكت والعيون.
(2) بصائر ذوي التمييز.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) معاني القرآن.

المبتدئ يخرّ فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذّقَنْ، و﴿سُجَّدًا﴾ منصوب على الحال.

قال الواحديّ[1]: كُرّر القول، دلالة على تكرّر الفعل منهم.

قال البَيْضاويّ[2]: يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله، أو شكراً لإنجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمّد ﷺ على فترة من الرّسل، وإنزال القرآن عليه.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ كرّره لاختلاف الحال أو السّبب، فإنّ الأوّل للشّكر عند إنجاز الوعد، والثّاني لما أثّر فيهم من مواعظ القرآن، حال كونهم باكين من خشية الله. وذكر الذّقَن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه السّاجد، واللّام فيه لاختصاص الخرور به.

● **قال تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: 73].

قال الطَّبَريّ[3]: يقول تعالى ذكره: والّذين إذا ذكّرهم مُذكّر بحجج الله، لم يكونوا صُمًّا لا يسمعون، وعُميًا لا يبصرونها. ولكنّهم يقاظ القلوب، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يُذكّرهم به، ويفهمون عنه ما ينبّههم عليه، فيوعون مواعظه آذاناً سَمِعتْه، وقلوباً وَعَتْه.

فإن قال قائل: وما معنى قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أو يخرّ الكافرون صُمًّا وعُمياناً إذا ذُكّروا بآيات الله، فيُنفى عن هؤُلاء ما هو صفة للكفّار؟

قيل: نعم، الكافر إذا تُليت عليه آيات الله خرّ عليها أصمّ وأعمى، وخرّه عليها كذلك إقامته على الكفر، وذلك نظير قول العرب: سببتُ فلاناً، فقام يبكي، بمعنى فظلّ يبكي، ولا قيام هنالك، ولعلّه أن يكون بكى قاعداً. وكما يقال: نهيت فلاناً عن كذا، فقعد يشتمني، ومعنى ذلك: فجعل يشتمني، وظلّ يشتمني.

(1) الوجيز.
(2) أنوار التنزيل.
(3) جامع البيان.

ولا قعود هنالك، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب، حتّى قد فهموا معناه.

فكذلك قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ إنّما معناه: لم يَصمّوا عنها، ولا عموا عنها، ولم يصيروا على باب ربّهم صُمًّا وعُمياناً.

قال الزّجّاج[1]: تأويله: إذا تُليت عليهم خرّوا سجّداً وبُكيًّا، سامعين مبصرين لما أمروا به ونُهوا عنه. ودليل ذلك قوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

فالتّأويل: والّذين إذا ذُكّروا بآيات ربّهم خرّوا ساجدين مطيعين.

قال الماوَرْديّ[2]: يعني سمعوا الوعظ فلم يصمّوا عنه، وأبصروا الرّشَد فلم يعموا عنه، بخلاف من أصمّه الشّرك عن الوعظ، وأعماه الضّلال عن الرّشَد.

● **قال تعالى**: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: 90].

قال الطّبَريّ[3]: يقول: وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطاً. والهَدّ: السّقوط، وهو مصدر هدَدْتُ، فأنا أهُدّ هدًّا.

قال الواحديّ[4]: تسقط الجبال وتكسر كسراً.

قال الفَخْر الرّازيّ[5]: أي تهدّ هدًّا أو مهدودةً، أو مفعول له أي لأنّها تهدّ، والمعنى: أنّها تتساقط أشدّ ما يكون تساقط البعض على البعض.

وثالثها: أنّ السّماوات والأرض والجبال تكاد أن تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول. وهذا تأويل أبي مسلم.

ورابعها: أن السّماوات والأرض والجبال كانت سليمة من كلّ العيوب، فلمّا تكلّم بنو آدم بهذا القول ظهرت العيوب فيها.

---

(1) معاني القرآن.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.
(4) الوجيز.
(5) التفسير الكبير.

فهرس المحتويات

حرف الحاء